

صنح الأربعة

الجزء الرابع



دار الكتب الخديوية

كتاب

صنح الأسيك

نالتف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الرابع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٢ هـ
٣ ١٩١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحالة الثالثة

من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة
(من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا)

وأعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وحلقتها في الديار المصرية ، خالفها في كثير من ترتيب المملكة ، وغيّرت غالب معالمها ، وجرت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكي بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه ؛ وكان من شأنهم أنهم يلبسون الكلوات الصُفْر على رؤسهم مكشوفةً بغير عمام ، وذوائب شعورهم مُرخاةً تحتها سواء في ذلك المالك والأمرء وغيرهم . حتى يحكى عن الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر صاحب دِمَشَق في أطراح التكلف : أنه كان يلبس الكلوة الصفراء بلا شاش ، ويخترق الأسواق من غير أن يُطَرَّق بين يديه كغيره من الملوك ، وكان سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى حين ملك المَوْصِل بعد أبيه أحدث حمل السَّنَجَق على رأسه ، فنبعه الملوك على ذلك ؛ وألزم الأجناد أن يشدوا السيوف في أوساطهم ، ويجعلوا الدبابيس تحت رُكَبِهِم عند الركوب كما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حمّاة في تاريخه .

فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الديار المصرية، جرى على هذا المنهج أو ماقاربه، وجاءت الدولة التركية، وقد تنقحت المملكة وترتبت، فأخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتنضيد الملك وقيام أبيته، ونقلت عن كل مملكة أحسن ما فيها، فسلكت سبيله ونسجت على منواله حتى تهذبت وترتبت أحسن ترتيب، وفاقت سائر الممالك، وفخر ملكها على سائر الملوك .

ولم يزل السلطان والجند يلبسون الكلوة الصفراء بغير عمامة إلى أن ولي السلطان "الملك الأشرف خليل" بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنة، فأحدث الشاش عليها بجات في نهاية من الحسن، وصاروا يلبسونها فوق الذائب الشعر المرخاة على ما كان عليه الأمر أولاً إلى أن حج السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سلطته الثالثة، فخلق رأسه وخلق الناس رؤوسهم، وأستداموا خلق رؤوسهم وتركت ذائب الشعر إلى الآن .

ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد .

المقصود الأول

(في ذكر رسوم الملك وآلاته ؛ وهو أنواع كثيرة، بعضها عام في الملوك

أو أكثرهم، وبعضها خاص بهذه المملكة)

منها - (سرير الملك) ويقال له تحت الملك . وهو من الأمور العامة للملوك، وقد تقدم أن أول من اتخذ مرتبة للجوس عليها في الإسلام معاوية رضي الله عنه حين بدن، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في الإسلام في ذلك حتى اتخذوا الأسرة، وكانت أسرة خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها نحو سبعة أذرع . وهو في هذه المملكة منبر من رخام بصدر إيوان السلطان الذي يجلس فيه، وهو على هيئة منابر

الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط ، وهذا المنبر يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رسل عليه ونحو ذلك ، وفي سائر الأيام يجلس على كرسى من خشب مغشى بالحريز ، إذا أرخى رجليه كادت أن تلحقا الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس .

ومنها - (المقصورة) للصلاة في الجامع . وقد تقدم في الكلام على ترتيب الخلافة أن أول من اتخذها في الإسلام معاوية ، وقد صارت سنة ملوك الإسلام بعد ذلك تمييزا للسلطان عن غيره من الرعية ، وهي في هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر متخذة من شبك حديد محكمة الصنعة ، يصل فيها السلطان ومن معه من أخصاء خاصيته يوم الجمعة .

ومنها - (نقش اسم السلطان) على ما ينسج ويرقم من الكسوة والطرز المتخذة من الحرير أو الذهب بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصير الثياب والطرز السلطانية مميزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها : من السلطان أو من يشرفه بلبسها عند ولاية وظيفة أو إنعام أو غير ذلك . ولذلك دار مفردة بعمله بالإسكندرية تعرف بدار الطراز ، وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين : بنى أمية وبنى العباس حين كانت الخلافة قائمة .

ومنها - (الغاشية) . وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يحالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركاب دارية ، رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (المظلة) . ويعبر عنها بالخطر (بجيم مكسورة ، فدتبدل شيئا معجمة ، وتاء مثناة فوق) ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة

مَطْلِيَّةٌ بالذهب ، تحمل على رأسه في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية ، وقد تقدم الكلام عليها مبسوطا في الكلام على ترتيب مملكتهم .

ومنها - (الرَّقِبَة) . وهي رقبة من أطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الأطلس تراكم الذهب عليها ، تجعل على رقبة الفرس في العيدين والميادين من تحت أذني الفرس إلى نهاية عُرْفِهِ ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الحفقة) . وهما آثان من أوشاقية إصطبله قريبان في السن ، عليهما قبّاءان أصفران من حرير بطراز من زركش ، وعلى رأسيهما قُبَعَتَانِ من زركش ، وتحتهما فرسان أشهبان برهبتين وعُدَّة ، نظير ما للسلطان راكب به كأنهما معدان لأن يركبهما ، يركبان أمامه في أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك ، وهما من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الأعلام) . وهي عدّة رايات ، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب ، عليها ألقاب السلطان وأسمه ، وتسمى العِصَابَة ؛ وراية عظيمة في رأسها خُصْلَةٌ من الشعر تسمى الجاليس ؛ ورايات صُفْرٌ صغار تسمى السَّنَاقِقُ .

قال السلطان عماد الدين صاحب حمّة في تاريخه : وأول من حَمَلَ السنجق على رأسه من الملوك في ركوبه غازي بن زنكي ، وهو أخو السلطان نور الدين محمود ابن زنكي صاحب الشام .

ومنها - (الطلبخانا) . وهي طبول متعدّدة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ، تُدَقُّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب ، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك . ويقال إن الإسكندر^(١)

(١) لعله وزمّارات .

كان معه أربعون حملاً طبلخاناه، وقد كتب أرسطو في "كتاب السياسة" الذي كتبه للإسكندر أن السرّ في ذلك إرهاب العدو في الحرب، والذي ذهب إليه بعض المحققين أن السرّ في ذلك أن في أصواتها تهييجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تتفعل الإبل بالحداء ونحو ذلك.

ومنها - (الكوسات) . وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير، يدقُّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ومع ذلك طبولٌ وشبابة، يدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة، ويدأر بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة، ومرة قبل التسبيح على الموائد^(١)، وتسمى الدّورة بذلك في القلعة، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه.

ومنها - (الخيام والفساطيط) في الأسفار. ولهذا السلطان من ذلك المدد الكبير، تتخذ له الخيام العظيمة الشأن المختلفة المقادير والصنعة من القطن الشامى الملون بالأبيض والأحمر والأزرق وغيرها، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يدهش بحسنه العقول: لينوب مناب قصورهم في الإقامة، وسيأتى ذكر أمور أخرى من آلات الملك سوى ما تقدّم منفردة في أما كتبها إن شاء الله تعالى.

المقصد الثاني

(في حواصل السلطان، وهي على أربعة أنواع)^(٢)

النوع الأول

(الحواصل المعبر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالطشت خاناه، والشراب خاناه

(١) صوابه المآذن وكثيرا ما يجارى لغة العامة.

(٢) يظهر أن هذا النوع من النسخ فإنه في الضوء لم يذكر التنوع وإنما قسم الحواصل إلى البيوت الثمانية فقط ثم أتبعها بالمقصد الثالث.

ونحوهما؛ وخاناه لفظ فارسيّ معناه البيت، والمعنى بيت كذا إلا أنهم يؤخرون
المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك، وهي ثمانية بيوت .

الأول - (الشَّرَابِ خاناه) . ومعناها بيت الشراب، وتشتمل على أنواع الأَشْرِبَةِ
المُرْصَدَةِ لخاصّ السلطان، والمشروبِ الخاص من السكر والأَقْسِمَا وغير ذلك، وفيها
يكون السكر المخصوص بالمشروب، وبها الأواني النفيسة من الصّينيّ الفاحر من
الْأَزْوَردِيّ وغيره مما تساوى السُّكْرَجَةُ الواحدة اللطيفة منه ألف درهم فما حوله .
ووظيفة الشادّ بها تكون لأمر من أ كابر أمراء الميئين الخاصية المؤمنين ، ولها
مِهتار يعرف بمهتار الشراب خاناه متسلّم لحواصلها، له مكانة عليّة، وتحت يده غلمانٌ
عنده برسم الخِدْمَةِ، يُطَلَق على كل منهم شراب دار، وسيأتي في الكلام على الألقاب
في المقالة الثالثة معنى الإضافة إلى الدار في ذلك ونحوه .

الثاني - (الطَّشَّتْ خاناه) . ومعناه بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون
الطَّشَّتُ الذي تغسل فيه الأيدي والطَّشَّتُ الذي يُغَسَل فيه القماش ، وقد غلب
عليهم استعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء، وصوابه بالسين المهملة مع
فتح الطاء، وأصله طَسُّ بسين مشدّدة فأبدلت من إحدى السنين تاء للاستتقال .
فإذا جُمع أو صُغِرَ، ردت السين إلى أصلها ، فيقال في الجمع طَسَّاس وطُسُوس ،
وفي التصغير طُسَيْس . قال الجوهريّ : ويقال فيه أيضا طَسَّة، ويجمع على طَسَّات،
والناس الآن يقولون طاسة ويجمعونه على طاسات ، ويعملون الطَّشَّتَ أسماء لنوع
خاص ، والطاسة أسماء لنوع خاص .

وفي الطَّشَّتْ خاناه يكون ما يلبسه السلطان من الكلوته والأقيية وسائر الثياب
والسيف والخفّ والسرموزة وغير ذلك .

وفيها يكون ما يجلس عليه السلطان من المقاعد والمخادد والسجادات التي يصلّي عليها وما شاكل ذلك، ولها أيضا مهتار من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطشت خاناه، وتحت يديه عدة غلمان بعضهم يعرفون بالطشت دارية، وبعضهم يعرف بالرخوانية. وله التحدث في تفرقة اللحم على الممالك السلطانية من الحوائج خاناه وإقامة قباض اللحم، ويطلق على كل من غلمان الطشت خاناه وقباض اللحم بابا، وهي لفظة رومية بمعنى الأب، أطلقوها على مهتار الطشت خاناه تعظيما له، ثم غلبت على من عداه، ولغلمانها دربة بترتيب الأحمال التي تحمل على ظهور البغال للزينة في المواكب العظيمة ونحوها، يأتون فيها من بديع الصنعة والتعاليق الغريبة بكل عجيب، وهم يتباهون بذلك، ويسامى بعضهم بعضا فيه.

الثالث - (الفراش خاناه). ومعناها بيت الفراش، وتشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام، ولها مهتار يعرف بمهتار الفراش خاناه، وتحت يده جماعة من الغلمان مستكثرة مرصدون للخدمة فيها في السفر والحضر يعبر عنهم بالفراشين، وهم من أمهر الغلمان وأنهمهم، ولهم دربة عظيمة في نصب الخيام حتى إن الواحد منهم ربما أقام الخيمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له في ذلك، ولهم معرفة تامة بشد الأحمال التي تحمل في المواكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحو خمسة عشرة ذراعا.

الرابع - (السلّاح خاناه). ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزرد خاناه ومعناها بيت الزرد لما فيها من الدروع الزرد؛ وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف، والقسي العربية، والنشاب، والرماح، والدروع المتخذة من الزرد المانع، والقرقولات المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر، وغير ذلك

من الأطبار وسائر أنواع السلاح ، ويقالُ بها قسيّ الرّجل والرّكاب لعدم معاناتها بالديار المصرية ، وإنما تكثر بالثغور كالإسكندريّة وغيرها ، وفي كل سنة يحمل إليها ما يعمل بنزائن السلاح من الأسلحة ، يجعل على رؤوس الحمالين ويُرَفُّ إلى القلعة ويكون يوماً مشهوداً ، وفي هذه السلاح خاناه من الصّناع المقيمين بها لإصلاح العُدَد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ، ويسمى صانع ذلك الزردكاش ، وهي لفظة عجمية وكان معناها صانع الزرد ، ولها غلمان أخرى وفراشون بسبب خدمة القماش وأفتقاده .

الخامس - (الرّكاب خاناه) . ومعناها بيت الرّكاب ، وتشتمل على عُدَد الخيل من السروج ، والجم ، والكنايش ، وعى المراكيب ، والعبي الإصطبلات ، والأجلال ، والمخالي وغير ذلك من الأصناف التي يطول ذكرها ؛ وفيها من السروج المغشاة بالذهب والفضة المطلية والسادجة والكنايش المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش ، وغير المزهرة ، والعبي المتخذة من الحرير ووصوف السهك ، وغير ذلك من نفائس العُدَد والمراكيب ما يحير العقول ويدهش البصر ، مما لا يقدر على مثله إلا عطاء الملوك . ولها مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الرّكاب خاناه ، وتحت يده رجال لمعاضدته على ذلك .

السادس - (الحوائج خاناه) . ومعناها بيت الحوائج ، وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، وإنما لها جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللحم الراتب للطبخ السلطانيّ والدور السلطانية ورواتب الأمراء والماليك السلطانية وسائر الجند والمتعممين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ

(١) لم نثر على حيوان بهذا الاسم ولعله مصحف عن السمند .

أسماءهم الدفاتر، وكذلك تَوَابِلُ الطعام للطبخ السلطانيّ والدور السلطانية، ومن له تَوَابِلُ مرتبة من الأمراء وغيرهم، والزيت للوقود، والحبوب، وغير ذلك من الأصناف المتعددة؛ ولها مباشرون منفردون بها يَضْبِطُونَ أسماء أرباب المستحقّات ومقادير استحقاقهم، وهي من أوسع جهات الصرف حتى إن ثمن اللحم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل يوم خارجا عما عداه من الأصناف، وربما زاد على ذلك.

السابع - (المطبخ). وهو الذي يُطَبَخُ فيه طعام السلطان الراتب في الغدَاء والعشاء والطارئ في الليل والنهار والأسمطة التي تمدّ بالإيوان الكبير بدار العدل في أيام الموابك، ويحمل إليه اللحم والتوابل وسائر الأصناف من الحوائج خاناه المتقدمة الذكر بقدر معلوم مرتب؛ يُسْتَهْلَكُ فيه في كل يوم قناطر مقنطرة من اللحم والدجاج والإوز والأطعمة الفاخرة؛ وله أمير من الأمراء يحكم عليه يسمّى أستاذار الصحبة وتحت يده آحر يعبر عنه بالمُشْرِف؛ وله طبّاخ كبير معتبر يعبر عنه باسباسلار.

الثامن - (الطبلخانا). ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات؛ ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم، يقف عليها عند ضربها في كل ليلة، ويتولّى أمرها في السّفَر؛ ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخانا؛ وله رجال تحت يده ما بين دبندار: وهو الذي يضرب على الطبل، ومُنْفَر وهو الذي يضرب بالبوق، وكُوسِيٌّ، وهو الذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصنّاع.

المَقْصِدُ الثَّالِثُ

(في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب الذين بهم أنتظام المملكة)

وقيام المُلك ؛ وهم على أربعة أضرب)

الضرب الأول

(أرباب السيوف ؛ والنظر فيهم من وجهين)

الوجه الأول

(مراتبهم على سبيل الإجمال ؛ وهي على نوعين)

النوع الأول

(الأمراء ؛ وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى - أمراء المئين مقدمو الألو ف ، وعدة كل منهم مائة فارس .
قال في "مسالك الأبصار" : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ؛
وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هي أعلى مراتب
الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والتواب .
ثم الذي كان آستقر عليه قاعدة المملكة في الروك الناصري محمد بن قلاوون ،
وما بعده إلى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، أن يكون بالديار المصرية أربعة
وعشرون مقدما ، ولما آستجد في الدولة الظاهرية الديوان المفرد لخاص السلطان
وأفرد له عدة كثيرة من المماليك السلطانية والمستخدمين ، نقصت عدة المقدمين
عما كانت عليه ، وصارت دائرة بين الثمانية عشر والعشرين مقدما بما في ذلك من
نائب الإسكندرية ونائب الوجهين : القبلي والبحري .

الطبقة الثانية - أمراء الطبلخانا، وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارسا .
قال في "مسالك الأبصار" : وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارسا ،
بل ذكر في "التعريف" في أواخر المكاتب أنه يكون للواحد منهم ثمانون فارسا .
قال في "مسالك الأبصار" : ولا تكون الطبلخانا لأقل من أربعين ، وهذه الطبقة
لاضابط لعدة أمراءها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فرقت إمرة الطبلخانا
فجعلت إمرة عشرين أو أربع عشرات ، أؤضم بعض العشرات ونحوها إلى بعض
وجعلت طبلخانا ، ومن أمراء الطبلخانا تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف^(١)
والكشف بالأعمال ، وأكابر الولاية .

الطبقة الثالثة - أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فارس . قال في "مسالك
الأبصار" : وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعد إلا في أمراء العشرات ،
وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدد أمراءها بل تزيد وتنقص كما تقدم في الكلام على أمراء
الطبلخانا ، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاية ونحوهم من أرباب الوظائف .
الطبقة الرابعة - أمراء الخمسات . وهم أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية ،
وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم ، وهم في الحقيقة
كأكابر الأجناد .

النوع الثاني

(الأجناد ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى - المالك السلطانية . وهم أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعهم قدرا ،
وأشدهم إلى السلطان قُرْبًا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمّر الأمراء رتبة بعد رتبة ،

(١) لعل الواو زائدة .

وهم في العدة بحسب ما يؤثِّره السلطان من الكثرة والقسلة ، وقد كان لهم في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم في أيام السلطان الملك الظاهر برقوق العدد الجَمُّ والمدد الوافر لطول مدة ملكهما وأعتائهما يجلب الممالك ومشتراها .

الطبقة الثانية - أجناد الحلقة . وهم عدد جَمٍّ وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم ، بواسطة النزول عن الإقطاعات ، وقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كي لا يُحاط بعبئته ويطاع إليه . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل أربعين نفسا منهم مقدم منهم ، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقفهم معه ، وترتيبهم في موقفهم إليه . ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهايز السلطان في السفر كالحرس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب .

الوجه الثاني

(في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم ذكرهم؛ وهم على نوعين)

النوع الأول

(من هو بحضرة السلطان ، وهي خمسة وعشرون وظيفة)

الأولى - النيابة . ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل الممالك الإسلامية . قال في "التعريف" : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ، وسائر التواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بخصوص نيابته . قال : وهذه رتبة

لا يخفى ما فيها من التمييز . قال في "مسالك الأبصار" : وجميع تواب الممالك تكاتبه فيما تكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يُراجِع السلطان ، ويستخدم الجُند من غير مشاورة السلطان ، ويعيّن أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر ، وقل أن لا يجاب فيمن يُعيّن به ، وهو سلطانٌ مختصر بل هو السلطان الثاني . وعادته أن يركب بالعسكر في أيام المواقب وينزل الجميع في خدمته . فإذا مثل في حضرة السلطان ، وقف في ركن الإيوان . فإذا أنقضت الخدمة ، خرج إلى دار النيابة بالقلعة والأمراء معه ويجلس جلوسا عاما للناس ، ويحضره أرباب الوظائف ، ويقف قدّامه المُجّاب ، وتقرأ عليه القصص ، ثم يمدُّ الساط للأمرء كما يمدُّ لهم السلطان فيأكلون وينصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصورة ، لم يكن السلطان يتصدى لقراءة القصص ، وسماع الشكاوى بنفسه ، ويأمر في ذلك بما يرى من كتابة مثال ونحوه ، ولكنه لا يستبدّ بما يكتب من الأبواب السلطانية بنفسه بل يكتب بإشارته وينبه على ذلك ، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك .

أما ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمة إلا عنده ولا اجتماع إلا به ، ولا اجتماع لهم بالسلطان في أمر من الأمور ، وما كان من الأمور المُعْضِلة التي لا بد من إحاطة علم السلطان بها فإنه يُعلمه بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه . هذا آخر كلامه في "المسالك" غير أن هذا النائب تارة يُنصب وتارة يُعطل جيد الملكة منه ؛ وعلى هذا كان الحال في الأيام الناصرية ابن قلاوون تارة وتارة وكذا الحال في زماننا . وإذا كان متصباً ، أخصّ بإخراج بعض الإقطاعات دون بعض ، ويكون صاحب ديوان الجيش هو الملازم له وناظر الجيش ملازم السلطان .

قال في "التعريف" : أما نائب العيّسة : وهو الذي يترك إذا غاب السلطان

(١) كذا في الضوء أيضاً ومراده يترك وشأنه في الحكم .

والنائب الكافل، وليس إلا لإيجاد الثوائر وخلص الحقوق، فحكه في رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء .

الثانية - الأتابكية . ويعبر عن صاحبها بأتابك العساكر . قال السلطان عماد الدين في "تاريخه" : وأصله أطابك ومعناه الولد الأمير، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة، ولقبه بألقاب منها هذا، وقيل أطابك معناه أمير أب، والمراد أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى، وغايته رفعة المحلّ وعلو المقام .

الثالثة - وظيفة رأس نوبة . وموضوعها الحكم على الممالك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحدٌ مقدم ألف وثلاثةٌ طلبخاناة .

الرابعة - إمرة مجلس . وموضوعها (١) وهو يتحدث على الأطباء والكّمالين، ومن شاكلهم، ولا يكون إلا واحدا .

الخامسة - إمرة سلاح . وأصل موضوعها حمل السلاح للسلطان في الجامع الجامعة، وصاحبها هو المقدم على السلاح دارية من الممالك السلطانية والمتحدث في السلاح خاناه السلطانية ، وما يُستعمل لها ويقدم إليها، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المقدمين .

السادسة - إمرة أخورية . وموضوعها التحدث على إصطبل السلطان وخيوله، وعادتها مقدم ألف يكون متحدثا فيها حديثا عاما، وهو الذي يكون ساكنا

(١) بياض بالأصل ولعله وموضوعها تولى أمور مجلس السلطان .

بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناه . أما أمراء العشرات والجند، فغير محصورين .

السابعة - الدَّوَادِرِيَّة . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عاقمة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد، هو وأمير جاندار وكتب السر، ويأخذ الخط على عاقمة المناشير والتواقيع والكتِّب . وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء برسوم، حمل رسالته وعينت فيما يكتب ، وسيأتي بيان ذلك فيما يكتب بالرسائل في الكلام على قوانين ديوان الإنشاء إن شاء الله تعالى .

وفي هذه الوظيفة عدَّة من الأمراء والجند ، وقد كانت في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما تلاها ليس فيها أميرٌ مقدَّم ألف ، ثم آل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم مقدَّم ألف ، ونائبه طبلخاناه . وأول من استقرَّ في وظيفة الدَّوَادِرِيَّة من الأمراء الألوْف طغتمر النجمي في الدولة الناصرية حسن ، ثم صار غالب من يليها ألوْف ، وربما كان طبلخاناه أحيانا .

الثامنة - المُجُوبِيَّة . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها أن صاحبها يُنصَفُ بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم مَنْ يعرض ومَنْ يرد، وعرض الجند وما ناسب ذلك ، والذي جرت به العادة خمسة مُجَابٍ ، آثنان من مقدَّمي الألوْف : وهما حاجب المُجَاب هو المشار إليه من الباب الشريف ، والقائم مقام النائب في كثير من الأمور . وأعلم أن هذا الأسم أول ما حدث في الدولة الأمويَّة في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان موضوعها إذ ذاك حُجِّب السلطان عن العاقمة ، ويُغلق بابه دونهم أو يفتح لهم على قدره في مواعيته ،

(١) في الكلام سقط ظاهر ولعل الأصل "حاجب الحجاب ونائبه وحاجب الحجاب هو الخ" تأمل .

ثم تبعهم بنو العباس على ذلك . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أنه كان للمقتدر سبعمائة حاجب . وهذا وكانت الخلافة قد أخذت في الضعف ، وهو خلاف موضوعها الآن ، وفيها بمالك المغرب معانٍ أخرى يأتي ذكرها عند الكلام على ممالكها إن شاء الله تعالى .

التاسعة - إمرة جاندار . وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان . قال في "مسالك الأبصار" : ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر . قال : وصاحبها كالمسلم للباب ، وله به البرددارية وطوائف الركابية والحازندارية . وإذا أراد السلطان تعزير أحد أوقته كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة ، وهو المسلم للزردخاناه التي هي أرفع قدرا في الاعتقالات ، ولا تطول مدة المعتقل بها ، بل إما يعجل بتخلية سبيله أو إتلاف نفسه ؛ وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره ، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران : مقدم ألف ، وطبلخاناه ، والمشار إليه هو المقدم .

العاشر - الاستادارية . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والعلمان ، وهو الذي يمشي بطلب السلطان ، ويحكم في غلماناه وباب داره ، وإليه أمر الجاشنكيرية ، وإن كان كبيرهم نظيره في الإمرة من ذوى الإيئين ، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجري مجرى ذلك للماليك وغيرهم . وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة : واحد مقدم ألف وثلاثة طبلخاناه ، وربما تقصوا عن ذلك .

(١) جمع الكسوة كسًا وكسَاءً . فسا في الاصل جار على اصطلاح العامة .

الحادية عشرة - الجاشنكيرية . وموضوعها التحدث في أمر السّاط مع الاستادار على ما تقدمت الإشارة إليه ، ويقف على السّاط مع أستاذار الصحبة ، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدمين .

الثانية عشرة - الخازندرية . وموضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد ومّاش وغير ذلك ، وكانت عاداتها طبلخاناه ، ثم استقرت مقدمة ألف ، ويطلبه في حساب ذلك ناظر الخاص الآتي ذكره .

الثالثة عشرة - شدّ الشراب خاناه . وموضوعها التحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية وما عمل إليها من السكر والمشروب والقواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدّما ، وتارة يكون طبلخاناه .

الرابعة عشرة - أستاذارية الصحبة . وموضوعها التحدث على المطبخ السلطاني والإشراف على الطعام والمشى أمامه والوقوف على السّاط ، والعادة أن يكون صاحبها أمير عشرة .

الخامسة عشرة - مقدمة المالك . وموضوعها التحدث على المالك السلطانية والحكم فيهم ، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام ، والعادة أن تكون إمرة طبلخاناه ، وله نائب أمير عشرة .

السادسة عشرة - زمامية الدور السلطانية . وصاحبها من أكبر الخدام ، وهو المعبر عنه بالزّمام ، وعادته أن يكون أمير طبلخاناه .

السابعة عشرة - نقابة الجيوش . قال في "مسالك الأبصار" : وهي موضوعة لتولية الجند في عرضهم ، ومعه يمشى الثّقباء . وإذا طلب السلطان أو النائب

أو الحاجب أميرا أو غيره، أحضره . قال : وهو كأحد الحُجَّاب الصغار، وله التطلب بالحراسة في الموكب والسفر .

الثامنة عشرة - المهندارية . وموضوعها تَلَقِّي الرسل الواردين وأمراء العُربان وغيرهم ممن يردُّ من أهل المملكة وغيرها .

التاسعة عشرة - شَدِّ الدواوين . وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدثا في استخلاص الأموال، وما في معنى ذلك؛ وعادتها إمرة عشرة .

العشرون - إمرة طَبَر . وموضوعها أن يكون صاحبها حاملا الطَّبَر في الموكب، ويحكم على مَنْ دونه من الطَّبَر دارية؛ وعادتها إمرة عشرة أيضا .

الحادية والعشرون - إمرة عَلم . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على الطبلخاناه السلطانية وأهلها، متصرفا في أمرها؛ وعادتها إمرة عشرة .

الثانية والعشرون - إمرة شكار . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا في الجوارح السلطانية من الطُّيور وغيرها والصُّبُود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها؛ وهي إمرة عشرة .

الثالثة والعشرون - حِرَاسَة الطير . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على حراسة الطيور من الكراكِيت التي هي يصدد أن يصيدها السلطان في الأماكن التي تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها؛ وهي إمرة عشرة .

الرابعة والعشرون - شَدِّ العِمائر . وموضوعها أن يكون صاحبها متكلمًا في العِمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار؛ وهي إمرة عشرة .

الخامسة والعشرون - الولاية . والولاية بالحاضرة على صنفين .

الصنف الأول

(وَلَاةُ الشُّرْطَةِ ، المعروفون في الديار المصرية بولاية الحرب ؛ وهم ثلاثة ،
بالقاهرة ، والفُسْطَاطُ المعروف بمصر ، والقَرَافَةُ)

فأما وَاِلَى الْقَاهِرَةِ ، فيحكم في القاهرة وضواحيها ، وهو أكبر الثلاثة وأعلام
رتبةً ؛ وعادته إمرة طبلخاناه .

وأما وَاِلَى الْفُسْطَاطِ ، فيحكم في خاصّة مصر على نظير ما يحكم وَاِلَى الْقَاهِرَةِ
في بلده ؛ وعادته إمرة عشرة .

وأما وَاِلَى الْقَرَافَةِ ، فيحكم في القرافة التي هي تُرْبَةُ هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ بِمَرَاجِعَةٍ وَاِلَى
مصر ؛ وعادته إمرة عشرة . وقد أضيفت الآن القرافة إلى مصر ، وصارت ولاية
واحدة وجعلت إمرة طبلخاناه ولكنها لاتبلغ شأوَ الْقَاهِرَةِ .

الصنف الثاني

(وَلَاةُ الْقَلْعَةِ ، وهم آثَانُ)

أحدهما - وَاِلَى الْقَلْعَةِ ، وهو أمير طبلخاناه ، وله التحدّث على باب القلعة الكبير
الذي منه طلوع عامّة العسكر ونزولهم في الفتح والغلق ونحو ذلك .

الثاني - وَاِلَى بَابِ الْقَلْعَةِ ، وهو أمير عشرة ، وله التحدّث على الباب المذكور
وأهله كما لو ألى القلعة التحدّث على الباب الكبير المتقدم ذكره .

النوع الثاني

(ماهو خارج عن الحضرة السلطانية، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(تُوَاب السُلْطَنَة)

والذى بمصر الآن ثلاثُ نيابات ، جميعها مستحدثة عن قُرب .

الأولى - نيابة الإسكندرية . وهى نيابة جليسة تُصاهى نيابة طرأبلس وحماة
وصَفَد من المملكة الشامية الآتى ذكرها ، وبها كرسى سلطنة ونمجاه سلطانية توضع
على الكرسى ، ونائبها من الأمراء المقدمين يركبُ فى المواكب بالشبابة السلطانية ،
ومعه أجناد الحلقة المرتبون بها ، ويخرج فى موكبه إلى ظاهر الإسكندرية خارج
باب البحر، ويجتمع إليه الأمراء المسيرون بها هناك، ثم يعود وهم معه إلى دار النيابة،
ويُمد السباط السلطاني، ويأكل عليه الأمراء والأجناد، ويحضره القضاة ، وتقرأ
القصاص على عادة النيابات ثم ينصرفون .

وكان ابتداء ترتيب هذه النيابة فى سنة سبع وستين وسبعائة فى الدولة الأشرفية
شعبان بن حسين حين طرقت العدو المخدول من الفرنج الإسكندرية وفتكوا بأهلها
وقتلوا منهم الخلق العظيم ونهبوا الأموال الجمّة، وكانت قبل ذلك ولاية تُعدّ فى جملة
الولايات، وكان لوالها الرتبة الجليلة والمكانة العلية من أكابر أمراء الطليخاناه .

الثانية - نيابة الوجه القبلى . وهى مما استُحدثت فى الدولة الظاهرية بقوق،
وهو فى رتبة نيابة الوجه البحرى بل أعظم خطراً منه، ومقرُّ نيابته مدينة أسيوط
المتقدم ذكرها ، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلى بأسرها ، وهى فى الترتيب على

ما تقدم من نيابة الوجه البحرى ، وكانت قبل ذلك كاشفا يطلق عليه وإلى الولاية كما كان فى الوجه البحرى .

الثالثة - نيابة الوجه البحرى . وهى مما أستحدث فى الدولة الظاهرية أيضا ، ونائبها من الأمراء المقدمين ، وهو فى رتبة مقدم العسكر بغزة الآتى ذكرها ، ومقر نائبها دمنهور مدينة البحيرة المتقدم ذكرها ، وليست على قاعدة النيابات بل هى فى الحقيقة ولاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشفا يطلق عليه وإلى الولاية ولم يكن له مقررة خاصة .

الطبقة الثانية

(الكشاف)

قد تقدم أنه قبل النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كاشفان ، ولما استقرت النيابة بهما جعل للوجه البحرى كاشف من أمراء الطبلخانا على العادة المتقدمة ، يتحدث فى بلاده ما عدا عمل البحيرة لقربه من نائب الوجه البحرى ، وجعل كاشف آخر من رتبته لعمل الفيوم وعطل من الوالى ، وأضيف إليه عمل البهنسى أيضا ، وسائر الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه المتقدم ذكره .

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين : القبلي والبحري)

وقد تقدم ذكر أعمالهما . ومراتب الولاية بهما لا تخرج عن مرتبتين .

المرتبة الأولى

(١)

(أمراء الطبلخانا، وهي سبع ولايات بالوجهين : القبلي والبحري)

فأما الوجه القبلي ففيه أربع ولاة من هذه الرتبة .

الأول - والى البنسي، وهي أقرب ولاية الطبلخانا بهذا الوجه الآن إلى القاهرة .

الثاني - والى الأشمونين .

الثالث - والى قوص وإخميم، وهو أعظم ولاية الوجه القبلي حتى إنه يركب

في المواكب بالشبابة السلطانية أسوة النواب بالملك .

الرابع - والى أسوان، وهو محدث في الدولة الظاهرية بقوق، وكانت قبل

ذلك مضافة إلى والى قوص، وكانت ولاية الفيوم طبلخانا آستقرت كسفا على

ما تقدم .

أما أسبوط، فلم يكن بها ولاية لكونها كانت مستقر والى الولاية بالوجه القبلي،

ثم صارت مستقر النائب به، وسيأتي بيان ما كان ولاية طبلخانا، ثم نقل إلى

العشرات .

وأما الوجه البحري ففيه أربعة ولاية من هذه الرتبة .

(١) لعله ثمان ولايات كما يظهر من عد الولاية بالوجهين .

الأول - والى الشرقية وهو والى بلبس .

الثانى - والى منوف .

الثالث - والى الغربية ، وهو والى المحلة ، ورتبته فى الوجه البحرى فى رفعة القدر تضاهى رتبة والى قوص فى الوجه القبلى .

الرابع - والى البحيرة ، وهو والى دمنهور .

وقد تقدم أن الإسكندرية قبل أن تستقر نيابة كان بها وال من أمراء الطبلخانا .

المرتبة الثانية

(من الولاية أمراء العشرات، وهى سبعة ولاية بالوجهين)

فأما الوجه القبلى ففيه ثلاثة ولاية .

الأول - والى الجيزة ، وقد كان قبل ذلك طبلخانا ، ثم نقل إلى العشرات .

الثانى - والى إطفيح ، ولم يزل عشرة .

الثالث - والى منفلوط ، وهو وإن كان الآن أمير عشرين فقد تقدم أن من دون الأربعين معدود فى العشرات . على أنها كانت قبل ذلك ولاية طبلخانا وحطت عن ذلك .

وقد كان بعيداب فى الايام الناصرية وال أمير عشرة يولث من قبيل السلطان ويراجع والى قوص فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرى ، ففيه أربعة ولاية من هذه الرتبة .

- الأول - والى قَلْيُوبَ، ولم تزل ولايتها إمرة عشرة .
 الثانى - والى أَشْمُومَ، ولم تزل عشرة أيضا .
 الثالث - والى دِمِيَّاطَ .
 الرابع - والى قَطِيَاءَ، وكان قبل ذلك طلبخاناه .

الضرب الثانى

(من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملة الأقاليم، وهم على نوعين)

النوع الأول

(أرباب الوظائف الديوانية، وهى كثيرة للذات لا يسع استيفاؤها
 والمعتبر منها مما يجب الأقتصار عليه تسع وظائف^(١))

الأولى - الوِزَارَةُ . وهى أجل الوظائف وأرفعها رتبةً فى الحقيقة لولم تخرج
 عن موضوعها ويُعدَّل بها عن قاعدتها . قال فى "مساك الأبصار" : وربها ثانى
 السلطان لو أنصف وعُرفَ حقُّه، لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعدَ بها
 مكانها حتى صار المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدى الحديث فيه، ولا يتسع له
 فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطَّلع السلطان إلى الإحاطة بجزئيات
 الأحوال . قال : وقد صار يليها أناسٌ من أرباب السيوف والأقاليم بأرزاق على
 قدر الإنفاق، وقطيعتها أشهر من أن تذكر .

قال : وكان هذا السلطان (يعنى الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله) قد أبطلها ،
 وصار ما كان يتحدث فيه الوزير منقسما إلى ثلاثة : ناظر المال - ومعه شاة الدواوين

(١) أصلها فى العدد الست وعشرين ومراده أن المهم منها تسع وإن كان قد ذكر أكثر .

لتحصيل المال وصرف النفقات، وناظر الخالص لتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين، وكتب السر للتوقيع في دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورةً وأستقلالاً . قلت : ولما عادت الوزارة بعد ذلك، صارت إلى ما كانت عليه من الأقتصار على التحدث في المال، وبقيت كتابة السر على ما صارت إليه من التوقيع على القصص بدار العدل وغيرها . ثم إن كان الوزير صاحب قلم، فهو المستقل بمباشرة الوظيفة نظراً وتنفيذاً ومحاسبةً على الأموال، وإن كان صاحب سيف، كان مقتصرًا على النظر والتنفيذ، وكان أمر الحساب في الأموال راجعًا إلى ناظر الدولة معه .

ثم لو وظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجلها نظر الدولة وأستيفاء الصُحبة وأستيفاء الدولة .

فأما نظر الدولة: وهو المعبر عنه في مصطلح الدواوين المعمورة بالصُحبة الشريفة فهو موضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه، ويوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاله . وإن كان الوزير صاحب سيف، كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات، وما يتعلق بها والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ .

وأما أستيفاء الصُحبة - فهي وظيفة جليلة رفيعة القدر . قال في "مسالك

الأبصار": وصاحبها يتحدث في جميع المملكة مصرًا وشامًا، ويكتب مراسم يعلم عليها السلطان، تارة تكون بما يعمل في البلاد، وتارة بإطلاقات، وتارة بأستخدامات كبار في صغار الأعمال، وما يجري مجراه .

قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكل من دواوين الأموال فهو فرعٌ هذا الديوان وإليه يرجع حسابه ومنتهاى أسبابه .

وأما استيفاء الدولة - فهي وظيفة رئيسية، وعلى متوليها مدار أمور الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجه مصارفيها، ويكون فيها مستوفيان فأكثر .

الوظيفة الثانية - كتابة السر . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، وتصريف المراسيم ورودا وصَدْرًا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها . وقد تقدم في الكلام على الوزارة أنه صار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلى المراجعة فيه، في أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والقُصَادِ، ومشاركة الدَّوَادِرِ في أكثر الأمور السلطانية مما تقدم ذكره مفصلاً . وبديوانه كُتِّبَ الدَّسْتُ : وهم الذين يجلسون معه في دار العدل ويقرؤون القصص على السلطان ويوقعون عليها بأمر السلطان ، وكُتِّبَ الدَّرَجُ : وهم الذين يكتبون الولايات والمكاتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة، وربما شاركهم كُتِّبَ الدست في ذلك .

الوظيفة الثالثة - نظر الخصاص . وهي وظيفة محدثة، أحدثها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله حين أبطل الوزارة على ما تقدم ذكره ، وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان . قال في "مسالك الأبصار" : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه، وصار إليه تدير جملة الأمور وتعيين المباشرين يعني في زمن تعطيل الوزارة . قال : وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان . ولناظر الخصاص أتباع من كُتِّبَ ديوان الخصاص كمستوفي الخصاص ، ولناظر خزانة الخصاص ونحو ذلك مما لا يسع استيعابه .

الوظيفة الرابعة - نظر الجيش . وموضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه ؛ وهي وظيفة

جلیلة رقیعة المقدار ، و دیوانها أول دیوان وُضع فی الإسلام بعد النبی صلی الله علیه وسلم فی خلافة عمر . قال الزُّهری : قال سعید بن المسیب : وذلك فی سنة عشرين من الهجرة ، و سیأتی الكلام علی ما یتعلق بها فی الكلام علی كتابة المناشير فی المقالة السادسة إن شاء الله تعالى . ولناظر الجيش أتباع بديوانه یولّون عن السلطان ، كصاحب دیوان الجيش وکتابه وشهوده ، وكذلك صاحب دیوان الممالیک ، وکاتب الممالیک وشهود الممالیک . فإن الممالیک السلطانية فرع من الجيش ونظرهم راجع إلى ناظر الجيش .

الوظيفة الخامسة - نظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة . وهو المعبر عنه بناظر الدولة ، وموضوعها التحدث فی كل ما یتحدث فیه الوزير ، وکل ما کتب فیه الوزير کتب فیه هو ، یکتب فیه بمثل مارسم به .

الوظيفة السادسة - نظر الخزانة . قال فی "مسالك الأبصار" : وكانت أولا كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة ، فلما استحدثت وظيفة الخاص ، صغر أمر الخزانة ، وسمیت بالخزانة الكبرى ، وهو اسم فوق مسماه . قال : ولم یکن بها الآن إلا خلع تلخ منها أو ما یحضر إليها ویصرف أولا فأولا ، وفی الغالب یكون ناظرها من القضاة أو من یتحقق بهم ، ولناظر الخزانة أتباع یولّون عن السلطان كصاحب دیوان الخزانة .

الوظيفة السابعة - نظر البيوت والحاشية . وهو نظر جلیل ، وکل ما یتحدث فیه الأستاذار له فی مشاركة فی التحدث فیه ، وقد تقدم تفصیل حال وظيفة الأستاذارية .

الوظيفة الثامنة - نظر بیت المال . وموضوعها حمل حمول المملكة إلى بیت المال والتصرف فیه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسویغ محضرا وصرفا . قال فی "مسالك الأبصار" : ولا یلیها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة .

الوظيفة التاسعة - نظر الإصطبلات السلطانية . وموضوعها مباشرة إصطبلات السلطان والتحدّث في أنواع الخيول والبغال والدواب والجمال السلطانية ، وعليقها وعُدتها ، وما لها من الأستعمالات والإطلاقات ، وكل ما يتباع لها أو يباع منها ، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك .

الوظيفة العاشرة - نظردار الضيافة والأسواق . وموضوعها التحدّث في أمر ما يتحصّل من سوق الخيل والرقيق ونحوهما ، وصرف ذلك في كلفة من يرد إلى الأبواب السلطانية من رُسل الملوك ونحوهم ، وصرف مرتبات مقررة لأناس في كل شهر ، والتحدّث فيها ولايةً وعزلاً وتنفيذاً راجعاً إلى الدوّادار ؛ وللوزير المشاركة معه في المتحصّل في شيء مخصوص .

الوظيفة الحادية عشرة - نظر خزائن السلاح . وموضوعها التحدّث على كل ما يستعمل من السلاح السلطاني ، وعادته أن يجمع ما يتحصّل من عمل كل سنة ويجهّز في يوم معين ، ويحمل على رؤوس الجمّالين إلى خزائن السلاح بالقلعة المحروسة ، ويخلع عليه وعلى رُفقته من المباشرين .

الوظيفة الثانية عشرة - نظر الأملاك السلطانية . وموضوعها التحدّث على الأملاك الخاصّة بالسلطان من ضياع وربّاع وغير ذلك .

الوظيفة الثالثة عشرة - نظر البهّار والكارمي^(١) . وموضوعها التحدّث على واصل التجار الكارميّة من اليمن من أصناف البهّار وأنواع المتجر ، وهي وظيفة جلييلة تارة تضاف إلى الوزارة وتجعل تبعاً لها ، وتارة تضاف إلى الخالص وتجعل تبعاً لها ، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان .

(١) ربح في الضوء الكامي بالنون وقال انه نسبة الى الكامي فرقة من السودان كان منهم طائفة مقيمة بمصر يجرون في البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم الى آخر ما قال فراجعه .

الوظيفة الرابعة عشرة - نظر الأهرء بمصر بالصناعة . وهى سُونة الغلال السلطانية التى يتكلم عليها الوزير ، وموضوعها التحدث فيما يصل إليها من النواحي من الغلال وغيرها ، وما يُصرف منها على الإصطبلات الشريفة والمناخات السلطانية وغير ذلك .

الوظيفة الخامسة عشرة - نظر الموارث الحشرية . وموضوعها التحدث على ديوان الموارث الحشرية ممن يموت ولا وارث له ، أو وله وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث فى إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

الوظيفة السادسة عشرة - نظر الطواحين السلطانية بمصر بالصناعة أيضا . وهو مغلق عظيم فيه عشرة حجارة يخرج منها فى كل يوم نحو خمسين تليسا .

الوظيفة السابعة عشرة - نظر الحاصلات . وهو المعبر عنه بنظر الجهات ؛ وموضوعه التحدث فى أموال جهات الوزارة من متحصل ومصروف أو حمل لبيت المال وغيره .

الوظيفة الثامنة عشرة - نظر المرتجعات . وموضوعها التحدث على ما يرتجع من يموت من الأمرء ونحو ذلك ، وقد رُفضت هذه الوظيفة وتعطلت ولايتها فى الغالب وصار أمر المرتجع موقوفا على مستوفى المرتجع ، وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية ويفصلها على مصطلح الديوان ، وهو المعبر عنه بديوان السلطان .

الوظيفة التاسعة عشرة - نظر الجزية . وموضوعها التحدث على ما يتحصل من عمل الجزية التى هى خاص السلطان ، وهى فرع من فروع الدواوين .

الوظيفة العشرون - نظر الوجه القبلى . وموضوعها التحدث على بلاد الصعيد بأسرها مما يتحصل فيها من ميراث وغيره .

الوظيفة الحادية والعشرون - نظر الوجه البحرى . وموضوعها كموضوع نظر الوجه القبلى المتقدم ذكره .

الوظيفة الثانية والعشرون - صحابة ديوان الجيش . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر الجيش من أمر الإقطاعات .

الوظيفة الثالثة والعشرون - صحابة ديوان البيارستان . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر البيارستان .

الوظيفة الرابعة والعشرون - صحابة ديوان الأعباس . وصاحبها يكتب فى كل ما يكتب فيه ناظر الأعباس إلا أنها بطلت .

الوظيفة الخامسة والعشرون - أستيفاء الصجبة .

أستيفاء الدولة (١)

النوع الثانى

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ،

وهو منحصر فى خمس وظائف)

الوظيفة الأولى - قضاء القضاة . وموضوعها التحدث فى الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها ، والقيام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونصب النواب

(١) تقدم الكلام عليهما فى الكلام على توابع الوظيفة الأولى من هذا النوع وهى الوزارة فأرى أنه لا داعى الى الإعادة فلا سقط كما قد يتوهم .

للتحدث فيما عَسَّرَ عليه مباشرته بنفسه ؛ وهي أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا وأجلها رتبة .

وأعلم أن الأمر في الزمن الأول كان قاصرا على قاض واحد بالديار المصرية من أى مذهب كان، بل كان في الدولة الفاطمية قاض واحد بالديار المصرية، وأجناد الشام، وبلاد المغرب، مضاف إليه التحدث في أمر الصلاة ودور الضرب وغير ذلك على ما استتقف عليه في تقاليد بعض قضاتهم في الكلام على تقاليد القضاة إن شاء الله تعالى، ثم استقر الحال في الأيام الظاهرية ببيرس في سنة ثلاث وستين وستائة على أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة: الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم، وكان السبب في ذلك فيما ذكره صاحب "نهاية الأرب" أن قضاء القضاة بالديار المصرية كان يومئذ بيد القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرز بمفرده ؛ وكان الأمير جمال الدين ايدغدى أحد أمراء السلطان الملك الظاهر المتقدم ذكره يعانده في أموره، ويغضُّ منه عند السلطان، لتثبته في الأمور وتوقفه في الأحكام . فبينما السلطان ذات يوم جالس بدار العدل إذ رُفِعَتْ إليه قصة بسبب مكان باعه القاضى بدر الدين السنجارى ، ثم ادعى ذريته بعد وفاته أنه موقوف، فأخذ الأمير ايدغدى يغضُّ من القضاة بحضرة السلطان، فسكت السلطان لذلك ، ثم قال للقاضى تاج الدين : ما الحكم في ذلك ؟ قال : إذا ثبتت الوقفية يستعاد الثمن من تركة البائع ، قال : فإن عجزت التركة عن ذلك، قال : يوقف على حاله ، فأمتعض لها السلطان وسكت ، ثم جرى في المجلس ذكر أمور أخرى توقف القاضى في تمشيتها ، وكان آخر الأمر أن الأمير ايدغدى حسنَ للسلطان نصبَ أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ففعل ، وأقر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرز في قضاء الشافعية، وولى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح

السبكي قضاء المالكية ، والقاضي بدر الدين بن سلمان قضاء الحنفية ، والقاضي شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسي قضاء الحنابلة ، وجعل لهم الأربعة أن يؤثروا التواب بأعمال الديار المصرية ، وأفرد القاضي تاج الدين بالنظر في مال الأيتام والأوقاف ، وكتب له بذلك تقليد من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر أوله " الحمد لله مجرد سيف الحق على من آتدى " . ثم كل من الأربعة له التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ، ونصب التواب ، وإجلاس الشهود ، ويستقل الشافعي منهم بتولية التواب بنواحي الوجهين القبلي والبحري لا يشاركه فيه غيره .

الوظيفة الثانية - قضاء العسكر . وهي وظيفة جليلة قديمة كانت في زمن السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان قاضي عسكره بهاء الدين بن (١) وموضوعها أن صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة المتقدم ذكرهم ، ويسافر مع السلطان إذا سافر ، وهم ثلاثة نفر : شافعي ، وحنفي ، ومالكي ، وليس للحنابلة منهم حظ ، وجلووسهم في دار العدل دون القضاة الأربعة المتقدمي الذكر على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة - إفتاء دار العدل . وموضوعها على نحو ما تقدم في قضاء

العسكر ، وبها أربعة نفر ، من كل مذهب واحد ، وجلوسهم دون قضاة العسكر على ما يأتي ذكره .

الوظيفة الرابعة - وكالة بيت المال . وهي وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ،

وموضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراض وأدر وغير ذلك ، والمعاقدة على ذلك وما يجري هذا المجرى . قال في "مسالك الأبصار" :

(١) بياض بالأصل .

ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل : تارة يكون دون المحتسب ، وتارة فوqe بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه .

الوظيفة الخامسة - الحسبة . وهي وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدث في الأمر والنهي ، والتحدث على المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وبالحضرة السلطانية محتسبان : أحدهما بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرا وأرفعهما شأنًا ؛ وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بكماله خلا الإسكندرية ، فإن لما محتسبا يخصصها ، والثاني بالفسطاط ومرتبته منحطة عن الأول ؛ وله التحدث والتولية بالوجه القبلى بكماله ، والذي يجلس منهما بدار العدل في أيام المواكب محتسب القاهرة فقط دون محتسب مصر ؛ ومحلُّ جلوسه دون وكيل بيت المال ، وربما جلس أعلى منه إذا كان أرفع منه بعلم أو نحوه .

الصنف الثانى

(من أرباب الوظائف الدينية من لا يجلس له بالحضرة السلطانية)

وهذه الوظائف لا حصرَ لعددها على التفصيل ، ولا سبيلَ إلى استيفاء ذكرها على تفاوتِ المراتب فوجب الأقتصار على ذكر المهتم منها .

ثم هذه الوظائف منها ما هو مختص بشخص واحد ، ومنها ما هو عام في أشخاص .

فأما التي هي مختصة بشخص واحد .

فمنها (رقابة الأشراف) وهي وظيفة شريفة ، ومرتبة نفيسة ؛ موضوعها التحدث على ولد على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم المراد بالأشراف ، فى الفحص عن أنسابهم والتحدث فى أقاربهم

والأخذ على يد المتعدى منهم ونحو ذلك ، وكان يعبر عنها في زمن الخلفاء المتقدمين بنقابة الطالبين .

ومنها (مشيخة الشيوخ) والمراد بها مشيخة الخانقاه التي أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسريا قوس من ضواحي القاهرة .

أما مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء ، فإنها وإن قدم زمنها وعظم قدرها دون تلك في المشيخة .

ومنها (نظّر الأعباس المبرورة) وهي وظيفة عالية المقدر ؛ وموضوعها أت صاحبها يتحدث في رِزق الجوامع والمساجد والرُّبُط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة ، وما هو من ذلك على سبيل البرّ والصدقة لأناس معينين ، وأصل هذه الوظيفة أن اللّيث بن سعد رحمه الله اشترى أراضى من بيت المال في نواح من البُلدان وحَبَّسها على وجوه البرّ ، وهي المسماة بديوان الأعباس بوجوه العين ، ثم أضيف إلى ذلك الرِّبَاع والدور المعروفة بالفُسْطَاط وغيره ، ثم أضيف إليها رِزق الخطابات ، ثم كثرت الرِّزق من الأرضين في الدولة الظاهرية ببيرس بواسطة صاحب بهاء الدين بن حنا وأخذت في الزيادة إلى زماننا ؛ وهي تارة يتحدث فيها السلطان بنفسه ، وتارة النائب ، وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدوّادار الكبير على ما استقرّ عليه الحال آخرًا .

ومنها (نظر البيارستان) والمراد البيارستان المنصوريّ الذي أنشأه المنصور قلاوون بين القصرين ، وكان داراً لِسِتِّ الملك أخت الحاكم الفاطميّ فغير معاملة وزاد فيه ، وليس له نظير في الدنيا في برّه ومعروفه ؛ وهي من أجلّ الوظائف وأعلاها ؛ وعادة النظر فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية .

وأما التي هي عامة في أشخاص .

فمنها (الخطابة) وهي في الحقيقة أجل الوظائف وأعلاها رتبة، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها بنفسه، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم، وهي على كثرة الجوامع بالديار المصرية بحيث إنها لا تحصى كثرة - لا يتعلق منها بولاية السلطان إلا القليل النادر : بجامع القلعة إلا إذا كان مفردا عن القضاء ونحو ذلك مما لا ناظر له خاص .

ومنها (التدريس) وهي على اختلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك لا يولّى السلطان فيها إلا فيما يعظم خطره ويرتفع شأنه مما لا ناظر له خاص كالمدرسة الصلاحية بجوار تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه، والزاوية الصلاحية بالجامع العتيق بالقسطاط، وهي المعروفة بالخشابية، والمدرسة المنصورية بالبيارستان المنصوري المتقدم ذكره بين القصرين، ودرس الجامع الطولوني ونحو ذلك .

المقصود الرابع

(في زى أعيان المملكة من أرباب المناصب السلطانية بالديار المصرية

في لبسهم وركوبهم ، وهم أربع طوائف)

الطائفة الأولى

(أرباب السيوف ، وزيمهم راجع إلى أمرين)

الأمر الأول (لبسهم) . ويختلف الحال فيه باعتبار مواضع اللبس من البدن .

فأما مابه تغطية رؤوسهم، فقد تقدم أنهم كانوا في الدولة الأيوبية يلبسون ككوتات

صُفر بغير عمام، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم . فلما كانت الدولة

الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه الله، غير لونها من الصفرة إلى الحمرة وأمر بالعام من فوقها، وبقيت كذلك حتى حجَّ الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله في أواخر دولته فخلق رأسه فخلق الجميع رؤسهم، وأستمروا على الخلق إلى الآن، وكانت عماتهم صغيرة فزيد في قدرها في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فحسنت هيئتها وجادت، وهي على ذلك إلى زماننا .

وأما ثياب أبدانهم فيلبسون الأقبية التتريّة والتكلاوات فوقها ثم القباء الإسلاميّ فوق ذلك، يشدّ عليه السيف من جهة اليسار والصولق والكرلك من جهة اليمين . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : وأول من أمر بذلك غازي بن زنكي أخو العادل نور الدين الشهيد حين ملك الموصل بعد أبيه ، ثم الأمراء والمقدمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقبية قصيرة الأكام أقصر من القباء التحتانيّ بلا تفاوت كبير في قصر الكم وطوله ، مع سعة الكم القصير وضيق الأكام الطويلة .

ثم إن كان زمن الصيف كان جميع القماش من فوقانيّ وغيره أبيض من النصافي ونحوه، وتشدّ فوق القباء الإسلاميّ المنطقّة، وهي الحياصة، ومعظم مناطقهم من الفضة المطلية بالذهب، وربما جعلت من الذهب، وقد تُرصّع باليشم . قال في "مسالك الأبصار" : ولا تُرصّع بالجواهر إلا في خلع السلطان لأكابر أمراء الميئين .

وإن كان زمن الشتاء كانت فوقانياتهم ملونة من الصوف النفيس والحرير الفائق، تحتها فرأى السّجّاب الغض . ويلبس أكابر الأمراء السّمور، والوشق، والقاقم والفنك، ويجعل في المنطقّة منديلا لطيفا مُسدّلا على الصولق، ومعظمهم يلبس

المطرز على الكمين من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم. قال في "المسالك": ولا يلبس المطرز إلا من له إقطاع في الحلقة، أمان هو بعدد بالجامكية، فلا يتعاطى ذلك. وأما ما يجعل في أرجلهم، فإن كان في الصيف لبسوا الخفاف البيض العلوية، وإن كان في الشتاء لبسوا الخفاف الصفر من الأديم الطائفي، ويشدون المهاميز المسقطة بالفضة في القدم على الخف. قال في "مسالك الأبصار": ولا يكفتم مهمازه بالذهب إلا من له إقطاع في الحلقة على ما تقدم في لبس المطرز.

الأمر الثاني (ركوبهم). أما ما يركبون، فالخيل المسومة النفيسة الأثمان خصوصا الأمراء ومن يلحق بشأوهم، ولا يركبون البغال بحال بل تركبها غلمانهم خلفهم بالقماش النفيس والهيئة الحسنة والقوالب المحلاة بالفضة، وربما غشى جميعها بالفضة بل ربما غشى جميعها بالذهب للسلطان وأعيان الأمراء، ومعها العبي السابلة الملونة من الصوف الفائق، وربما جعلت من الحرير لأعيانهم، وقد يتخذ بدلها الكبايش بالحواشي المخايش، وربما كانت زركشا للسلطان والأمراء، وتحلى لهممهم وتُسقط بالفضة بحسب اختيار صاحبها، ويجعل الدبوس في حلقة متصلة بالسرّج تحت ركبتة اليمنى. قال صاحب حماة: وأول من أمرهم بذلك غازي بن زكي حين أمرهم بشد السيوف في أوساطهم على ما تقدم ذكره. قال في "مسالك الأبصار": وعلى الجملة فزيهم ظريف وعددهم فائقة نفيسة.

الطائفة الثانية

(أرباب الوظائف الدينية من القضاة وسائر العلماء؛

وزيهم راجع أيضا إلى أمرين)

الأمر الأول (ملبوسهم). ويختلف ذلك باختلاف مراتبهم، فالقضاة والعلماء

منهم يلبسون العمام من الشاشات الجار للغاية ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذؤابة تلحق قَرْبُوسَ سرجه إذا ركب ، ومنهم من يجعل عَوْضَ الذُّوَابَةِ الطيلسانَ الفائق ، ويلبس فوق ثيابه دلقا متسع الأكام طويلها مفتوحا فوق كتفيه بغير تفریح ، سابلا على قدميه . ويميز قُضَاةَ القضاة الشافعي والحنفي بلبس طرحة تستر عمامته وتسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك مختصا بالشافعي ، ومن دون هذه منهم تكون عمامته ألطف ، ويلبس بدل الدلق فَرَجِيَّةَ مفرجة من قدامه من أعلاها إلى أسفلها مزرزة بالأزرار ، وليس فيهم من يلبس الحرير ، ولا ما غلب فيه الحرير ، وإن كان شتاء كان القوقاني من ملبوسهم من الصوف الأبيض الملطى ، ولا يلبسون الملون إلا في بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف في الطرقات ، ويلبسون الخفاف من الأديم الطائفي بغير مَهايميز .

الأمر الثاني (مركوبهم) . أما أعيان هذه الطائفة من القضاة ونحوهم فيركبون البغال النفيسة المساوية في الأثمان لمُسُومَاتِ الخيول ، بلجُمِ ثِقَالٍ وسروج مدهونة غير محلاة بشيء من الفضة ، ويجعلون حول السرج قرقشينا من جوخ . قال في "مسالك الأبصار" : وهو شبيه بثوب السرج مختصر منه ، ويجعلون بدل العبي الككايش من الصوف المرقوم محاذية لكفل البغلة ، ويمتاز قضاة القضاة بأن يجعل بدل ذلك الزناري من الجوخ ، وهو شبيه بالعباءة مستدير من وراء الكفل ولا يعلوه بردنب ولا قوش ، وربما ركبوا بالككايش . وأما من دون هؤلاء من هذه الطائفة فربما ركبوا الخيول بالككايش والعبي .

الطائفة الثالثة

(مشايخ الصوفية)

وهم مُضَاهُونَ لطائفة العلماء في لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل، ولا طويل الكُمَّ؛ وَيُرْخُونَ ذُوَابَةَ لطيفة على الأذن اليسرى لا تكاد تلتحق الكتف، ويركبون البغال بالكابيش على نحو ما تقدم.

الطائفة الرابعة

(أرباب الوظائف الديوانية)

أما أعيانهم كالوزراء وَمَنْ ضَاهاهم، فيلبسون الفراجى المضاهية لفراجى العلماء المتقدمة الذكر، وربما لَبَسُوا الحِجَابَ المفرجة من ورائها. وقد ذكر في "مسالك الأبصار": أن أكابرهم كانوا يجعلون في أكامهم بادهنجات مفتوحة، وقد صار ذلك الآن قاصرا على ما يلبسونه من التشاريف. وَمَنْ دون هؤلاء يلبسون الفرجيات المفرجة من ورائها على ما تقدم.

وأما ركوبهم فيضاهي ركوب الهند أو يقاربه. قال في "مسالك الأبصار": وتجل هذه الطائفة بمصر أكل مما هم بالشام في زيّهم وملبوسهم، إلا ما يحكى عن قبْط مصر في بيوتهم من اتساع الأحوال والنققات، حتى إن الواحد منهم يكون في ديوانه بأدنى اللباس ويأكل أدنى المآكل، ويركب الحمار، حتى إذا صار في بيته أنتقل من حال إلى حال وخرج من عدم إلى وجود. قال: ولقد تبالع الناس فيما تحكى من ذلك عنهم.

المقصد الخامس

(في هيئة السلطان في ترتيب الملك ، وله ثلاث هيئات^(١))

الهيئة الأولى

(هيئته في جلوسه بدار العدل لخلاص المظالم)

عادةً هذا السلطان إذا كان بالقلعة في غير شهر رمضان أن يجلس بكرة يوم الاثنين بياوانه الكبير المسمى بدار العدل المتقدم ذكره مع ذكر القلعة في الكلام على حاضرة الديار المصرية ؛ ويكون جلوسه على الكرسي الذي هو موضوع تحت سرير الملك . قال في "مسالك الأبصار" : ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، ثم وكيل بيت المال ، ثم الناظر في الحسبة . ويجلس على يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكلمة حلقة دائرة . قال : وإن كان الوزير من أرباب الأقلام ، كان بينه وبين كاتب السر ، وإن كان من أرباب السيوف ، كان واقفاً على بُعد مع بقية أرباب الوظائف . وكذلك إن كان ثم نائب وقف مع أرباب الوظائف . ويقف من وراء السلطان ممالك صغار عن يمينه ويساره من السلاح دارية والجمدارية والخاصكية ؛ ويجلس على بُعد بقدر خمسة عشر ذراعاً من يمينه ويسارته ذوو السق من أكابر أمراء الميين ، وهم أمراء المشورة ؛ ويليهم من أسفل منهم أكابر الأمراء ، وأرباب الوظائف وقوف ، وباقي الأمراء وقوف من وراء المشورة ؛ ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لإحضار قصص أرباب الضرورات وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه القصص فما احتاج فيه إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقاً بالعسكر تحدث فيه مع الحاجب وناظر الجيش ، ويأمر في البقية بما يراه .

(١) الصواب سبع كما عبره في الضوء وهي في العدد أيضاً سبع كما ستره .

قلت : وقد استقرّ الحال على أن يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة :
وهما الشافعيّ والمالكيّ ، وعن يساره قاضيان وهما الحنفيّ ثم الحنبليّ ؛ وبيلي القاضي
المالكيّ من الجانب الأيمن قضاة العسكر الثلاثة المتقدّم ذكرهم الشافعيّ ثم الحنفيّ
ثم المالكيّ ؛ ويليهم مفتو دار العدل على هذا الترتيب ؛ ويليهم وكيل بيت المال
ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة ، وربما جلس المحتسب فوق وكيل بيت المال إذا علا
قَدْرُهُ عليه بعلم أو رياسة . كل هؤلاء صف واحد عن يمين السلطان مستدبرين
جدار صدر الإيوان مستقبلين بابه ، والقاضيان الحنفيّ والحنبليّ كذلك من الجانب
الأيسر ، والوزير إن كان من أرباب الأقلام إلى جانب الكرسيّ من الجانب الأيسر
بانحراف ، وكاتب السرّ يليه ، وتستدير الحلقة حتى يصير الجالس بها مستدبرا باب
الإيوان على ما تقدّمت الإشارة إليه في كلام "مسالك الأبصار" .

الهيئة الثانية

(هيئته في بقية الأيام)

عادته فيما عدا الاثنين والخميس من الأيام أن يخرج من قصوره الجوانية المتقدّم
ذكرها إلى قصره الكبير المشرف على إصطبلاته ، ثم تارة يجلس على تحت الملك الذي
بصدّره ، وتارة يجلس على الأرض ، ويقف الأمراء حوله على ما تقدّم في الجلوس
في الإيوان ، خلا أمراء المشورة والغرباء منه فليس لهم عادة بحضور هذا المجلس
إلا من دعت الحاجة إلى حضوره ، ثم يقوم في الثالثة من النهار فيدخل إلى قصوره
الجوانية لمصالح ملكه ، ويعبر عليه خاصته من أرباب الوظائف كالوزير ، وكاتب
السرّ ، وناظر الخصاص ، وناظر الجيش في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه .

الهيئة الثالثة

(هيئته في صلاة الجمعة والعيدين)

أما صلاة الجمعة فإن عاداته أن يخرج إلى الجامع المجاور لقصره المتقدم ذكره من القصر، ومعه خاصة امرائه، فيدخل من أقرب أبواب الجامع للقصر، ويصلي في مقصورة في الجامع عن يمين المحراب خاصة، ويصلي عنده فيها أكبر خاصته، ويحيى بقية الأمراء : خاصتهم وعامتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها ويسارها على مراتبهم ، فإذا فرغ من الصلاة دخل إلى دور حريمه وذهب الأمراء كلُّ أحد إلى مكانه .

وأما صلاة العيدين ، فعاداته أن يركب من باب قصره وينزل من منقذة من الإصطبل إلى الميدان الملاصق له ، وقد ضرب له فيه دهليز على أكل ما يكون من الهيئة ، ويحضر خطيب جامع القلعة إلى الميدان فيصلي به العيد ويخطب ، فإذا فرغ من سماع الخطبة ركب وخرج من باب الميدان والأمراء والمماليك يمشون حوله ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، والغاشية محمولة أمامه ، والخطر وهو المظلة محمول على رأسه مع أحد أكبر الأمراء المقدمين وهو راكب فرسا إلى جانبه ، والأوشاقيان الجفنة المتقدم ذكرهما راكبان أمامه ، وخلفه الخنائب ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، وأرباب الوظائف من السلاح دارية كلهم خلفه ، والظبردارية أمامه مشاة بأيديهم الأطبار ، ويطلع من باب الإصطبل ويطلع إلى الإيوان الكبير المقدم ذكره ، ويمد السماط ويخضع على حامل الخطر ، وأمير سلاح ، والأستادار ، والباشنكير ، وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة في مهم العيد كتواب أستادار ، وصغار الباشنكيرية ، وناظر البيوت ونحوهم .

(١) لم يذكر هذه الجملة في الضوء وعدم ذكرها أولى لأنها سبقت .

الهيئة الرابعة

(هيئة للعب الكرة بالميدان الأكبر)

عادته أن يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية في كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل، وهو راكب على الهيئة المذكورة في العيد ماعدا الحتر فإنه لا يجمل على رأسه، وتحمل الغاشية أمامه في أول الطريق وآخره، ويصير إلى الميدان فينزل في قصوره، وينزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم، ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه، ثم ينزل فيستريح، ويستمر الأمراء في لعب الكرة إلى أذان العصر، فيصلي العصر ويركب على الهيئة التي كان عليها في أول النهار ويطلع إلى قصره .

الهيئة الخامسة

(هيئة في الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل)

واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج، ولم تجر العادة بركوبه فيه بمظلة ولا رقية فرس، ولا غاشية، ولا ما في معنى ذلك مما تقدم ذكره في ركوب الميدان والعيدن، بل يقتصر على السناجق، والطبردارية، والجاويشية ونحو ذلك، ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء في أي وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمد هناك سباطا يأكل منه من معه من الأمراء والممالك، ثم يداب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويسبح في فسقية المقياس حتى يأتي العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود، ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية وتكون حزاقة السلطان قد زينت بأنواع الزينة، وكذلك حراريق الأمراء، وقد فتح شبك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط وعلق عليه ستر، فيوقى بحزاقة

السلطان إلى ذلك الشباك فينزل منه وَيَسْبَحُ وحراريق الأمراء حوله وقد شخن البحر بمراكب المتفجحين ، يسرون خلف الحراريق حتى يدخل إلى فم الخليج ، وحرارة السلطان العظمى المعروفة بالذهبية وحراريق الأمراء يلعب بها في وسط امتدادها ، ويرمي بمدافع النقط على مقدمهما ، ويسير السلطان في حرارته الصغيرة حتى يأتي السد فيقطع بحضوره ، ويركب وينصرف إلى القلعة .

الهيئة السادسة

(هيئته في أسفاره)

ولم تجر العادة فيها باظهار ماتقدم من الزينة في موكب العيد والميدان ، بل يركب في عدة كبيرة من الأمراء : الأكابر والأصاغر ، والخواص ، والغرباء ، وخواص مماليكه . ولا يركب في السير برقية ولا عصاب ، ولا يتبعه جنائب ، ويقصد في الغالب تأخير النزول إلى الليل . فإذا دخل الليل حُملت أمامه فوانيس كثيرة ومشاعل ، فإذا قارب مخيمه ، تُلقي بالشموع المركبة في الشمعدانات المكثفة ، وصاحت الجاوشية بين يديه ، وترجل الناس كافة إلا حملة السلاح والأوشاقية وراءه ، ومشت الطردارية حوله حتى يدخل الدهليز الأول من مخيمه فينزل ويدخل إلى الشقة ، وهي خيمة مستديرة متسعة ، ثم منها إلى شقة مختصرة ، ثم إلى لاجوق . وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور حركاه من خشب ، وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب ينصب للبيت فيه ، وينصب بإزاء الشقة حمام بقدر من رصاص وحوض على هيئة الحمامات بالمدن إلا أنه مختصر . فإذا نام طافت به الممالك دائرة وطاف بالجميع الحرس ، وتدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة مرتين : عند نومه وعند استيقاظه من النوم ، ويطوف مع الزفة أمير من أكابر الأمراء وحوله

الفوانيس والمشاعل، ويبيت على باب الدهليز أرباب الوظائف من النقباء وغيرهم .
فإذا دخل إلى المدينة، ركب على هيئة ركوبه لصلاة العيد بالمظلة وغيرها ، هذا
ما يتعلق بخاصته .

أما موكبه الذى يسير فيه جمهور مماليكه، فشعاره أن يكون معهم مقدم الممالك
والأستادار، وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن، ويكون بصحبته فى السفر من كل
ما تدعو الحاجة إليه من الأطباء والكحّالين والجرائحية وأنواع الأدوية والأشربة
والعقاقير وما يجرى مجرى ذلك، يُصَرَّف ذلك لمن يعرض له مرض بالطريق .

الهيئة السابعة

(النوم)

وقد جرت العادة أنه يبیت عنده خواص مماليكه من الأمراء وأرباب الوظائف
من الجمدارية وغيرهم، يَسْهَرُونَ بالنوبة بقسمة بينهم على بناكيم الرمل، كلما أنقضت
نوبة قوم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم، ويتعاني كل منهم ما يشاغله عن
النوم فقوم يقرءون فى المصاحف، وقوم يلعبون بالشطرنج والأكل وغير ذلك .
(١)

(١) أى وقوم يتشاغلون بالاكل الخ .

المقصود السادس

(في عاداته في إجراء الأرزاق؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الجارى المستمر؛ وهو على نوعين)

النوع الأول

(الإقطاعات)

والإقطاعات في هذه المملكة تجرى على الأمراء والجند ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأراضٍ يَسْتَغْلُها مُقَطَّعُها ويتصرف فيها كيف شاء، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل، وتختلف باختلاف حال أربابها .

فأما الأمراء بالديار المصرية فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنَّ أكبر الأمراء يبلغ إقطاع الواحد منهم مائتي ألف دينار جيشية ، وربما زاد على ذلك . ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة إلى ثمانين ألف دينار وما حولها ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطبائخاناه ثلاثين ألف دينار فأكثر، وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار؛ ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلى مادون ذلك؛ ويبلغ إقطاع الواحد من مقدمى الحلقة إلى ألف وخمسمائة دينار ، وكذلك أعيان جند الحلقة إلى مائتين وخمسين ديناراً .

وأما إقطاعات الشام فلا تُقارب هذا المقدار بل تكون بتدر الثلثين في جميع ماتقدم، خلا أكبر الأمراء المقدمين بالديار المصرية، فليس بالشام من يبلغ شأوهم إلا نائب الشام فإنه يقاربهم في ذلك . قال في "مسالك الأبصار" : وليس للتواب في الممالك مدخل في تأمير أمير عَوْض أمير بل إذا مات أمير صغير أو كبير طولع به

السلطان فأمر مكانه مَنْ أراد من في خدمته، ويخرجه إلى مكان الخدمة، وأما من كان في مكان الخدمة أو ينقل إليه من بلد آخر فعلى ما يراه في ذلك .

أما جُند الحَلقة، فمن مات منهم أستخدم النائب عوضه، وكتب بذلك رُقعة في ديوان جيش تلك المملكة، ويجهز مع بريدي إلى الأبواب السلطانية فيقابل عليها من ديوان الجيش بالحضرة، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجيش، ويكتب عليها منشور .

ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتبُ الجاريةُ في كل يوم: من اللحم، والتوابل، والخبز، والعليق، والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشَّمعُ، وكذلك المماليك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوتٍ مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه . قال في "مسالك الأبصار": وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دنائير وخبز ولحم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة، ثم منهم من ينقل إلى العشرة أو الطبلخانة على حسب الحظوظ والأرزاق .

النوع الثاني

(رزق أرباب الأقاليم)

وهو مبلغٌ يصرف إليهم مُشاهرة . قال في "مسالك الأبصار": وأكبرهم كالوزير له في الشهر مائتان وخمسون ديناراً جيشية، ومن الرواتب والغلة ما إذا بسط وثنى كان نظير ذلك، ثم دون ذلك ودون دونه، ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشَّمع، والسكر، والكسوة ونحو ذلك، إلى غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأراضي المؤبدة، وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد بمملكة من الممالك، ولا مصر من الأمصار .

الضرب الثاني

(الإنعام وما يجرى مجراه : مما يقع في وقتٍ دون وقت ؛ وهو على خمسة أنواع)

النوع الأول

(الخلع والتشريف)

قال في "المسالك" : واصحاب مصر في ذلك اليد الطولى حتى بقي بابه سوقاً ينفق فيه كل مجلوب ، ويحضر الناس إليه من كل قطرٍ حتى كاد ذلك يتهك الملكة ويودى بمُتَحَصِّلاتها عن آخرها . قال : وغالب هذا مما قرره هذا السلطان ، ولقد أتعب من يجيء بعده من كثرة الإحسان ، وهي على ثلاثة أصناف .

الصنف الأول

(تشريف أرباب السيوف)

وهي على طبقات ، أعلاها ما هو مختص بالأمرء المقدمين من التواب وغيرهم فوقاني أطلس أحمر بطرز زركش ، مفري بسنجاب ، بدائر سنجف من ظاهره مع غشاء قندس ، وتحتة قباء أطلس أصفر ، وكلوتة زركش بكلايب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بالقباب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ، ومنطقة ذهب مرگبة على حاشية حرير تشد في وسطه ، ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عمدتها [بواكير] ^(١) وسطاً ومحبيين ، مرصعة بالبخش والرمرد والأؤلؤ ، ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان بيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مُفَخِّمة ، زيد سيقاً محلياً بذهب وفضة مسرجاً ملجماً بكنبوش زركش ؛ وربما زيد أكبر التواب كائب الشام

(١) الزيادة عن ضوء الصبح .

تركيبة زركش على الفوقاني، وشاش حرير سكندري مموج بالذهب، ويعرف ذلك بالمتمر. وعلى ذلك كان شاش صاحب حماة، ويكون عوض كنبوشه زناري أطلس أحمر؛ ودون ذلك من التشاريف أقيية طرد وحش من عمل الإسكندرية ومصر والشام، ممجوخ: جاخات مكتوبة باللقاب السلطان، وجاخات صور وحوش أو طيور صغار، وجاخات ملونة بموجة بقصب مذهب، يفصل بين جاخاته نقوش، يركب على القباء طراز زركش، وعليه السنجاب والقندس كما تقدم، وتحت قباء من الطرح السكندري المفرج، وكلوتة زركش بكلايب وشاش كما تقدم، وحياسة ذهب تارة تكون بيكارية وتارة لا تكون، وهذه لأصاغر أمراء المئين ومن يأحق بهم، وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاية ومن يجري مجراهم^(١).

ثم للتشاريف أماكن .

منها إذا ولي أمير أو صاحب منصب وظيفه فإنه يلبس تشريفا يناسب ولايته التي وليها على حسب ما تقتضيه الرتبة علوا وهبوطا .

ومنها عيد الفطر، يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف: من الأمراء وأرباب الأقسام كالاستادار والتوادار وأمير سلاح والوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش ونحوهم، كل منهم بما يناسبه .

قال في "مسالك الأبصار": ومن عادة السلطان أن يعد لكل عيد خلعة على أنها للمبوسه من نسبة خلع أكابر المئين فلم يلبسها، ولكن يختص بها بعض أكابر المئين يخلعها عليه .

ومنها الميادين، يخلع فيها على أكابر الأمراء كل ميدان يختص بأمر أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرج المذهب .

(١) لم يذكر في الأصل الصف الثاني والثالث وهما تشاريف الوزراء والكتاب وتشاريف القضاة والعلماء، وقد تكلم عليهما في الضوء، فأنظره .

ومنها دَوران الحمل في شَوال ، ينخلع فيه على أرباب الوظائف بالمحمل كالمقاضى والناظر والمحتسب والشاهد والمقدمين والأدلة وناظر الكسوة ومباشرها ومن في معناهم .

النوع الثاني (الخيول)

قد جرت عادة صاحب مصر أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين في كل سنة : المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القُرط في أواخر ربيعها ، فينعم على الأخصياء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم ، وتكون خيول المقدمين منهم مُسرَّجة ملجَمة بكَابيش من زركش ، وخيولُ أمراء الطبلخانات عُرياً من غير قُماش . المرة الثانية عند لَعبه الكُرَّة بالميدان ، وتكون خيول المقدمين والطبلخانات مُسرَّجة ملجَمة بفضة يسيرة بلا كَابيش ؛ وكذلك يرسل إلى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه ، وليس لأمرء العشرات في ذلك حظ إلا ما يتقدم به على سبيل الإنعام .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : ولخاصة المقترين من الأمراء المقدمين والطبلخانات زيادات كثيرة في ذلك بحيث يصل بعضهم إلى مائة فرس في كل سنة ؛ وله أوقاتٌ أخرى يفرق فيها الخيل على مماليكه وربما أعطى بعض مقدمي الحلقة ؛ وكل من مات له فرس من مماليكه دفع إليه عوضه ، وربما أنعم بالخيول على ذوى السن من أكابر الأمراء عند الخروج إلى الصيد ونحوه .

ونخيول الأمراء في كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الجيزية لزرع القُرط لخيولهم من غير حَرَّاج ؛ وللمالك السلطانية البرسيم المزروع على قدر مراتبهم ، وما يدفع

إليهم من القرط يكون بدلا من عليق الشعير المرتب لهم في غير زمن الربيع عوضا عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله في مدة ثلاثة أشهر .

النوع الثالث

(الكسوة والحوائص)

قد جرت عادة السلطان أنه ينعم على مماليكه وخواص أهل المناصب من حملة الأقاليم في كل سنة بكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم ، ومن عاداته أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرّق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين ، يفرّق في كل موكب ميدان على أميرين بالنوبة حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع نوبته في ذلك . قال في " المسالك " : أما أمراء الشام فلا حظ لهم من الإنعام في أكثر من قباء واحد يلبس في وقت الشتاء إلا من تعرض لقصده السلطان فإنه ينعم عليه بما يقتضيه حاله .

النوع الرابع

(الإنعام والأوقاف^(١))

وأكثر الأوقات لا ضابط لعطائه إنما يكون بحسب منزلة المنعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في " مسالك الأبصار " : وخصاصة الأمراء المقدمين أنواع من الإنعامات كالعقار والأبنية الضخمة التي ربما أنفق على بعضها فوق مائة ألف دينار ، وكساوى القماش المتوع ، وفي أسفارهم في وقت خروجهم إلى الصيد وغيره العلوفات والأموال .

(١) في الضوء " والإدراة " .

النوع الخامس

(المأكول والمشروب)

أعظم أسمطة هذا السلطان تكون بالإيوان الكبير أيام المواب . إذا خرجت القضاة وسائر أرباب الأقلام من الخدمة ، مُدَّ السِماطُ بالإيوان الكبير من أوله إلى آخره بأنواع الأطعمة المتنوعة الفاخرة ، وَيَجْلِسُ السلطانُ على رأس الخِوانِ والأمراءِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً على قدر مراتبهم في القرب من السلطان ، فيأكلون أكلًا خفيفًا ثم يقومون ، ويجلس من دونهم طائفة بعد طائفة ، ثم يُرْفَعُ الخِوانُ . وأما في بتمية الأيام فيمد الخِوانُ في طرفي النهار لعامة الأمراء خلا البرانيين فإنه لا يحضره منهم إلا القليل النادر .

ففي أول النهار يمد سِماطٌ أوَّلُ لا يأكل منه السلطان شيئًا ، ثم سِماطٌ ثانٍ بعده قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم سِماطٌ ثالث بعده يسمى الطارئ ، ومنه ما كُول السلطان .

وفي آخرَيَاتِ النهار يمد سِماطان الأول والثاني المسمى بالخاص ، ثم إن أستدعى بطارئ حضر ، وإلا فبحسب ما يؤمر به ، وفي كل هذه الأسمطة يسقى بعدها المشروب من الأقسام السكرية عقب الأكل . وأما في الليل فيبيت بالقرب من ميته أطباقٌ من أنواع المأكول المختلفة والمشروب الفائق ليشتاغل أصحاب النوب بالمأكول والمشروب عن النوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل ذي إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحلوى في شهر رمضان ، والضحية على مقادير رتبهم .

المقصود السابع

(في اختصاص صاحب هذه المملكة بأما كن داخله في نطاق مملكته، يمتاز بها
على ملوك الأرض من المسلمين وغيرهم)

منها الكعبة المعظمة داخله في نطاق هذه المملكة، واختصاصه بكسوتها
ودوران الحمل في كل سنة .

أما كسوة الكعبة، فإنها كانت في الزمن الأول مخصصة بالخلفاء، وكانت خلفاء
بنى العباس يجهزونها من بغداد في كل سنة، ثم صارت إلى ملوك الديار المصرية
يجهزونها في كل سنة، وأستقرت على ذلك إلى الآن . ولا عبرة بما وقع من استبدال
بعض ملوك اليمن في بعض الأعصار بذلك في بعض السنين، وهذه الكسوة تُنسج
بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين من الحرير الأسود مطرزةً بكتابة بيضاء في نفس
النسج، فيها : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَكَّةَ ﴾ الآية . ثم في آخر الدولة
الظاهرية برقوق أستقرت الكتابة صفراء مشعرة بالذهب . ولهذا الكسوة ناظر
مستقل بها، ولها وقف أرض بيسوس من ضواحي القاهرة يُصرف منها على
استعمالها .

وأما دوران الحمل، فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين : المرة الأولى
في شهر رجب بعد النصف منه، يحمل وينادى لأصحاب الحوانيت التي في طريق
دورانه بتريين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس
لا يتعداهما، ويحمل الحمل على جمل وهو في هيئة لطيفة من تحريكه وعليه غشاء
من حرير أطلس أصفر، وأبعلاه قبة من فضة مطلية وبييت في ليلة دورانه داخل
باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم، ويحمل بعد الصبح على الجمل المذكور

ويسير إلى تحت القلعة، فيركب أمامه الوزير والقضاة الأربعة والمحتسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ملبسين المصقات الحديد المغشاة بالحرير الملون، وخيولهم ملبسة البركستوانات والوجوه الفولاذ كما في القتال، وبأيديهم الرماح، عليها الشطقات السلطانية فيلبعون تحت القلعة كما في حالة الحرب، ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رحمان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس، وربما كان وقوفه في نعل من خشب على دُباب سيفين من كل جهة، وهو يفعل كذلك ويهينوا من أزيار النفط وغيرها جملة مستكثرة، ويطلق تحت القلعة في خلال ذلك، ثم يذهب إلى القسَطَاط فيمتر في وسطه، ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما في الأول إلا أنه أقل من ذلك؛ ثم يحمل من جامع الحاكم ويوضع في مكان هناك إلى شوال؛ وفي خلال ذلك كله الطبلخانات والكوسات السلطانية تضرب خلفه، ويخلع فيه على جماعة مستكثرة؛ وكذلك يفعل في نصف شوال إلا أنه يرجع من تحت القلعة إلى باب النصر ويخرج إلى الريدانية للسفر ولا يتوجه إلى القسَطَاط.

المقصود الثامن

(في آتساء الأخبار إليه، وهو على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم)

وقد جرت العادة أنه إذا وصل رسول من ملك من الملوك إلى أطراف مملكته كاتب نائب تلك الجهة السلطان عزفه بوفوده، وأستاذنه في إشخاصه إليه، فتبرز المراسيم السلطانية بحضوره فيحضر. فإذا وقع الشعور بحضوره فإن كان مرسله

ذا مكانة عظيمة من الملوك : كأحد القانات من ملوك الشرق ، خرج بعض أ كابر
الأمرء كالنائب وحاجب الحجاب ونحوهما للقاءه ، وأُنزل بقصور السلطان بالميدان
الذى يلعب فيه بالكرة ، وهو أعلى منازل الرسل . وإن كان دون ذلك تلقاه
المهمندار وأستاذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو ببعض الأماكن على قدر
رتبته ، ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بإيوانه ، وتحضر أعيان المملكة الذين
شأنهم الحضور من أرباب السيوف والأقلام ، ويحضر ذلك الرسول وصحبته
الكتاب الوارد معه ، فيقبل الأرض ويتناول الدوادار الكتاب منه فيمسحه بوجه
الرسول ، ثم يدفعه إلى السلطان فيفضّه ويدفعه إلى كاتب السرفيقروء على السلطان
ويأمر فيه أمره .

النوع الثاني

(الأخبار التي ترد عليه من جهة نوابه)

عادة هذا السلطان أن يطالعه نوابه في مملكته بكل ما يتجدد عندهم من مهمات
الأمر أو ما قاربها ، وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الإنشاء بما
يراه في ذلك ، أو يتدثم هو بما يقتضيه رأيه ، وينفذ على البرد أو أجنحة الحمام
الرسائل على ما يأتي ذكره في المقالة الثالثة من الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد جرت العادة أنه إذا ورد برید من بلد من بلاد المملكة أو عاد المجهز من
الأبواب الشريفة بجواب ، أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السربين يدي
السلطان فيقبل الأرض ، ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدي ، ثم
يناوله للسلطان فيفضّه ويجلس كاتب السرفيقروء عليه ويأمر فيه بأمره .

وأما بطائق الحمام ، فإنه إذا وقع طائر من الحمام الرئاسي ببطاقة أخذها البراج وأتى بها الدوادار، فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمام بيده ، ثم يحملها إلى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرأها كما تقدم .

النوع الثالث

(أخبار حاضرتة)

جرت العادة أن والى الشرطة يستعلم متجددات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك في كل يوم من نوابه ، ثم تكتب مطالعة جامعةً بذلك وتعمل إلى السلطان صبيحة كل يوم فيقف عليها . قال في "مسالك الأبصار" : وأما ما يقع للناس في أحوال أنفسهم فلا .

المقصد التاسع

(في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم)

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الْمَثْنِ أَوْ الطَّبْلَخَانَاتِ سُلْطَانٍ مُخْتَصِرٍ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ بَيْوتٌ خَدَمَةٌ كَبِيرَةٌ خَدَمَةُ السُّلْطَانِ مِنَ الطَّشْتِ خَانَاهُ ، وَالْفِرَاشِ خَانَاهُ ، وَالرَّكَّابِ خَانَاهُ ، وَالرَّزْدِ خَانَاهُ ، وَالْمَطْبَخِ ، وَالطَّبْلَخَانَاهُ ، خِلاَ الْحَوَائِجِ خَانَاهُ فَإِنَّهَا مُخْتَصِمَةٌ بِالسُّلْطَانِ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْبَيْوتِ مَهْتَارٌ مُتَسَلِّمٌ حَاصِلُهُ ، وَتَحْتَ يَدِهِ رِجَالٌ وَغُلَمَانٌ لِكُلِّ مِنْهُمْ وَظِيفَةٌ تَخْصُهُ ، وَكَذَلِكَ لِكُلِّ مِنْهُمْ الْحَوَائِجُ مِنْ إِصْطِبَلَاتِ الْخَيْولِ وَمُنَاخَاتِ الْجَمَالِ وَشُؤْنِ الْغَلَالِ ؛ وَلَهُ مِنْ أَجْنَادِهِ أَسْتَادَارٌ ، وَرَأْسُ نَوْبَةٍ ، وَدَوَادَارٌ ، وَأَمِيرٌ مَجْلِسٍ ، وَجَمْدَارِيَّةٌ ، وَأَمِيرٌ أَخُورٌ ، وَأَسْتَادَارٌ صَحْبَةٌ ، وَمَشْرَفٌ . وَتُوصَفُ الْبَيْوتُ فِي دَوَاوِينِ الْأَمْرَاءِ بِالْكَرِيمَةِ ، فَيُقَالُ الْبَيْوتُ الْكَرِيمَةُ كَمَا يُقَالُ فِي بَيْوتِ السُّلْطَانِ الْبَيْوتُ الشَّرِيفَةُ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا يُقَالُ : الطَّشْتِ خَانَاهُ الْكَرِيمَةُ وَالْفِرَاشِ خَانَاهُ

الكريمة ، وكذا في الباقي ؛ ويوصف الإصطبل بالسعيد فيقال : الإصطبل السعيد ، وكذلك المناخ ؛ وتوصف الشون بالمعمورة فيقال : للشونة المعمورة . قال في "مسالك الأبصار" : ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مسرج ملجم^{وهـ} ، وربما ركب الأمير من أكابرهم يجنيبين سواء في ذلك الحاضرة والبر . قال : ويكون لكل منهم طلب مشتمل على أكثر مما ليكه ، وقدامهم خزانة محمولة للطلبخاناة على جمل واحد ، يجزه راكب على جمل آخر ، والألف على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك . وأمام الخزانة عدة جنائب تجز على أيدي ممالك ركاب خيل وهجن ، وركابة من العرب على هجن ، وأمامهم الهجن بأكوارها مجنوبة ، للطلبخاناة قطار واحد وهو أربعة ، ومركوب الهجان والألف قطاران وربما زاد بعضهم . قال : وعدد الجنائب في كثيرتها وقتلها إلى رأى الأمير وسعة نفسه ، والجنائب المذكورة منها ماهو مسرج ملجم^{وهـ} ، ومنها ماهو بعباءة لاغير . انتهى كلامه .

ومن عادتهم أيضا أن الأمير إذا ركب يكون أكابر أجناده من أرباب الوظائف : كرأس توبة والدوادار ، وأمير مجلس ، ومشاة الخدمة أمامه ؛ وكل من كان منهم أكبر كان إليه أقرب ؛ وتكون الجمدارية من ممالك الصغار خلفه وأمير اخوره خلف الجميع ، ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان في ذلك .

ومن عادة أكابر مجالس بيوتهم أنه ينصب للأمرير بشتميخ خلف ظهره من الجوخ الأحمر المزهر بالجوخ الملتون ، برك ذلك الأمير وطراز نيه ألقابه ، ويجلس على مقعد مسندا ظهره إلى البشتميخ ، وربما جلس أكابره على مدقورة من جلد ورجلاه على الأرض ، وتكون الناس في مجلسه في القرب إليه على حسب مراتبهم .

ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه ما بين هتاب أو دواة أو بقجة أو فرنسيسية ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين ، بألوان مختلفة ، كل

أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كطابخ السكر، وشون الغلال، والأملاك والمراكب وغير ذلك، وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص، ثم على قماش جملهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركصطوانات للخيول وغيرها.

ومن عوائد أمراء العسكر بالحضرة السلطانية أنهم يركبون في يومى الاثنين والخميس فى الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل إن كان، وإلا فعلى حاجب الحجاب، ويسيرون تحت القلعة مرّات، ثم يقفون بسوق الخيل وتعرض عليهم خيول المناداة، وربما نودى على كثير من آلات الخيل والحليم والحركات والأسلحة. قال فى "مسالك الأبصار": وقد ينادى على كثير من العقارات، ثم يطأعون إلى الخدمة السلطانية على ما تقدم.

ومن قاعدة هذه الملكة أن أجناد الأمراء كافة تُعرض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أسماءهم مفصلة فيه، وكانوا فيما تقدم يحلون بالديوان. أما الآن، فقد ترك ما هنالك وأكتفى بأوراق تكتب من دواوين الأمراء بأسماء أجناده وتخلد بديوان الجيوش، ثم كلما مات واحد منهم أو فصل من الخدمة، عُرض بديوان الجيش واحد مكانه يعبر فيه عرض من ديوان ذلك الأمير.

ومن دأبهم أن من مات من الأمراء والجند قبل استكمال سنة خدمته حوسب فى مستحق إقطاعه على مقدار مدته، وكتب له بذلك محاسبة من ديوان الجيوش، ويكون ما يتحصّل من المغل شركة بين المستقر وبين الميت أو المنفصل على حسب استحقاق القراريط، كل شهر من السنة بتمراطين.

ومن عادة الأمراء أنه إذا أمر السلطان في متصيدياته بإقطاع أمير كبير، قدم له من الإوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو إليه همة مثله فيقبله منه ، ثم ينعم عليه بخلعة كاملة يلبسها، وربما أمر لبعضهم بشيء من المال فيقبضه .

المقصود العاشر

(في ولاية الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية ،

وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(النواب، والمستقر بها ثلاث نيايات)

الأولى - نيابة الإسكندرية : وهي نيابة جليلة ، نائبا من الأمراء المقدمين يُضاهي في الرتبة نيابة طرابلس وما في معناها أو يقار بها ، وبها حاجب أمير عشرة ، وحاجب جندي ، ووال للدينة ، وأجناد حلقة عدتهم مائتا نفر، يعبر عنهم بأجناد المائتين ، وبها قاضي قضاة مالكي ، وقاض حنفى مستحدث ، وربما كان بها قاض شافعي ، والمالكي أكبر الكل بها ، وهو المتحدث في أموال الأيتام والأوقاف . على أنه ربما ولي قضاء قضائها في الزمن الماضي شافعي ، وبها موقع يعبر عنه في البلد بكتاب السر ، وناظر متحدث في الأموال الديوانية ، ومعه مستوف ، وتحت يده كتاب وشهود ، وبها محتسب ، وليس بها قضاة عسكر ولا مفتو دار عدل ، وويكل بيت المال بها نائب عن نائب بيت المال بالقاهرة ، وتركز بها أمراء المقدمين والطلبخانات في غير الزمن الذي يمتنع سير المراكب الحربية في البحر بشدة الريح منها ، ووال للتركيز يسمى الحاجب . وقد مر القول على معاملتها ، وذكر أحوالها في الكلام على قواعد الديار المصرية المستقرة فأغنى عن إعادته هنا .

وهذه النيابة مع جلالة قدرها ورقعة محلها ليس لها عمل يحكم فيه نائبا ولا قاضيا
وتمتسبها، بل حكمهم قاصر على المدينة وظواهرها لا يتعدى ذلك، بخلاف غيرها من
سائر نيابات المملكة؛ وبها كرتى سلطنة بدار النيابة؛ وعادة الخدمة السلطانية بها
في أيام المواعيد أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفي خدمته ممالكة وأجناد
المائتين المتقدم ذكرهم، ويخرج من دار النيابة عند طلوع الشمس، ويسير
في موكب والشبابة السلطانية بين يديه حتى يخرج من باب البحر، ويخرج الأمراء
المركزون على حديثهم أيضا، ويجمعون في الموكب ويسرون خارج باب البحر
ساعة ثم يعودون، ويتوجه النائب إلى دار النيابة في ممالكة وأجناد المائتين، وقد
فارقه الأمراء المركزون وتوجه كل منهم إلى منزله. فإذا صار إلى دار النيابة: فإن
كان في ذلك الموكب سماء، وضع الكرتى في صدر الإيوان مغشى بالأطلس الأصفر
ووضع عليه سيف نرجة سلطانية ومد السماء تحته وأكل ممالكة النائب وأجناد
المائتين وجلس النائب بجنبه من الإيوان والشباك مطل على مينا البلد، ويجلس
القاضي المالكي عن يمينه، والقاضي الحنفي عن يساره، والناظر تحته، والموقع بين
يديه، ورؤوس البلد على قدر منازلهم، وترفع القصص فيقرؤها الموقع على النائب
فيفصلها بحضرة القضاة ثم ينصرف الموكب.

قلت: وهذه النيابة مستحدثة، وكان آتداء ترتيبها في سنة سبع وستين وسبعائة
في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرقها الفرنج وقتكوا بأهلها وقتلوا ونهبوا
وأسروا، وكانت قبل ذلك ولاية تعد في جملة الولايات الطبلخانة، وكان لوالها
الرتبة الحليلة والمكانة العلية.

الثانية - نيابة الوجه البحري. وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق،
ونائبها من الأمراء المقدمين، وهو في رتبة مقدم العسكر بقرعة الآتي ذكره في المالك

الشامية، ومقرّ نيابتها مدينة دَمَّهَوْرَ بالبحيرة، وحكمه على جميع بلاد الوجه البحرىّ المتقدّم ذكرها في الكلام على أعمال الديار المصرية المستقرّة خلا الإسكندرية، وليست على قاعدة النيابات في ركوب المواكب وما في معناها؛ بل نائبا في الحقيقة كاشفٌ كبير، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس التشرّيف وكتابة التقليد والمكتابة بما يكتب به مثل نائبا من التواب، وقد كان القائم بها في الزمن الأوّل قبل استقرارها نيابةً يعبر عنه بوالى الولاية .

الثالثة - نيابة الوجه القبلىّ . وهى مما استحدثت في الدولة الظاهرية برفوق أيضا، وكان مقرّ نائبا مدينة أُسَيُوط، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلىّ، وهى في الترتيب والرتبة على ما تقدّم من نيابة الوجه البحرىّ، غير أنها أعظم خطرا في النفوس وكان القائم بها قبل ذلك يسمّى والى الولاية كما تقدّم في الوجه البحرىّ .

الطبقة الثانية

(الكشافُ)

قد تقدّم أنه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلىّ والبحرىّ كان بهما كاشفان يعبر عن كل منهما بوالى الولاية، ولما استقرّتا نيابتين جعل للوجه البحرىّ كاشفٌ من أمراء الطبليخاناه على العادة المتقدمة، وهو في الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرىّ، ومقرّته منية عمّر من الشرقية، وجعل كاشف آخر للهنساوية والقيوم، وعطّل القيوم من الوالى، وباقى الوجه القبلىّ أمره راجعٌ إلى نائبا، ولليزية كاشفٌ يتحدّث في جسورها وسائر متعلقاتها، ولا يتعدّى أمره إلى غيرها من النواحي .

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين القبلي والبحري)

وقد تقدم ذكر أعمالهما؛ ومراتب الولاية بهما لاتخرج عن مرتبتين :
المرتبة الأولى - الولاية من أمراء الطبلخاناة. وهي سبع ولايات بالوجهين القبلي
والبحري على ما استقر عليه الحال .

فأما الوجه القبلي ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة: وهي ولاية البهنسي، وولاية
الأشمونين، وولاية قوص، وهي أعظمها حتى إن واليها كان يركب بالشبابه أسوة
النواب بالممالك، وولاية أسوان: وهي مستحدثة في الدولة الظاهرية برفوق، وكانت
قبل ذلك مضافة إلى والي قوص يجعل فيها نائبا من تحت يده، وكانت ولاية الفيوم
طبلخاناة، ثم استقرت كشفا على ما تقدم .

أما أسبوط، فلم يكن بها والٍ لكونها مقر نائب الوجه القبلي ومقر والي الولاية
من قبله، وسيأتي ما كان ولاية طبلخاناة من الوجه القبلي ثم نقل .

وأما الوجه البحري ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة، وهي ولاية الشرقية، ومقر
واليها بليس، وولاية المنوفية ومقر واليها مدينة منوف، وولاية الغربية، ومقر
واليها المحلة الكبرى، وهي تضاهي ولاية قوص من الوجه القبلي إلا أن واليها لم يركب
بالشبابه قط، وولاية البحيرة، ومقر واليها مدينة دمهور، وربما عطلت ولايتها لكونها
مقرّة النائب، وقد تقدم أن ولاية النائب قبل أن تستقر نيابة كانت ولاية طبلخاناة.

المرتبة الثانية - من الولاية أمراء العشرات . وهي سبع ولايات بالوجهين :
فأما القبلي ففيه من هذه الرتبة ثلاث ولايات : ولاية البحيرة، وكانت قبل ذلك
طبلخاناة، وولاية إطفح ولم تزل عشرة؛ وولاية منفلوط ولايتها عشرون، وكانت

(١) قد عد ثمان ولايات .

قبل ذلك ولاية طبلخاناه، وقد كان بعيذاب في الأيام الناصرية ابن قلاوون وما بعدها
وال أمير عشرة يوثى من قبل السلطان ويراجع وإلى قوص في الأمور المهمة .
وأما الوجه البحرى ، ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة ، ولاية منوف ، وولاية
أشموم ، وولاية دمياط ، وولاية قطيا ، وكانت قبل ذلك طبلخاناه .

الطبقة الرابعة

(أمراء العُربان بنواحي الديار المصرية)

قد تقدم في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى ذكر أصول أنساب
العرب ، وأنقسامهم إلى قحطانية وهم العاربة ، وإلى عدنانية وهم المستعربة ، وبيان
رجوع كل بطن من بطون العرب الموجودين الآن بالديار المصرية وغيرها إلى قبيلتهم
التي إليها ينتسبون ، وبيان من بوجهى الديار المصرية القبلى والبحرى من القبائل ،
وأغخاذ كل قبيلة المتشعبة منها . والمقصود هنا بيان أمراء العُربان بالوجهين
المذكورين في القديم والحديث .

فأما الوجه القبلى ، فقد ذكر الحمدانى أن الإمرة كانت بالوجه القبلى في ثلاثة أعمال :
العمل الأول - عمل قوص ، وكانت الإمرة به في بيتين من بلى من قضاة بن
حمير بن سبأ من القحطانية .

الأول - بنو شاد المعروفون بنى شادى . وكانت منازلهم بالقصر الحراب المعروف
بقصر بنى شادى بالأعمال القوصية ، وتقدم هناك أنه قيل إنهم من بنى أمية بن
عبد شمس من قريش .

الثان - العجالة . وهم بنو العجيل بن الذئب منهم أيضا ، وكانوا معهم هناك .

العمل الثاني - عمل الأشمونين . وكانت الإمرة به في بني ثعلب من السلاطنة ، وهم أولاد أبي مجيش من الحيادة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، من عقب الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكانت منازلهم بدروت سربام ، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بدروت الشريف من يومئذ ، وأستولى عليها وعلى بلاد الصعيد . وقد تقدم أنه كان في آخر الدولة الأيوبية . فلما ولي المعز أيك التركاني : أول ملوك الترك بالديار المصرية السلطنة ، أئف من سلطته وسمت نفسه إلى السلطنة فجهز إليه المعز جيوشا ، فحرت بينهم حروب لم يظفروا به فيها ، وبقى على ذلك إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس ، فنصب له حبال الحيل وصاده بها وشقه بالإسكندرية .

العمل الثالث - البهنسي ، وكانت الإمرة فيه في بيتين .

الأول - أولاد زعازع . (بضم الزاي) من بني جديدي من بني بلار من لوائثة (٢) من البربر أو من قيس عيلان على الخلاف السابق عند ذكر نسبهم في المقالة الأولى . قال الحمداني : وهم أشهر من في الصعيد .

الثاني - أولاد قريش . قال الحمداني : وهم أمراء بني زيد ، ومساكنهم نوية دلاص .

قال : وكان قريش هذا عبدا صالحا كثير الصدقة ، ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك .

وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : أن الإمرة بالوجه القبلي في زمانه (وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وما وليها) كانت لناصر الدين عمر بن فضل ، ولم يذكر مقرته ولا من أيت العرب هو ، وذكر أيضا أن الإمرة فيا فوق

(١) تقدم لنا في الجزء الأول (ص ٣٦٥) ضبطها بالفتح والصواب ما هنا .

(٢) ضبطها المؤلف فما تقدم بالياء المثلثة ولكن نجد ذكرها في باب التاء المثناة .

أسوان كانت في عرب يقال لهم الحِدَارِيَّة في سميرة بن مالك . قال : وهو ذو عَدَدِ جَمٍّ وشوكة مُنْكِيَّة ، يغزو الحبشة وأمَّ السودان ويأتي بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود وفضلٌ ماثور ، وفد على السلطان فأكرم مثواه ، وعقد له لواءً وشرفًا بالتشريف ، وقُدِّد ، وكتبَ إلى ولاية الوجه القبليّ عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغزو معه متى أراد ، وكتب له منشور بما يفتحه من البلاد ، وتقليدًا بإمرة عربان القبلة مما يلي قُوص إلى حيث تصلُ غايته ، وتركُّ رأيته .

قلت : أما في زماننا فهدَّ وجهتُ عربُ هَوَّارة وجوهها من عمل البحيرة إلى الوجه القبليّ ونزلت به أنتشرت في أرجائه أنتشار الجراد ، وبسطت يدها من الأعمال البهنساوية إلى منتهاه حيث أسوان وما والاها ، وأذعنتم لهم سائر العربان بالوجه القبليّ قاطبةً ، وأنحازوا إليهم وصاروا طَوْعَ قيادهم .
والإمرة الآن فيهم في بيتين .

الأول - بنو عمر : محمد وإخوته . ومنازلهم بجرَّجا ومُنشأة إنحيم ؛ وأمرهم نافذ إلى أسوان من القبلة وإلى آخر بلاد الأشُّمُونِيَّين من بحرى .
الثاني - أولاد غريب . ويبيدهم بلاد البهنسى ، ومنازلهم دَهْرُوط وما حولها .



وأما الوجه البحريّ ، فقد ذكر الحمدانيّ أن الإمرة فيهم في خمسة أعمال .
العمل الأول - الشارقة . قال : والإمرة فيها في قبيلتين .
الأولى - ثعلبةً ، وذكر أن الإمرة كانت فيهم في سُقَيْرِ بن جرجي من المصاحفة من بنى زُرَيْقِي ، وفي عمر بن نفيلة من العَلَمِيَّين .

الثانية - جُدَّام : وقد ذَكَرَ أن الإمرة كانت فيهم في خمسة بيوت .
الأول - بيت أبي رُشد بن حبشى ، بن نَجْم ، بن إبراهيم من العُقَيْلِيَّين : بنى عُقَيْل

ابن قُتُورَة ، بن مَوْهوب ، بن عُبَيْد ، بن مالك ، بن سُويد ، من بني زيد بن حَرَام ، ابن جُدَام ؛ أُمِّرَ بالبوق والعَلَم .

الثاني - طَرِيف بن مَكُون^(١) ، من بني الوليد ، بن سُويد المقدم ذكره ؛ وإلى طَرِيف هذا يُنسَب بنو طريف من بلاد الشرقية . قال الحمداني : وكان من أكرم العرب ، كان في مَضِيَّتِهِ أَيَّامَ الغلاء أَثنا عشر ألفا تأكل عنده ، وكان يَهَيِّمُ التريد في المراكب . قال : ومن بنيه فَضْل بن سَمْح بن كُثُونة ، وإبراهيم بن علي ؛ أُمِّرَ كل منهما بالبوق والعَلَم .

الثالث - بيت أولاد منازل من ولد الوليد المذكور ، كان منهم مَعْبَد بن مُبارك ، أُمِّرَ بالبوق والعَلَم .

الرابع - بيت نَمِي بن خَنَم من بني مالك ، بن هَلْبَا بن مالك بن سُويد ، أَقْطَعَ خَنَم ابن نَمِي المذكور وأُمِّرَ ، وأَقْنَى عددا من الممالِك الأتراك والروم وغيرهم ، وبلغ من الملك الصالح أَيُوبَ منزلةً ، ثم حَصَلَ عند الملك المعز أَيْبِك التُّرْكاني على الدرجة الرفيعة ، وقدمه على عرب الديار المصرية ، ولم يزل على ذلك حتى قتلَه غلمانُه ، ففعل المعزُ أَيْبِيه : سلمى ودغش عوضه ، فكانا له نِعَمَ أَخْلَفَ ، ثم قدم دغش دِمَشقَ فَأَمَرَه الملك الناصر صاحب دِمَشقَ يومئذ من بني أَيُوبَ بِبُوقِ وَعَلَمَ ، وأَمَرَهُ الملكُ أَيْبِكُ أَخاه سلمى كذلك .

الخامس - بيت مُفَرِّج بن سالم بن راضي من هَلْبَا بَعَجَة ، ابن زيد ، بن سُويد ، ابن بَعَجَة ، من بني زيد بن حَرَام بن جُدَام ؛ أَمَرَهُ المعزُ أَيْبِك التُّرْكاني بالبوق والعَلَم . وذلك أنه حين أراد المعزُ تَأْمِيرَ سلمى بن خَنَم المقدم ذكره أَمْتَنَعَ أَنْ يُؤَمَّرَ حَتَّى يُؤَمَّرَ مُفَرِّج بن غانم فَأَمَرَهُ^(٢) .

(١) تقدم في الجزء الأول (ص ٣٣٢) ابن بكتوت . (٢) لعله سالم .

العمل الثاني - المنوفية . والإمارة فيها لأولاد نصير الدين من لواتة ، ولكن إمرتهم في معنى مشيخة العرب .

العمل الثالث - الغربية . والإمارة فيه في أولاد يوسف من الخزاعلة من سنيس من طي من كهلان من القحطانية ، ومقرتهم مدينة سخا من الغربية .

العمل الرابع - البحيرة . وقد ذكر في " التعريف " : أن الإمارة في الدولة الناصرية ابن قلاوون كانت لخالد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم . قال في " مسالك الأبصار " : وكانا أميرين سيدين جليلين ذوى كرم وإفضال وشجاعة وثبات رأى وإقدام .

العمل الخامس - برقة . قال في " التعريف " : ولم يبق من أمراء العرب ببرقة يعني في زمانه إلا جعفر بن عمر ، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ، ومخاشنة وليان ، والجيوش في كل وقت تمد إليه ، وقل أن تظفر منه بطائل أو رجعت منه بمغم ، وإن أصابته نوبة من الدهر . قال : وآخر أمره أن ركب طريق الواح حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطان لائذا بالعفو ، ووصل ولم يسبق به خبر ، ولم يعلم السلطان به حتى استأذن المستأذن له عليه وهو في جملة الوقوف بالباب ، فأكرمهم الكرامة وشرف بأجل التشاريف ، وأقام مدة في قري الإحسان وإحسان القري وأهله لا يعلمون ماجرى ، ولا يعلمون أين يم ولا أى جهة نحا ، حتى أتتهم وافدات البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لم لا أعلمت أهلك بقصدك إلينا؟ قال : خفت أن يقولوا : فيتك بك السلطان فأنتبط ، فاستحسن قوله ، وأفاض عليه طوله ، ثم أعيد إلى أهله ، فانتقل بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء ولا رثى له صاحب ولا شمت به عدو .

قلت : والإمرة اليوم في بركة في عمر بن عريف ، وهو رجل دين وكان أبوه
 [عريف ذا دين متين رأيتُه] ^(١) في الإسكندرية بعد الثمانين والسبعائة ، واجتمعتُ به
 فوجدت آثار الخير ظاهرةً عليه .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

(في المملكة الشامية ، وما يتصل بها : من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين
 الفرات والدجلة مما هو مضاف إلى هذه المملكة ، وفيه أربعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضل الشام وخواصه وعجائبه ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في فضل الشام)

أعظم شاهد لذلك ما أخرجه الترمذي من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه
 قال : ” كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ . فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طُوبَى لِأَهْلِ الشَّامِ . فَقُلْتُ : لِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
 قَالَ : لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهِ . ” . هذا وقد بعث به الكثير من الأنبياء
 عليهم السلام ، وفيه ضرائحهم الشريفة ، والمسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد
 الثلاثة التي تُسَدُّ إليها الرِّحال ، وهو أول القبلتين ؛ وبه ينزل المسيح عليه السلام بمنارة
 جامع دمشق ؛ وبه يقتل الدجال بمدينة لُد . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : ” إِنْ اللَّهُ بَارَكَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرِيشِ إِلَى الْفُرَاتِ وَخَصَّ فَلَسْطِينَ بِالتَّقْدِيسِ ” .

(١) ترك له في الأصل بياضا وأخذناه عن الضوء للؤلؤ .

المقصود الثاني

(في خواصه وعجائبه)

أما خواصه فإن به الأماكن التي تعظمها الأمم على اختلاف عقائدهم كالصخرة التي هي قبلة اليهود، والقمامة التي يحجها النصارى من سائر أقطار الأرض، وطور نابلس الذي تحججه السامرة؛ وبمدينة صور كنيسة تعتقد طائفة من النصارى أنه لا يصح تملك ملوكهم إلا منها، على ما سياتي ذكره في الكلام على أعمال صفد إن شاء الله تعالى، وغير ذلك مما تتقاد به الأمم إلى صاحب هذه المملكة وتُدعِنُ لمُسالمتِهِ .
وأما عجائبه فكثيرة .

منها - (حمة طبرية) المشهورة : وهي عين تبضع ماء شديد الحرارة يكاد يسقط البَيضة، يقصدها المترددون للاستشفاء بالأغتسال فيها . قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وليس فيها حمام يوقد فيه النار إلا الحمام الصغير .

ومنها - (قبة العقارب) بمدينة حمص . وهي قبة بالقرب من مسجدها الجامع ، إذا أخذ شيء من تراب حمص وجبل بالماء وألصق بداخل تلك القبة وترك حتى يجف ويسقط بنفسه من غير أن يلقيها أحد ثم أخذت ووضع منها شيء في بيت لم يدخله عقرب ، أو في قماش لم يقربه ، وإن دُر على عقرب منه شيء أخذها مثل السكر فر بما زاد عليها فقتلها ، بل قيل إن ذلك لا يختص بالقبة بل عامة أرض البلد كذلك حتى لا يدخلها عقرب إلا مات ، بل لا يقرب ثيابا ولا أمتعة عليها غبارها ، وإلى ذلك أشار القاضي الفاضل في البشري بفتوحها بقوله : " ودبت إليها عقارب الجانيق فخالفت عادة حمص في العقارب ، ورُميت الحجارة بالحجارة فوقع العداوة المعروفة بين الأقارب " .

ومنها - (عين فَوَاةً) داخل البحر المائج على القُرب من ساحل مدينة طرابلس على قدر مئة حجر عن البر، تَبْع ماءً عذبا يطفو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر يثين عند سكون الريح .

ومنها - (وادي الفوار) وهو وادٍ بالقرب من حصن الأكراد من عمل طرابلس غربا عنه بشمال على الطريق السالكة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي صفة برّ قائمة في الأرض ، وفي سفلى الأرض سردابٌ ممتد إلى الشمال يَفُور في كل أسبوع يوما واحدا لا غير ، فتسقى به أرض ومزروعات ، وينزل عليه التُّرْكان ويردونه ؛ ويُسمَع له قبل فورانه دويٌّ كالرعد ، وهو في بقية الأيام يابس لا ماء فيه . قال : وذكري من دخل السرداب أن في نهايته نهرا كبيرا آخذا من الغرب إلى الشرق تحت الأرض ؛ له جريان قويٌّ ، وبه موج وريح عاصف ، لا يُعرف إلى أين يجرى ولا من أيّ جهة يأتي .

ومنها - (حمام القدموس) من قلاع الدعوة من عمل طرابلس يخرج منها أنواع كثيرة من الحيات تظهر من أنابيب مائها وتدخل في ثياب داخلها ، ولم يشتهر أنها أضرت أحدا قط على ممتز الدهور وتطاول الأزمنة ، حكاها في "مسالك الأبصار" .
ومنها - (صدع) في سور الخواي من قلاع الدعوة من عمل طرابلس أيضا . إذا لدغ أحد بحية فأتى إلى ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده ، سلم من تلك اللدغة ، ولم يضره السم . إلى غير ذلك من العجائب الظاهرة والمندرسة بمرور الزمان عليها .

قال ابن الأثير: وبقرى حلب قرية تسمى براق ، يقال إن بها معبدا يقصده أصحاب الأمراض ويبيتون به . فيما أن يرى المريض في منامه من يقول له أستعمل كذا وكذا

فيراً، أو مسح عليه بيده فيراً . قال في تاريخه: وبقرية مبرون من قرى صَفَد مَغَارَة يظهر فيها الماء في يوم من السنة تجتمع إليه اليهود في ذلك اليوم، ويحلبون منه الماء إلى البلاد البعيدة؛ وبوادي دلسه من عملها عينٌ تعرف بعين الجن تفور لحظة كالنهر ثم تغور حتى لا يبقى فيها ماء، ثم تفور كذلك ليلاً ونهاراً؛ وبقرية بكوزا من قرى صَفَد عِنْبٌ داخل العنبة عنبةٌ أخرى؛ وبقرية عد شيب من قراها بلوطٌ يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حضنها حجر؛ وبقرية عياض تراب الجير إذا عمل منه كوزٌ وسُقِي فيه الكسير من آدمى أو غيره، جُرَّ عظمه؛ وبالناصره من أعمالها كنيسة بها عمود إذا اجتمع عنده جماعة وعملوا سماعاً عَرِقَ العمود حتى يظهر عرقه .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في حدوده، وأبتداءِ عمارته، وتسميته شاماً؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في حدوده)

وقد اختلف في تحديده، فذكر في "التعريف" أن حدّه من القبلة إلى البرّ المنقرف: تيه بنى إسرائيل وبرّ الحجاز والسّماوة إلى مرّمى الفرات بالعراق . قال: وهذه المحادّات كلّها من جزيرة العرب .
 وحدّه من الشرق طرف السّماوة والفرّات .
 وحدّه من الشّمال البحر الرومى .

وحده من الغرب حدّ مصر المتقدّم ذكره، وذكر في "تقويم البلدان":
 أن حدّه من الجنوب من أول رفح التي في أول الحفّارين مصر والشام إلى حدود تيه بنى إسرائيل إلى ما بين الشّوبك وأيلة من البلقاء؛ وحدّه من الشرق من البلقاء

إلى مشاريق صَرَّخَدَ، آخذًا على أطراف الغوطة، إلى سَامِيَّةَ، إلى مشاريق حلب، إلى بَالِسَ، وحدّه من الشمال من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم، إلى ألبيرة، إلى سَمِيَّسَاطَ إلى حصن منصور، إلى بَهَسْنَى، إلى مَرَعَشَ، إلى بلاد سيس، إلى طَرَسُوسَ، إلى بحر الروم، وحدّه من الغرب من طَرَسُوسَ المذكورة آخذًا على ساحل البحر الرومي إلى رَفَحَ المتقدمة الذكر حيث وقع الأبتداء .

قامت : والخُلْفُ بينهما في شيئين .

أحدهما - أنه في " التعريف " جعل حدّه الشماليّ إلى البحر الروميّ، وحدّه الغربيّ جدّد مصر المتقدم ذكره ، وفي " تقويم البلدان " جعل حدّه الشماليّ البلاد التي بين الفُرات والبحر الروميّ، وحدّه الغربيّ البحر الروميّ من طَرَسُوسَ إلى رَفَحَ فيدخل حدّ مصر الذي حدّ به الجانب الغربيّ في " التعريف " في هذا الحدّ، وكان الموضع لها في ذلك أن البحر الروميّ عن الشام غربًا بشمال، فَجَنَحَ كل منهما إلى جهة .

الثاني - أنه في " تقويم البلدان " أدخل بلاد الأَرَمِنِ المتصلةً بأخر بلاد حَلَبَ من الشمال في حدود الشام، وفي " التعريف " أخرجها وهو التحقيق . وقد صرح بذلك في " التعريف " فيما بعد فقال بعد أن أفرد الفتوحات الجاهانيّة التي هي أوّل بلاد الأَرَمِنِ من جهة حَلَبَ بالذكر : وأتيتُ بها ههنا إذ لم يكن لها تَعَلُّقٌ بمملكة تذكّر فيها، وليست من الشامات في شيء وإنما هي من بلاد الأَرَمِنِ المسماة قديمًا ببلاد العواصم والثغور، وسيأتي الكلامُ على بلاد الأَرَمِنِ بمفردها في جملة أعمال حَلَبَ في الكلام على قواعد المملكة الشامية إن شاء الله تعالى .

على أن ما ذكره من التحديد في " التعريف " و " تقويم البلدان " لا يخلو عن تساهل . فقد قال في " التعريف " : بعد ذكر الحدود التي أوردها : وهذه الحدود هي الجامعة على ما يحتاج إليه ، وإذا فصلت تحتج إلى زيادة إيضاح . وقال

في "تقويم البلدان" : بعد ذكر الحدود التي أوردتها أيضا : وبعض هذه الحدود قد تقع شرقية عن بعض الشام وهي بعينها جنوبية عن بعض آخر، مثل البلقاء فإنها جنوبية عن حلب وما على سمتها، وشرقية عن مثل غزّة وما على سمتها فليعلم العذر في ذلك.

قال ابن حوقل : وطول الشام من مَلطية إلى رَفح خمس وعشرون مرحلة . فمن مَلطية إلى مَنبج أربع مراحل ، ومن مَنبج إلى حلب مرحلتان ، ومن حلب إلى حِمص خمس مراحل ، ومن حِمص إلى دِمَشق خمس مراحل ، ومن دِمَشق إلى طَبْرية أربع مراحل ، ومن طَبْرية إلى الرملة ثلاث مراحل ، ومن الرملة إلى رَفح مرحلتان .

قال اليفاشي في "سرور النفس" : وطوله أكثر من شهر . قال ابن حوقل :

وأعرض ما فيه طرفاه . فأحد طرفيه من الفرات من جسر منبج على منبج على قورس في حد قنسرين ، ثم على العواصم في حد إنطاكية ، ثم يقع على جبل اللكام ، ثم على المصيصة ، ثم على أذنة ، ثم على طرسوس ، وذلك نحو عشر مراحل وهذا هو السمّ المستقيم . والطرف الآخر يأخذ في البحر من حد ياقا من جند فلسطين حتى يتهي إلى الرملة إلى بيت المقدس ، ثم إلى أريحا ، ثم إلى زغر ، ثم إلى جبل الشراة إلى أن يأتي إلى معان ، وتقدير ذلك ست مراحل . ثم قال : أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد بين الأردنّ ودمشق وحمص يزيد على أكثر من ثلاثة أيام ، لأن من دمشق إلى طرابلس على بحر الروم غربا يوما وإلى أقصى الغوطة شرقا حتى يتصل بالبادية يوما ، ومن حمص إلى أنطرس على بحر الروم غربا يومين ، ومن حمص إلى سامية على البادية شرقا يوما ، ومن طبرية من جند الأردنّ إلى صور على البحر الرومي غربا يوما ، ومنها إلى أريحا على حدود بني فزارة شرقا يوما .

المقصد الثاني

(في آبتداء عمارته وتسميته شاما وما يَلْتَحِقُ بذلك)

أما آبتداء عمارته، فقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخ الشام عن هشام بن محمد عن أبيه : أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بني كنعان^(١) ابن حام بن نوح عليه السلام بالشام فسميت الشام، حين تَشَاءُوا إليها، يعنى من أرض بابل كما جاء في الرواية الأخرى. قال : فكانت الشام يقال لها لذلك أرض كنعان، وجاء بنو إسرائيل فأجلّوهم عنها، وبقيت الشام لبني إسرائيل إلى أن غلب عليه الروم وأنزعه منهم فأجلّوهم إلى العراق إلا قليلا منهم، ثم جاء العرب فغلبوا على الشام (يعنى في الفتح الإسلامى) ثم الشام مهموز مقصور. قال النووى في تهذيب الأسماء واللغات " وغيره : ويجوز فيه فتح الشين والمد. قال : وهى ضعيفة وإن كانت مشهورة قال الجوهرى : ويجوز فيه التذكير والتأنيث . قال النووى : والمشهور التذكير . وقد اختلف في سبب تسميته شاما فقول لتشاؤم بني كنعان إليه كما تقدم في كلام ابن عساكر، وقيل سمى بسام بن نوح لأنه نزل به، وأسمه بالسريانية شام بشين معجمة، والعرب تنقلها إلى السين المهملة . وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض فسمى شاماً لذلك كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة . وقيل سميت شاما لأنها عن شمّال الكعبة، والشام لغة في الشمال . قال أبو بكر بن محمد : ويجوز فيه وجهان . أحدهما أن يكون من اليد الشؤمى وهى اليسرى . والثانى أن يكون فعلا من الشؤم .

(١) كذا في معجم البلدان أيضا وفي القاموس في مادة (ك ن ع) كنعان بن سام .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورياحينه
ومواشيه ، ووحوشه وطوره ، وفيه ستة مقاصد)

المقصود الأول

(في ذكر الأنهار العظام بالشام وما هو مضاف إليه مما يتكرر ذكره
بذكر البلدان ، وهي أربعة أنهار ^(١))

الأول - نهر الفرات وهو أعظمها ، وقد تقدّم في الكلام على النيل أنه شقيقه
في الخروج من الجنة . وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) !
قال : " لا تقوم الساعةُ حتى يحسّرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ فيقتلَ الناسُ عليه
فيقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعون ، ويقولُ كلُّ رجلٍ منهم لعلّي أنا الذي أُجُوبُه " .
وأولُ أبتدائه من شماليّ مدينة (أرزن الروم) وشرقيّها ، وهي آخر بلاد الروم من جهة
الشرق حيث الطولُ أربعٌ وستون درجة والعرضُ اثنتان وأربعون درجة ونصفٌ ،
ثم يأخذ إلى قُرب (ملطية) ثم يأخذ إلى (سُميساط) ثم يأخذ مشرقاً ويتجاوز (قلعة الروم)
من شماليّها وشرقيّها ، ثم يسير إلى (البيرة) من جنوبيّها ، ثم يمرّ مشرقاً حتى يجاوز باليس ،
ثم قلعة جعبر ويتجاوزها إلى الرقة ، ثم يسير مشرقاً ويتجاوز الرجة من شماليّها ويسير
إلى عنة ، ثم يمتدّ إلى هيت ، ويمتدّ حتى يجاوز مخرج (نهر كوثي) الآتي ذكره ، فينقسم
قسمين ويمرّ أحدهما : وهو الجنوبيُّ إلى (الكوفة) ويتجاوزها ، ويصبُّ في بطائح
العراق ، ويمرّ الآخرُ : وهو أعظمها بإزاء (قصر ابن هبيرة) ويعرف هذا القسم بنهر
سُوراً (بضم السين المهملة وآخره ألف يمدّ ويقصر) وهي قرية على النهر تُنسب إليها ،

(١) الصواب ستة أنهار كما يتضح مما سيأتي .

ويتجاوز قصر ابن هيرة ويسير جنوبا إلى (مدينة بابل) القديمة، ويتفرع منه بعد أن يجاوز بابل عدة أنهر، ويمر عموده إلى (مدينة النيل) ويجاوزها حتى يصب في دجلة ويسمى من بعد مجاوزة النيل (نهر الصّراة) . وعلى الفرات أنهار تصب فيه وأنهار تخرج منه ليس بنا حاجة إلى تفصيلها .

الثاني - نهر حماة . ويسمى العاصي لأن غالب الأنهر تسقى الأرض بغير دواليب ولا نواعير بل تركب البلاد بأنفسها، ونهر حماة لا يسقى إلا بنواعير تترع الماء منه ، ويسمى أيضا النهر المقلوب : لجره من الجنوب إلى الشمال ، وغالب الأنهر إنما تجرى من الشمال إلى الجنوب ، وأسمه القديم نهر الأرط^(١) ، وأوله نهر صغير من ضيعة قريبة من بعلبك في الشمال عنها على نحو مرحلة ، تسمى الرأس ، ويمتد من الرأس شمالا حتى يصل إلى مكان يسمى قائم الهرمل بين قرية جوسية والرأس ، ويمتد في واد هناك وينبع من هناك أكثر ماء النهر من موضع يسمى مغارة الراهب ، ويمتد شمالا حتى يجاوز (جوسية) ويمتد حتى يصب في (بحيرة قدس) غربى حصص ، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حصص إلى الرستن ، ويمتد إلى حماة ، ثم إلى شيزر ، ثم إلى بحيرة أفامية ، ثم يخرج من بحيرة أفامية ، ويمتد على دركوش ، ويمتد إلى جسر الحديد ، وذلك جميعه شرقى جبل اللكام . فإذا وصل إلى جسر الحديد انقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوبا بغرب ويمتد على سور أنطاكية ، ويسير كذلك مغربا بجنوب حتى يصب في بحر الروم عند السويدية ويصب في العاصي عدة أنهر :

منها - نهر منبعه من تحت أفامية يسير مغربا حتى يصل إلى بحيرة أفامية ويختلط بالعاصي .

(١) أورده ياقوت في معجم البلدان بالبدال المهملة .

ومنها - نهر في شمال أفامية على نحو ميلين يُعرف بالنهر الكبير يسير مدى قريبا
ويصب في بحيرة أفامية، ويخرج منها مع العاصى .

ومنها - النهر الأسود، يجرى من الشمال ويمر تحت دربساك ويمتد حتى يصب
في بحيرة أنطاكية ويخرج منها ويصب في العاصى .

ومنها - نهر يغرا - بفتح الياء المشناة تحت وسكون العين المعجمة وفتح الراء المهملة
ثم ألف مقصورة - بلدة هناك يمر عليها ويصب في النهر الأسود المذكور .

ومنها - عفرين - بكسر العين المهملة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة ثم باء مشناة
تحت ونون في الآخر - وهو نهر يأتي من بلاد الروم ويمر على الراوندان إلى الجومة
ويمر في الجومة إلى العمق ويختلط بالنهر الأسود .

الثالث - نهر الأردن . والأردن بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الدال
المهملة أيضا وتشديد النون . كذا ضبطه السمعاني في "اللباب" قال : وهي بلدة
من بلاد العور من الشام نسب إليها النهر ويسمى الشريعة أيضا ، وأصله من أنهار
تصب من جبل الثلج إلى بحيرة بانياس ، ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب
في بحيرة طبرية ، ويمتد جنوبا ، وهناك يصب في نهر اليرموك بين بحيرة طبرية
المذكورة وبين القصير ، ويمتد في وسط العور جنوبا حتى يجاوز بيسان ، ويمتد
في الجنوب كذلك إلى أريحا ، ولا يزال يمتد في الجنوب حتى يصب في بحيرة زغر
وهي البحيرة المنتنة المعروفة ببحيرة لوط .

الرابع - نهر العوجاء - بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الجيم وبعدها
ألف - ويسمى نهر أبي فطرس (بضم الفاء وبالطاء والراء والسين المهملات) وهو نهر
شمال مدينة الرملة من فلسطين باثني عشر ميلا ، ومنبعه من تحت جبل الخليل

عليه السلام مقابل قلعة خراب هناك تسمى مجد اليابا، ويجرى هذا النهر من الشرق إلى الغرب، ويصب في بحر الروم جنوبى غابة أرسوف، ومن منبعه إلى مصبه دون مسافة يوم. قال في "العزى": وما تبقى عليه جيشان إلا غلب الغربى وأنهم الشرق، وسيأتى الكلام على أنهار دمشق في الكلام على حاضرتها إن شاء الله تعالى إذ لا يتعداها إلى غيرها من البلاد.

الخامس - نهر جيجان . بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعد الألف نون - وتسمى العامة جهان - بجم وهاء مفتوحتين وألف ثم نون، وربما زادوا ألفا بعد الجيم فقالوا جادان، وإليه تنسب الفتوحات الجاهانية الآتى ذكرها. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول ستين درجة وعرض أربعين درجة، وهو نهر يقارب الفرات في الكبر، ويمر بسيس، ويسير من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم حتى يبلغ المصيبة من شمالها حيث الطول تسع وخمسون وكسر والعرض ست وثلاثون درجة، وعرض خمس عشرة، وجرآنه عندها من المشرق إلى المغرب، ويتجاوز المصيبة ويصب بالقرب منها في بحر الروم.

السادس - نهر سيجان . بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول ممان وخمسين، وعرض أربع وأربعين؛ ويمر ببلاد الروم إلى الجنوب عند مجرى جيجان المتقدم ذكره، ويسير حتى يمر ببلاد الأرمن، ويمر على سور أذنة من شرقها حيث الطول تسع وخمسون بغير كسر، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة،

(١) أوردتها في المعجم هكذا "مجدلابة".

(٢) في تقويم أبى الفداء "خمس عشرة دقيقة".

ويتجاوز أذنة ويلتقى مع جيحان المتقدم ذكره ويصيران نهرا واحدا ، ويصبان في بحر الروم بين آياس وطرسوس على ما تقدم ذكره .

المقصد الثاني

(في ذكر بحيراته ، وهي ثمان بحيرات)

الأولى - بحيرة طبرية . قال الزجاجي : سميت طبرية بطباري ملك من ملوك الروم ، وهي في أول الغور ، يدخل إليها نهر الشريعة المنصب من بحيرة بانياس الآتي ذكرها ، ودورها نحو مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول ثمان وخمسون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون ، وهي قرعاء . ليس بها قصب نابت . وطبرية مدينة خراب على شاطئ البحيرة المذكورة من جانبها الغربي الجنوبي ، قال العثماني في " تاريخ صغد " : ويقال إن قبر سليمان بن داود عليهما السلام بهذه البحيرة .

الثانية - بحيرة زغر وتعرف بحيرة سدوم وبحيرة لوط . وهي بحيرة متنتة ليس بها سمك ولا يأوى إليها طير ، وفيها منصب نهر الأردن المسمى بالشريعة عند نهايته ، ويغيب الماء فيها ولا يخرج منها شيء من الأنهار ، وهي في آخر الغور من جهة الجنوب ، ودورها فوق مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول تسع وخمسون درجة والعرض إحدى وثلاثون .

الثالثة - بحيرة بانياس . وهي بحيرة بالقرب من بانياس من مقابلة دمشق يصب فيها عدة أنهار من جبل هناك ، ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة طبرية المتقدم ذكرها ، وبها غابة قصب .

الرابعة - بحيرة البقاع . وهي مستنقع ماء في جهة الغرب عن بعلبك على مسيرة يوم منها ، بها هيش وغابات قصب .

الخامسة - بحيرة دِمَشْقَى . وهي بحيرة في شرق غُوطَةِ دِمَشْقَ بِمِئَلَةِ سِيرَةٍ إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بَرْدَى وغيره، وتتسع في أيام الشتاء وتضيق في أيام الصيف، وبها غابات قَصَب، وفيها أما كن تَحْمِي من العدو .

السادسة - بحيرة قَدَس . بفتح القاف والذال وفي آخرها سين مهملة .

وهي بحيرة في أرضٍ مستوية، عن حِصِّ في جهة الغرب على بعض يوم منها، وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفي طرفها الشمالي سدٌ ممتد في طولها مبنى بالحجر من بناء الأوائل ينسب بناؤه إلى الإسكندرِ طولُه شرقا وغربا ألف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا، وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف ذراع، وعلى وسط السدِّ بُرْجَانٍ من حجر أسود .

السابعة - بحيرة أفايية . وهي عتة بطامح في الغرب بمِئَلَةِ إلى الشمال عن أفايية بين غابات من القَصَب، يصب فيها النهر العاصي من جهة الجنُوب . وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك، فالجنوبية منهما بَحِيرَةُ أفايية المذكورة، وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ، وقعرها قريب قامة، وأرضها موحلة لا يقدر الإنسان على الوقوف فيها، وبوسطها جُم قَصَب و بَرْدَى وحوها القصب والصفصاف، وبها من أنواع الطير مالا يحصى كثرة، وينبت بها في زمن الربيع اللَّيْنُوفُ الأصفر حتى يستر الماء عن آخره بورقه وزهره . والبحيرة الشمالية من عمل حصن برزوية بقدر بحيرة أفايية أربع مرات، ووسطها مكشوف، وينبت اللَّيْنُوفُ بجانبها الجنوبي والشمالي وبينها وبين بحيرة أفايية المذكورة زقاق تسير فيه المراكب من إحداهما إلى الأخرى . قال في "تقويم البلدان" : ويعتبر طول هذه البطامح وعرضها بأفايية .

الثامنة - بحيرة أنطاكية . وهي بحيرة بين أنطاكية وبعراس وحارم في أرض تعرف بالعمق (بفتح العين المهملة وسكون الميم) من معاملة حلب شمالي أنطاكية على

مَسِيرَةٌ يَوْمِينَ مِنْ حَلَبَ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ عَنْهَا . وَفِيهَا مَصَبُ نَهْرِ عَفْرَيْنَ وَالنَّهْرِ الْأَسْوَدِ وَنَهْرٍ يَغْرَأُ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرَهَا ، وَدَوْرُهَا نَحْوَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ ، وَأَجَامُ الْقَصْبِ مُحِيطَةٌ بِهَا وَفِيهَا مِنَ الطَّيْرِ وَالسَّمَكِ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي بَحِيرَةِ أَفَامِيَّةَ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَطَوْلُهَا طَوْلُ أَنْطَاكِيَّةَ تَقْرِيْبًا ، وَعَرَضُهَا أَكْثَرُ مِنْ عَرَضِهَا بِدَقَائِقَ .

المقصود الثالث

(فِي ذِكْرِ جِبَالِهَا الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَقَاصِدِ ، وَهِيَ حَدَّةُ أَجْبَلِ) مِنْهَا - (جِبَلُ النَّالِجِ) بِالْبَاءِ الْمَمْلُئَةِ وَالْجِيمِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَالطَّرْفُ الْجَنُوبِيُّ لِهَذَا الْجِبَلِ بِالْقَرْبِ مِنْ صَفَدَ . قَالَ فِي "رَسْمِ الْمَعْمُورِ" حَيْثُ الطُّوْلُ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَخَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ دَقِيقَةً ، وَالْعَرْضُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً . قَالَ : فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : ثُمَّ يَمْتَدُّ إِلَى الشَّمَالِ وَيَتَجَاوَزُ دِمَشْقَ . فَإِذَا صَارَ فِي شِمَالِهَا ، سُمِّيَ جِبَلُ (سَنِيرِ) وَيُسَمَّى جَانِبُهُ الْمُطَّلُ عَلَى دِمَشْقِ جِبَلُ (قَاسِيُونَ) وَيَتَجَاوَزُ دِمَشْقَ وَيَمُرُّ غَرْبِيَّ بَعْلَبَكَّ ، وَيُسَمَّى الْجِبَلُ الْمُقَابِلَ لِبَعْلَبَكَّ جِبَلُ (لِنَانِ) ^(١) بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ سَاكِنَةٍ وَنُونٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا أَلْفٌ وَنُونٌ ثَانِيَةٌ - وَإِذَا تَجَاوَزَ بَعْلَبَكَّ وَصَارَ شَرْقِيَّ طَرَابُلُسَ سُمِّيَ جِبَلُ (عَكَارِ) بَعَيْنٍ مَهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَكَافٍ مُشَدَّدَةٍ وَرَاءَ مَهْمَلَةٍ فِي الْآخِرِ - إِضَافَةٌ إِلَى حِصْنِ بَاعْلَاهُ يُسَمَّى عَكَارًا ، ثُمَّ يَمُرُّ شِمَالًا وَيَتَجَاوَزُ طَرَابُلُسَ إِلَى حِصْنِ الْأَكْرَادِ مِنْ عَمَلِ طَرَابُلُسَ ، وَيَسَامَتُ حِمَصَ مِنْ غَرْبِهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَيَمْتَدُّ حَتَّى يَجَاوِزَ سَمْتَ حِمَاةَ ، ثُمَّ سَمْتَ شِيزَرَ ، ثُمَّ سَمْتَ أَفَامِيَّةَ ، وَيُسَمَّى قِبَالَةَ هَذِهِ الْبِلَادِ جِبَلُ (الْأَلْكَامِ) بِضَمِّ اللَّامِ . قَالَ فِي "رَسْمِ الْمَعْمُورِ" : وَجِبَلُ الْأَلْكَامِ يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ يَصِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جِبَلِ شَحْشَبُو ، آتِسَاعُهُ نِصْفُ يَوْمٍ حَتَّى يَتَجَاوِزَ صَهْرُونَ وَالشُّغْرَ وَبَكَاسَ وَالتَّصِيرَ ، وَيَنْتَهِي إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ فَيَنْقَطِعُ هُنَاكَ وَيَصِيرُ قِبَالَةَ جِبَالِ الْأَرْمَنِ .

(١) ضبطه ياقوت والمجد بضم اللام .

قال في "تقويم البلدان" : ويقابل جبل اللكام المذكور عند مسامته لأفامية المتقدمة الذكر جبل آخر من شرقه ، يسمى جبل (شَحْشَبُو) بشين معجمة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وشين ثانية مفتوحة بعدها باء موحدة مضمومة ثم واو - إضافة إلى قرية هناك تسمى بذلك ، ويمرُّ من الجنوب إلى الشمال على غربي المعرة وسمرين وحلب ، ثم يأخذ غربا ويتصل بجبال الروم .

ومنها - (جبل عاملة) وهو جبل ممتد في شرق ساحل بحر الروم وجنوبيه ، حتى يقرب من مدينة صور ، وعليه شقيف أرنون ، نزله بنو عاملة بن سبيح من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العريم فعرف بهم .

ومنها - (جبل عوف) وهو جبل بالقرب من عجلون ، كان ينزله قوم من بني عوف من جرم قضاة فعرف بهم ، وكانوا عصاة لا يدخلون تحت طاعة حتى بنى عليهم أسامة أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة عجلون فدخلوا تحت الطاعة على ماسياتي ذكره .

ومنها - (جبل الصلت) إضافة إلى مدينة الصلت الآتي ذكرها في أعمال دمشق ، وهو جبل في شرق جبل عوف وشماله ، كان أهله عصاة حتى بنى عليهم المعظم عيسى ابن العادل حصن الصلت فدخلوا في الطاعة .

المقصود الرابع

(في ذكر زروعه وفواكهه ورياحينه)

أما زروعه فغالبا على المطر . قال في "مسالك الأبصار" : ومنها ما هو على سقى الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل ما يوجد في مصر من البر والشعير والذرة والأرز والباقل والبسلة والجلبان ، واللوبياء والحلبة ، والسَّمْسِم والقُرْطُم ، ولا يوجد فيه

الكَّانُ والبرسيمُ، وبه من أنواع البَطِيخِ والقِثَاءِ ما يُسْتَطَابُ ويستَحْسَنُ، وكذلك غيرها من المزدروعات كالقُلُقَاسِ والمُلُوخِيَا والبَادِجَانِ واللَّفَتِ والحَزْرِ والهَلِيُونِ والقُتَيْبِطِ والرَّجَلَةِ والبَقْلَةِ اليمانيَّةِ، وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة، وقصبُ السُّكَّرِ في أغواره إلا أنه لم يبلغ في الكثرة حدَّ مصر.

وأما فواكهه، ففيه من كل ما يوجد في مصر كالتينِ والعِنَبِ والرُّمَانِ والقَرَاصِيَا والبرقوقِ والمِشْمِشِ والخَوْخِ - وهو المسمَّى بالدَّرَاقِنِ - والتُّوتِ والفِرْصَادِ، ويكثر بها التُّفَاحُ والكُكْزِيُّ والسَّفْرَجَلُ مع كونها أكثر أنواعاً وأبهجَ منظراً، ويزيد عليه فواكه أحرلا توجد بمصر، وربما وجد بعضها في مصر على الندور الذي لا يعتدُّ به كالجُوزِ والبُنْدُقِ والإجاصِ والعُنَابِ والزَّعْرُورِ، والزَيْتُونُ فيه الغاية في الكثرة، ومنه يعصر الزيتُ وينقل إلى أكثر البلدان وغير ذلك، وبأغوارها أنواع الحمضات كالآتِرجِ والليمونِ والجَادِ والتَّارَنُجِ ولكنه لا يبلغ في ذلك حدَّ مصر، وكذلك المَوْزُ ولا يوجد البلحُ والرُّطْبُ فيه أصلاً. قال في "مسالك الأبصار": وفيه فواكه تأتي في الخريف وتبقى إلى الربيع كالسَّفْرَجَلِ والتُّفَاحِ والعِنَبِ.

وأما رباحيته، ففيه كل ما في مِصرَ من الآسِ والوردِ والرَّجِيسِ والبَنَفَسِجِ والياسمينِ والنَّسْرِينِ، ويزيد على مصر في ذلك خصوصاً الوردُ حتى إنه يستقطر منه ماء الورد وينقل منه إلى سائر البلدان. قال في "مسالك الأبصار": وقد نُسِبَ به ما كان يذكر من ماء ورد جُورٍ ونصيبين.

(١) أى بالشام وأنت باعتبار البقعة أو البلاد وقوله ويزيد عليه أى على مصر.

المقصد الخامس

(في ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره)

أما مواشيه ففيه جميع ما تقدم من مواشى مِصْرَ من الإبل والبقر والغنم والحيل والبيغال والحَمِير، إلا أن أبقاره لا تبلغ في العظم مبلغ أبقار مصر، وأغنامه لا تبلغ في طيبة اللحم مبلغ أغنامها، وحميره لم تبلغ في الفراهة مبلغ حميرها .

وأما ووحوشه ، ففيه الغزلان والأرانب والأسود وكثير من أنواع الوحوش المختلفة مما لا يوجد مثله في مِصْرَ .

وأما طيوره، ففيه الإوز والدجاج والحمام وأنواع طيور الماء المختلفة الأنواع . قال في "مسالك الأبصار": ولا تكون الفراريج فيها إلا بمحضّانة ولا تتجّع فيها المعامل التي تُعمل لإخراج الفراريج في مصر . قال : ويذكر أن رجلا من أهل مصر عمل فيها معملا في حاضرة العقبية فصعد له العمل فيه في الصيف دون الخريف .

المقصد السادس

(في ذكر النفيس من مطعوماتها)

فيها العسل بقدر متوسط ، ويعمل فيها السكر الوسط والمكرر ، والشراب موجود فيها دون مصر، وأكثر حلواها من العسل والمنّ .

الطَّرَفُ الرَّابِعُ

(في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستقرّة وأعمالها؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأوّل

(في ذكر جهاته وكوره القديمة)

قد قسّم المتقدمون الشام إلى خمسة أجناد - جمع جند بضم الجيم وإسكان النون ودال مهملة في الآخر كما ضبطه الجوهري وغيره .

الأول - (جُنْدُ فِلَسْطِينَ) وفِلَسْطِينُ بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر . قال الزجاجي : سميت بِفِلَسْطِينَ بن كُثُوم من ولد فلان بن نوح ، بلدة كانت قديماً نسبت الكورة إليها . قال ابن حوقل : وهو أول الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رَحَى إلى حدِّ البَلْبُونِ ، وعَرَضُه من يافا إلى أَرِيحَا نحو يومين . قال ابن الأثير : هي كُورَةٌ كبيرة تشتمل على بلاد المقدس وغزّة وعسقلان . قال ابن حوقل : وهي أرخبى بلاد الشام .

الثاني - (جُنْدُ الأُرْدُنِّ) والأُرْدُنُّ بلدة قديمة من بلاد الغور نسبت الكورة إليها ، وقد مرّ ضبطها في الكلام على نهر الأُرْدُنِّ عند ذكر الأنهار ، وقد نسبت الكورة إليها كما نسب إليها النهر المتقدم ذكره . قال ابن حوقل : وديار قوم لوط والبحيرة المتينة وزغر إلى بيسان وإلى طبرية تسمى الغور : لأنه بين جبلين ، وسائر بلاد الشام مرتفعةً عليه . قال : وبعضها من الأُرْدُنِّ وبعضها من فِلَسْطِينَ .

الثالث - (جُنْدُ دِمَشْقَ) وسيأتي الكلام عليها في قواعد الشام المستقرّة .

الرابع - (جندِ حَمَصَ) وسيأتي الكلام عليها في الصفقة الشرقية من صفقات دمشق .

الخامس - (جُنْدُ قَنَسِرِينَ) . قال في "الأبواب" : بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون السين وكسر الراء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ونون في الآخر . قال الزجاجي : وقد روى أنها سميت برجل من قَنِيسٍ^(١) يقال له ميسرة ، نزلها فتر به رجل فقال له : ما أشبه هذا الموضع بقنّ سيرين ! فبني منه اسم للكان فقليل : قَنَسِرِينَ . وقيل : دنا أبو عبيدة ميسرة بن مسروق القيسي فوجهه في ألف فارس^(٢)

(١) في معجم البلدان لياقوت : برجل من عبس .

(٢) » » » : العبسي .

في أثر المدوّ فتّر على قنّسرينَ فجعل ينظر إليها فقال : ماهذه ؟ فسمّيت له الرومية .
فقال : والله كأنها قنّسرينُ . قال : وهذا يدل على أن قنّسرينَ اسم مكان آخر عرفه
ميسرة فشبّه به هذا فسميت به .

قال ابن الأنباري : وفي إعرابها قولان .

أحدهما - أنها تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو فتقول هذه
قنّسرونَ وفي الخفض والنصب بالياء فتقول مررت بقنّسرينَ ونزلت قنّسرينَ .

التول الثاني - أن تجعلها بالياء على كل حال وتجعل الإعراب في النون ولا تصرفها .

وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة على القرب من حلب ؛ كان الجند ينزها
في ابتداء الإسلام ، ثم ضعفت بحلب وخربت وصارت قرية على ما سيأتي ذكره
في الكلام على حلب إن شاء الله تعالى .

قال ابن الأثير : وكل جندٍ منها عرضُه من ناحية القُرَاتِ إلى ناحية فلسطينَ ،
وطوله من الشرق إلى البحر ، وحكاه في "التعريف" على وجه آخر فقال : للناس
في الشام أقوالٌ ، فمنهم من لا يجعله إلا شاما واحدا [ومنهم من يجعله شامات ، فيجعلون
بلاد فلسطينَ والأرض المقدّسة إلى الأردنّ شاماً^(١)] ويقولون الشام الأعلى ؛
ويجعلون دِمَشقَ وبلادها من الأردنّ إلى الجبال المعروفة بالطّوال شاما ، ويقع على
قرية النّبك وما هو على خطها ؛ ويجعلون سُورِيَا ؛ وهي حصّ وبلادها إلى رَحبة
مالك بن طوق شاما ، ويجعلون حماة وشيّر من مضافاتها . وثمّ من يجعل منها حماة
دون شيّر ؛ ويجعلون قنّسرينَ وبلادها وحلبَ مما يدخل في هذا إلى جبال الروم
وببلاد العواصم والثغور ؛ وهي بلاد سِيس شامًا . ثم قال : أما عمّا وطرأ لِسُّ وكل

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للمؤلف ليستقيم الكلام .

ما هو على ساحل البحر فكل ما قابل منه شيئاً من الشامات حُسب منه . قال :
ونبها على ذلك كله ليعرف . ثم قال : أما ماهو في زماننا وعليه قانون ديواننا فإنه إذا
قال سلطاننا بلاد الشام ونائب الشام لا يريد به إلا دِمَشقَ ونائبها . وسيأتى الكلام
على حدود ولايته في الكلام على نيابة دِمَشقَ إن شاء الله تعالى .

المقصود الثاني

(في ذكر قواعد المستقرّة وأعمالها، وهي ستُّ قواعد، كلُّ قاعدة منها تعدّ مملكة
بل كانت كلُّ قاعدة منها مملكةً مستقلةً بسُلطان في زمن بني أيوب)

القاعدة الأولى

(دِمَشقُ ؛ وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرهما)

وهي بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف في الآخر. وتسمى
أيضاً جَلَقَ - بيمين مكسورة ولام مشددة مفتوحة وقاف في الآخر . وبذلك ذكرها
حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ رضی الله عنه في مدحه لبي غَسَّانَ : ملوك العرب بالشأم بقوله :

لِللهِ دَرٌّ عِصَابِيَّةٌ نَادَمْتُهُمْ * يَوْمًا بِجَلَقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وحكى في "الروض المعطار" تسميتها جَيْرُونَ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت
وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر - وسمها في موضع آخر العَدْرَاءَ - بفتح
العين المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء المهملة وألف بعدها - وموقعها
في أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : وطولها ستون درجة
وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد اختلفت في بانها : فقيل بناها

نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وذلك أنه لما نزل من السفينة أُشْرِفَ فَرَأَى تَلَّ حَرَّافٍ بَيْنَ نَهْرِي حَرَّافٍ وَدِيصَافٍ، فَأَتَاهُ فَبَنَى حَرَّافًا، ثُمَّ سَارَ فَبَنَى دِمَشْقَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَابِلَ فَبَنَاهَا. وَقِيلَ بَنَاهَا جَيْرُونُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَادٍ، وَبِهِ سَمِيَتْ جَيْرُونُ. وَيُقَالُ إِنَّ جَيْرُونَ وَبَرِيدًا كَانَا أَخَوَيْنِ وَهُمَا ابْنَا سَعْدِ بْنِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ، وَبِهِمَا يَعْرِفُ بَابُ جَيْرُونَ وَبَابُ الْبَرِيدِ مِنْ أَبْوَابِهَا. وَقِيلَ بَنَاهَا الْعَازِرُ: غُلَامٌ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَكَانَ حَبَشِيًّا وَهَبَهُ لَهُ مُرُودُ بْنُ كَعْنَانَ حِينَ خَرَجَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ اسْمُهُ دِمَشْقَ فَسَمَاهَا بِاسْمِهِ.

وَفِي "كِتَابِ فُضَائِلِ الْفُرْسِ" لِأَبِي عُبَيْدٍ أَنَّ بِيورَاسِبَ مَلِكَ الْفُرْسِ بَنَاهَا. وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي بَنَاهَا ذُو الْقَرَيْنَيْنِ عِنْدَ فِرَاعِهِ مِنَ السَّدِّ وَوَكَّلَ بِبَاهَاتِهَا غُلَامًا لَهُ اسْمُهُ دِمَشْقُ وَسَكَنَهَا دِمَشْقُ وَمَاتَ فِيهَا فَسَمِيَتْ بِهِ. وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ الْبِنَاءِ ذَاتُ سُوَرٍ شَاهِقَةٍ وَهِيَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ: بَابُ كَيْسَانَ، وَبَابُ شَرْقِيٍّ، وَبَابُ تُوْمَا، وَبَابُ الصَّغِيرِ، وَبَابُ الْجَائِيَةِ، وَبَابُ الْفَرَادَيْسِ، وَبَابُ الْمَسْدُودِ.

وَرَوَى الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكَرٍ عَنِ أَبِي الْقَاسِمِ تَمَّامِ بْنِ مُحَمَّدٍ: أَنَّ بَانِيهَا جَعَلَ كُلَّ بَابٍ مِنْ هَذِهِ لِكَوْكِبٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، وَصَوَّرَ عَلَيْهِ صُورَتَهُ، فَجَعَلَ بَابَ كَيْسَانَ لِزُحَلٍّ، وَبَابَ شَرْقِيٍّ لِلشَّمْسِ، وَبَابَ تُوْمَا لِلزُّهْرَةِ، وَبَابَ الصَّغِيرِ لِلشُّتْرِ، وَبَابُ الْجَائِيَةِ لِلْمَرِيخِ، وَبَابُ الْفَرَادَيْسِ لِعُطَّارِدٍ، وَبَابُ الْمَسْدُودِ لِلْقَمَرِ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ التَّرْتِيبِ، جَلِيلَةٌ الْأَبْنِيَّةِ، ذَاتُ حَوَاجِزٍ بَنِيَتْ مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ، وَغُوطَتِهَا أَحَدُ مَسْتَنْزَهَاتِ الدُّنْيَا الْعَجِيبَةِ الْمَفْضَلَةِ عَلَى سَائِرِ مَسْتَنْزَهَاتِ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الرَّبُوبَةُ وَهِيَ كَهْفٌ فِي فَمِّ وَادِيهَا الْغَرْبِيِّ، عِنْدَهُ تَنْقَسِمُ مِيَاهُهَا، يُقَالُ إِنَّ بِهِ مَهْدَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ. وَبِهَا الْجَوَامِعُ وَالْمَدَارِسُ، وَالْحَوَاقِقُ وَالرُّبُطُ، وَالزُّوَايَا وَالْأَسْوَاقُ الْمُرْتَبَةُ

والديار الجميلة المذهبة السقف المفروشة بالرخام المتنوع، ذات البرك والماء الجاري .
 وربما جرى الماء في الدار الواحدة في أماكن منها والماء محكم عليها من جميع نواحيها
 باتقان محكم، وهي في وطأة مستوية من الأرض بارزة عن الوادي المنحط عن منتهى
 ذيل الجبل، مكشوفة الجوانب لتمر الهواء إلا من الشمال فإنه محجوب بجبل قاسيون،
 وبذلك تُعاب وتنسب إلى الوخامة . قال في "مسالك الأبصار" : ولولا جبلها
 الغربي الملبس بالثلوج صيفا وشتاء، لكان أمرها في ذلك أشد، وحال سكانها أشق؛
 ولكنه درياق ذلك السم، ودواء ذلك الداء . وهي مستديرة به من جميع نواحيه .
 قال في "مسالك الأبصار" : وغالب بناءها بالحجر ودورها أصغر مقادير من دور
 مصر لكنها أكثر زخرفة منها وإن كان الرخام بها أقل، وإنما هو أحسن أنواعا .
 قال : وعناية أهلها بالبناني كثيرة، ولهم في بسايتهم منها ما تفوق به وتحسن
 بأوضاعه؛ وإن كانت حلب أجل بناء لعنايتهم بالحجر، فدمشق أزین وأكثر رونقا
 لتحكم الماء على مدينتها وتسليطه على جميع نواحيها، ويستعمل في عماراتها خشب
 الحور - بالحاء والراء المهملتين - بدلا من خشب النخل إلا أنه لا يُقتنى بالبياض
 ويكتفى بحسن ظاهره . وأشرف دورها ما قرب، وأجل حاضرتها ما هو في جانيها :
 الغربي والشمالي .

فأما جانبها الغربي ففيه قلعتها، وهي قلعة حسنة مرجلة على الأرض، تحيط بها
 وبالمدينة جميعها أسوار عالية، يحيط بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة . وإذا دعت
 الحاجة إليه أطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيعمها، وتحت القلعة ساحة
 فسيحة بها سوق الخيل، على جانب وادي ينتهي فيه مما يلي القلعة إلى شرفين محيطين
 به في جهتي القبلة والشمال، في ذيل كل منهما ميدان مُمَرَّج بالزجيل الأخضر، والوادي
 يشق بينهما . وفي الميدان القبلي منهما القصر الأبلق - وهو قصر عظيم مبنى من أسفله

إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب، وإحكام عجيب، بناه الظاهر ببيرس
 البندقدارى في سلطته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة
 الجبل بمصر، وأمام هذا القصر دركاه يُدخَلُ منها إلى دهليز القصر، وهو دهليز
 فسحج يشتمل على قاعات ملوكية مفروشة بالرُخام الملون البديع الحُسن، مؤزر بالرُخام
 المفصل بالصدف والفضّ المُذهب إلى سُجف السقوف، وبالدار الكبرى به
 إيوانان متقابلان تُطلُ شبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر، وغربيهما على شاطئ
 وادٍ أخضر يجرى فيه نهر، وله رَفَارِفُ عالية تناغى السُحُبَ، تُشْرِفُ من جهاتها الأربع
 على جميع المدينة والغوطة .

والوادي كامل المنافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية والحمام وغير ذلك
 من سائر ما يحتاج إليه، وبالدار التي أمام القصر المتقدّم ذكرها جَسْرٌ معقود على
 جانب الوادي يُتوصَلُ منه إلى إيوان براني يُطلُّ منه على الميدان القبلي، أستجده
 أقوش الأفرم في نيابته في الأيام الناصرية ابن قلاوون، وتُجاها باب القصر باب
 يُتوصَلُ من رحبته إلى الميدان الشمالي، وعلى الشرفين المتقدّم ذكرهما أبنية جليلة
 من بيوت ومناظر ومساجد ومدارس ورُبطٍ وخَوَاقِقَ وزوايا وحمامات ممتدة على
 جانبيين ممتدين طول الوادي .

ولهذه القلعة نائبٌ بمفردها غير نائب دمشق يحفظها للسلطان ولا يمكنُ أحدا من
 طلوعها من النائب أو غيره . وإذا دخل السلطان دمشق نزل بها . وبها تُتحتُ ملك
 كغيرها من ديار الملك .

وأما جانبها الشمالي ويسمى العُقبية، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذات أبنية جليلة
 وعمائر ضخمة، يسكنها كثير من الأمراء والجنود، وبازاء المدينة في سفح جبل قاسيون
 (مدينة الصالحية): وهي مدينة ممتدة في سفح الجبل بازاء المدينة في طول مدى يُشرف

على دِمَشقَ وَحُوطِهَا، ذَاتُ بِيوتٍ وَمَدَارِسَ وَرِبَطٍ وَأَسْوَاقٍ وَبِيوتٍ جَلِيلَةٍ، وَبِأَعْلِيهَا
 مَعَ ذَيْلِ الْجَبَلِ مَقَابِرَ دِمَشقَ الْعَامَّةِ، وَلِكُلِّ مَن دِمَشقَ وَالصَّالِحِيَةِ الْبَسَاتِينِ الْإَيْتِقَةَ
 بَتَسْلُسُلٍ جَدَاوِلَهَا وَتَغْنَى دُوحَاتِهَا، وَبِمَتَايِلِ أَغْصَانِهَا وَتَعْرُدُ أَطْيَارُهَا، وَفِي بَسَاتِينِ التُّرْهَةِ
 بِهَا الْعَائِرُ الضَّخْمَةُ، وَالْجَوَاسِقُ الْعَلِيَّةُ، وَالْبِرْكُ الْعَمِيقَةُ، وَالْبَحِيرَاتُ الْمُنْتَدَّةُ، تُتَقَابِلُ
 بِهَا الْأَوَاوِينُ وَالْمَجَالِسُ، وَتُحْفُ بِهَا الْغِرَاسُ وَالنَّصُوبُ الْمُطْرَزَةُ بِالسَّرْوِ الْمُذَنَّبِ،
 وَالْحُورُ الْمَشُوقُ الْقَدُّ وَالرِّيَاحِينُ الْمَتَارِجَةُ الطَّيْبُ، وَالْفَوَاكِهُ الْجَنِيَّةُ، وَالثَّمَرَاتُ
 الشَّهِيَّةُ، وَالْأَشْيَاءُ الْبَدِيعَةُ، الَّتِي تُغْنَى شَهْرَتِهَا عَنِ الْوَصْفِ، وَيَقُومُ الْإِيْجَازُ فِيهَا
 مَقَامَ الْإِطْنَابِ .

وَمَسْقِي دِمَشقَ وَبَسَاتِينِهَا مِنْ نَهْرٍ يُسَمَّى بَرْدَى - بَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالرَّاءِ وَالذَّالِ
 الْمَهْمَلَتَيْنِ وَبِآخِرِهِ أَلْفٌ . أَصْلُ مَخْرَجِهِ مِنْ عَيْنَيْنِ: الْبَعِيدَةُ مِنْهُمَا دُونَ قَرْيَةِ تَسْمَى
 الزَّبْدَانِيَّ، وَدُونِهَا عَيْنٌ بَقْرِيَّةٌ تَسْمَى الْفَيْجَةَ، بِذَيْلِ جَبَلٍ يُخْرِجُ الْمَاءَ مِنْ صَدْعٍ
 فِي نَهَايَةِ سَفْلِهِ قَدْ عَقَدَ عَلَى مَخْرَجِ الْمَاءِ مِنْهُ عَقْدٌ رُومِيٌّ الْبِنَاءِ، ثُمَّ تَرَفِدُهُ مَنَابِعُ فِي مَجْرَى
 النَّهْرِ، ثُمَّ يَقْسَمُ النَّهْرُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْهَارٍ: أَرْبَعَةٌ غَرْبِيَّةٌ: وَهِيَ نَهْرُ دَارِيَاءَ، وَنَهْرُ الْمِزَّةِ، وَنَهْرُ
 الْقَنْوَاتِ، وَنَهْرُ بَانَأَسَ . وَأَثْنَانُ شَرْقِيَّةٌ وَهُمَا نَهْرُ يَزِيدَ، وَنَهْرُ ثُورَا، وَنَهْرُ بَرْدَى مَمْتَدَّ بَيْنَهُمَا .
 فَأَمَّا نَهْرُ بَانَأَسَ وَنَهْرُ الْقَنْوَاتِ، فَهُمَا نَهْرَا الْمَدِينَةِ حَاكِمَانِ عَلَيْهَا وَمُسَلِّطَانِ عَلَى
 دِيَارِهَا، يَدْخُلُ نَهْرُ بَانَأَسَ الْقَلْعَةَ، ثُمَّ يَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ: قَسْمٌ لِلْجَامِعِ وَقَسْمٌ لِلْقَلْعَةِ، ثُمَّ يَنْقَسِمُ
 كُلُّ قَسْمٍ مِنْهُمَا عَلَى أَقْسَامٍ كَثِيرَةٍ وَيَتَفَرَّقُ فِي الْمَدِينَةِ بِأَصَابِعٍ مَقْدَرَةٌ مَعْلُومَةٌ، وَكَذَلِكَ
 يَنْقَسِمُ نَهْرُ الْقَنْوَاتِ فِي الْمَدِينَةِ، وَلَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْقَلْعَةِ وَلَا الْجَامِعِ، وَيَجْرِي فِي قُبِيٍّ
 مَدْفُونَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى مَسْتَحَقَاتِهَا بِالْدُورِ وَالْأَمَاكِنِ عَلَى حَسَبِ

التقسيم، ثم تنصب فضلات الماء والبرك ومجاري الميضات إلى قُني معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع وتتهدر وتخرج إلى ظاهر المدينة لسقي البساتين .

وأما نهر يزيد، فإنه يجري في ذيل الصالحية المتقدم ذكرها ويشق في بعض عمارتها .
وأما بقية الأنهار، فإنها لتصرف إلى البساتين والغيطان لسقيها، وعليها القصور والبنان خصوصا ثورا فإنه نيل دمشق، عليه جل مبانيها وبه أكثر تنزهات أهلها، من يخاله يراه زمردة خضراء، لا تفتاف الأشجار عليه من الجانيين .

وبها (جامع بني أمية) وهو جامع عظيم، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ثمان وثمانين من الهجرة، وأنفق فيه أموالا جمّة حتى يقال إنه أنفق فيه أربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وإنه آجتماع في ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم . قال في "الروض المعطار" : ودّعه في الطول من المشرق إلى المغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع، وعرضه من القبلة إلى الشمال مائة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع، وتد زحرف بأنواع الزحرفة من الفصوص المذهبة والمرمر المصقول، وتحت نسره عمودان مجزعان بالحجرة لم ير مثلهما، يقال إن الوليد اشتراها بألف وخمسمائة دينار، وفي المحراب صغيران يقال إنهما كانا في عرش بلقيس، وعند منارته الشرقية حجر يقال إنه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

وقد ورد أن المسيح عليه السلام ينزل على المنارة الشرقية منه، ويقال إن القبة التي فيها المحراب لم تزل معبدا لأبتداء عمارتها وإلى آخر وقت . بناها الصابئة متعبدا لهم، ثم صارت إلى اليونانيين فكانوا يعظمون فيها دينهم، ثم أنتقل إلى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام، ونصب رأسه على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته، ثم صار إلى النصارى فجعلتها كنيسة، ثم أفتح المسلمون دمشق فاتخذوه

جامعها، وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا إلى أن جدده الوليد، ويقال إن رأس يحيى عليه السلام، مدفون به، وبه مصحف عثمان الذي وجه به إلى الشام .

قال في "الروض المعطار" : ويقال إن أول من وضع جداره الأول هود عليه السلام . وقد ورد في أثر أنه يُعبد الله تعالى فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها وما يدخل تحت حكم الولايات)

وقد ذكر في "التعريف" أن ولايتها من لُدُن العريش : حدّ مصر إلى آخر سَلَمِيَّة مما هو شرق بشمال وإلى الرَّحْبَة مما هو شرق بجنوب . قال : وقد أضيف إليها في زمن سلطاننا بلاد جَعْبَرٍ ، وكان من حتمها أن تكون مع حَلَب . وحينئذ فتكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المتقدم ذكره وما يليه وما يلي ما يليه، وبعض الشام الأدنى ، وليس يخرج عنه من ذلك إلا حماة وما خرج مع صَفَدَ وطَرَابَلَسَ والكَرْكِ . قال : ويكون في نيابة بائنها نيابة غَزَّة ونيابة حِمص وبعض شيء مما يقتضى الحق أن يكون مع حلب .
وتشتمل على برّ وأربع صفقات .

فأما البرّ فالمراد به ضواحيها . قال في "التعريف" : وحدّها من القبلة قرية الحِيَارَة المجاورة للكُسُوة وما هو على سمتها طولاً ، ومن الشرق الجبال الطّوال إلى التّبك وما على سمتها من القرى أخذاً على عَسَان^(١) وما حولها من القرى إلى الزّبداني ، ومن الغرب ما هو من الزّبداني إلى قرى القران المسامطة للحيارَة المقدم ذكرها . قال : ويدخل في ذلك مرج دِمَشق و غُوطتها .

(١) في الأصل والضوء باللام [والصحيح عن ياقوت] .

وأما صَفَقَاتُهَا، فأربع صَفَقَات .

الصفقة الأولى

(الساحلية والجبليّة)

وهي الصَّفَقَةُ الغَربِيَّةُ عن دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي عبارة عن بلاد غَزَّةَ وما جاورها سهلاً ووعراً .

قال في "التعريف" : وهذه الصفقة هي الشام الأعلى، ينتقص منه ما هو من نهر الأردن إلى حدِّ قاقون . ثم هذه الصفقة لها جهتان .

الجهة الأولى

(الساحلية؛ وهي التي بساحل بحر الروم المتقدم ذكره،

وتشتمل على أربعة أعمال)

الأول - (عمل غَزَّةَ) - بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة أيضاً وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جُندِ فِلِسْطِينَ، في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وعشر دقائق، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وهي على طرف الرمل بين مضر والشام؛ أخذةً بين البر والبحر بجانبها؛ مبنيةً على تَسْرَعَالٍ على نحو ميل من البحر الرومي، متوسطة في العظم، ذات جوامع، ومدارس، وزوايا، وبيمارستان، وأسواق؛ صحيحةُ الهواء؛ وشرب أهلها من الآبار؛ وبها أمكنة يجتمع بها المطر إلا أنه يُسْتَقَلُّ في الشرب فيعدل منه إلى الآبار لِحَفَّةِ مائها؛ وبساحلها البساتين الكثيرة . وأجلُّ فاكهتها العنبُ والتينُ؛ وبها بعض النخيل، وبرّها ممتد إلى تيه بنى إسرائيل من قبلها، وهو موضع زرع

وماشية إلا أن أهل برها عُشْرَانُ^(١) بعضهم أعداء بعض . ولولا خوف سطوة السلطنة لما أُعْمِدَ سَيْفُ الفتنه بينهم ولا جتاحوا المدينة ومن فيها .

قلت : والحال فيها مختلف : فأكثر الأحيان هي تقدمه عسكر مضافة إلى دِمَشْقَ ، ياتمر مقدم العسكر فيها بأمر نائب السلطنة القائم بِدِمَشْقَ ، ولا يُمضى أمر دون مراجعته وإن كانت ولايته من الأبواب السلطانية ، وتارة تكون نيابةً مستقلةً وتضاف إليها الصفقة الساحلية بكاملها فيكون لها حكم النيابات .

الثاني - (عمل الرملة) . بفتح الراء المهملة وسكون الميم وفتح اللام وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جند الأردن ، موقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وست وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

وهي مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة أبيه عبد الملك . قال في "الروض المعطار" : وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها . وقال في "مسالك الأبصار" : سميت بأمرأة أسماها رملة ، وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيت شعر حين نزل مكانها يرتاد ببناءها ، فأكرمه وأحسن نزله ، فسألها عن اسمها فقالت رملة ، فبنى البلد وسمها باسمها . قال في "العزى" : وهي قصبه فلسطين ، وهي في سهل من الأرض ، وبينها وبين القدس مسيرة يوم . قال في "الروض المعطار" : وبينها وبين نابلس يوم ، وبينها وبين قيسارية مرحلة ، وكان عبد الملك قد أجرى إليها قناة

(١) كذا في الأصل مضبوطا .

ضعيفة للشرب منها، وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجتمع فيها ماء المطر، وهي مقرة الكاشف بتلك الناحية .

ومينأها مدينة يافأ - بفتح المثناة من تحت وألف وفاء ثم ألف في الآخر - وهي مدينة صغيرة بالساحل، وهي في الغرب عن الرملة وبينهما ستة أميال .

الثالث - (عمل لُد) - بضم اللام وتشديد الدال المهملة - وهي بلدة من جُندِ فِلَسْطِينَ واقعة في الإقليم الثالث شرقاً بشمال عن الرملة، وبينهما ثلاثة فراسخ، ولم يتحررلى طولها وعرضها، غير أنها نحو الرملة في ذلك: لقربها منها أو أطول وأعرض بقليل . وهي مدينة قديمة كانت هي قصبه فِلَسْطِينَ في الزمن الأول إلى أن بنيت الرملة فتحول الناس إليها وتركوا لُدًا، وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببابها .

الرابع - (عمل قَاقُونَ) - بفتح القاف وبعدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة - وهي مدينة لطيفة غير مسورة، بها جامع وحمام وقلعة لطيفة، وشربها من ماء الآبار، ولم يتحررلى طولها وعرضها، إلا أن بينها وبين لُد مسيرة يوم فلتعتبر بها بالتقريب .

الجهة الثانية

(الجبلية، وبها ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل القُدس) . والقُدس بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المقدس - بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة - وهو المسجد الأقصى، وأصل التقديس التطهير، والمراد المطهر من الأدناس . وهي مدينة من جُندِ فِلَسْطِينَ واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال": طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ثلاثون درجة .

وهي مبنية على جبل مستدير، وعرة المسلك؛ وبنائها بالمجر والكليس؛ وغالب حجرها أسود؛ وشرب أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الأقصى وعين تجرى إليها عن بعد، وكذلك عين سلوان وليس مأواها بالكثير، وكان بها آثار قلعة قديمة خربت بفتحها الناصر "محمد بن قلاوون" في سنة ست عشرة وسبعائة، وليس بها حصانة، وكانت المدينة كلها قد غلب عليها الخراب من حين آستيلاء الفرنج عليها، ثم تراجع أمرها للعمارة، وصارت في نهاية الحسن؛ بها المدارس والرطط والحمامات والأسواق وغيرها. والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وهو القبلة الأولى.

قال في "الروض المعطار": وأول من بنى بيت المقدس وأرى موضعه يعقوب عليه السلام، وقيل داود. والذي ذكره في "تقويم البلدان" أن الذي بناه سليمان ابن داود عليهما السلام وبقى حتى خربه مجتصر، فبناه بعض ملوك الفرس وبقى حتى خربه طيطوس ملك الروم، ثم بقی ورمم؛ وبقى حتى تنصر قسطنطين ملك الروم وأمه هيلانة وبنّت أمه قمامة على القبر الذي يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام دفن فيه، وخرّبت البناء الذي كان على الصخرة وجعلتها مطرحة لقمامات البلد عنادا لليهود؛ وبقى الأمر على ذلك حتى فتح أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس فدل على الصخرة فنظف مكانها وبنى عليها مسجدا، وبقى حتى ولي الوليد ابن عبد الملك الخليفة فبناه على ما هو عليه الآن. على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ما هو داخل السور، وعلى القرب من المسجد الصخرة التي ربط النبي صلى الله عليه وسلم بها البراق ليلة الإسراء، وهي حجر مرتفع مثل الدكة أرتفاعها من الأرض نحو قامة، وتحتها بيت طوله بسطة في مثلها، ينزل إليها بسلم وعليها قبة دالية، بناها الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد الأقصى.

قال المهلبى في كتابه "العزى" : ولما بناها الوليد بنى هناك عِدَّة قِباب وسمي كل واحدة منها بأسم : وهى قبة المعراج ، وقبة الميزان ، وقبة السلسلة ، وقبة المحشر . قال فى "مسالك الأبصار" : وإلى الصخرة المتقدمة الذكر قبلة اليهود الآن ، وإليها حجهم . وبه القمامة التى تحجها النصارى من أقطار الأرض ، وبيت لحم الذى هو من أجل أما كن الزيارة عندهم ، وكان به كنيسة للروم يقال إن بها قبر حنة أُم مريم بنت عمران عليها السلام ثم صارت فى الإسلام دار علم . فلما ملك الفرنج القدس فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة ، فلما فتح السلطان صلاح الدين القدس بنى بها مدرسة . وكان أسمها فى الزمن الأول إيليا . والأرض المقدسة مشتملة على بيت المقدس وما حوله ، إلى نهر الأردن المسمى بالشرية ، إلى مدينة الرملة طولاً ، ومن البحر الشامى إلى مدائن لوط عليه السلام ، وغالبها جبال وأودية إلا ما هو فى جنباتها .

الثانى - (عمل بلد الخليل عليه السلام) . وأسمها بيت حبرون بإضافة بيت واحد البيوت إلى حبرون (بجاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة وراء مهملة مضمومة بعدها واو ساكنة ونون) كذا ضبطه فى "تقويم البلدان" : وفى كلام صاحب "الروض المعطار" : ما يدل على إبدال الحاء بجم والباء الموحدة بمثناة تحت ، فإنه ذكرها فى حرف الجيم فى سياقة الكلام على تسمية دمشق جبرون . وهى بلدة من جند فلسطين فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، طولها فى بعض الأزياج ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وبها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ونسائهم ، وهى إحدى القرى التى أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم ! تميم الدارى كما سيأتى ذكره فى الكلام على المناشير إن شاء الله تعالى .

(١) لم يذكر عرضها كما هى عادته .

الثالث - (عمل نَابِلَس) - بفتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة في آخرها - مدينة من جُنْدِ الأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" :
 طُولُهَا سَبْعٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً ، وَعَرْضُهَا ثَلَاثُونَ دَرَجَةً . وَقَالَ
 فِي "تَقْوِيمِ البُلْدَانِ" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وأربع وعشرون
 دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة يُحتاج
 إليها ولا تحتاج إلى غيرها . قال ابن حوقل : وليس بفلَسْطِينِ بِلْدَةً فِيهَا مَاءٌ جَارٍ
 سِوَاهَا ، وَبَاقِي ذَلِكَ شَرِبَ أَهْلُهُ مِنَ المَطَرِ وَزَرَعَهُمْ عَلَيْهِ ، وَبِهَا البُئْرُ الَّتِي حَفَرَهَا
 يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ مَدِينَةُ السَّامِرَةِ ، وَكَانَتِ السَّامِرَةُ فِي الزَّمَنِ المَتَقَدِّمِ لَا تَوْجَدُ
 إِلَّا بِهَا ؛ وَبِهَا الجَبَلُ الَّذِي يَجِيحُ إِلَيْهِ السَّامِرَةُ ، وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَى المَوْجِبِ لِتَعْظِيمِهِ
 عِنْدَهُمْ عِنْدَ الكَلَامِ عَلَى تَحْلِيفِهِمْ فِي بَابِ الأَيْمَانِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصفقة الثانية

(القبليّة)

سميت بذلك لأنها قبليّ دِمَشْقَ . قال في "مسالك الأبصار" : وتشتمل على
 بلاد حَوْرَانَ والغَوْرِ وما مع ذلك . قال في "التعريف" : وحدّها من القبلة جبال
 الغَوْرِ القبليّة المجاورة لمرج بنى عامر ، ومن الشرق البريّة ؛ ومن الشمال حدود ولاية
 بَرِّ دِمَشْقَ القِبْلِيّ ؛ ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشَّقِيفِ . قال : والأغوار كلّها
 داخلة في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك .

وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال .

الأول - (عمل بَيْسَانَ) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح
 السين المهملة وألف ونون - مدينة من جُنْدِ الأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال

في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسبع وعشرون دقيقة . وهي مدينة صغيرة بلا سور، ذات بساتين وأشجار وأنهار وأعين، كثيرة الحُصْبِ واسعة الرزق، ولها عين تشقُّ المدينة، وهي على الجانب الغربي من الغور .

قال في "التعريف" : وهي مدينة الغور، وبها مقر الولاية . قال في "مسالك الأبصار" : ولها قلعة من بناء الفرج . قال في "الروض المعطار" : ويقال إن طالوت قتل جالوت هناك .

الثاني - (عمل بانياس) - بياء موحدة وألف ونون وياء مثناة تحت وألف ثمسين مهمله - مدينة من جنود دمشق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" : طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . قال : وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب . قال في "العزيرى" : وهي في لُحْف جبل الثلج ، وهو مطلُّ عليها والثلج على رأسه كالعمامة لا يعدم منه شتاءً ولا صيفاً . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة الجولان، وبها قلعة الصبيبة (بضم الصاد المهمله وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر) . قال في "التعريف" : وهي من أجل القلاع وأمنعها .

الثالث - (عمل الشعرا) - بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهمله وفتح الراء المهمله وبعدها ألف - وهي عن بانياس المتقدمة الذكر شرق بجنوب، وطوله ما بين بانياس إلى جبل الثلج . قال في "التعريف" : والولاية بها تكون تارة بقرية حان (بالحاء المهمله) وتارة بقرية القنيطرة تصغير قنطرة، ولم يتجزرلى طولها، وعرضهما فلتعتبرا بما قاربهما من الأعمال .

الرابع - (عمل نوى) - بفتح النون والواو وألف في الآخر - وهي بلدة صغيرة، عن دِمَشْقَ في جهة الغرب إلى الجنوب على نحو مرحلة ، وهي مدينة قديمة من أعمال دِمَشْقَ ، بها قبر أيوبَ النبي عليه السلام ، وإليها ينسب الشيخ محيي الدين النووي الشافعي رحمه الله ، ولم يتحزّر لى طولها وعرضها فلنعتبر بما قاربها أيضا ، وهي عن يمين الشّعراً المتقدم ذكرها شرق بجنوب أيضا .

الخامس - (عمل أذرعَاتَ) - بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء ^(١) والعين المهملتين وألف ثم تاء مشناة من فوق في الآخر - قال في "الروض المعطار": ويجوز فيها الصرف وعدمه . قال : والتاء في الحالين مكسورة . وقال الخليل بن أحمد : من كَسَرَ الألفَ لم يصرف ؛ وهذا صريح في حكاية كسر الألف في أولها . ويقال لها يذَرَعَاتُ بياء مشناة تحت بدل الألف - وهي مدينة من أعمال دِمَشْقَ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة - وهي مدينة البثينة ، وبينها وبين الصنمين ثمانية عشر ميلا . قال في "التعريف" : وبها ولاية الحاكم على مجموع الصفة ، وقد كان قديما بغيرها .

السادس - (عمل مجلُون) - بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون في آخره - قلعة من جُند الأردن في الإقليم الثالث ، طولها ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق . مبنية على جبل يعرف بجبل عوف المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة تُشْرِف على الغور . وهي محدثة البناء بناها عز الدين أسامة بن منقذ : أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب في سنة ثمانين وخمسمائة . قال في "مسالك الأبصار" : وكان مكانها [دير به]

(١) كذا في التقويم أيضا وفي المعجم [وكسر الراء] وفي القاموس [بكسر الراء وفتح] .

راهب اسمه عَجْلُونُ فسميت به . قال في "التعريف" : وهو حصن جليل على صِغَرِهِ ، وله حَصَانَةٌ وَمَنَعَةٌ مَنِيعة . ومدينة هذه القلعة البَاعُونَةُ (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين . ضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفي آخرها هاء) وهي على شوط فرس من عَجْلُونٍ . قال في "المسالك" : وكان مكانها دَيْرًا أيضًا به راهب اسمه بَاعُونَةٌ فسميت المدينة به ، وهما شرقي بَيْسَانَ المتقدم ذكرها

السابع - (عمل البلقاء) . قال في "الروض المعطار" : سميت بالبلقاء بن سورية من بني عَمَّان بن لوط ، وهو الذي بناها . قال في "تقويم البلدان" : وهي إحدى كَوَرِ الشَّرَاةِ ، وهي عن أَرِيحَا في جهة الشرق على مرحلة ، ومدينة هذا العمل حُسْبَانُ (بضم الحاء وإسكان السين المهملين وفتح الباء وبعدها ألف ونون) وهي بلدة صغيرة ولها واد وأشجارٌ وأرحيةٌ وبساتين وزروع .

قال في "مسالك الأبصار" : ومن هذا العمل (الصَّلْتُ) - وهي بألف ولام لازمين في أوله وفتح الصاد المهملة المشددة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة - بلدة لطيفة من جُندِ الأَرْدُنِّ في جبل الغَوْرِ الشرقي في جنوب عَجْلُونٍ على مرحلة منها ، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وتحت القلعة عينٌ واسعةٌ يجري مائها حتى يدخل البلد ، وهي بلدة عامرة أهلة ذات بساتين وفواكه . قلت : وكلامه في "التعريف" قد يخالف كلامه في "مسالك الأبصار" في جعل الصَّلْتُ من عمل حُسْبَانَ ، فإنه قال : وأولها من جهة القبلة البلقاء ومدينتها حُسْبَانُ ، ثم الصَّلْتُ ، ثم عَجْلُونُ ؛ وعَجْلُونُ عمل مستقل كما تقدم ، ومقتضاه أن يكون الصَّلْتُ أيضا عملا مستقلا . وكذا رأيت في "التذكرة الآمدية" نقلا عن شهاب الدين ابن الفارقي أحد كتّاب الإنشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ؛ وأخبرني بعض

(١) في الأصل "عيد" والتصحيح والضبط عن ياقوت في معجم البلدان .

كُتِبَ الإنشاء أن المستقر الصلت فقط والبقاء مضافة إليها، وعليه يدل كلام القاضي تقي الدين بن ناظر الجليش في "التتقيف" فإنه قال: "ومن كُتِبَ إليه من الولاة بالمالك الشامية في قديم الزمان - ولعله في الأيام الشهيدة - وإلى الصلت والبقاء فيما نقل عن خط المرحوم نصر الدين بن النشائي كاتب الدست الشريف .

الثامن - (عمل صرحد) - بفتح الصاد وإسكان الراء المهملتين وفتح الحاء المعجمة ودال مهملة في آخره - بلدة صغيرة ذات يساتين وكروم وليس بها ماء سوى ما يجتمع من ماء المطر في الصهاريج والبرك . قال ابن سعيد : وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق إلا البرية^١، ومنها تسلك طريق تعرف بالرصيف إلى العراق يصل المسافرون منها إلى بغداد في نحو عشرة أيام . قال في "التعريف" : وبها قلعة وكان بها ملك من المسالك المعظمية . قال في "مسالك الأبصار" : وهي محدثة البناء بُدِئَتْ قبل نور الدين الشهيد بقليل ، ولما وصلت عساكر هولاكو ملك التتار إلى الشام هدموا شرفاتها وبعض جذرانها فجدها الظاهر ببيرس ، وهي على ذلك إلى الآن .

التاسع - (عمل بصرى) - بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وألف في الآخر - هكذا هو مقيد بالشكل في كتب اللغة والحديث والمسالك والممالك وجارٍ على الألسنة، ووقع في "تقويم البلدان" ضبطه بفتح أوله فلا أدري أهو سبق قلم أو غلط من النسخة أو أخذه من كلام غيره، وهي مدينة بحوران من أعمال دمشق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" و"القانون" : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة .

(١) الذي في "تقويم البلدان" طبع باريس سنة ١٨٤٠ م ضبطه بضم الباء الموحدة كما هو المشهور ، فعمل نسخة التقويم كانت كذلك فأصلحها المصحح ولم ينبه .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة حوران السفلى ، بل حوران كلها ، بل الصفقة جميعها ، وكلامه في "التعريف" يوافقه ، وهي مدينة أزليّة مبنية بالحجارة السود ، ولها قلعة ذات بناء متين شبيه ببناء قلعة دمشق . قال في "التعريف" : وكانت دار ملك لبني أيوب ، وقد ثبت في الصحيح من حديث الخندق أنه (صلى الله عليه وسلم) . قال "ثم ضربت الضربة الثالثة فلاحت لي منها قُصور بُصرى كأنها أنياب الكلاب" وهي التي وجد النبي صلى الله عليه وسلم بها بحيرا الراهب وآمن به حين قدم تاجرا لخديجة بنت خويلد قبل البعثة ، وقبر بحيرا هناك مشهور يزار ، وقد تقدم الكلام عليها فأغنى عن إعادته هنا .

العاشر - (عمل زرع) - بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة وعين مهملة في الآخر - وهي بلدة من بلاد حوران لها عمل مستقل ، ولم يتحرر لي طولها وعرضها . قال في "التعريف" : وقد يتصل عمل بُصرى بأذرعات لوقوع زرع متشاملة .

الصفقة الثالثة

(الشمالية)

سميت بذلك لأنها عن شمال دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي ساحلية وجبلية . قال في "التعريف" : وحدّتها من القبلة حدّ ولاية دمشق الشماليّ وبعض الغربيّ ، وحدّتها من الشرق قرية جوسية التي بين القرية المعروفة بالقصب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالفيجة من عمل بعلبك ، وحدّتها من الشمال مرج الأسل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمدّ العاصي بطراً بلس ، وكل ما تشامل عن جبل لبنان إلى البحر ، وحدّتها من المغرب ما هو على سمت البحر منحدرًا عن صور إلى حدّ ولاية بردمشق القبليّ والغربيّ .

وتشتمل هذه الصنفقة على خمسة أعمال .

الأول - (عمل بَعْلَبَكَّ) - بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف - هكذا ضبطه في "تقويم البلدان" والجارى على ألسنة الناس فتح العين وإسكان اللام . قال في "الروض المعطار" : وكان لأهلها صنم يدعى بَعَلًا ، فالبعل أسم للصنم ، وبكّ أسم الموضع فسميت بعلبك لذلك . قال : وإليهم بعث النبي إلياس عليه السلام ، وكأنه يشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في سورة الصافات بقوله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعَلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ وكان فتحها في سنة أربع عشرة من الهجرة ، وهى مدينة من أعمال دِمَشْق واقعة في الإقليم الرابع طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى مدينة شمالي دِمَشْق ، جليلة البناء ، نبيهة الشان ، قديمة البنيان ، يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في "مسالك الأبصار" : وهى مختصرة من دِمَشْق في كمال محاسنها وحسن بنائها وترتيبها ، بها المساجد والمدارس والرُّبُط والخوانق والزوايا والبيمارستان والأسواق الحسنة ، والماء جار في ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق من الماعون وغيره ويحمل منها إلى غالب البلدان مع كونها واسعة الرزق رخيصة السَّعر ، وكانت دار مُلْك قديم ، ومن عَشْها درج "نجم الدين أيوب" والد المملوك الأيوبية رحمه الله ، وبها قلعةٌ حصينةٌ جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه ، وهى مرجلة على وجه الأرض كقلعة دِمَشْق . قال في "التعريف" : بل إنما بنيت قلعة دِمَشْق على مثالها ، وهيات لا تعد من أمثالها ! وأين قلعة دِمَشْق منها وحجارتها تلك الجبال الثوابت ، وعمدها تلك الصخور الثوابت .

قَدْ يَبْعَدُ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ يَشَابِهُهُ * إِنَّ السَّمَاءَ نَظِيرُ الْمَاءِ فِي الزَّرْقِ

وبهذه القلعة من عمارة من نزل بها من الملوك الأيوبية آثارٌ ملوكية جليلة ، ويستدير بالمدينة والقلعة جميعاً سورٌ عظيم البناء منبني بالحجارة العظيمة المقدار الشديدة الصلابة ، ويحف بذلك غُوطَةٌ عظيمة أنيقة ذات بساتين مشبكة الأشجار بها الثمار الفاتحة ، والفواكه المختلفة . وبظاهرها عين ماء متسعة الدائر مائوها في غاية الصفاء بين مروج وبساتين ، يمتد منها نهر يتكسر على الحصباء في خلال تلك المروج إلى أن يدخل المدينة ، وينقسم في بيوتها وجهاتها . وعلى البعد منها عينٌ أخرى تُعرف بعين اللوح (?) في طرف بساتينها ، منها فرع إلى الجانب الشمالي من المدينة ، ويصب في قناة هناك ويدخل منه إلى القلعة ، وبخارجها جبل لبنان المعروف بعش الأولياء .

الثاني - (عمل البقاع البعلبكي) - بوصف البقاع - بكسر الباء الموحدة وفتح القاف وبعدها ألف ثم عين مهملة - بالبعلبكي ، نسبة إلى بعلبك لقربه منها . قال في "التعريف" : وليس له مقر ولاية .

الثالث - (عمل البقاع العزيزي) - بوصف البقاع بالعزيزي نسبة إلى العزيز عكس الذليل ، وكأنه نسبة إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . قال في "التعريف" : ومقر الولاية به كركُ نوح عليه السلام . قال : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بعلبك ، وهما مجموعتان لوالٍ جليل مفرد بذاته .

الرابع - (عمل بيروت) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وواو وتاء مثناة من فوق في آخرها - وهي مدينة من الإقليم الثالث بساحل دمشق . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة ونخس وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهي مدينة جليسة على ضفة البحر الرومي ، عليها سوران من حجارة ، وفيه كان ينزل الأوزاعي الفقيه

المشهور، وبها جبل فيه معدن حديد، ولها غيضة من أشجار الصنوبر سعتها اثنا عشر ميلاً في التكسير، تتصل إلى تحت لبنان المقدم ذكره . قال في "تقويم البلدان" :
 وشرب أهلها من قناة تجرى إليها . وقال في "مسالك الأبصار" : شرب أهلها من الآبار . قال ابن سعيد : وهي فُرْضة دِمَشَقَ ولها مينا جليلة ، وفي شمالها على الساحل مدينة جُبَيْلٍ تصغير جبل . قال في "الروض المعطار" : بينهما ثمانية عشر ميلاً . قال في "العزيزي" : وبينها وبين بَعْلَبَكَّ على عَقَبَةِ الْمُغَيْثَةِ ستة وثلاثون ميلاً .

الخامس - (عمل صيداً) - بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة في الآخر - وهي مدينة بساحل البحر الرومي ، واقعة في الإقليم الثالث ، ذات حِصْنِ حِصِين . قال ابن القَطَّامِي سميت بصَيْدُون بن صدقا بن كَنْعَانَ ابن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أول من عمَّرها وسكنها . وقال في "الروض المعطار" : سميت بأمرأة . وشرب أهلها من ماء يجرى إليهم من قناة . قال في "العزيزي" : وبينها وبين دِمَشَقَ ستة وثلاثون ميلاً . قال في "مسالك الأبصار" : وكورثتها كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار . قال في "الروض المعطار" : وبها سمك صغار له أَيْدٍ وأرجل صغار إذا جُفِّفَ وسُحِّقَ وشرب بالماء ، أنعظ إنعاظاً شديداً . قال في "المسالك" : وهي ولاية جليلة واسعة العمل ممتدة القرى ، تستعمل على نيف وستمائة ضيعة .

الصفحة الرابعة

(الشرقية؛ وهي على ضريين)

الضرب الأول

(ما هو داخل في حدود الشام، وهو غربى الفرات)

قال في "التعريف": وحدها من القبلة قرية القصب المجاورة لقرية جوسية المقدم ذكرها، أخذاً على النّبك إلى القرّيتين؛ وحدها من الشرق السماوة إلى الفرات وينتهي إلى مدينة سامية إلى الرستن؛ وحدها من الغرب نهر الأرنط وهو العاصي، وتشتمل على خمسة أعمال أيضاً.

الأول - (عمل حصّ) - بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وصادمهملة في الآخر. قال في "الروض المعطار": ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هند لأن هذا اسم أعجمي. قال: وسميت برجل من العاليق اسمه حصّ هو أول من بناها. قال الزجاجي: هو حص بن المهربن حاف بن مكنف، وقيل برجل من عاملة هو أول من نزلها، وأسمها القديم سورياً (بسین مهمله مضمومة وواو ساكنة وراء مهمله مكسورة وياء مشناة تحت مفتوحة وألف في الآخر). وبه كانت تسميها الروم، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها إحدى وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي مدينة جليّة، وقاعدة من قواعد الشام العظام. قال في "التعريف": وكانت دار ملك للبيت الأسديّ يعني أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب. قال: ولم يزل لملكها في الدولة الأيوبية سطوة تخاف وبأس يخشى، وهي في وطأة من الأرض ممتدة على القرب من النهر العاصي، ومنه شرب أهلها، ولها منه

(١) كذا في الضوء أيضاً وفي "معجم البلدان" ابن جان.

ماء مرفوعٌ يجري إلى دار النيابة بها وبعض مواضع بها . قال في "مسالك الأبصار" :
 وبها القلعة المصفحة وليست بالمنيعة ، ويحيط بها وبالبلد سورٌ حصين هو أمنع
 من القلعة . قال في "العزى" : " وهى من أصح بلاد الشام هواءً ، وبسطها
 بحيرة صافية الماء ، ينقل السمك إليها من الفرات حتى يتولد فيها ، والطير مبنوث
 فى نواحيها . قال ابن حوقل : وليس بها عقارب ولا حيات . وقد تقدم فى الكلام
 على خواص الشام وعجائبها أن بها قبةً بالقرب من جامعها إذا ألصق بها طين من طينها
 وترك حتى يسقط بنفسه ووضع فى بيت أو ثياب لم يقربها عقربٌ . وإن دُر منه على
 العقرب شئ أخذته مثل السكر مما قتله ، ولها من بربعلك أنواع الفواكه وغيرها ؛
 وهما شها يقارب قماش الإسكندرية فى الجودة والحسن ، وإن لم يبلغ شأوه فى ذلك .
 قال فى "الروض المعطار" : ويقال إن بقراط الحكيم منها . وإن أهلها أول من آبتدع
 الحساب ؛ وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ومقامه مشهور بها يزار .

الثانى - (عمل مصيف) بكسر الميم وسكون الصاد - وهى بلدة جليلة ، ولها
 قلعة حصينة فى لحف جبل اللكام الشرقى عن حماة وطرابلس ، فى جهة الشمال عن
 بارين على مسافة فرسخ ، وفى جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم ، وبها أنهر صغار
 من أعين ، وبها البساتين والأشجار . وهى قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها فى أعمال
 طرابلس ودار ملكها ، وكانت أولاً مضافةً إلى طرابلس ثم أفردت عنها وأضيفت
 إلى دمشق .

الثالث - (عمل قارا) - بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهمله وألف ثانية .
 هكذا هو مكتوب فى "التعريف" وغيره وهو الحارى على الألسنة . ورأيتها
 مكتوبة فى "تقويم البلدان" بهاء فى الأثر بدل الألف الأخيرة . وهى قرية كبيرة
 قبلى حمص ، بينها وبين دمشق على نحو منتصف الطريق ، تنزلها قوافل السفارة ، وبينها
 وبين حمص مرحلة ونصف ، وبينها وبين دمشق مرحلتان ، وغالب أهلها نصارى .

الرابع - (عمل سَلْمِيَّة) - بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وياء مشناة تحت
 مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي بلدة من عمل حمص من الإقليم الرابع . قال
 في "الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها أربع
 وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون العرض أربعاً
 وثلاثين ونصفاً . قال أحمد الكاتب : بناها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله
 ابن عباس بن عبد المطلب وأسكن بها ولده . وهي بلدة على طرف البادية تَزْهَةٌ
 خصبة كثيرة المياه والشجر، ومياها من قِيٍّ . قال في "الروض المعطار" : وبينها
 وبين حمص مرحلة .

الخامس - (عمل تَدْمُر) - بفتح التاء المشناة فوق وسكون الدال المهملة وضم الميم
 وراء مهملة في الآخر - كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" : والحارثي على السنة
 الناس ضم أولها . قال في "التعريف" : وهي بين القريتين والرحبة، وهي معدودة
 من جزيرة العرب واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" :
 طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال صاحب حماة :
 وهي من أعمال حمص من شرقها، وغالب أرضها سبخ؛ وبها نخيل وزيتون؛ وبها
 آثار عظيمة أزليّة من الأعمدة والصخور، ولها سور وقلعة .

قال في "الروض المعطار" : وهي في الأصل مدينة قديمة بنتها الجحّ لسليمان
 عليه السلام، ولها حصون لأترام . قال : وسميت تَدْمُر بتدمر بنت حسان
 ابن أدية، وفيها قبرها . وإنما سكنها سليمان عليه السلام بعدها . قال في "العزيمي" :
 وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلاً ، وبينها وبين الرحبة مائة ميل وميلان .
 قال صاحب حماة : وهي عن حمص على ثلاث مراحل .

(١) في القاموس وياقوت "وسكون الميم" أي وتخفيف الياء

الضرب الثاني

(من هذه الصفة ما هو من بلاد الجزيرة، بين الفرات والدجلة)

على القرب من الفرات)

وهو مدينة الرَّحْبَةِ . قال في "اللُّبَابِ" : بفتح الراء والحاء المهملتين والباء الموحدة وهاء في الآخر . وهي مدينة على الفُرَاتِ بين الرِّفَّةِ وَعَانَةَ ، واقعةٌ في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وتعرف بِرَحْبَةِ مالك بن طَوْقٍ ، وهو قائدٌ من قَوَادِ هارون الرشيد ، قيل إنه أول من عمَّرها فنسبت إليه . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد خربت الرَّحْبَةُ المذكورة وصارت قرية ، وبها آثار المدينة من المآذن الشواهد وغيرها ، وأستحدث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى صاحب حِمَصَ من جنوبها الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفُرَاتِ ، وهي بلدة صغيرة ولها قلعة على تلِّ تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد ، الخارج من الفرات . قال : وهي اليوم مغطَّ القوافل من الفُرَاتِ والشام ، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا . قال في "التعريف" : وبها قلعة نيابة ، وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين ، ولم تزل إمرتها طبلخاناه ، بمرسوم شريف من الأبواب الشريفة من الأيام الناصرية ابن قلاوون إلى الآن .

تتبيه - قال في "التعريف" : ومما أُضيف إلى دِمَشَقَ في زمن سلطاننا يعني الناصر بن قلاوون بلادُ جَعْبَر . قال : وحقها أن تكون مع حَلَبَ ، وهي مستمرة على ذلك إلى زماننا ، وسيأتي الكلام عليها في الأعمال الحلبية إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطها في المعجم بإسكان الحاء وهو مقتضى اطلاق القاموس .

وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في كتابه "التثيف" : أنه كان قد آسقتَر بَتَدْمَرٍ وَسَلْمِيَّةٍ وَالسُّخْنَةَ وَالقَرَيْتَيْنِ نَوَابٍ، وآسقتَر الحَالِ عَلَى أَنْ مَكَاتِبَةٌ كُلُّ مِنْهُم إِنْ كَانَ مَقْدَمًا نَظِيرُ النَّائِبِ بِالرَّحْبَةِ، يَعْنِي "صَدْرَت" و"العَالِي" وَإِنْ كَانَ طَبْلَخَانَاهُ فَالْأَسْمُ "وَالسَّامِي" بِالْيَاءِ .

القاعدة الثانية

(من قواعد البلاد الشامية حَلَبُ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

قال في "اللَّبَابِ" : هي بفتح الحاء المهملة واللام وباء موحدة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها اثنتان وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونحسون دقيقة .

وآختلف في سبب تسميتها حَلَبَ عَلَى قَوْلَيْنِ حَكَاهُمَا صَاحِبُ "الروض المعطار" : أحدهما أنه كان مكان قلعتها رُبُوعًا، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يَأْوِي إليها وَيَحْلُبُ غَنَمَهُ وَيَتَصَدَّقُ بِلَبْنِهَا فَسُمِّيَتْ حَلَبَ بِذَلِكَ . الثاني أنها سُمِّيَتْ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَمَالِقِ ^(١) أَسْمَهُ حَلَبَ . قال الزجاجي : حَلَبُ بْنُ الْمَهْرَمِ بْنِ وَالدَّجَانِ بْنِ مَكْنَفٍ .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة، وهي في وطاء حمراء ممتدة، مبنية بالحجر الأصفر الذي ليس له نظير في الآفاق، وبها المساكن الفائقة، والمنازل الأنيقة، والأسواق الواسعة، والقياسر الحسنة، والحمامات البهجة . ذات جوامع ومساجد ومدارس وخوانق وزوايا وغير ذلك من سائر وجوه البر،

(١) في الأصل "خان" وفي الضوء "حاف" والتصحيح من ياقوت .

وبها يمارستان حسنٌ لعلاج المرضى . قال في "مسالك الأبصار" : ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قويق ، وهو نهرها القديم . والثاني يعرف بنهر الساجور ، وهو نهر مستحدث ، ساقه إليها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" في سلطنته وحكمه عليها . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أن الملك الظاهر غازي بن العادل "أبي بكر بن أيوب" ساق إليها نهرًا في سنة خمس وستائة ، ولعله نهر قويق المذكور . قال في "مسالك الأبصار" : ويجرى إلى داخلها فرع ماء يتشعب في دورها ومساكنها ولكنه لا يبيل صدها ولا يشفي غلتها ، وبها الصهاريج المملوءة من ماء المطر ، ومنها تُربُّ أهلها ؛ ويدخل إليها الثلج من بلادها ، وليس لأهلها إليه كثير التفتات لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم ؛ وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب إليها من نواحيها قلّة البساتين بها ؛ وبظاهرها المروج الفيح والبرّ المتدّ حاضرة وبادية ؛ وبها عسكر كثير وأمم من طوائف العرب والأكراد والترُّكان .

قال في "اللباب" : وكان الجند في ابتداء الإسلام يتزلون قنسرين ، وهي المدينة التي تُنسب الكورة إليها على ما تقدم ذكره ولم يكن حلب معها ذكر . قال ابن سعيد : ثم ضعفت بقوة حلب عليها ، وهي الآن قرية صغيرة .

قال في "مسالك الأبصار" : وكانت حلب قد عظمت في أيام بني حمدان ، وتاهت بهم شرقاً على كيوان . جاءت الدولة الأتابكية فزادت فخاراً ، وأخذت لها من بروج السماء منطقة وأسواراً ؛ ولم تزل على هذا يسارُ إليها بالتعظيم ، ويأبى أهلها في الفضل عليها لدمشق التسليم ؛ حتى نزل هولاكو بحوافرخيله فهدمت أسوارها وخربت حواضرها ، ولم تزل خالية من الأسوار ، عريّة من الأبواب ، إلى أن كانت فتنة منطاش في سلطنة الظاهر برقوق والنائب بها من قبله الأمير كمشيغا ، فجدد أسوارها ، ورتب أبوابها ، وهي

سبعة أبواب: باب قَنْسَرِينَ من القبلة، وباب المقام من القبلة أيضا، وباب التَّيرَب من الشرق، وباب الأربعين من الشرق أيضا، وباب النصر من بحريتها، وباب الحِثَّان من غربيها، وباب أَنْطَاكِيَّة من غربيها أيضا، وهي الآن في غاية ما يكون من العمارة وحُسن الرنق والبهجة؛ ولعلها قد فاقت أيام بنى حَمْدان؛ ولم يزل نائبا من أكابر الأمراء المتقدمين من الدولة الناصرية فما قبلها إلى الآن، وقد زادت رتبته عما كان عليه في الأيام الناصرية؛ وهي ثانية دِمَشق في الرتبة؛ ومعاملاتها على ما تقدم في دِمَشق من الدراهم والدنانير والفلُوس وصنجة الذهب والفضة. غير أن الفلوس الجُدُد لم تُرَجَّح بها بعدُ، ورِطْلُها سبعمائة وعشرون درهما بالصَّنْجَة الشامية، كلُّ أوقية^(١) ستون درهما، ومعاملاتها معتبرة بالمكوك، ولا تعرف فيها الغرارة، ولا في شيء من أعمالها؛ وتختلف بلادها في المكوك اختلافا متباينا في الزيادة والنقص. قال في "مسالك الأبصار": والمعدل فيها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة وما بين ذلك وكل ذلك تقريبا.

قلت: وأخبرني بعض أهلها أن المكوك بنفس مدينة حَلَبٍ معتبر بسبع وبيات بالكيل المصري، والذراع القماش ذراعٌ وسدسٌ بذراع القماش القاهري، ويزيد على ذراع دمشق بقيراطين، وقياس دُور أرضها بذراع العمل المعروف بالديار المصرية.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "مسالك الأبصار": هي أوسع الشام بلادا، متصلةٌ ببلاد سِيس والرُّوم وديار بكر وبریة العراق. قال في "التعريف": ويحدّها من القبلة المَعْرَة وما وقع

(١) وأراقبه اثنتا عشرة أوقية [كما سيأتي له في حلب في موضع آخر] .

على سَمْتها إلى الدَّمْنَة الخراب والسلسلة الرومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحِيارِ (يعنى بكسر الحاء المهملة والياء المثناة تحت وألف وراء مهملة) والقرية المعروفة بقُبَّة ملاعب، ويحدها من الشرق [البر] حيث يحدّ بردى أخذاً على جبل الثلج، ثم الحلاب على أطراف بَالَس إلى الفُراتِ دائرة بجدها . قال : وبهذا التقسيم تكون بلاد جَعَبَر داخلية في حدودها؛ ويحدها من الشَّمال بلاد الروم مما وراء بهسنى وبلاد الأرمن على البحر الشامى :

ثم أعمالها على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ، ولها برّ وأعمال)
 فأما برّها فهو ضواحيها على ما تقدّم في دِمَشق ، وهو كالعامل المنفرد بنفسه .
 وأما أعمالها ، فقد ذكر المقرّ الشهابى بن فضل الله في كتابيه " التعريف " و" مسالك الأبصار " ^(١) بها ستّة عشر عملاً على أكثرها ، وربما انفرد أحد الكتّابين عن الآخر ببعض دون البعض .

الأول - (عمل قلعة المسلمين) - المدماة في القديم بقلعة الروم وهي قلعة من جُنْد قنّسرين في البرّ الغربى الجنوبيّ من الفُراتِ ، في جهة الغرب الشمالى عن حلب على نحو خمس مراحل منها ، وفي الغرب عن البيرة على نحو مرحلة ، والفرات بذيلها . وموقعها في الإقليم الرابع . قال بعض أصحاب الأزياج : وطولها آثنتان وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي من القلاع الحصينة التي لا تُرام ولا تُدرّك ، ولها ربض وبساتين ، ويمرّ بها نهر يعرف بمَرزبان يصب في الفُراتِ . قال في " التعريف " : وكان بها خليفة الأرمن

(١) المددود ستة وعشرون وفي الضوا "سبعة وعشرون" . (٢) لعله آتفا على أكثرها .

ولا يزال بها طاغوت الكُفْر، فقصدتها الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون فنزل عليها، ولم يزل بها حتى فتحها، وسمّاها قلعة المسلمين . قال : وهي من جلائل القلاع .

الثاني - (عمل الكَحْتَا) - بفتح الكاف وسكون الحاء المعجمة وفتح التاء المشناة فوق ثم ألف في الآخر، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة في أقاصى الشام من جهة الشمال بشرق من حَلَبَ، على نحو خمس مراحل منها؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال بعض أصحاب الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي قلعة عالية البناء لأثرام حصانة، ولها بساتين ونهر، وملطية عنها في جهة الغرب على مسيرة يومين؛ وكركر منها في جهة الشرق، وكانت أحد تغور الإسلام في وجوه التار عند قيامهم . قال في "التعريف" : وهي ذات عمل متسع، وعسكر تطوع مجتمع .

الثالث - (عمل كَرْكُر) بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف مفتوحة ثانية بعدها راء مهملة ثانية أيضا - وهي قلعة من أقاصى الشام في الشمال عن حَلَبَ على نحو خمس مراحل أيضا، وفي الغرب من الكَحْتَا المتقدمة الذكر على نحو يوم منها؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة شاهقة في الهواء يرى الفرات منها كالجدول الصغير، وهو منها في جهة الشرق؛ وكانت من أعظم الثغور في زمان التتار .

الرابع - (عمل بهسنى) - بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون السين المهملة ثم نون وألف - وهي قلعة في شمالي حَلَبَ على نحو أربع مراحل منها، وموقعها في الإقليم

الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة مرتفعة لأترام حصانةً ، بها بساتين ونهر صغير وأسواق ورُستاق متسع ، وبها مسجد جامع . ثم قال : وهي بلدة واسعة ، كثيرة الخير والحصب ؛ وهي في الغرب والشمال عن عيّناب ؛ وبينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سيّس نحو ستة أيام . قال في "التعريف" : وهي الثغر المتأخّم لبلاد الدُّروب ، والمشتعل في جمرة الحروب ؛ وبها عسكر من التُّركان والأكراد . ولا يزال لهم آثار في الجهاد . قال : ولناؤها مكانة جليّة ، وإن كان لا يلتحق بنائب البيرة .

الخامس - (عمل عيّناب) - بفتح العين وسكون الياء المثناة تحت والنون وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف وباء موحد - وهي مدينة من جُند قنسرين شماليّ حلب على نحو مرحلتين منها ؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة حسنة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المياه والبساتين ، ذات أسواق جليّة مقصودة للتجار والمسافرين ؛ وبها قلعة حصينة متقوية في الصخر . وهي عن حلب في الشمال على نحو ثلاث مراحل منها ، وعن قلعة الروم في الجنوب على نحو ثلاث مراحل أيضاً ، وعن بهسنيّ في جهة الشرق والجنوب على نحو ثلاث مراحل .

السادس - (عمل الراوندان) - بألف ولام لازمتين وراء مهمله بعدها ألف ثم واو مفتوحة ونون ساكنة ودال مهمله ثم ألف ونون - وهي قلعة من جُند قنسرين واقعة في الإقليم الرابع طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة على جبل مرتفع أبيض ، ذات أعين وبساتين وفواكه ، وواد

حسن ؛ ونهرها من تحتها نهر عَفْرَيْنَ المتقدم ذكره آخذنا من الشَّمال إلى الجنوب ،
وهي في الغرب والشَّمال عن حلب ، وبينهما نحو مرحلتين ، وفي الشمال عن حارِم .
السابع - (عمل الدَّرْبَسَاك) - بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء
الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف ، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة
من جُنْد قَسْرَيْنَ واقعة في الإقليم الرابع شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع
منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها إحدى وستين درجة ،
وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة ذات أعين وبساتين ، وبها مسجد
جامع ، ولها من شرفها مروج متسعة ، حسنة المنظر ، كثيرة العُشب ، يمر بها النهر
الأسود المتقدم ذكره .

الثامن - (عمل بَغْرَاس) - بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وراء مهملة
وألف ثم سين مهملة - كذا ضبطه السمعاني في "الأنسَاب" ووقع في "التعريف"
و"مسالك الأبصار" بالصاد المهملة بدل السين . والحارى على ألسنة الناس
ضم أوله ؛ وهي قلعة من جُنْد قَسْرَيْنَ ، واقعة في الإقليم الرابع شمالي حلب على نحو
أربع مراحل منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة
وخمس وخمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث وخمسون دقيقة ،
وهي في الجبل المطل على عمق حارِم . قال ابن حوقل : وكان بها دار ضيافة
لزبيدة . قال في "تقويم البلدان" : وهي ذات أعين وبساتين وأشجار ، وبينها
وبين الدَّرْبَسَاك نحو بعض مرحلة ، وهي في جهة الجنوب عن الدَّرْبَسَاك . قال
في "العزيرى" : وبينها وبين أنطاكية اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين إسكندرونة
كذلك ، وبينها وبين حارِم نحو مرحلتين . وبغراس في الجنوب عن دَرْبَسَاك
وبينها بعض مرحلة ، وحارِم في جهة الشرق عنها . قال في "التعريف" : وكانت

هى التَّغْرَ فى بحر الأَرَمَنِ حَتَّى آسْتَضَيْفَت الفَتوحَات الجَاهَانِيَّة . قَالَ : وَبِهَا رُصَّصٌ
وهى عضو من أعضائها وجزء من أجزائها . وَرُصَّصٌ المذْكُورَةُ براء مهملَةٌ مضمومة
وصادين مهملتين الصاد الأولى مفتوحة ، وهى بلدة على الساحل ، وقد مر ذكرها
فى الكلام على بحر الروم على سواحل الأَرَمَنِ .

التاسع - (عمل القَصِيرِ) تصغير قصر . قَالَ فى "مسالك الأبصار" : وهى قلعة
غربيّ حَلَبَ على نحو أربع مراحل منها . قَالَ فى "التعريف" : وهى لَأَنْطَاكِيَّةٌ
ولم يتحرر لى طولها وعرضها .

العاشر - (عمل الشُّغْرِ وَبَكَاسٌ) - آسْمَانُ لقلعتين بينهما رَمِيَّةٌ سَهْمٌ .
فالشُّغْرُ - بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم راء مهملَةٌ .

وَبَكَاسٌ - بفتح الباء الموحدة والكاف ثم ألف وسين مهملَةٌ فى الآخر . وهما من
جُنْدِ قَنْسَرِينَ ، وموقعهما فى الإقليم الرابع . قَالَ فى بعض الأزياج : طولهما إحدى
وستون درجة ، وعرضهما خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهما مبنيان على
جبلٍ مستطيل ، وتحتهما نهر يجرى ، وبهما بساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، ولها
رُستاق ومسجد جامع . قَالَ فى "تقويم البلدان" : وهما فى الجنوب عن أَنْطَاكِيَّةٍ
وبينهما الجبال .

الحادى عشر - (عمل شَيْزَرِ) - بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح
الزاي المعجمة وفى آخرها راء مهملَةٌ . وهى مدينة من جُنْدِ حِمَّصِ غربيّ حَلَبَ
على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة فى الإقليم الرابع . قَالَ فى "تقويم البلدان" :
القياس أن طولها إحدى وستون درجةً وعشر دقائق ، وعرضها أربع وثلاثون درجةً
وخمسون دقيقة . وهى مدينة ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة وأكثرها الرمان ،
ولها ذكر فى شعر امرئ القيس مع حَمَاة . قَالَ فى "العزيرى" : وبينها وبين حماة

تسعة أميال ، وبينها وبين حِصَصٍ ثلاثة وثلاثون ميلا ، وبينها وبين أَنْطَاكِية ستة وثلاثون ميلا .

الثاني عشر - (عمل جَجْرٍ شُغْلَانَ) بلفظ حَجْرٍ واحد الحجارة وإضافته إلى شُغْلَانَ (بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم لام ألف ونون) . وهي قلعة شمالي حَلَبَ على نحو ثلاث مراحل منها . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بالقرب من بَغْرَاسَ في جهة الشمال على مسافة قريبة جدًا ، ولم يتحزّر لى طولها وعرضها ولكنها تعتبر ببَغْرَاسَ المتقدمة المذكور لقربها منها - وهي الآن خراب .

الثالث عشر - (عمل قلعة أَيْ قُبَيْسٍ) - بهمزة مفتوحة وباء موحدة مكسورة بعدهما ياء ساكنة ثم قاف مضمومة وباء موحدة مفتوحة وياء مشناة تحت ساكنة ثم سين مهملة في الآخر - وهي قلعة حصينة غربي حَلَبَ مما يلي الساحل ، على نحو ثلاث مراحل قصيرة من حَلَبَ ، كذا أخبرني به بعض أهل البلاد ، ولم يتحزّر لى طولها وعرضها ، وسيأتي في الكلام على ترتيب المملكة أنها آستقرّت ولايةً ، وربما أُضيفت إلى غيرها .

الرابع عشر - (عمل قلعة حَارِمٍ) - بحاء مهملة مفتوحة وألف ثم راء مهملة مكسورة وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي قلعة حصينة في جهة الغرب من حَلَبَ على نحو مرحلتين منها ، ذاتُ بساتين وأشجار ، وبهانهر صغير وبينها وبين أَنْطَاكِية مرحلة ، وربضها بلد صغير . قال ابن سعيد : وقد خُصّت بالرقمان الذي يرى باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة الماء .

الخامس عشر - (عمل كَفْرِ طَابَ) - بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف وباء موحدة - على إضافة كَفْرِ إلى طَابَ . هذا هو الجاري على

الألسنة وهو الصواب ، وأصله من الكفر بمعنى التغطية ، والمراد مكان الزرع والحَرْث لتغطية الحَبِّ بالزراعة كما في قوله تعالى: ﴿ كَتَلِ غَيْثٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ يريد الزَّرْعَ ، ووقع في كلام صاحب حماة بفتح الفاء وهو وهم .

وظاهر كلام صاحب "الروض المعطار" أن طاب في معنى الصفة لكفر فإنه قال : وسمى بذلك لأن حوله أرض كريمة . قال : وأرضه صحيحة الهواء ومن سكنها لا يكاد يمرض ، وقيل إنه منسوب إلى رجل أسمه طاب - وهي بلدة صغيرة من جندِ حَمَصٍ غربيِّ حَلَبَ ، على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة - وهي على الطريق بين المعرة وشيزر . قال في "العريزي" : وبينها وبين المعرة وشيزر اثنا عشر ميلا .

السادس عشر - (عمل فامية) - بفتح الفاء وألف بعدها ثم ميم مكسورة وياء مشاة تحت وهاء في الآخر . قال في "المشترك" : ويقال لها أفامية بهمزة في أولها يعني مفتوحة . وهي مدينة من أعمال شيزر، غربي حَلَبَ ، على نحو أربع مراحل منها واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وثلاث دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . قال في "العريزي" : وكورة فامية لها مدينة كانت عظيمة قديمة ، على نشز من الأرض ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب .

السابع عشر - (عمل سَرْمِين) - بفتح السين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ثم ياء
 مثناة تحْتُ ساكنة ونون بعدها . وهي مدينة في الغرب من حَلَبَ على نحو مرحلة كحلتين
 صغيرتين منها ، واقعةٌ في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى
 وستون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وخمسون
 دقيقة . وهي مدينة غير مسورة ؛ وبها أسواق ومسجد جامع ؛ وشرب أهلها من الماء
 المجتمع في الصهاريج من الأمطار ، وهي كثيرة الحُصْبِ ، وبها الكثير من شجر التين
 والزيتون ، وهي في جهة الجنوب عن حَلَبَ على مسيرة يوم منها وعملها متسع .

ومن مضافاتها مدينة الفُوعَةِ (بضم الفاء وفتح العين المهملة) . وهي مدينة على
 القرب من سَرْمِين في الغرب منها ، وتسمى هذه الولاية الغرَبِيَّات (بفتح الغين المعجمة
 وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المثناة تحْتِ المشددة وألف ثم تاء
 مثناة فوق في الآخر) . قال في "التعريف" : وهي أجل ولايات حَلَبَ .

الثامن عشر - (عمل الجَبُولِ) - بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ثم واو
 ساكنة ولام في الآخر - وهي بلدة شرقي حَلَبَ على نحو مرحلة كبيرة منها ، وهي
 بالقرب من الفُرَاتِ ، ولم يتحرر لي طولها وعرضها . قال في "تقويم البلدان" :
 ومنها ينقل الملح إلى سائر أعمال حَلَبَ ؛ وقد أخبرني بعض أهلها : أن أصل هذا الملح
 نهرٌ يصل إليها يعرف بنهر الذهب فيبقى ماء فيما يمر عليه من البلدان حتى ينتهي إليها
 فينقعد ملجأ لوقته .

التاسع عشر - (عمل جَبَلِ سَمْعَانَ) - وضبطه معروف . وهي في جهة الشمال من
 حَلَبَ على [يوم] منها ، ولم يتحرر لي طولها وعرضها .

(١) في الأصل ساعة وأبدل في الهامش بانمط "يوم" .

العشرون - (عمل عَزَاز) - بفتح العين المهملة والزاي المعجمة وألف ثم زاي ثانية مكسورة - كذا ضبطه في "اللباب" والحارثي على الألسنة أعزَّاز بهمزة مفتوحة في أولها وسكون العين والزاي الأخيرة في الوقف؛ وهي بلدة شمالي حلب بشرق على نحو مرحلة منها. قال في "كتاب الأطوال": وطولها إحدى وستون درجة وخمس وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة. وهي في شمالي حلب بميلة إلى الغرب. قال ابن سعيد: ولأعزاز جهات في نهاية الحسن والطيبة والحصب، وهي من أنزه الأماكن.

الحادى والعشرون - (عمل تَلِّ بِاشِر) - بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة وراء مهملة في الآخر - وهي حصن شمالي حلب على مرحلتين منها بالقرب من عيتاب المتقدم ذكرها. قال ابن سعيد: وهي ذات مياه وبساتين.

الثاني والعشرون - (عمل مَنبَج) - بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها جيم - كذا ضبطه ابن الأثير في "اللباب": وهي بلدة من جند قنسرين شرقي حلب على نحو مرحلتين منها واقعة في الإقليم الرابع. قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. قال ابن سعيد: بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام وسماها منبسة فعزبت منبج، وكان بها بيت نار للفُرس، وهي كثيرة الفنى السارحة والبساتين، وغالب شجرها التوت، وأكثرها خراب.

(١) ضبطه في اتماموس كجلس [أى بكسر اللام] وكذلك ضبطه صاحب "تقويم البلدان" عن اللباب

فجعل ما هنا سبق قلم.

الثالث والعشرون - (عمل تيزين) - بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وكسر الزاي المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر - وهي بلدة صغيرة من أعمال حلب في جهة الغرب على نحو مرحلة منها .

الرابع والعشرون - (عمل البَابِ وَبَرَّاعًا) . وضبط الباب معروف ، وبزاعا بضم الباء الموحدة وفتح الزاي المعجمة وألف بعدها عين مهملة وألف مقصورة في الآخر . كذا ضبطه في "تقويم البلدان" : والجارى على الألسنة إبدال الألف في آخره بهاء . وهما بلدتان متقاربتان ، من جنس قَسْرِينِ على مرحلة من حَلَبَ في الجهة الشمالية الشرقية في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

أما الباب : فبلدة صغيرة . قال في "تقويم البلدان" : بها مشهد به قبر عقيل ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وبها أسواق وحمام ومسجد جامع ، وبها الدساتين الكثيرة والنزه .

وأما بَرَّاعًا - فضيعة من أعمال الباب .

الخامس والعشرون - (عمل دَرَكُوشِ) - بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وضم الكاف وسكون الواو وشين معجمة في الآخر - وهي بلدة على النهر العاصي غربى حَلَبَ على نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر زرع أرضها العنب . أخبرني بعض أهل تلك البلاد أن حبة العنب بها ربما بلغت في الوزن عشرة دراهم ، وبها قلعة عاصية آستولى هولاكو على قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها .

السادس والعشرون - (عمل أَنْطَاكِيَّةَ) . قال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة . قال في "تقويم البلدان" : ثم ألف وكاف

مكسورة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال ابن الجواليقي في "المعرب" :
 وياؤها مشددة . وخالف في "الروض المعطار" : فذكر أنها مخففة الياء - وهي
 مدينة عظيمة غربي حلب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . قال في "تقويم
 البلدان" : وهي قاعدة بلاد العواصم . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن
 طولها ستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي مدينة
 عظيمة قديمة ، على ساحل بحر الروم ، بناها بطليموس الثاني من ملوك اليونان ؛ وقيل
 بناها ملك يقال له أنطاكين فعرفت به ، ولها سورٌ عظيم من صخر ليس له نظير
 في الدنيا . قال في "العزيزي" : مساحة دورهِ اثنا عشر ميلاً . قال في "الروض
 المعطار" : عدد شرفاته أربع وعشرون ألفاً ، وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً .
 قال ابن حوقل : وهي أزه بلاد الشام بعد دمشق ، ويمتد بظاهرها العاصي والنهر
 الأسود مجودين ، وتجري مياههما في دورها ومسكنها ومسجدها الجامع ، وماؤها
 يستحجر في مجاريه حتى لا يؤثر فيه الحديد ، وشربه يحدث رياح القولنج ، والسلاح
 بها يسرع إليه الصّدأ ويذهب ريح الطيب بالمكث فيها ، وهي أحد كراسي بطارقة
 النصارى ، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى
 الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ إنها أنطاكية وإن ذلك الرجل
 "حبيب التجار" وقبره بها مشهور يزار . قلت : وحيثنذ فتصير ولايتها المذكورة
 في "التعريف" و"مسالك الأبصار" : آثنتي عشرة ولاية .

وميناً أنطاكية المذكورة (السويدية) بضم السين المشددة وفتح الواو وسكون الياء
 المثناة تحت وكسر الدال المهملة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وهاء في الآخر .
 قال في "تقويم البلدان" : وموضعها حيث الطول ستون درجة وخمس وأربعون

(١) لعله ولاياتها . على أن هذه الفذلكة تحتاج إلى تأمل .

دقيقة . وعندها مصبُ النهر العاصي ، وهناك يعطف البحر الرومي ويأخذ غربا
بشمال على سواحل بلاد الأرمن .

القسم الثاني

(من الأعمال الحليية البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها

في الأعمال الحليية من الشمال ، وهي المعروفة ببلاد الأرمن)

قال في "التعريف" في مكتبة ممتلك سيس : وهذه البلاد منها بلاد تسمى
العواصم ، ومنها بلاد كانت تسمى قديما بالثغور ، سميت بذلك لمناغرتها الروم ، وإلى
مثل ذلك أشار في "تقويم البلدان" أيضا .

فالعواصمُ (بفتح العين المهملة والواو وكسر الصاد المهملة وميم في الآخر) . قال ابن
حوقل : وهي آسم للناحية وليست موضعا بعينه يسمى العواصم . قال : وقصبتها
أنطاكية . قال : وعدّ ابن خرداذبه العواصم فكثرتها وجعل منها كورة منبج ،
وكورة تيزين وبالسن ورصافة هشام ، وكورة جومة وكذا شيزر وأفامية ، وإقليم معرة
النعمان ، وإقليم صوران ، وإقليم تلّ باشر وكفر طاب ، وإقليم سميّة ، وإقليم جوسية ،
وإقليم لبنان إلى أن بلغ إقليم قسطل بين حصّ ودمشق .

قلت : وأول من سماها بذلك الرشيد هارون حين بنى بها مدينة طرسوس الآتي
ذكرها في سنة سبعين ومائة ، والذي يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها وأدونها من
بلاد الإسلام من العدو ، إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر ، واقعة في نحر العدو ، وعساكر
المسلمين حافظة لها .

والثغور جمع ثغر (بفتح التاء المثناة وسكون العين المعجمة وفي آخره راء مهملة) .
قال في "المشترك" وهو آسم لكل موضع يكون في وجه العدو ، قال : وثغور الشام
كانت أذنة وطرسوس وما معها فاستولى عليها الأرمن .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : أن الرشيد في سنة سبعين ومائة عزل الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً وسماها العواصم . قلت : ومقتضى ذلك أن تكون الثغور والعواصم أسماً على مسمى واحد ، وعليه ينطبق كلام المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" . وقد حدّد في "التعريف" هذه البلاد بجملة فقال : وحدّها من القبلة وأنحراف للجنوب بلاد بخراس وما يليها ؛ وحدّها من الشرق جبال الدرّ بندات ؛ وحدّها من الشمال بلاد ابن قرمان ؛ وحدّها من الغرب سواحل الروم المفضية إلى العلابيا وأنطاليا . وسياتي الكلام على أصل استيلاء الأرمن على هذه البلاد وارتفاعها منهم وعودها إلى الإسلام في الكلام على مكتبة متملك سيسّ ، على ما كان عليه الأمر قبل عودتها إلى الإسلام في مكاتبات ملوك الكفر إن شاء الله تعالى .

ويشتمل على عدّة نيّابات ، بعضها ذكره في "التعريف" وبعضها استجدّ بعد ذلك ، وهي على ضربين أيضاً .

الضرب الأوّل

(الأعمال الجبار؛ وهي صفتان : ساحلية وجبّلية)

فأما الجبّلية ، فنلاثة أعمال .

الأوّل - (عمل مَطِيّة) - بفتح الميم واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة شمالي حلب بميلّة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال ابن سعيد : وهي قاعدة بلاد الثغور ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة ،

(١) ضبطها ياقوت والمجد بفتحين ثم سكون وقال ياقوت : كسر الطاء وتشديد الياء من قول العامة -

وعرضها سبع وثلاثون درجة ، ووافقته في ”القانون“ على الطول وجعل العَرْض ثمانيا وثلاثين درجة ؛ وقد عدّها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قرى بلاد الروم على مرحلة . قال صاحب حماة : والأليق عدّها من بلاد الروم . ثم قال : وعدّها بعضهم من الثغور الجزرية . قال في ”الروض المعطار“ : وكانت قديمة فخرتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور يعني ثاني خلفاء بني العبّاس في سنة تسع وثمانين ومائة^(١) ، وجعل عليها سورا محكما - وهي بلدة ذات أشجار وفواكه وأنهار ، وهي مسورة ، في بسيط من الأرض والجبال محتفة بها من بُعد ، ولها نهر صغير يمر بسورها ، ولها قُنِيّ تدخلها وتجري في دُورها إلا أنها شديدة البرد - وهي في شماليّ الجبل الدائر الذي بسيس في غربيه ، في الجنوب عن سيواس ، وبينهما نحو ثلاث مراحل ، وفي الغرب عن نَخْتَا وبينهما نحو مرحلتين . وقد ذكر في ”تقويم البلدان“ : أنها فتحت في سنة خمس عشرة وسبعائة .

الثاني - (عمل دَرَنَدَة) - بفتح الدال والراء المهملتين وسكون النون وفتح الدال الثانية وهاء في الآخر - وهي مدينة في جهة الغرب عن مَلَطِيَّة على نحو مرحلة ، ذات بساتين وأنهار وعيون ماء تجرى ، وبينها وبين حَلَب نحو عشرة أيام .

الثالث - (عمل دَبْرَكِي) - بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وشر الكاف وياء مثناة تحت في الآخر . وقد يقال دَوْرَكِي بإبدال الباء واوا . وهي مدينة في جهة الشمال والغرب من حَلَب ، على نحو عشر مراحل منها ، بها بساتين وأشجار ، وبينها وبين حَلَب نحو اثني عشر يوما .

(١) ليله مصحف عن ثلاثين فان المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة ، ونقل ياقوت أنه أرسل من بينى ملطية سنة أربعين ومائة .

وأما الساحلية، فإن بها خمسة أعمال .

الأول - (آياس) - بفتح الهمزة المدودة والياء المثناة تحت ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيح" : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وهي فُرْضة تلك البلاد، وبينها وبين بَغْرَاس المتقدم ذكرها مرحلتان . قال في "التعريف" : وقد جعلت نيابةً جليلةً نحو حِصَّص ، وجعل أمرها إلى نائب الشام ، ثم جعلت إلى نائب حَلَب ، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها ، وهو جيحان المتقدم ذكره ، وكانت أستعادتها من الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعائة ، ولذلك قال في "التعريف" : والعهد بفتحها قريب .

الثاني - (عمل طَرَسُوس) - بفتح الطاء والراء المهملتين جميعاً وضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية - هكذا ضبطه في "اللباب" والخارى على الألسنة سكون رائها ، وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم شمالاً بغرب عن حَلَب ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثمان وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة مسورة ، بناها الرشيد في سنة سبعين ومائة وأكلها في سنة اثنتين وسبعين ، ولها خمسة أبواب : باب الجهاد ، وباب الصَّفْصَاف ، وباب الشام ، وباب البحر ، وباب المسدود . والنهر يشق في وسطها وعليه قنطرتان داخل البلد . قال ابن حوقل : وهي في غاية الحِصْب ، وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاجزين الروم والمسلمين ، وبها دُفِن المأمون بن الرشيد ، وكانت أستعادتها من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد بن قلاوون .

(١) الثالث - (عمل أدنة) - بهمزة ودال مهملة ونون مفتوحات وهاء في الآخر .
وهي مدينة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أحمد ابن يعقوب الكاتب في كتابه "المسالك والممالك" : وهي من بناء الرشيد . قال ابن حوقل : وهي مدينة حصينة عامرة ، وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا .

الرابع - (عمل سرفندكار) - بكسر السين وسكون الراء المهملتين وفتح الفاء وسكون النون وفتح الدال المهملة والكاف ثم ألف وراء مهملة - هكذا ضبطه صاحب حماة ، ثم قال : وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سرونديكار والموجود في الدساتير إسفندكار بهمزة في الأول وسقوط الراء الأولى ؛ وهي قلعة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الزيح" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة في واد على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر ، وهي على القرب من نهر جيحان من البر الجنوبي ، في الشرق عن تل حمدون على نحو أربعة أميال .

الخامس - (عمل سيس) - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم سين مهملة ثانية - هذا هو المعروف في زماننا ، ووقع في كلام صاحب كمال الدين ابن العديم أن اسمها سيسة بأشبات هاء في آخرها ، وكلامه في "العريزي" يوافقه . وهي قاعدة بلاد الأرمن وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيح" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهي بلدة كبيرة ذات بساتين وأشجار ، ولها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل ، بناها بعض خدام الرشيد وهو الذي سماها . قال ابن سعيد : وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال في "العريزي" : وبينها

(١) الذي في "تقويم البلدان" و"معجم البلدان" و"القاموس" أنها بالذال المعجمة .

وبين المصيبة أربعة وعشرون ميلاً، وكانت آستعادتها من الأرمن في الدولة الأشرافية شعبان بن حسين. قلت: وقد كانت سيس في أعقاب الفتح نيابة مستقلة، ثم صارت مقدمة عسكر مضافة إلى حلب كما يقع في غزوة في كونها تارة تكون نيابة مستقلة، وتارة مقدمة عسكر مضافة إلى دمشق على ما تقدم ذكره.

الضرب الثاني

(١) (من الأعمال الصغار بلاد الأرمن)

وهي ثلاثة عشر عملاً لثلاث عشرة قلعة، لم تجر العادة بمكاتبة أحد من نوابها عن الأبواب السلطانية، ذكر بعضها في "التعريف" وبعضها في "التثقيف" وبعضها في غيرهما من الدساتير.

الأول - (عمل قلعة باري كركوك) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم كاف مفتوحة وراء مهملة وواو ساكنة ثم كاف في الآخر. وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس في الشمال، على نحو نصف مرحلة قال في "التثقيف": "آستجدت في سنة ستين وسبعائة. قلت: آفتحتها بيدم الخوارزمي نائب سيس في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون.

الثاني - (عمل كاوراً) بفتح الكاف وبعدها ألف وواو وراء مفتوحة مشددة وألف في الآخر. وهي قلعة في الشمال عن آياس على جبل مطلق على البحر الرومي على نحو ساعة. قال في "التثقيف": "آستجدت سنة تسع وستين وسبعائة.

الثالث - (عمل كولاك) بفتح الكاف وسكون الواو ولام ألف بعدها كاف ثانية. وهي قلعة مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة، يسكنها طائفة من التركمان.

الرابع - (عمل كُرْزَال) بكاف مكسورة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وبعدها ألف ثم لام . وهى قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كَوْلَاك المتقدم ذكرها على نحو مرحلة . قال فى "التثقيف" : أستجدت فى سنة نيّف وسبعين وسبعائة .

الخامس - (عمل كُومى) بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وياء مشناة تحت فى الآخر .

السادس - (عمل تَلّ حَمْدُون) بفتح التاء المشناة فوق وتشديد اللام وفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر . وهى قلعة ببلاد الأرمن ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : كانت قبل أن يخرّبها المسلمون قلعةً حصينة حسنة البناء على تَلّ عال ، ولها سور مانع ورَبَض وبساتين ونهر يجرى ، وعلى القرب من جِيحان فى جهة الجنوب على نصف مرحلة ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة ، وبينها وبين سِيس نحو مرحلتين .

السابع - (عمل الهَارُوبِيَّتَيْن) - بفتح الهاء وألف بعدها ثم راء مهملة مضمومة ونون مكسورة بعدها ياء مشناة تحت مشددة مفتوحة ثم تاء مشناة فوق بعدها ألف ونون . قال فى "التعريف" : وهما حصنان بناهما هارون الرشيد . وقال فى "المشرك" : الهارونية مدينة صغيرة أخططها هارون الرشيد بالثغور فى طرف جبل اللكّام . وقال فى "العزى" : الهارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية ، وبينها وبين الكنيسة السوداء اثنا عشر ميلاً .

(١) أى أوياء ونون تبعاً لعوامل الاعراب .

قال في "كتاب الأطوال": وطولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

الثامن - (عمل قلعة نَجْمَة) بفتح النون وسكون الجيم وفتح الميم وهاء في الآخر. (١)
وهي قلعة على القرب من الفُراتِ بينها وبين جَسْر مَنبِج خمسة وعشرون ميلاً . قال في "تقويم البلدان": وهذه القلعة في السحاب . قال : وكان يقال لذلك المكان حصن مَنبِج فصارت تعرف بقلعة نَجْمَة . ثم قال : وهي من بناء السلطان محمود بن زنكي . قلت : وفي "التعريف" ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون .

التاسع - (عمل قلعة حِمِص) . وهي قلعة خراب صغيرة بالقرب من نهر جِيحَان .
العاشر - (عمل قلعة لُؤْلُؤَة) - وهي قلعة شمالي كَوَلَاكٍ أَسْتَعَادَهَا أَبُو عِثْمَانَ .
الحادى عشر - (عمل قلعة تَامْرُونَ) شمالي طَرَسُوسَ ، بيد عيسى بن ألاس البرسقي التركمانى .

الثانى عشر - (عمل سِنِيَاطُ كَلَا) شمالي طَرَسُوسَ . كانت داخل المملكة أَسْتَوْلَى عليها أَبُو قَرْمَانَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ .
الثالث عشر - (عمل بلسلوص) غربى طَرَسُوسَ على ساحل البحر، بيد حسن ابن قوسى البرسقي التركمانى .

القسم الثالث

(من الأعمال الحلبية البلاد المجاورة للفرات من شرقية من بلاد الجزيرة الواقعة بين الفرات ودجلة؛ وهي ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل البيرة) بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملة وألف في الآخر . وهي قلعة في البر الشرقي في الشمال عن الفُراتِ ، في الشرق (٢)

(١) في المعجم بدون هاء وقال "بلفظ النجم من الكواكب" (٢) لعله وهاء في الآخر، وهي غير البيرة التي ببلاد الأندلس فان تلك الهمة فيها أصلية على وزن إخرطة وكبريتة فليتنبه .

عن قلعة الروم المتقدم ذكرها على نحو مرحلة والفُرات بينهما . وقد عدّها في "تقويم البلدان" : من جُنْدِ قَنْسَرِينَ من أعمال الشام ، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي قلعة ذات ارتفاع وحصينة لأترام . قال في "تقويم البلدان" : ولها سوق وعمل . قال ابن سعيد : وقلعتها على صحرة . قال في "التعريف" : ولها منعة وعسكر .

الثاني - (عمل قلعة جَعْبَرٍ) - بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر . وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي من الفرات أيضا ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال القاضي جمال الدين ابن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف قديما بالدوسرية نسبة إلى دوسر : عبدالنعمان ابن المنذر ، وهو الذي بناها أولا لما جعله النعمان على أفواه الشام ، ثم تملكها سابق الدين جعبر القشيرى في أيام الملوك الساجوقية فعرفت به ، ثم آتت عنها منه السلطان ملكشاه الساجوقى . قال صاحب حماة : وهي في زماننا خراب ليس بها ديار . قلت : وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية أو بعدها بقليل ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التعريف" : حين تعرّض لذكرها في آخر مضافات الشام قبل ذكر حلب بقوله : وهي مجددة البنيان ، مستجدّة الآن ، لأنها جُددت منذ سنوات ، بعد أن طال عليها الأمد ، وأُخني عليها الذى أُخني على لُبْد . وكان قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة إلى دِمَشق . ثم قال : وحقّها أن تكون مع حاب ، وقد صارت الآن من مضافات حلب .

الثالث - (عمل الرها) - بضم الراء المهملة وفتح الهاء وألف في الآخر . وهي مدينة من ديار مُضَرَفٍ في البر الشرقي الشمالي عن الفُرات ، وموقعها في الإقليم الرابع بالقرب

من قلعة الروم . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة . قال في "العزى" : وهى مدينة عظيمة رومية، فيها آثار عجيبة . قال في "الروض المعطار" : وهى مدينة ذات عيون كثيرة تجرى منها الأنهار، وبها البساتين والأشجار الكثيرة، وعليها سور من حجارة، ولها أربعة أبواب باب حرّان، والباب الكبير، وباب سبع، وباب الماء . قال : وليس فى بلاد الجزيرة أحسن منتهات منها ولا أكثر فواكه ؛ والفُراتُ منها فى ناحية الغرب على مسيرة يومين، وفى ناحية الشمال على مسيرة يوم . قال فى "تقويم البلدان" : وكان بها كنيسة عظيمة، وفيها أكثر من ثلثمائة دير للنصارى . قال : وهى اليوم خراب يعنى فى أثناء الدولة الناصرية، ثم عمّرت بعد ذلك . قلت : وهى اليوم عامرة أهلة، والله سبحانه وتعالى أعلم .

القاعدة الثالثة

(من قواعد المملكة الشامية حماة)

وقد ذكرها فى "مسالك الأبصار" بعد دِمَشقَ ؛ وهو أليق لقبها منها، ولكنه قد ذكرها فى "التعريف" بعد حلبَ فتبعته على ذلك ؛ وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الحاء المهملة والميم وألف ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع بين حِمصَ وقِنَسَرينَ . قال فى "تقويم البلدان" : وطولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهى مدينة قديمة أزلية . قال فى "تقويم البلدان" : ولها ذكر فى التوراة، وهى على ضفة

العاصي مكيئة البناء، ولها سورٌ جليل، وبيوت ملوكها وشرفاتها مطلة على النهر العاصي، وبها القصور الملوكية، والدور الأنيقة والجوامع والمساجد والمدارس والرُّبُط والزوايا والأسواق التي لا تَعْدَم نوعاً من الأنواع؛ وبها قلعة مبنية بالحجارة الملونة؛ وغالبُ مبانيها العلية، وآثار الخير والبرِّ الباقية فيها من فواضل نِعَم الدولة الأيوبية؛ وبها نواعيرٌ مرَّكبة على العاصي، تدور بجرّيان الماء، وترفع الماء إلى الدور السلطانية ودُور الأمراء والأكابر والبساتين؛ وفي بساتينها الغرَّاسُ الفائق والثمار الغريبة؛ ولم يكن لها في القديم نَبَاهة ذِكر، وكان الصَّيْتُ لِحَصِّ دُونِهَا، ثم تنبه ذكرها في الدولة الأتابكية زنكي؛ فلما آلت إلى ملوك بني أيوب مَصْرُوها بالأبنية العظيمة، والقصور الفاتقة، والمسكن الفاحرة، وتأمير الأمراء، وتجنيد الأجناد فيها؛ وعظّموا أسواقها وزادوا في غِرَاسِهَا، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كلَّ من فاق في فنِّه إلى أن كملت محاسنها، وصارت معدودةً من أمهات البلاد وأحسن الممالك؛ وهى في غاية رَفَاهة العيش إلا أنها شديدة الحرِّ محجوبةً الهواء، ويعرَّض لها في الخريف تغير تنسب به إلى الوخامة، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى في بقية الشام، وإنما يجلب إليها مما يجاورها؛ وحوّلها مروج فيحٌ ممتدةٌ يكثر فيها مصايد الطير والوحش؛ وليس بالممالك الشامية بعد دمشق لها نظير، ولا يدانيها في لُطْف ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد. قال في "الروض المعطار": وبينها وبين حَمَصَ أربعين ميلاً، ولم تزل بأيدي بقايا الملوك الأيوبية من جهة صاحب مصر، يقيم ملوكهم فيها ملكاً بعد ملك إلى أن كان بها منهم آخر الأيام الناصرية محمد بن قلاوون المتقدم ذكره، وأستقرت فيها بالأمير طغتمر الحموي^(١): أحد مقدّمى الألوْف بالديار المصرية نائباً؛ وأستمرت بأيدي التوّاب يليها مقدّم ألف بعد مقدّم ألف إلى الآن.

(١) لعل الباء من زيادة النسخ أى كان بها منهم في تلك الأيام وأستقر فيها الأمير الخ.

الجملة الثانية (في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف": "وحدّها من القبلة مدينة الرّستن وماسامتها أخذاً بين سامة وقبة ملاعب، إلى حيث مجرّ النهر والآثار القديمة؛ وحدّها من الشرق البرّ أخذاً على سامة إلى ما استفل عن قبة ملاعب؛ وحدّها من الشمال آخر حدّ المعزة من العرانا،^(١) وحدّها من الغرب مضافات مضاف وقلاع الدعوة؛ وليس بها تواب قلاع البتة، ولها ثلاثة أعمال .

الأول - (عمل برّها) - وهو ظاهرها وما حولها كما تقدّم في دمشق وحلب .
الثاني - (عمل بارين) - بفتح الباء الموحدة وألف بعدها وكسر الراء المهملّة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر - وهي بلدة على مرحلة من حماة في الغرب عنها بميلة يسيرة إلى الجنوب؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان":
والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة.^(٢)

الثالث - (عمل المعرة) - بفتح الميم والعين المهملّة ثمّ راء مهملّة مشدّدة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي مدينة من جند حصّ واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال": طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان": القياس أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وتعرف بمعرة النعمان . قال: البلاذريّ إضافة إلى النعمان بن بشير الأنصاريّ رضى

(١) كذا في الأصل بإهمال التقط وفي الضوء "من الغرب".

(٢) لم يتكلم على العرض كما دته ولعله سقط من قلم النسخ . ويستفاد من "التقويم" أن عرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة .

الله عنه . قال في "الغريزي" : وهي مدينة جليلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار
والخشب ، وشرب أهلها من الآبار . قال في "الروض المعطار" : ولها سبعة
أبواب : باب حلب ، والباب الكبير ، وباب شيث ، وباب الحنان ، وباب حمص ،
وباب كذا . ^(١) قال : ويُذكر أن قبر شيث بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب
إليه فيها ، وداخلها قبر يوشع بن نون عليه السلام ، وعلى ميلٍ منها دير سمعان الذي به
قبر عمر بن عبدالعزيز . قال السمعاني : والنسبة إليها معرني . قال : وبالشام بلدة
أخرى تسمى معرة نسر بن بالنون والسين المهمل ، والنسبة إليها معرني . قال
صاحب حماة : والمشهور في الثانية أنها معرة مصرين بيم وصاد مهمل .

القاعدة الرابعة

(من قواعد المملكة الشامية أطراً بلس، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة ولام
مضمومتين وسين مهمل في الآخر . قال السمعاني : وقد تسقط الألف منها فرقا
بينها وبين أطراً بلس التي في الغرب ، وأنكر ياقوت في "المشترك" : سقوطها وعاب
على المتنبي حذفها منها في بعض شعره . قال في "الروض المعطار" : ومعنى أطراً بلس
فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهي مدينة من سواحل حص واقعة
في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها تسع وخمسون درجة وأربعون
دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ، وكانت في الأصل من بناء الروم فلما فتحها
المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستمئة في الأيام الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه

(١) هذا هو السادس وكفى عنه ولم يحله ولم يذكر السابع فليعلم .

الله ، نَحَرَّبُوهَا وَعَمَّرُوا مَدِينَةَ عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنْهَا وَسَمَّوْهَا بِاسْمِهَا ، وَهِيَ الْمَوْجُودَةُ الْآنَ ؛
وَمَا بَنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْجَدِيدَةُ كَانَتْ وَخِيمَةً الْبَقْعَةَ ، ذَمِيمَةً السَّكَنِ . فَلَمَّا طَالَتْ
مُدَّةَ سَكْنِهَا وَكَثُرَ بِهَا النَّاسُ وَالِدَوَابُّ وَصُرِّفَتِ الْمِيَاهُ الْأَسَنَةُ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَهَا وَعَمَلَتْ
بَسَاتِينَ ، وَنُصِبَتْ بِهَا النَّصُوبُ وَالْعُرُوسُ ، خَفَّ ثِقَلُهَا وَقَلَّ وَجْهَهَا .

قال في "مسالك الأبصار" : ولما وليَ نيابتها أستدمر الكرجيَّ كان لا ينفك
عن كونه ونحما فشكا ذلك إلى سليمان بن داود المتطبب ، فأشار عليه أن يستكثر فيها
من الإبل وسائر الدوابِّ ففعل نخفَّ ونحما . قال : وقد سألت عن علة ذلك الكثير
من الأطباء فلم يجيبوا فيه بشيء .

قلت : لا خفاء أن المعنى في الإبل ما أشار به النبي صلى الله عليه وسلم في أمر
العربيين حين استنوخوا المدينة "أنهم يقيمون في إبل الصدقة ويشربون من ألبانها
وأبوالها ففعلوا ذلك فصححوا" فكان ذلك من خاصة الإبل . ولعل التأثير في ذلك
للإبل خاصة دون سائر الدواب . وهي الآن مدينة متمدنة كثيرة الزحام ؛ وبها
مساجد ، ومدارس ، وزوايا ، وبمارستان ، وأسواق جليلة ، وحمامات حسان ؛
وجميع بنائها بالحجر والبكتس مبيضا ظاهرا وباطنا ، وغوطها محيطة بها ، وتحيط
بغوطها مزدرعاتها ؛ وهي بديعة المشرف ؛ ولها نهر يحكم على ديارها وطباقتها يتخرق
الماء في مواضع من أعلى بيوتها التي لا يرقى إليها إلا بالدرج العلية ؛ وحولها جبال
شاهقة ، صحيجة الهواء ، خفيفة الماء ، ذات أشجار وكروم ومروج ومواش ،
ومينائها مينا جليلة ، تهوى إليها وفود البحر الرومي وترسو بها مراكبهم ، وتباع بها
بضائعهم . وهي بلدة متجر وزرع ، كثيرة الفائدة . وقد تقدم في الكلام على عجائب
الشام أن داخل البحر بالقرب منها على نحو رمية حجر عن البر عيناً فواره عذبة الماء
تطفو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر ، يتبين ذلك عند سكون الريح .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدّها من القبلة جبل لُبْنَانَ ممتداً على ما يليه من مَرَج الأسد، حيث يمتدّ النهر العاصي، وحدّها من الشّمال قِلاَع الدَّعْوَة، وحدّها من الغرب البحر الروميّ . وأعمالها على قسمين :

القسم الأول

(الأعمال الجبّار التي يكتّبتُ نواحيها عن الأبواب السلطانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(مضافاتها نفسها ، وهي ست نيايات)

الأوّل - (عمل حِصْن الأَكْرَاد) - بإضافة حِصْن واحد الحِصُون إلى الأَكْرَاد الطائفة المشهورة ، وهي قلعة من جُنْدِ حِمَصَ ، موقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي قلعة حصينة مقابل حِصَصَ من غربيها، على الجبل المتصل بجبل لُبْنَانَ نحو مرحلة من حِمَصَ . قال في "التعريف" : وهي حصن جليل وقلعة شَمَاءُ، لا تبعد منها السماء . قال : وكانت محل النياية ومقرّ العسكر قبل فتح طَرَّا بُلْسَ .

الثاني - (عمل حِصْنِ عَكَار) - بإضافة حصن إلى عَكَار - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهي قلعة على مرحلة من طَرَّا بُلْسَ في جهة الشرق بوسط جبل لُبْنَانَ في وادٍ والجبل محيط بها، وشرب أهلها من عين تجرى إليها من ذيل لُبْنَانَ المذكور، ولها رِبَضٌ ليس بالكبير .

الثالث - (عمل بلاطُس) - بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهملة ونون مضمومتان وسين مهملة في الآخر - وهي قلعة بالقرب من مدينة مصياف في جهة الغرب منها على نصف مرحلة ، وفي جهة الشمال من طرابُلس على نحو مرحلتين .

الرابع - (عمل صهْيُون) - بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم الياء المثناة تحت^(١) وسكون الواو ثم نون في الآخر - وهي قلعة من جند قنسرين في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي من القلاع المشمورة ، ذات حصانة ومنعة ، مبنية على صخر أصم ، في ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة ، وهي في الشرق عن اللاذقية بميلة إلى الجنوب ، وبها المياه الكثيرة حاصلية من الأمطار .

الخامس - (عمل الأذقية) - بألف ولام لازمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وياء مشناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في آخرها . وهي مدينة من سواحل الشام واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وعدها في "الغريزي" من أعمال حمص ثم قال : وهي مدينة جليلة بل هي أجل مدينة بالساحل منعة وعمارة ، ولها مينا حسنة ، ومنها إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ، وقد عدها في "التعريف" : في جملة ولايات طرابُلس على ما كانت عليه إذذاك ، ثم استقرت بعد ذلك نيابة ، وهي الآن أعظم نيابات طرابُلس .

السادس - (عمل المرقب) - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وباء موحدة في الآخر . وهي قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومي ، وموقعها في الإقليم

(١) ضبطها ياقوت والمجد بكسر الصاد وفتح الياء المثناة من تحت .

الرابع . قال في "الزيح" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، وهي قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وعلى نحو فرسخ منها مدينة (بِلِنْيَاس) بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وياء مثناة تحت وألف وسين مهملة - وفي الغالب تضاف إليها فيقال المَرْقَبُ وبِلِنْيَاسُ ، وهي مدينة حسنة على الساحل ، ذاتُ مياه وأعين تجرى وفواكه كثيرة . قال في "العزيرى" : وبينها وبين أَنْطَرُطُوسَ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا ؛ ولم يتعرض لذكر المَرْقَبِ في "التعريف" : ولا في "مسالك الأبصار" .

الضرب الثاني

(قِلَاعِ الدَّعْوَةِ ، بفتح الدال)

سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديّة ؛ وهؤلاء هم المعروفون في ديوان الإنشاء بالتَّصَادِ ، وبين العامة بالفداوية ؛ وسيأتي الكلام على معتقدهم في الكلام على القُصَّاد ، ثم في الكلام على تخليف أهل البدع في باب الإيمان إن شاء الله تعالى - وهي سبع قلاع ، عظيمة الشأن ، ربيعة المقدار ؛ لا تُسَمَّى مَنَعَةً ولا تُرام حِصَانَةً ، وكانت أولاً كلها مضافة إلى طَرَا بُلُسَ ثم نقلت مِصْيَافَ منها إلى دِمَشْقَ على ما تقدّم ذكره ، والبقية على ما كانت عليه من إضافتها إلى طَرَا بُلُسَ . وهي ستة أعمال .

الأول - (عمل الرضاة) - بألف ولام لازمتين في أولها وراء مهملة مضمومة وصاد مفتوحة بعدها ألف ثم فاء وهاء - وهي قلعة بالقرب من مِصْيَافَ ؛ وبالشّام

(١) في المعجم بضم الباء واللام .

بلدة أخرى يقال لها الرُصَافَةُ أيضا وتعرف بِرُصَافَةِ هِشَامِ ، على أَقَلِّ من مسافة يوم من الجانب الغربي من الفُراتِ .

الثاني - عمل (الخَوَاطِي) - بفتح الخاء المعجمة والواو ثم ألف وباء موحدة مكسورة وياء في الآخر - وهي قلعة في جهة الشَّمال من طَرَأْبُلُسَ على نحو مرحلين ، وقد تقدّم في الكلام على خواصّ الشام أن بسورها مكانا لا ينظره ملسوع أو رسوله إلا براً ذلك الملسوع ولم يضره السم .

الثالث - (عمل القَدَمُوسِ) - بفتح القاف والذال المهملة وضم الميم وسكون الواو وسين . هملية في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الخَوَاطِي المقدمة الذكر ، وقد تقدّم في الكلام على خواصّ الشام أن بها حماماً يظهر منه أنواع من الحيات وتمشى بين الناس ولا تضر أحدا البتة .

الرابع - (عمل الكَهْفِ) - بفتح الكاف وسكون الهاء وفاء في الآخر . وهي قلعة بالقرب من القَدَمُوسِ على نحو ساعة على نَسْرَجِبِلٍ مرتفع عال يُرى على بعد .

الخامس - (عمل المَيْنَقَةِ) - بفتح الميم وسكون الياء المشناة تحت وفتح الزون والقاف وهاء في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الكَهْفِ على نحو ساعة على جبل مرتفع أيضا .

السادس - (عمل العُلَيْقَةِ) - بضم العين المهملة وفتح اللام المشددة وسكون الياء المشناة تحت وفتح القاف وهاء في الآخر - وهي قلعة على الجبل المذكور على نحو ساعة من المَيْنَقَةِ .

القسم الثاني

(من أعمال طَرَأْبُلُسَ الأعمال الصغار؛ وهي ستة أعمال)

قال في "التعريف" : سوى ما نقل في تلك القلاع مما له ولاية .

الأول - (عمل أَنْطَرُطُوسَ) . قال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : وموضعها حيث الطول ستون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي بلدة بالساحل . قال في "تقويم البلدان" : وهي تُعْرَفُ لِأَهْلِ حِمصَ فَتَحَهَا الْمَسَالِمُونَ وَخَرَّبُوا أَسْوَارَهَا ، وَهِيَ الْآنَ آهْلَةٌ . قال : وكان بها مُصَحَّفُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الثاني - عمل جُبَّةِ الْمُنَيْطَرَةِ بِإِضَافَةِ جُبَّةٍ (بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وناء التأنيث) إلى الْمُنَيْطَرَةِ (بضم الميم وفتح النون وسكون الياء المثناة تحت وفتح الطاء المعجمة والراء المهملة وهاء في الآخر) .

الثالث - (عمل الظننين) - بألف ولام لازمتين وطاء معجمة مفتوحة مشددة ونون مشددة مكسورة وياء مثناة تحت مكسورة بعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون - وهي كورة بين مصياف وفامية ، وليس بها مقر ولاية .

الرابع - (عمل بشرية) - بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملة المشددة وسكون الياء المثناة تحت وهاء في الآخر - هكذا مكتوب في "التعريف" : والجارية على الألسنة بشرى بابدال الهاء ياء مثناة تحت .

الخامس - (عمل جبلة) - بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ثم هاء في الآخر - وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزيزي" : ولها أعمال واسعة ،

(١) أوردتها في "معجم البلدان" ونص على إهمال الطاء وأنها بصيغة التصغير .

وبينها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ،
وبها مقام إبراهيم بن أدهم رحمه الله .

السادس - (عجل أنفة) - بفتح الهمزة المقصورة والنون والفاء وبهاء في الآخر -
وهي بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقلة .

القاعدة الخامسة

(من قواعد الملكة الشامية صفد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مثناة فوق في آخرها . هكذا ضبطه
في "تقويم البلدان" . ثم قال : والمشهور على السنة الداس أن مكان التاء دالا
مهملة ؛ وهي مدينة من جند الأردن ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال في "الزبيح" . طولها سبع وخمسون درجة وخمسة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
أثذان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة متوسطة
بين الكبر والصغر ، وذكر العثماني في "تاريخ صفد" : أنه كان مكانها أولا قرية
وأصل الصفد في لغتهم العطية ، سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الدموية منهم
لا يشاركون فيها أحد . قال : وقد تكون سميت بذلك أخذنا من الصفد ، وهو الغل
لأن صاحب الغل يمتنع من الحركة ويلزم موضعه ، وكذلك هذا البلد لأنها في جبل
عال لا يتمكن ساكنه من الحركة في كل وقت ، إن ركب تعب وإن مشى على قدمه
أختلط لحمه بدمه لصعود الربوة وهبوط الوهدة ، فيستقر في مكانها ويقنع بالنظر
وربضها منتشر العارة على ثلاثة أجبل ، وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادي لقلة

الماء بها وسوء بناء حماماتها، وبساتينها تحتمها في الوادى إلى جهة بحيرة طَبْرِيَّةَ، وكل ما يوجد في دِمَشْقَ يوجد فيها: إما من بلادها، وإما مجلوب إليها من دِمَشْقَ، ونيابتها نيابة جليلة ونائبها من أكبر الأمراء المقدمين، ولها قلعة حصينة ذات بساتين تُشْرِفُ على بحيرة طَبْرِيَّةَ، يُحْفُ بها جبال وأودية. قال ابن الواسطى: بنتها الفريخ سنة خمس وتسعين وأربعمائة. ولما فتحها الظاهر بيبرس رحمه الله عظم شأنها وورفع مقدارها. قال في "مسالك الأبصار": وهى جديرة بالتعظيم فقل أن يوجد لها شبيه، ولا يعلم لها نظير. وهذه القاعة نائب مستقل من قبيل السلطان يوثى من الأبواب الشريفة بمرسوم شريف، وعادته أن يكون من أمراء الطبلخاناه، ولا حكم لنائب السلطنة بالبلد عليه بل هو مستقل بنفسه كما فى نائب قلعتى دِمَشْقَ وحبَّ .

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى "التعريف": وحدّتها من القبلة الغورُ حيث جَسْرُ الصَّنْبَرَةِ من وراء طَبْرِيَّةَ، وحدّتها من المشرق الملاحّة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حوَلَةِ بانياس، وحدّتها من الشمال نهر ليطا، وحدّتها من الغرب البحر. وليس فى أعمالها نيابة أصلا. وقد ذكر لها فى "مسالك الأبصار": أحد عشر عملا .

الأوّل - (عمل برّها) - كما فى دِمَشْقَ وحبَّ وغيرهما من القواعد المتقدمة .
 الثانى - (عمل النَّاصِرَةِ) - بالألف واللام اللازمتين ونون مفتوحة بعدها ألف ثم صاد مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى بليدة صغيرة قال فى "الروض المعطار": على ثلاثة عشر ميلا من طَبْرِيَّةَ . قال : ويقال : إن المسيح عليه السلام ولد بها ، وأهل القُدُسِ ينكرون ذلك ويذكرون أنها ولدته

بالقُدس ، والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر إلى الشام وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة نزلت به القرية المذكورة، وهي اليوم منبع الطائفة النصيرية، والذي ذكره العثماني في "تاريخ صَفَد" : أن أهل هذه البلاد منسوبون إلى الدين .

الثالث - (عمل طَبْرِيَّة) - بفتح الطاء المَهْمَلَة والباء الموحدة وكسر الراء المهملة وفتح الياء المثناة تحت وتشديدها وداء في الآخر - وهي مدينة من جُنْد الأُرْدُن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فَعُرِفَتْ به ثم عربت طبرية، والنسبة إليها طبراني للفرق بينهما وبين طَبْرِسْتَانَ من نواحي بلاد الشرق حيث ينسب إليها طَبْرِيٌّ، وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : وطولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة، وعَرْضُهَا اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ، وتبعه ابن سعيد على ذلك . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي في العُورِ في سفح جبل على بحيرتها المتقدمة الذكر في بُحَيْرَات الشام . قال في "مسالك الأبصار" : ومن عملها قَدُس . قال : وكان معها قديما السَّوَادُ وَيَسَانُ ثم خرجا عنها . قال العثماني في "تاريخ صَفَد" : ومن ولايتها البَطِيحَة وَكَفَر عاقب .

الرابع - (عمل تَبْنِين وَهُونِين) - بعطف الثاني على الأول .

فأما تَبْنِينٌ، فبناء مشاة فوق مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مكسورة وياء مشاة تحت ساكنة ونون في الآخر .

وأما هُونَيْنٌ ، فهباء مضمومة وأوسا كنة ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت سا كنة ونون في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهما حصنان بُنيَا بعد الخمسة بين صُورَ وبانياسَ بجبل عاملة المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة ، وجعل العثمانيّ في "تاريخ صَفَدَ" قامة هُونَيْنَ من عمل الشَّقِيفِ ، وأهل هذا العمل شِيعَةٌ رافضةٌ .

الخامس - (عمل عَثَلِيثَ) - بفتح العين المهملة وإسكان التاء المثناة وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وتاء مثناة في الآخر - وهي كورة بين قاقونَ وعكّا ، فيها قُرَى متسعة وليس بها مقرّ ولاية معلوم . قال العثمانيّ في "تاريخ صَفَدَ" : وفي آخر هذا العمل بلاد قاقونَ وهو آخر الأعمال الصَفَدِيَّةِ .

السادس - (عمل عَكّا) - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف في الآخر - وهي مدينة من سواحل الشام . قال العثمانيّ في "تاريخ صَفَدَ" : بناها عبد الملك بن مَرُوانَ ، ثم غلبت عليها الفرنج ، ثم أنتزعتها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانيا ، ثم أَسْتَرَجِعَتْ . وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمسة وعشرون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وزال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وقيل غير ذلك ؛ وقد خربت بعد أن أَسْتَرَجِعَهَا المسلمون من الفرنج في سنة تسعين وستمائة في الدولة الأشرقية "خليل بن قلاوون" ؛ وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام ، وبينها وبين طَبْرِيَّةَ أربعة وعشرون ميلا ؛ وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صَفَدَ . فلما خربت أقيمت صَفَدُ مقامها وصارت هي ولاية .

السابع - (عمل صُور) - بضم الصاد المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر - وهي مدينة قديمة بساحل دِمَشْقَ، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة ونحو ثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمس دقائق . وبنائها من أعظم أبنية الدنيا ؛ وكانت من أحصن الحصون التي على ساحل البحر ؛ فلما فتحها المسلمون في سنة تسعين وستائة مع عكَّا خربوها خوفاً أن يتحصن بها العدو ، وهي خراب إلى الآن . ويقال إنها أقدم بلد بالساحل ، وإن عامة حكام اليونان منها . قال الشريف الإدريسي : وكان بها مرسى ، يدخل إليه من تحت قنطرة عليها سلسلة تمنع المراكب من الدخول . قال في "التعريف" : وبصُور كنيسة يقصدها ملوك من البحر عند تملكهم فيملكون ملوكهم بها ، إذ لا يصح تملكهم إلا منها . قال : وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرقبة ، ومع ذلك يأتونها مباغته فيقضون أربهم منها ثم ينصرفون ؛ وسكان هذا العمل رافضة لا يشهدون جمعة ولا جماعة .

الثامن - (عمل الشَّاعُورِ) - بألف ولام لازمتين وشين معجمة مشددة مفتوحة بعدها ألف ثم غين معجمة مضمومة بعدها واو ساكنة وراء مهملة في الآخر - وهي كورة بين عكَّا وصفد والناصرية ؛ بها قرى متسعة ، وليس بها مقر ولاية معروف ،^(١) وعدها العثماني في "تاريخ صفد" شاعورين .

أحدهما - شاعور البعة . وهو جبل به قرى عامرة . قال : وبالبيعة دير به مصطبة إذا بات عليها من به جنون سُفِي بإذن الله .^(٢)

(١) في الضوء "وجعلها" وهي أوضح .

(٢) كذا في الأصل باهمال حرفها - وفي الضوء "البيعة" ولم نجد لها بعد البحث .

والناني - شاغور غرابية، وفيه عدّة قرى، وبه مقام أولاد يعقوب عليه السلام،
وهو من المزارات المشهورة .

التاسع - (عمل الإقليم) - بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وسكون الياء
المثناة تحت وميم في الآخر - وهي كورة بين دِمَشقَ والشَّغَرِ والخُرْبَةِ، بها قرى متسعة
وليس بها مقر ولاية .

العاشر - (عمل الشَّقِيفِ) - بفتح الشين المعجمة وكسر القاف وسكون الياء
المثناة تحت ثم فاء - ويُعرف بِشَقِيفِ أَرْنُونَ (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضم
النون وسكون الواو ثم نون في الآخر) . قال في "المشترك" : وهو أسم رجل
أُضيف الشَّقِيفُ إليه ، ويُعرف أيضا بِالشَّقِيفِ الكبير . وهو حصن بين دِمَشقَ
والساحل، بعضه مغارة منحوتة في الصخر، وبعضه له سُور . وهو في غاية الحَصَانَةِ
وعلى القرب منه شَقِيفِ آخر يُعرف بِشَقِيفِ تِروُنَ (بكسر التاء المثناة فوق وسكون
الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر) وهي قلعة حصينة
من جُند الأُرْدُنِّ على مَسِيرَةِ يومٍ من صَفَدَ في سَمْتِ الشمال . قال في "مسالك الأبصار" :
وليست من بلاد صَفَدَ، وأهل هذا العمل رافضة .

الحادى عشر - (عمل جِينِينَ) - بيجم مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة ونون
مكسورة ومثناة تحت ثانية ساكنة ونون في الآخر - وهي بلدة قديمة متسعة، وهي
مُرَّجَبَةٌ على كنف واد لطيف به نهر ماء يجري؛ وهي في الشمال عن قَأْقُونِ على نحو
مرحلة، في رأس مَرَّجِ بنى عامر، وبها مقام دِحْيَةَ الكلبيّ: صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم!

ومن أعمالها (الْبَلْبُونُ) . قال في "تقويم البلدان": بفتح اللام المشددة وضم الجيم
المشددة . وهي قرية قديمة في جهة الغرب عن بَيْسَانَ، على نصف مرحلة منها .

قال في "كتاب الأطوال" : موضعها حيث الطول سبع وخمسون درجة ونحوها وأربعون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة، وبالبحر مقام الحليل عليه السلام، وبها ينزل الملوك على مصطبة هناك معدة لذلك . قال في "مسالك الأبصار" : ومن عملها (قدس) . وكان معها قديما (السواد وبيسان) وخرجا عنها ، ثم قال : ومما يذكر فيها (حيفا) . وهي خراب على الساحل ، و (قلعة كوكب) . وهي التي يقول فيها العماد الأصفهاني : راسية راسخة ، شماء شامخة . وقلعة (الطور) وهي مفردة على جبل الطور، بناها العادل أبو بكر بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها .

قلت : وأقتصر في "التعريف" : على ولاية برصغد وولاية الشقيف ، وولاية جينين ، وولاية عكا ، وولاية الناصرة ، وولاية صور ، من غير زيادة على ذلك .

القاعدة السادسة

(من قواعد الملكة الشامية الكرك، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الكاف والراء المهملة ثم كاف ثانية، والألف واللام في أولها غير لازمتين . وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي من البلقاء وهما ؛ وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : وطولها سبع وخمسون درجة ونحوها دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ونحوها دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة ونحوها دقائق . وهي مدينة محدثة البناء كانت ديرا يتديره رهبان ، ثم كثروا فكبروا بناءه وأوى إليهم من يجاورهم من النصارى ، فقامت

لهم به أسواق ودرت لهم فيه معاش، وأوت إليه الفرنج فأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة، ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعامل وأحصنها، وبقى الفرنج مستولين عليه حتى فتحه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" رحمه الله على يد أخيه العادل أبي بكر.

قال في "التعريف": وكانوا قد عملوا فيه مراكب ونقلوها إلى بحر القلزم لقصد الحجاز الشريف لأموار سوتلتها لهم أنفسهم، فأوقع الله تعالى بهم العزائم الصلاحية، والهزم العادلية؛ فأخذوا، وأمر بهم السلطان صلاح الدين فحملوا إلى منى ونجروا بها على جمرة العقبة حيث تُنحر البدن بها، وأستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ وأتخذها ملوك الإسلام حرزا، ولأموالهم كترًا؛ ولم يزل الملوك يستخلفون بها أولادهم ويُعدونها لمخاوفهم؛ وهو بلد خصب، بواديه حمام وبساتين كثيرة وفواكه مفضلة. قال البلاذري في "فتوح البلدان": وكانت مدينة هذه الكورة في القديم الغرندل.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف": وحدها من القبلة عقبة الصّوّان؛ وحدها من الشرق بلاد البلقاء؛ وحدها من الشمال بحيرة سدوم المتقدم ذكرها؛ وحدها من الغرب تيه بنى إسرائيل. ولها أربعة أعمال.

الأول - (عمل برّها) المختص ببلادها كما في غيرها من القواعد المتقدمة.
الثاني - (عمل الشوبك) - بألف ولام لازمتين وفتح الشين المعجمة المشددة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وكاف في الآخر. قال في "تتميم البلدان": وهي من جبل الشراة، وموقعها في الإقليم الثالث. قال ابن سعيد: طولها ست وخمسون

درجة، وعَرْضُهَا إحدى وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثمانٌ ونحسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة . وهي بلدة صغيرة أكثر دخولا في البر من الكرك، ذات عيون وجداول تجرى ، وبساتين وأشجار ، وفواكه مختلفة . قال في "العزيزي" : ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل مرتفع أبيض مطل على العور من شرقيه . قال في "تقويم البلدان" : وينبع من تحت فلعته عينان : إحداهما عن يمينها والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه يجران للبلد ، ومنهما شرب أهلها وبساتينها . قال : وكانت بأيدى الفرنج مع الكرك وفتحت بفتحها ، وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكرك لأخيه العادل فأعطاهما لابنه المعظم عيسى ، فأعنتى بأمرهما وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار حتى تركها تضاهي دمشق في بساتينها وتدفع أنهارها وتزيد بطيب مائها .

قلت : وذكر في "مسالك الأبصار" : لها عملين آخرين .

الثالث - (عمل زغر) - بضم الزاي وفتح الغين المعجمتين وفي آخرها راء مهملة - وهي مدينة قديمة متصلة بالبادية سميت بزغر بنت لوط عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : وهي حيث الطول سبع ونحسون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثلاثون درجة وكسر .

الرابع - (عمل معان) بضم الميم وفتح العين المهملة وألف ثم نون . قال ابن حوقل : (١) وهي مدينة صغيرة كان يسكنها بنو أمية ومواليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وقد خربت هي وعملها ولم يبق بها أحد ، وتعرف بمعان بن لوط عليه السلام . قال في "كتاب الأطوال" : وهي حيث الطول سبع ونحسون درجة والعرض ثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وبينها وبين الشوبك مرحلة .

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم قال "والمحدثون يروونه بالضم" .

الطَّرْفُ الثَّانِي

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية، فيمن ملك البلاد الشامية؛ وملوكها على قسمين)

القسم الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

ولم يزل مجموعا قبل الإسلام لملك واحد : إما بمفرده وإما مع غيره .
وملوكه في الجاهلية على أربع طبقات ^(١) .

الطبقة الأولى

(ملوكها من الكنعانيين)

وهم بنو كنعان بن مازيع بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل هم من ولد سام ابن نوح . وكان كنعان قد نزل الشام بجهة فلسطين عند تبليل الألسنة بعد الطوفان ، وتوارثها بنوه بعد ذلك ، وكان كل من ملك منهم يلقب بجالوت إلى أن انتهى الملك إلى رجل منهم اسمه كلباد ، وهو جالوت الذي قتله داود عليه السلام ، وبقتله تفرق بنو كنعان وبأد ملكتهم وزال . وكان في خلال ذلك بنياء من أطراف الشام ملوك من العمالقة ، وهم بنو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، آنتقلوا إليه من الحجاز ، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام ، وكان آخر من ملك منهم الشام والحجاز الأرقم بن الأرقم الذي قتله بنو إسرائيل حين وجههم موسى عليه السلام في آخر عمره إلى الحجاز على ما سيأتي ذكره في الكلام على ملوك المدينة إن شاء الله تعالى .

(١) المعدود خمس .

(٢) في القاموس "لاوذ بن إرم بن سام" .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني إسرائيل)

وأولهم (طالوت) الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾^(١) وأسمه شاول بن قيس، ولم يكن لهم قبل ذلك ملك بل حكام وقضاة يحكمون؛ وبقى حتى قتل في قتال الفليستيين .

وملك بعده (داود عليه السلام) وكانت دار ملكه بالقدس؛ وفتح فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وعمان ومارب وحلب ونصيبين وغير ذلك، فأقام في الملك أربعين سنة .

وتولى ذلك بعده ابنه (سليمان عليه السلام) وعمره اثنتا عشرة سنة، وعمر بيت المقدس وفرغ منه في سبع سنين، وتوفي لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه (رحبعم) على سبطين من بني إسرائيل خاصة، وخرج عنه عشرة أسباط فلما كانوا عليهم غيره، وبقى في الملك سبع عشرة سنة .

[وملك بعده ابنه (أبيا) وهلك لثلاث سنين]^(٢)

وملك بعده ابنه (أسا) إحدى وأربعين سنة وتوفي .

فلما ملك بعده ابنه (يوشافاط) خمساً وعشرين سنة وتوفي .

فلما ملك بعده ابنه (يهورام) ثمان سنين وتوفي .

فلما ملك بعده ابنه (أحزيا هو) ستين سنة، وتوفي فبقى الملك شاغراً فحكمت فيه امرأة ساحرة أسمها غثليا^(٣) فأقامت في الملك سبع سنين .

(١) كذا في حاشية الجمل أيضا وفي "مروج الذهب" "ساود بن بشر" وهو تصحيف .

(٢) الزيادة عن ابن خلدون في العبر (ج ٢ ص ١٠١) .

(٣) أفاد في العبر أنها أم أحزيا هو .

- ثم ملك بعدها (يُوَاشُ) فأقام في الملك أربعين سنة ومات .
- فملك بعده ابنه (أَمْصِيَاهُو) تسعا وعشرين سنة وتوفى .
- فملك بعده (عُزِّيَاهُو) اثنتين وخمسين سنة وتوفى .
- فملك بعده ابنه (يُوثَم) ^(١) ست عشرة سنة ؛ ويقال إن يونس عليه السلام كان في زمنه .
- ثم ملك بعده ابنه (أَحَاز) ست عشرة سنة أيضا ، وكانت الحرب بينه وبين ملك دِمَشق ؛ وفي زمنه كان شُعَيْب عليه السلام ، وتوفى .
- فملك بعده ابنه (هُو حَرْقِيَا) وأتقاده له بَقِيَّةُ الأَسْبَاطِ فملك جميعهم ، وأقام في الملك تسعا وعشرين سنة ثم توفى .
- فملك بعده ابنه (مَنْشَا) خمسا وخمسين سنة ثم توفى .
- فملك بعده ابنه (أَمُون) ستين [وقيل ثلثي عشرة] سنة وتوفى .
- فملك بعده ابنه (يُوشِيَا) إحدى وثلاثين سنة ، وجدد عمارة بيت المقدس ، ثم توفى .
- فملك بعده ابنه (يهوياجور) ثلاثة أشهر ، وغزاه فرعون مصر فأخذه أسيرا .
- وملك بعده أخوه (يهوياقيم) إحدى عشرة سنة ودخل تحت طاعة بُحْتَنَصْرَ ، ثم استخلف بُحْتَنَصْرَ مكانه ابنه (يُحْنِيُو) بن يهوياقيم فأقام مائة يوم .
- ثم استخلف مكانه عمه (صَدَقِيَا) إحدى عشرة سنة ، فأقام على طاعة بُحْتَنَصْرَ تسع سنين ، ثم عصى عليه فجُهِزَ إليه جيشا ففتح المَقْدِسَ بالسيف وحرَّقه وهدم بيت المَقْدِسِ الذي بناه سليمان عليه السلام وأخذ صدقيا المذكور أسيرا ، وهو آخر من ملك منهم . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية .

(١) في العبر "يُوَاش" . (٢) الزيادة عن ابن خلدون في "العبر" .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من الفرس)

قد تقدم في الكلام على ملوك مصر أن بُحَّت نصرَ كان نائبا لبهراسف ملك الفرس إلى حين غلبته على الشام فأستقرَّ الشام في مملكة الفرس مع مصر من لدن بهراسف المذكور إلى غلبة الإسكندر على دارا ملك الفرس على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر، وفي خلال ذلك عمر بيت المقدس بعد أن بقى سبعين سنة خرابا من تخريب بُحَّت نصر . وأختلف فيمن عمره، فقيل أردشير، وقيل آبنه دارا، واليهود تسمى الذي عمره من الفرس كيرش ويقال كورش .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من اليونان)

وأول من ملك الشام منهم الإسكندر بن فيلبس حين ظهر على ملوك الفرس مضافا إلى مصر، وبقى على ذلك حتى مات، فملك بعض الشام مع العراق انطاخس، وملك بعضه مع مصر البطالسة من ملوك اليونان من ولد بطليموس المنطبق إلى حين أنقراضهم بقتل أغشطش ملك الروم قلوبطرا آخر ملوكهم بمصر على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية .

الطبقة الخامسة

(ملوكها من الروم)

وأول من ملكها منهم أغشطش المقدم ذكره حين غلب على قلوبطرا آخر ملوكهم، وبقى بأيدي الروم إلى حين الفتح الإسلامي، يتداولونه مع مصر ملكا بعد ملك على ما تقدم في الكلام على ملوك الديار المصرية .

القسم الثاني

(من ملوك الشام ملوكه في الإسلام؛ وهم عليّ ضربين)

الضرب الأول

(عمّال الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من نواب الخلفاء

إلى حين استيلاء الملوك عليه)

وأول من وليه في الإسلام (أبو عبيدة بن الجراح) رضى الله عنه، عند فتحه في خلافة أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم صُرف عنه ووليه (معاوية بن أبي سفيان) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا، فبقى إلى أن سلم الحسنُ إليه الأمر ونزل له عن الخلافة في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وتوالت عليه خلفاء بني أمية، وأختاروه دارا لخلافتهم من لدن معاوية وإلى أنقراض دولتهم بقتل (مرّوان بن محمد) آخر خلفائهم على ما تقدّم ذكره في الكلام على من ولى الخلافة .

ثم كانت دولة بنى العباس فولّيتها في خلافة السفّاح عمّه (عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس) في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فبقى أيام السفّاح وبعض أيام المنصور بعده، ثم صرفه المنصور بولاية (أبي مسلم الخراساني) الشام ومصر في سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور بعد ذلك في السنة المذكورة . وتوالى عليه بعد ذلك عمّال خلفاء بنى العباس إلى أن وليها (عبد الصمد) بن عليّ، ثم عزله الرشيد ووثنى مكانه (إبراهيم بن صالح بن عليّ) ثم توالت عليه العمّال إلى أن غلب عليه (أحمد بن طولون) مع مصر على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(من وليها ملكا)

قد تقدم أن القواعد العظام بالشام ست قواعد : وهى دِمَشْقُ ، وَحَلَبُ ، وَحَمَّاءُ ، وَأَطْرَابُلُسُ ، وَصَفَدُ ، وَالكَرْكُ . وكل قاعدة من القواعد الست تشتمل على مملكة .

فأما (دِمَشْقُ) فأقول ملوكها (أحمد بن طولون) صاحب مصر بعد موت مُقْطَمَها أما جور في سنة أربع وستين ومائتين ؛ وذلك أول اجتماع مصر والشام لملك واحد في الإسلام ؛ ثم ملكها بعده مع مصر آبنه (نُحَّارَوِيَه) ؛ ثم (هارون بن نهارويه) ، وكان طنج بن جف نائبا عنهما بها ، وفي أيام هارون تغلبت القرامطة على دِمَشْقَ ؛ ثم آتزعها منهم (المكتفى بالله) خليفة بغداد في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وأقام عليها (أحمد بن كيغنج) أميرا ، فبقى بها بقية أيام المكتفى ، ثم أيام المقتدر ، ثم أيام الظاهر . فلما ولي الراضى الخلافة ، عزله عنها في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وولى عليها (الأخشيدي) وهو محمد بن طنج بن جف ، وذلك قبل أن يلى مصر في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فاستتاب على دِمَشْقَ بدرا الأخشيدي ، فآتزعها منه (محمد بن رائق) في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وأستخلف عليها (أبا الحسين أحمد بن على بن مقاتل) في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، ثم آتزعها منه (الأخشيدي) المقدم ذكره بعد ذلك وبقيت معه حتى مات في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، فوليا بعده آبنه (أَنُجُور) وهو صغير ، وقام بتديروالته كافورا الأخشيدي الخادم ، ثم آتزعها منه (سيف الدولة بن حمدان) صاحب حلب الآتى ذكره ، ثم آتزعها منه (كافور الأخشيدي) المقدم ذكره وولى عليها بدرا الأخشيدي الذى كان بها أولا ، فأقام بها سنة ؛ ثم وليها (أبوالمظفر

(١) لعله سقط قبله "جيش بن نهارويه" فان ابن طنج كان نائبا عن جيش وهارون كما يؤخذ مما سياتى له في الكلام على حلب .

أبن طنج)؛ ثم لما مات أنوجور بن طنج، ملكها مع مصر أخوه (على بن طنج) ثم (كافور) بعده، ثم (أحمد بن على بن الأخشيد) بعده، وهو آخر من ملك منهم على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر .



ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فملكها (جوهر) قائد المعز الفاطمي وخطب بها لمولاه المعز وأذن بجي على خير العمل في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وقطعت الخطبة العباسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائبا، ثم تغلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلاثمائة، ثم أقتلها منهم (المعز) وولّى عليها ريان الخادم؛ ثم غلب عليها (افتكين) مولى معز الدولة بن بويه الديلمي، وقطع الخطبة منها للمعز الفاطمي، وخطب خليفة بغداد في سنة أربع وستين وثلاثمائة؛ ثم انتزعها (المعز الفاطمي) بعد ذلك وقبض عليه وأحضره معه إلى مصر؛ ثم بعد موت المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه (قسام) إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز؛ ثم انتزعها منه (العزيز) وقرر فيها (بكتكين) في سنة آئنتين وسبعين وثلاثمائة؛ ثم انتزعها منه (بكجور) مولى قرعويه صاحب حلب بأمر العزيز الفاطمي صاحب مصر في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة؛ ثم انتزعها منه وقرر فيها (منيرا الخادم) في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة؛ ثم استعمل الحاكم بن العزيز الفاطمي عليها (أبا محمد الأسود) في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ثم انتزعها منه (أنوش تكين) الدزبري بأمر المستنصر الفاطمي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ثم أمر بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، فخرج عنها وفسد أمرها بذلك؛ ثم تغلب عليها (أسنز بن أرتق) الخوارزمي أحد أمراء السلطان

(١) الضبط عن أبي الفداء، ونسبه إلى دزبر بن رويتم الديلمي .

(٢) أي أمر المستنصر أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزبري .

ملكشاه السَّلاجُوقِيّ في سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبةَ بها للسننصر الفاطميّ وخطب للقتدى العباسيّ، ومنع من الأذان بجيّ على خير العمل، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها (نُتُش بن ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق، وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفي بملكها بعده ابنه (دقاق) وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان صاحب حَلَبَ مقدما لرضوان في الذكر في الخطبة بعد حربٍ جرت بينهما، وتوفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فخطب طغتكين أتابك دولته لابن دقاق، وهو طفل عمره سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتاش بن نُتُش، ثم قطع الخطبة لبلتاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له بِدِمَشْقَ من بني سلجوق؛ ثم استقر (طغتكين) المقدم ذكره في ملك دِمَشْقَ بنفسه، وبقي حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه (تاج الملوك توري) بعهد من أبيه، وتوفي سنة ست وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه (شمس الملوك إسماعيل) بعهد من أبيه .

ثم ملك بعده أخوه (شهاب الدين محمود بن توري) فبقي حتى قتل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعده ابنه (مجير الدين أرتق) وفي أيامه تغلب الفرنج على ناحية دِمَشْقَ .

ثم أتتزعها منهم الملك العادل (نور الدين محمود بن زنكي) المعروف بنور الدين الشهيد وملكها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وأجتمع له ملك سائر الشام معها، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل كدِمَشْقَ وحمّاة وحِصَّ وحَلَبَ وشَيزَرَ وبَعْلَبَكَّ وغيرها؛ وتوفي فملك بعده ابنه (الملك الصالح إسماعيل) وعمره إحدى عشرة سنة، وبقي بها حتى أتتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) صاحب مصر في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب؛

ثم أستخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك ابن أخيه عز الدين (فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) في سنة ست وسبعين وخمسمائة ؛ ثم صرفه عنها وقزر فيها ابنه الملك الأفضل (نور الدين عليا) ؛ وهو الذي وُزِّر له الوزير ضياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر" .

ثم آتت عنها منه أخوه الملك العزيز (عثمان ابن السلطان صلاح الدين) صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاوضة عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، والخليفة يومئذ ببغداد الناصر لدين الله . وكان يميل إلى التشيع ، فكتب إليه الأفضل على يستجيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر ؛ من شعره :

مَوْلَايَ ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ * عُمَانَ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْأَسْمِ كَيْفَ لَبَيْتِي * مِنَ الْأَوَّاحِرِ مَا لَاقَى مَنْ الْأُولَى !

فكتب إليه الناصر لدين الله في جوابه :

غَضَبُوا عَلَيَّا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ يَسْتَرْبِ نَاصِرُ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَدَا عَلَيَّكَ حَسَابُهُمْ * وَأَبَشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

ولكنه لم يجاوز القول إلى الفعل ؛ ثم سلمها العزيز بعد ذلك لعمه (العادل أبي بكر) فقزر فيها ابنه الملك المعظم عيسى مضافة إلى ما بيده من الكرك والشوبك ، وكان يخطب فيها لأبيه العادل ، ثم لأخيه الكامل محمد صاحب مصر ، وبق حتى توفي في سنة أربع وعشرين وستمائة ؛ وملك بعده ابنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) ، وهو صغير .

ثم آتت عنها منه الملك الناصر (محمد بن العادل أبي بكر) صاحب مصر وأستخلف فيها أخاه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر ، فبق حتى توفي في سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وملكها بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) بعهد منه [فأترعها منه الملك الكامل بن العادل أبي بكر] ^(١) في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة ^(٢) وتوفى في السنة المذكورة .

فملك بعده الملك الجواد (يونس بن مودود) ^(٣) بن العادل أبي بكر .

ثم أترعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن العادل أبي بكر في سنة ست وثلاثين وستمائة، ثم أقام فيها الملك المغيث فتح الدين عمر نائبا عنه .

ثم أترعها منه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) صاحب بعلبك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم أترعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل محمد صاحب مصر وتسلمها له (معين الدين بن الشيخ) في سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتوفى قبل أن يتسلمها فتسلمها له حسام الدين بن أبي علي في السنة المذكورة، ولم تزل بيد نواب الصالح أيوب حتى مات في سنة سبع وأربعين وستمائة .

ثم ملكها بعد وفاته (الملك الناصر يوسف) بن العزيز محمد صاحب حلب في سنة ثمان وأربعين وستمائة، فبقي بها إلى أن غلب عليها هولاكو في سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكان آخر أمر الناصر المذكور أنه لحق بهولاكو المذكور فأقام عنده مدة ثم قتله .



ثم كانت الدولة التركية فملكها منهم (الملك المظفر قطز) صاحب مصر حين غلبته التتار على عين جالوت، ثم توالى عليها نواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى

(١) الزيادة عن أبي الفداء ليستقيم الكلام .

(٢) أى الملك الكامل .

(٣) أى نائبا عن العادل بن الكامل .

سلطنة (الناصر فرج) بن الظاهر برقوق في زماننا على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية ؛ ولم أقف على أسماء توابها لطول المدّة وقلة اعتناء المؤرخين بذكر أسمائهم .



وأما حلب فقد تقدم أن منزل الجند في ابتداء الإسلام كان يقسّمين ، ثم طرأت عليها حلب بعد ذلك وأضعفتها . ولعل ابتداء أمرها كان في ابتداء الدولة الطولونية ، وقد كان أحمد بن طولون أستولى عليها حين استيلائه على دِمَشق وصارت في ملكه تبعاً للديار المصرية كدِمَشق . وكان بها توابه ثم تواب ابنه نَحَارويه ، ثم تواب جيش ابن نَحَارويه ، ثم هارون بن نَحَارويه في نيابة طعج بن جف عن هارون وجيش المذكورين ؛ ثم كانت مع دِمَشق في نيابة أحمد بن كيغغ ، ثم في نيابة الأخشيدي محمد ابن طعج بن جف قبل أن يلى مصر ، ثم في نيابة بدر الأخشيدي على ما تقدم في الكلام على مملكة دِمَشق .

ثم آتتزعها من بدر الأخشيدي (سيف الدولة بن حمدون) التغلبيّ الربيعيّ ؛ وملكها في سنة ثلاث وثلثمائة ، وبق بها حتى توفي في سنة ست وخمسين وثلثمائة ؛ وملكها بعده ابنه (سعد الدولة أبو المعالي شريف) .

ثم آتتزعها منه (قرعويه) غلام أبيه في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ثم غلب عليها (بكجور) غلام قرعويه المذكور بعد ذلك وأقتلعها منه .

ثم آتتزعها منه (سعد الدولة) المقدم ذكره ، ثم تقلد بها أبو عليّ بن مروان من الخليفة الفاطميّ يومئذ بمصر في سنة ثمانين وثلثمائة ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة المذكور حتى توفي بالفالج في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

ثم ملك بعده ابنه (أبو الفضل) مكانه .

ثم أنتزعها منه (أبو نصر بن لؤلؤ) وخطب بها للحاكم الفاطمي، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه بها فتسلموها منه وأستقرت بأيديهم حتى آتته إلى نائب من نوابه اسمه (عزيز الملك) فبقى بها بقية أيام الحاكم وبعض أيام ابنه الظاهر، ثم وليها عن الظاهر رجل يقال له (أبن شعبان) ثم تغلب عليها (صالح بن مرداس) أمير بني كلاب في سنة أربع وعشرين وأربعمائة؛ ثم قتل في أيام الظاهر الفاطمي فملكها بعده (شبل الدولة نصر بن صالح).

ثم أنتزعها منه (أنوش تكين الدزيري) بأمر المستنصر العلوي في شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وبقى حتى توفي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة؛ وملكها بعده (معز الدولة شمال بن صالح بن مرداس) ثم ملك قلعها بعد ذلك في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة؛ ثم تسلمها منه مكي الدولة (الحسن بن علي بن ملهم) في سنة تسع وأربعين وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك.

ثم أنتزعها منه (محمود بن شبل الدولة) بن صالح المقدم ذكره، وملك قلعها في سنة اثنين وخمسين وأربعمائة.

ثم أنتزعها منه (معز الدولة شمال بن صالح) في ربيع الأول سنة اثنين وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتى توفي في ذى القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة. وملكها بعده أخوه (عطية بن صالح) في السنة المذكورة.

ثم أنتزعها منه ابن أخيه (محمود بن شبل الدولة) المقدم ذكره في رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتى توفي في ذى الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة.

وملكها بعده ابنه (نصر بن محمود) ثم قتله التتركان.

وملكها بعده أخوه (سابق بن محمود).

ثم آتتْهَا مِنْهُ شَرْفُ الدَّوْلَةِ (مُسلم بن قُرَيْش) صَاحِبُ المَوْصِلِ، وَقَتْلُ فِي صَفْرِ
سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعَاةٍ .

وَمَلِكُهَا بَعْدَهُ أَخُوهُ (إِبْرَاهِيمُ بن قُرَيْش) .

ثُمَّ آتَتْهَا مِنْهُ (نُتْشُ بن أَلْبِ أَرْسَلَانَ) السَّلْجُوقِيُّ صَاحِبُ دِمَشْقَ فِي السَّنَةِ
المَذْكُورَةِ .

ثُمَّ آتَتْهَا مِنْهُ (السُّلْطَانُ مَلِكُشَاهُ السَّلْجُوقِيُّ) وَسَلَمَهَا إِلَى قَسِيمِ الدَّوْلَةِ آقْسُنُقَرُ؛
ثُمَّ أَسْتَعَادَهَا (نُتْشُ بن أَلْبِ أَرْسَلَانَ) المَقْدَمُ ذَكَرَهُ بَعْدَ مَوْتِ مَلِكُشَاهُ وَأَسْتَضَافَهَا إِلَى
دِمَشْقَ، وَأَنَابَسَطَ مَلِكُهُ حَتَّى مَلِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَدْرَبِييَانُ، وَبَقِيَ حَتَّى قَتْلُ فِي صَفْرِ سَنَةِ
ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعَاةٍ .

وَمَلِكُهَا بَعْدَهُ أَبْنُهُ (رِضْوَانُ) فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعَاةٍ، وَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَى فِي سَنَةِ
سَبْعٍ وَخَمْسَاةٍ .

وَمَلِكُهَا بَعْدَهُ أَبْنُهُ (سُلْطَانُ شَاهِ بن رِضْوَانُ) .

ثُمَّ آتَتْهَا مِنْهُ (أَيْلِغَازِي بن أَرْتُقُ) صَاحِبُ مَارِدِينَ وَسَلَمَهَا إِلَى وُلْدِهِ حَسَامِ الدِّينِ
تَمْرَتَاشَ؛ ثُمَّ غَلِبَ عَلَيْهَا (سَلِيمَانُ بن أَرْتُقُ) وَعَصَى بِهَا عَلَى أَيْبِهِ فَأَتَتْهَا أَبُوهُ مِنْهُ وَسَلَمَهَا
إِلَى أَبْنِ أَخِيهِ (سَلِيمَانُ بن عَبْدِالجَبَّارِ بن أَرْتُقُ) فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةِ وَخَمْسَاةٍ .

ثُمَّ آتَتْهَا مِنْهُ عَمُّهُ (بَلَكُ بن بَهْرَامِ بن أَرْتُقُ) ، وَبَقِيَ بِهَا حَتَّى قَتْلُ فِي سَنَةِ سَبْعِ
عَشْرَةِ وَخَمْسَاةٍ؛ وَمَلِكُهَا بَعْدَهُ أَبْنُ عَمِّهِ (تَمْرَتَاشُ بن أَيْلِغَازِي) فِي رِبْعِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ
المَذْكُورَةِ؛ ثُمَّ حَاصَرَهَا الفَرَنْجُ، وَهِيَ فِي يَدِهِ نَخْلَصَهَا مِنْهُمْ آقْسُنُقَرُ البُرْسُوقِيُّ صَاحِبُ
المَوْصِلِ، وَمَلِكُهَا مَعَ مَارِدِينَ فِي السَّنَةِ المَذْكُورَةِ، وَبَقِيَ حَتَّى قَتْلَتِهِ البَاطِنِيَّةُ فِي سَنَةِ
عَشْرِينَ وَخَمْسَاةٍ .

وملكها بعده ابنه (عز الدين مسعود) وأستخلف بها أميرا من أمرائه أسمه قايماز، ثم أستخلف عليها بعده رجلا أسمه كيغلف .

ثم أترعها منه (سليان بن عبد الجبار) بن أرتق المقدم ذكره .

ثم أترعها منه (عماد الدين زنكى): صاحب الموصِل في المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماة وحصّ وبعلبكّ؛ وبق حتى قتله غلمائه في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده ابنه الملك العادل (نور الدين محمود) وبق إلى أن توفى .

وملك بعده ابنه (الصالح إسماعيل) فبق بها بعد ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب دمشق حتى توفى بها في سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وملكها بعده بوصية منه ابن عمه (عز الدين مسعود) بن مودود بن زنكى بن مودود في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقزر فيها ابنه الظاهر غياث الدين غازى .

ثم أترعها منه وسلمها لأخيه (العادل أبو بكر بن أيوب) في السنة المذكورة، ثم أعاد إليها ابنه الظاهر غازى المقدم ذكره في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، فبق بها حتى توفى في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وملكها بعده ابنه (الملك العزيز محمد) فبق بها حتى توفى في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ثم ملكها بعده ابنه الملك (الناصر يوسف) وعمره سبع سنين ولم تزل بيده حتى أستولت عليها التتار في سنة ثمان وخمسين وستمائة .



ثم كانت الدولة التركية . فكان أول من ملكها من ملوك الترك (المظفر قُطز) حين كسر التتار على عين جالوت على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة دِمَشق ؛ ثم توالى عليها ثواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى زماننا في سلطنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة الديار المصرية .



وأما حماة . فقد تقدم في الكلام على قواعد الشام أن الذكر في القديم إنما كان لمُحَصَّ ، وإنما تنهت حماة في الذكر في الدولة الأتابكية : عماد الدين زنكي . وذلك أن حماة كانت تبعاً لغيرها من الممالك ، تارة تضاف إلى دِمَشق ، وتارة إلى حلب . فكانت مع دِمَشق بيد (طُغْتِكِين) أتابك دولة رضوان بن نُشْس السلجوقي في سنة تسع وخمسةائة .

ثم أترعها منه السلطان (محمد بن ملكشاه السلجوقي) في السنة المذكورة ، وسلمها للأُمير (فيرخان بن قراجا) .

ثم ملكها (تورى بن طُغْتِكِين) وقرر بها ابنه سونج فبقيت بيده حتى أترعها منه عماد الدين زنكي في سنة ثلاث وعشرين وخمسةائة .

ثم أترعها منه بعد ذلك (تاج الملوك إسماعيل بن تورى) بن طُغْتِكِين السلجوقي في سنة سبع وعشرين وخمسةائة .

ثم ملكها (العاذل نور الدين محمود بن زنكي) مع دِمَشق وحلب وغيرهما في سنة إحدى وأربعين وخمسةائة ؛ ثم صارت بعده مع غيرها من البلاد الشامية إلى ابنه (الصالح إسماعيل) فبقيت بيده حتى أترعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف

أبن أيوب) في سنة سبعين وخمسة، وقرر فيها خاله شهاب الدين الحارمي، ثم قُور فيها أخاه تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في سنة أربع وسبعين وخمسة، فبقيت بيده حتى توفّي في سنة سبع وثمانين وخمسة.

فوليها بعده أبنة الملك المنصور (ناصر الدين محمد) فبقي بها حتى آنتزعها منه أخوه (الملك المظفر محمود) في سنة ست وعشرين وستة، فبقي بها حتى توفّي في سنة ثلاث وأربعين وستة.

وليها بعده أبنة (الملك المنصور محمد) فبقي حتى غلب عليها هولاكو ملك التتار مع دمشق وحلب وغيرهما، فقرّر بها المظفر قطز صاحب مصر بعد هزيمة التتار، فبقي بها حتى توفّي في سنة ثلاث وثمانين وستة.

فوليها بعده أبنة (المظفر شادي) عن المنصور قلاوون صاحب مصر بعهد منه، وبقي بها حتى توفّي في سنة ثمان وتسعين وستة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية.

فولّي الملك الناصر مكانه (قراستقر) أحد أمرائه نائبا عليها، وكان العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة قد استقرّ نائبا بصرخد فنقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إليها بعد هزيمة غازان ملك التتار، وجعله نائبا بها في سنة آثنتين وسبعائة، ومات بعد ذلك.

فولّي الملك الناصر مكانه في نيابتها (قبيجق) أحد أمرائه ثم صرفه عنها.

وولّي مكانه (أستدر الكرجي) ثم صرفه عنها بعد عوده من الكرك.

وولّي فيها الملك المؤيد (عماد الدين إسماعيل) بن الأفضل عليّ، بن المظفر عمر سلطنة على عادة من تقدّمه فيها من الملوك الأيوبية، وكتب له بذلك عهدا عنه، فبقي بها إلى أن توفّي في سنة آثنتين وثلاثين وسبعائة.

فولى السلطان الملك الناصر مكانه ابنه (الملك الأفضل محمد) وكتب له بذلك عهدا أيضا، فبقى بها حتى أزاله قُوصُون أتاك العساكر فى سلطنة المنصور أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وولى مكانه الأمير (طقزدمر) نائبا بها، وأستقرت نيابة إلى الآن، يتوالى عليها نواب ملوك مصر نائبا بعد نائبا إلى زماننا كغيرها من الممالك الشامية، وأتقطعت مملكة بنى أيوب من الشام بذلك .



وأما أطرابُلسُ، فكان قد تغلب عليها قاضيا أبو على بن عمَّار وملكها وطالت مدته فيها .

ثم أتت عنها منه (المستنصر الفاطمى) خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية، فبقيت بيده حتى غلب عليها القومص فملكها فى سنة ثلاث وخمسمائة، فبقيت فى أيدي الفرنج من حينئذ إلى أن فتحها "الملك المنصور قلاوون" أحد ملوك الديار المصرية فى سنة ثمان وثمانين وستمائة بعد أن مضى عليها فى يد الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأعجز فتحها من مضى من ملوك بنى أيوب فمن بعدهم . ومن حين فتحها جعلت نيابة، وتوالى عليها نواب ملوك مصر من لدنه إلى زماننا .



وأما صَفَد، فقد تقدّم فى الكلام على قواعد الممالك الشامية أنها كانت فى القديم قرية وأن الفرنج الدّموية باتها وأستحدثت حصنها فى سنة خمس وسبعين وأربعمائة . ثم فتحها (الظاهر بيبرس) بعد ذلك فى رابع عشر شوال سنة أربع وستين وستمائة، وقتر بها الأمير كيغلى العلائى نائبا، وتوالى عليها بعد ذلك نواب ملوك مصر من لدن الظاهر بيبرس وإلى زماننا فى سلطنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق .



وأما الكرك، فقد تقدّم أن قلعها كانت ديراً لرهبان، وكانت بيد الفرنج، وأن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتحها، وقزر فيها أخاه (الملك العادل أبا بكر بن أيوب) فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين، فقزر فيها ابنه (الملك المعظم عيسى) فبقيت في يده إلى أن آستضاف إليها دمشق، وتوفى في سنة أربع وعشرين وستمائة .

وملكها بعده ابنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) في سنة ست وعشرين وستمائة، وبقى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فاستخلف عليها ابنه (الملك المعظم عيسى) بعد أن أخذ منه غالب بلاده وقز بنفسه .

ثم أتت (الصالحة نجم الدين أيوب) الكرك من المعظم عيسى بن الناصر داود في السنة المذكورة، وأقام بها بدر الدين الصوابي نائبا عنه، وبقى الناصر داود بعد ذلك مشردا في البلاد إلى أن مات في سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان من أهل العلم والورع، وله شعر رائق، منه :

أَلَا لَيْتَ أُمِّي أَيْمٌ طَوَّلَ دَهْرَهَا * وَلَمْ يَقْضِهَا رَبِّي لِمَوْلَى وَلَا بَعْلٍ !
وَيَا لَيْتَهَا لَمَّا قَضَاهَا لِسَيْدٍ * لَيْبَ أَرِيْبٍ طَيْبِ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ،
قَضَاهَا مِنَ اللَّاتِي حُلِقْنَ عَوَاقِرًا * وَلَا بُشِّرَتْ يَوْمًا بِأُنْثَى وَلَا فَحْلٍ
وَيَا لَيْتَهَا لَمَّا غَدَتْ فِي حَامِلًا * أُصِيبَ مِنْ أَحْتَفَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمْلِ
وَيَا لَيْتِي لَمَّا وُلِدْتُ وَأَصْبَحْتُ * تُشَدُّ إِلَى الشَّدَقِمِيَّاتِ بِالرَّحْلِ،
لَحِقْتُ بِأَسْلَافِي فَكُنْتُ صَجِيْعَهُمْ * وَلَمْ أَرِ فِي الْإِسْلَامِ مَا فِيهِ مِنْ نُكَلٍ

وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب معتقلا بالشَّوَبَك، فأخرجه الصوابي نائب الملك الصالح وملكه الكرك فبقي بها حتى قبض عليه الملك الظاهر بيبرس وقتله في سنة إحدى وسبعين وستمائة، وهو آخر من ملكها من بني أيوب .

قلت : وأما غير هذه الممالك كحِمَصَ وبعَلَبَكَ فإنما كانت في الغالب تبعا لغيرها حتى إن حِمَصَ وبعَلَبَكَ حين آستولت التتار على الشام في آخر الدولة الأيوبية كانتا مضافتين إلى دِمَشَقَ .

وأعلم أن غالب أطراف البلاد الشامية ومضافاتها كانت بأيدي ملوك متفرقة من قديم الزمان وبعضها حدث أنفراده ، ثم تنقلت بها الأحوال حتى آستولى على كثير منها أهل الكُفْر، وصارت بأيديهم إلى أن قِيَصَ الله تعالى لها من فتحها ؛ ثم آستعاد أهل الكفر منها ما آستعادوا، ثم فُتِحَ ثانيا على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك القُدُسُ - كانت بيد نُتُش بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب دِمَشَقَ المتقدم ذكره . كان قد أقطعها للأمير أرتق جد ملوك ماردين الآن . فلما توفى أرتق المذكور صار القُدُسُ لولديه يلغازي وسُقْمَان، وبقي بيديهما إلى أن آنتزعه منهما (المستنصر الفاطمي) في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، وبقي بيده إلى أن ملكه الفرنج منه في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، بعد أن بذلوا السيف في المسلمين نحو سبعة أيام وقتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على تسعين ألف نفس ، وبقي بيديهم حتى فتحه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ثم آستعاده الفرنج من الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمهادنة جرت بينهم في سنة ست وعشرين وستمائة .

ثم آنتزعه منهم (الملك الناصر داود) صاحب الكرك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم سلمه (الصلاح إسماعيل) صاحب دِمَشْق (والناصر داود) صاحب الكرك المتقدم ذكره للفرنج بعد ذلك ليكونوا عوناً لهما على الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتحه الصالح (نجم الدين أيوب) صاحب مصر وأقتلعه من أيديهم في سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فأستمر بأيدي المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك بلاد السواحل الشامية كانت بأيدي أناس متفرقة .

فأما أطرابلس وصفد ، فقد تقدم الكلام عليهما في الكلام على ملوك الممالك الشامية . وأما غيرها من بلاد السواحل وما والاها ، فإن غالبها كان بيد الفاطميين خلفاء مصر إلى أن ضعفت دولتهم في أيام المستنصر أحد خلفائهم ، فقصدت الفرنج هذه السواحل من كل جهة وأستولوا على بلادها شيئاً فشيئاً .

فأستولوا على عكا وجبيل في سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وعلى صيدا في سنة أربع وخمسمائة ، وأستشروا فسادهم حتى ملكوا بيروت وعسقلان وصور وأنطرسوس والمرقب وأرسوف والأذقية ولدا والرملة ويافا ونابلس وغزة وبيت لحم وبيت جبريل ، وغير ذلك من بلاد السواحل وما جاورها ، فبقيت في أيديهم حتى فتحها السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" فيما بين الثلاث والثمانين والخمسمائة إلى الثمان والثمانين والخمسمائة .

ثم عقد الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين على أن تكون يافا وأرسوف وعكا وقيسارية وأعمالها بيد الفرنج ، وأن تكون لُد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين .

ثم أستولوا على بيروت في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ثم وقعت الهدنة بعد ذلك بين الفرنج وبين العادل أبي بكر بن أيوب في سلطته في سنة إحدى وستمائة على أن تستقر بيد الفرنج يافا وترك لهم مناصفة لُد والرملة .

ثم استعاد الفرنج عكا في سنة أربع عشرة وستمئة في أيام العادل أبي بكر المذكور .
ثم استولوا على صيدا وما معها في أيام ابنه الكامل محمد في سنة ست وعشرين
وستمئة قبل تسليمه القدس لهم .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل صاحب دمشق صفد والشقيف على أن يعاونوه على
الصالح أيوب صاحب مصر في سنة ثمان وثلاثين وستمئة .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل المذكور والناصر داود صاحب الكرك عسقلان وطبرية
حين سلماهم القدس في سنة إحدى وأربعين وستمئة .

ثم فتح "الصالح أيوب" صاحب مصر غزة وأستولى عليها في سنة اثنتين وأربعين
وستمئة .

ثم فتح (الظاهر بيبرس) في سنة اثنتين وستين وستمئة قيسارية وأرسوف، وصفد
وياقاف في سنة أربع وستين وستمئة . وفتح صهيون في سنة ست وستين وستمئة ،
وأطرابلس في سنة ثمان وثمانين .

ثم فتح ابنه (الأشرف خليل) عكا في سنة تسعين وستمئة، واتبعت فتوحه ففتح
صيда ويروت وعثليث في السنة المذكورة . وبنمطه تكاملت بلاد السواحل
بأجمعها . ولما فُتحت هُدمت جميعها خوفا أن يملكها الفرنج ثانياً وبقيت بأيدي
المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك أنطاكية - التي هي قاعدة العواصم . فإنها كانت بيد باغي سيان بن محمد
ابن ألب أرسلان السلجوقي إلى أن غلب عليها الفرنج في سنة إحدى وتسعين
وأربعمئة، وقتلوا باغي سيان المذكور، وقتل فيها ما يزيد على مائة ألف نفس بعد
حصار تسعة أشهر، وما كوا معها كفر طاب، وصهيون، والشعر وبكاس، وسرمين

وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ حَلَبَ ، وَبَالغُوا حَتَّى جَاوَزُوا الْفِرَاتَ إِلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ؛
وَمَلَكُوا الرَّهَّاءَ وَسُرُوجَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ بِلَادِهَا حَتَّى فَتَحَ السُّلْطَانُ صَالِحُ الدِّينِ يَوْسُفُ
أَبْنَ أَيُّوبَ الشُّغْرَ وَبَكَاسَ وَسَرْمِينَ وَغَيْرَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

ثُمَّ أَسْتَعَادَتْهَا الْفَرَنْجُ بَعْدَ فَتْحِهِ ؛ ثُمَّ فَتَحَ أَنْطَاكِيَّةَ "الظَّاهِرُ بَيْرَسُ" فِي سَنَةِ سِتِّ
وَسْتِينَ وَسَمِئَةَ ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - بَاقِي بِلَادِ الثُّغُورِ وَالْعَوَاصِمِ كَأَيَّاسَ وَأَدْنَةَ وَالْمَصْيِصَةَ وَطَرَسُوسَ
وَبَغْرَاسَ وَبَهَسْنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَسَيْسَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الثُّغُورِ . فَإِنَّ الْأَرْمَنَ وَثَبُّوا عَلَيْهَا
قَبْلَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى نَوَاحِيهَا وَمَنَعُوا مَا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنَ الْإِتَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَاسْتَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ قَلْعَةَ الرُّومِ وَمَا قَارِبَهَا ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى فَتَحَ الظَّاهِرُ
بَيْرَسَ بَغْرَاسَ وَبَهَسْنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا ، وَأَنْتَرَعَهَا مِنَ الْأَرْمَنِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ
وَسْتِينَ وَسَمِئَةَ .

وَفَتَحَ الْأَشْرَفُ "خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ" قَلْعَةَ الرُّومِ ، وَأَنْتَرَعَهَا مِنْ يَدِ خَلِيفَتِهِمْ
فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَسَمِئَةَ ، وَسَمَّاها قَلْعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْحَلِيبَةِ .

وَفَتَحَ "النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ" فِي سُلْطَنَتِهِ الثَّلَاثَةَ أَيَّاسَ ^(١) ، وَمَا وَالِهَا فِي سَنَةِ ثَمَانِ
وَتَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةَ .

وَفَتَحَ "الْأَشْرَفُ شُعْبَانُ بْنُ حَسِينٍ" بْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ سَيْسَ وَسَائِرَ بِلَادِ
الْأَرْمَنِ عَلَى يَدِ قَشْتَمِرِ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبِ حَلَبَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - قَلَاعُ الدَّعْوَةِ ، الَّتِي هِيَ الْآنَ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ : وَهِيَ مَصِيفُ
وَالْعَلِيقَةِ وَالْمِنِيقَةِ وَالْكَهْفِ وَالْقُدْمُوسَ وَالْحَوَائِي . فَإِنَّهَا كَانَتْ بِأَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ

(١) ضَبَطَهَا صَاحِبُ "الْقَامُوسِ" كَسَجَابِ وَنَصَّ عَلَى مَدِّ الْهَمْزَةِ صَاحِبُ "التَّقْوِيمِ" .

المعروفين الآن بالفداوية، قبل دخولهم في طاعة ملوك الديار المصرية، فبقيت بأيديهم حتى أنتزعها منهم الملك "الظاهر بيبرس" في سنة ثمان وستين وستمائة، وأنتزع منهم العليقة في سنة تسع وستين .

ثم أنتزعت منهم باقي القلاع في سنة إحدى وسبعين ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حينئذ، وصاروا شيعة لهم .

وهذا آخر ما يحتمله الكتاب مما يحتاج إلى معرفته .

الطَّرْف الثالث

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية في ذكر أحوال المملكة الشامية؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ترتيب نياباتها على ما هي مستقرة عليه)

قد تقدم أن الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد، وكلُّ مملكة منها قد صارت نيابة سلطنة مضاهية للملكة المستقلة .

النيابة الأولى

(^(١) نيابة دِمَشْق، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها فيها، فعلى ما تقدم في الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وزناً، والدنانير الاقزنتية عدداً، والدرهم النُقرة وزناً

(١) قد عد ثلاث جمل فتنبه .

لاختلف النقود في ذلك، إلا أن الصنجة في أوزان الذهب بالديار المصرية تحالف الصنجة الشامية في ذلك، فتتقص الصنجة الشامية عن المصرية كل مائة مثقالٍ مثقالٍ وربع مثقالٍ، وتتقص صنجة الدراهم الشامية عن الصنجة المصرية كل مائة درهمٍ درهمٌ؛ والمعاملة فيها بفلوس صغار، وكان يتعامل بها في الديار المصرية في الزمن الأول قبل ضرب الفلوس الجُدُد، حسابا عن كل درهم أربعة وستون فلسًا، وكل أربعة فلوس منها يُعبر عنها عندهم بحبة، ثم راجت الفلوس الجُدُد عندهم بعد سنة ثنتين وثمانمائة. إلا أن كل (١) بدرهم بخلاف ما تقدم في الديار المصرية من أن كل أربعة وعشرين فلسًا منها بدرهم.

وأما رطلها الذي يعتبر به موزوناتها فستمائة درهم بدرهمهم المتقدم تقديره، وأوقية اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية خمسون درهما.

وأما كيلها الذي يعتبر به مكيلاتها فالغرارة، وهي اثنا عشر كيلًا، كل كيل ستة أمداد، يتقص قليلًا عن رُبُع الويئة المصرية، ونسبة الإردب من الغرارة أن كل غرارة ومد ونصف ثلاثة أمداد بالكيل المصري تحريرا على الدمشقي. ثم قال: (٢) لكن كيل دمشق ورطلها هو المعتبر وإليه المرجع.

وأما قياس قماشها فبذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة بنصف سدس ذراع وهو قيراطان.

وأما قياس أرض الدور بها وما في معناها، فإنه يعتبر بذراع العمل المتقدم الذكر في الديار المصرية.

(١) بياض في الأصل بتدركمة.

(٢) لم يقدم لنا ما يعود عليه الضمير ولعله صاحب "المسالك".

وأما سعرها فقَالَ في "مسالك الأبصار" : سعر اللحم بها أرخص من مصر والدجاج والإوز أعلى من مصر، وكذلك السكر؛ ولم يتعرض لغير ذلك . ولا خفاء في أن الفاكهة فيها أرخص من مصر بالقدر الكبير ، والقمح والشعير والبقلاء نحو من سعر مصر؛ وذلك كله عند اعتدال الأسعار . أما حالة الغلاء فيختلف الحال بحسبه .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها ؛ وهو ضربان)

الضرب الأول

(في ترتيب حاضرتها)

أما جُيُوشها ، فعلى ما تقدم في الديار المصرية في اجتماعها من الترك والخرس والروم والروس والآص ، وغير ذلك من الأجناس المضاهية للترك في الزيِّ ، ويزيد بها التُّركان المتميزون عن صفة الترك وزيِّهم ، وجندها ينقسمون إلى ما تقدم في الديار المصرية : من الأمراء المقدمين والطلبخانات والعشرات ، ومن بين المقدمين والطلبخانات : كأمرء السبعين والخمسين ، وما بين العشرات والطلبخانات كالعشرينات ونحوهم ؛ وكذلك مقدمو الحلقة وجندُها ، ولا وجود فيها للمالِك السلطانية لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان . وقد أخبرني من له خبرة بحال مملكتها أن الأمراء المقدمين بها كانوا في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون عشرة غير النائب بها ، وربما نقصوا الآن عن ذلك ، وأن أمراء الطلبخانات بها كانوا إذ ذاك أربعين وأنهم الآن نيف وخمسون ، وأن أمراء العشرات كانوا بها ألفين ومائة وخمسين بما فيهم من البحرية .

وأما إقطاعاتها - فقال في "مسالك الأبصار": إن إقطاعاتها لا تقارب إقطاعات مصر، بل تكون على الثلثين منها، إلا في أكابر الأمراء المقربين بحضرة السلطان، فإن إقطاعاتهم خارجة عن العادة فلا يُعتد بها. قال: ولا أعرف بالشام ما يقارب ذلك إلا ما هو لنائب دمشق.

وأما بيوتاتها السلطانية - فقال في "مسالك الأبصار": بها خزانة تخرج منها الإناعام والخيل، وخزائن سلاح، وزردخاناه، وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مختصرة، حتى لو جهز السلطان إليها جريدة وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته. قال: وكل أمير أمر فيها أو في غيرها من الشام أو ربّ وظيفة ولى وظيفة من عادة متوليها لبس خلعة أو خدم أحد خدمة في مهم من المهمات أو أمر من الأمور يستوجب خلعة أو إناعاما ولم يُجَلع عليه من مصر كان من دمشق خلعتُه وإناعامه، ومنها تخرج أعلام الإمرة وطلائعهن وشعار الطبلخاناه. وفي خزائن السلاح بها تُعمل المجانيق والسلاح، ويحمل إلى جميع الشام وتعمر به البلاد والقلاع، ومن قلعها تجرّد الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام، وتنسب في التجاريد والمهمات.

قلت: أما باقى البيوت كالفراش خاناه والإصطبلات السلطانية وما شاكلها، فلا وجود لها فيها مما ينسب إلى السلطان، بل يكون ذلك للنائب قائما مقام السلطان لأنه في الحقيقة السلطان الحاضر؛ وكان بها مطابخ السكر السلطانية فأضيفت إلى من يتحدّث في الأغوار من النائب أو غيره من الأمراء الأكابر.

الضرب الثاني

(في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تباين مراتبهم، ووظائفها
المعتبرة على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف)

وهي مضاهية لوظائف أرباب السيوف بالحضرة السلطانية في كثير منها؛
وهي عدة وظائف .

(منها) نيابة السلطنة بها - وهي أجل نيايات الملكة الشامية وأرفعها في الرتبة،
ونائبها يضاهي النائب الكافل بالحضرة السلطانية في الرتبة والألقاب والمكاتب، ويعبر
عنه في المكاتب السلطانية وغيرها "بكافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس"
ويكتب له من الأبواب السلطانية تقليد شريف من ديوان الإنشاء الشريف؛
وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنيابته، ويكتب عنه
التواقيع الكريمة، ويكتب عنه المربعات بتعيين إقطاعات الجند، وتجهز إلى الأبواب
الشريفة فيشملها الخط الشريف السلطاني، ويترتب حكم المربعات المصرية والمناشير
على حكمها كما سيأتي في الكلام على المناشير في مرضعها إن شاء الله تعالى؛ وهو يكتب
على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالأعتاد؛ ودمعه يكون
نظر البيارستان النوري بدمشق كما يكون نظر البيارستان المنصوري بالقاهرة مع
أتابك العساكر؛ وكذلك يكون معه نظر الجامع الأموي بها .

(ومنها) نيابة القلعة بها - وهي نيابة منفردة عن نيابة السلطنة، ليس لنائب السلطنة
عليها حديث، وولايتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف يكتب من ديوان

الإنشاء الشريف . قال في "التثقيف" : وكان عادة نائبها في الأيام المتقدمة مقدّم ألف ، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه ، وهي على ذلك إلى الآن . ومن شأنه حفظ القلعة وصونها ، ولا يسلم مفتاحها لأحد إلا لمن يتولاها مكانه أولم يأمره السلطان بتسليمه له . ولناؤها أجناد بحرية مقيمون في القلعة لخدمته ، ولا يحضر هو ولا أحد منهم دار النيابة بالمدينة ، ولا يركبون في الغالب . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أن بالقلعة طبلا مرتباً لاستعلام أوقات الليل إذا أُذِن للعشاء الآخرة ضرب عليه عند مضي كل أربع درج ضربة واحدة إلى أن يتقضى ثلث الليل الأول . فإذا دخل الثلث الثاني ضرب عليه عند مضي كل أربع درج ضربتين إلى أنه قضاء الثلث الثاني . فإذا دخل الثلث الثالث ضرب عليه عند مضي كل أربع درج ثلاث ضربات إلى أن يؤذّن للصبح . قال : وهكذا شأن سائر القلاع بالممالك الشامية .

(ومنها) الجوبية - وكان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون فيما يقال ثلاثة حُجَّابٍ ، أحدهم حاجب الحُجَّاب ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير حاجب ؛ وعادته أن يكون مقدّم ألف من الزمن القديم وهلمَّ جرّاً ؛ وهو الرتبة الثانية من النائب ؛ ومن شأنه الجلوس بدار العدل ، ولا يقف كما يقف حاجب الحُجَّاب بين يدي السلطان بالديار المصرية ، وإذا نَحَرَج النائب عن دِمَشق في مهمٍّ أو غيره ، كان هو نائب الغيبة عنه . وإذا برز مرسومُ السلطان بالقبض على نائب السلطنة بها ، كان هو الذي يقبض عليه ويفعل فيه ما يؤمر به من سجن أو غيره ، ويقوم بأمر البلد إلى أن يُقام نائب آخر . والحاجبان الآخران طبلخانتان أو طبلخاناه عشرة ، وربما كانوا أربعة : حاجب الحُجَّاب وثلاث طبلخانات أو طبلخانتان وعشرون أو عشرة أو غير ذلك ؛ ورتبهم في المواكب أن يكون حاجب الحُجَّاب والذي يليه في الرتبة ميمنةً والثاني ميسرة . ثم صاروا في الأيام الظاهرية برقوق خمسة أو ستة .

ولم تجر العادة بأن يكتب لأحد منهم مرسومٌ شريفٌ من الأبواب الشريفة عند ولايته، ولا مدخلٌ للنائب بها في كتابة ما يوقع لأحد منهم .

(ومنها) شدَّ المهَمَّات - وهي رتبة جليلة ، وموضوعها التحدُّث في أمور الاحتياجات السلطانية، وتارة لنائب السلطنة بدمشق، وتارة لحاجب الحجاب، وتارة لبعض الأمراء من المقدمين والطلبخانات بحسب ما يقتضيه رأى السلطان .

(ومنها) نقابة القلعة بها - وهي إمرة عشرة بمرسومٍ شريفٍ ، يكتب له من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نقابة النُقباء - وهما نقيبان : نقيبٌ لليمنة ونقيبٌ لليسرة .

(ومنها) الحزِنْدَارِيَّة - وموضوعها التحدُّث على الحِجَع والتشاريف السلطانية بالقلعة وعادتها أربعة طواشِيَّة خُصِيَانٌ بعضهم أعلى رتبةً من بعض ، أحدهم في رتبة أمير طلبخاناة أو أمير عشرين ، والثانى دونه ، والثالث دونه ، والرابع دونه ، وكل منهم له توقيع كريم من نائب السلطنة بدمشق على قدر رتبته .

(ومنها) نقابة الجيش - وفيها ثلاثة نفر، أكبرهم يعبر عنه بنقيب النقباء ، تارة يكون أمير طلبخاناة، وفي غالب الأوقات أمير عشرة، ودونه آثنان من جند الحلقة . ويكتب لكل منهم توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) شدَّ الدواوين - وموضوعها التحدُّث في استخراج الأموال السلطانية رفيقًا للوزير كما في الديار المصرية ، وكانت في الأيام المتقدمة إمرة طلبخاناة ، ثم استقرت إمرة عشرة . وهي الآن جندي من أجناد الحلقة ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدَّ الأوقاف - وموضوعها التحدُّث على أوقاف المسلمين بدمشق ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما كانت طلبخاناة، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

- (ومنها) شدّ الحاصّ - وعادته طبخاياه أو عشرة أيضا .
- (ومنها) شدّ الزكاة - وموضوعها التحدّث على متّجر الكارم ونحوه ، وكانت في الزمن المتّقدم إمرة عشرة ، وهي الآن جنديّ ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .
- (ومنها) شدّ العُشر - وموضوعها التحدّث في واصل الفرنج ، وكانت إمرة عشرة ، وهي الآن جنديّ ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .
- (ومنها) شدّ دار الطّعم - وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وعادتها إمرة عشرة أو مقدّم حلقة أو جنديّ ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .
- (ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدّث في أمر الشرطة كما في سائر الولايات ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما وليها جنديّ ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .
- (ومنها) المهندارية - وموضوعها تلقي الرُّسل الواردين ، في أمور أخرى كما في الديار المصرية . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أنه كان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون في نيابة الأمير تنكز مهندار واحد مقدّم ألف ، ثم استقرت في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" نفرين ، وهي على ذلك إلى زماننا ، وهما الآن أمير عشرة ، وجنديّ ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .
- (ومنها) أمير اخورية البريد - وموضوعها التحدّث على خيول البريد بدمشق ونواحيها . وأخبرني بعض أهل هذه المملكة أنه لم يزل بها أمير عشرة من الأيام الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن .
- (ومنها) تقدّمة البريد - وموضوعها التحدّث على جماعة البريدية بدمشق . وأخبرني بعض أهل المملكة أنها كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون منحصرة

في واحد من جملة البريدية، ثم أستقر فيها الآن أشان إما إمرة عشرة وإمرة خمسة، أو إمرة خمسة وجندى، أو نحو ذلك؛ ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته .

(ومنها) سُود صغار متعددة، يوثى بها أجناد بتوقيع لهم عن النائب : كشّد دار البَطِيخ والفاكهة ، وشّد المسابك من الحديد والنحاس والرّجاج وغير ذلك ، وشّد الموارث الحشرية ونحو ذلك . وكان لمطابخ السُّكَّر شّد مفرد يوثى بتوقيع كريم عن النائب ، ثم أستقر ذلك مضافا لمن يتحدّث على الأغوار من النائب أو غيره .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية : كرأس نوبة ، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، وأمير اخور ، وأمير جاندار ، وأستادار المباشرة ، وأستادار الصحبة ، وشادّ الشراب خاناه ، والباشكير ، ومقدم المماليك ونحوهم ، فلا وجود لهم هناك . وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء .

الصنف الثانی

(الوظائف الديوانية ؛ وهي عشر وظائف)

(منها) الوِزَارَة - وهي تارة تلورتبة صاحبها بأن يكون جليل القدر، كما إذا كان قد تقدمت له ولاية وزارة بالديار المصرية أو نحو ذلك فيصرّح له بالوزارة ، وتارة تقصّر رتبته عن ذلك فيطلق عليه ناظر المملكة الشامية ، ولا يُسمح له من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية باسم الوزارة ، وإن كان الجارى على السنة العامة إطلاقاً لفظ الوزير عليه . وكيفما كان فإنما يوليه السلطان من الأبواب الشريفة . إن كان وزيراً كتب له تقليد، وإن كان ناظراً للملكة كتب له مرسوم . قلت : وقُلَّ أن

يلبها أرباب السيوف، فإن وقع ذلك آحتاج معه إلى ناظر مملكة كما يكون ناظر الدولة مع الوزير ربّ السيف بالديار المصرية .

(ومنها) كتابة السرّ - ويعبر عن متوليها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس، ولا يقال فيه : صاحب دواوين الإنشاء كما في الديار المصرية . على أنها تضاهى كتابة السر بالديار المصرية في الرياسة ورفعة القدر . وموضوعها على نحو ما تقدّم في الديار المصرية . وكيفما كان فإنما يؤتى من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، ويحترز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهم ليطلع به بخصيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يُخفيه عن السلطان . وبديوانه كُتِب الدست وكُتِب الدرّج كما بالديار المصرية، ويقال إنه كان عدّة كُتّاب الدست في الأيام الناصرية ابن فلاوون نفرين وكُتّاب الدرّج جماعة يسيرة، ثم زاد الأمر كما في الديار المصرية . وولايات كُتّاب الدست وكُتّاب الدرّج بتوقيع كريمة عن النائب دون الأبواب الشريفة .

وأخبرني بعض أهل دمشق العارفين بأحوال المملكة أن كاتب السرّ في الزمن المتقدم لم يكن يحضّر دار العدل مع النائب، وإنما كان يحضّر كُتّاب الدست فقط فيوقّعون بما يحتاج إليه في المجلس وينصرفون إلى كاتب السرّ فيخبرونه بما أتفق، وكاتب السرّ يجتمع بالنائب في أوقات مخصوصة فيما يتعلق بالأمور السلطانية فقط، وكان كاتب السرّ ربما دأب على الموقّعون فيما يقع بدار العدل فيلحقه بعض الخلل . فلما ولي كتابة السرّ القاضي (١) سعى السعي العظيم حتى أُذن له في الحضور بدار العدل والتوقيع فيه، وأستمر ذلك إلى الآن .

(ومنها) نظر الجيش - وموضوعه التحدث في الإقطاعات : إما في كتابة مربيّات تُكْتَب بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوفرة عن أربابها بالموت ونحوها وتكملها بخطوط ديوانه، ويجهزها النائب إلى الأبواب الشريفة ليشملها الخطُ الشريفُ السلطانيّ، وتُجَمَل إلى ديوان الجيوش بالديار المصرية فتجعل شاهداً محمّداً فيه، وتكتبُ منه مربيّة، بمقتضاها يخرج المنشور على نظيرها كما تقدّمت الإشارة إليه . وإما في إثبات المناشير الشريفة التي تصدر إليه من الأبواب السلطانية بديوانه حفظاً لحسابات المقطعين . وليس بالشام كتابة مناشير أصلاً، بل ذلك مختص بالأبواب السلطانية، فإن كان فيه كتابة الدست وقّع بدار العدل في جملة الموقعين وإلا فلا . وإذا كان موقعاً جلس مجلس ناظر الجيش وإن كان متأخراً في القُدْمَة عن غيره من الموقعين، وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف . وبديوانه عدّة مباشرين من صاحب ديوان وكتّاب وشهود، ولا يتم عن النائب بتوقيع كريمة . وناظر الجيش هو الذي يحكم في المحاكمات الديوانية كما يحكم فيها مستوفى المرتجع بالديار المصرية .

(ومنها) نظر المهمّات الشريفة - وهي وظيفة جلييلة يكون متوليها من أرباب الأقاليم رقيقاً للشاد المهمات المتقدم ذكره من أرباب السيوف : من النائب أوحاجب الجباب أو غيرهما . وهي تارة تضاف إلى الوزارة، وتارة تُفرد عنها بحسب ما يراه السلطان . وولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وبهذا الديوان عدّة مباشرين من كتّاب وشهود، فيوليم النائب بتوقيع كريمة .

(ومنها) نظر الخاص - وموضوعه هناك التحدث فيما يتعلق بالمستأجرات السلطانية وغيرها من الأغوار وما يجري مجراها، وربما أضيف نظرها للوزير .

(ومنها) نظر الخزانة، ويعبر عنها بالخزانة العالية . ومتوليها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشيئة المتقدم ذكرهم . فيكون متحدثا في أمر التشاريف والحلج وما معها، وهي وظيفة جليلة يوليها النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان النوري - وقد صار النظر عليه معدوقا بالنائب، يقوض المتحدث فيه إلى من يختاره من أرباب الأقلام .

(ومنها) نظر الجامع الأموي - وفي الغالب يكون مع قاضي القضاة الشافعي .

(ومنها) نظر حرائن السلاح - وموضوعها كما في الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيوت - وموضوعها على ما تقدم في الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وأخبرني بعض الدمشقيين أن هذه الوظيفة آسم على غير مسمى لا حقيقة لها ولا مباشرة، لعدم البيوت السلطانية هناك .

(ومنها) نظر بيت المال - وحكمها كما في الديار المصرية .

(ومنها) نظر ديوان الأسرى - وهو المتحدث في الأوقاف التي تُمدى بها الأسرى .

(ومنها) نظر الأسواق - وموضوعها كما تقدم في الديار المصرية من المتحدث

على سوق الرقيق والخيل ونحوها، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر مراكز البريد - ومتوليها يكون رفيقا لأمير اخور البريد المتقدم ذكره، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الحوطات - وهو على نحو من أستيفاء المرتجع بالديار المصرية في تحصيل الأموال السلطانية .

أما الحكم في المحاكمات الديوانية، فيختص بناظر الجيش كما تقدم ذكره .

(ومنها) نظر المسابك - ومتولىه يكون رفيقا لشاذ المسابك المتقدم ذكره في أرباب السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم . قلت : ويضم إلى كل نظر من هذه الأنظار مباحثرون : من شهود وغيرهم ، يكتب لذوى الصوب منهم تواقع كريمة عن النائب بوظائفهم ، في أنظار أخرى لا يسع أستيفائها : كنظر المواريث الحشرية وغيرها . ومما أهمل من الأنظار بها نظر مطابخ السكر كما أهمل شذها لإضافتها إلى المتحدث في الأغوار على ما تقدم ذكره في الكلام على وظائف أرباب السيوف .

الصنف الثالث

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية؛ وهي عدة وظائف أيضا)
 (منها) قضاء القضاة - وبها أربع قضاة من المذاهب الأربعة على الترتيب المتقدم في الديار المصرية . فأعلام الشافعيّ وهو المتحدث على المواضع الحكيمة والأوقاف وأكثر الوظائف؛ ويختص بتولية التواب في النواحي والأعمال بجميع أعمال دمشق حتى في غزّة، ويليه في الرتبة الحنفى، ثم المالكي، ثم الحنبليّ . وكان استقرار القضاة الأربعة بها بعد حدوث ذلك بالديار المصرية، لكن لم تستقر الأربعة دفعة واحدة كما وقع في الديار المصرية في الدولة الظاهرية ببيرس، بل على التدرج . وأقدمهم فيها الشافعيّ؛ وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة بتواقع شريفة .

(ومنها) قضاء العسكر - وموضوعه كما تقدم في الديار المصرية، وبها قاضيا عسكر شافعيّ، وحنفيّ، وليس بها مالكيّ، ولا حنبليّ؛ وولايتهما من الأبواب الشريفة السلطانية بتواقع شريفة .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وهي على ما تقدم في الديار المصرية أيضا، وبها مفتيان شافعيّ وحنفيّ؛ كما في قضاء العسكر، وولايتهما عن النائب بتواقع كريمة .

(ومنها) وكالة بيت المال - وموضوعها ما تقدم في الديار المصرية ، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ووكالته مشبوة على الحكام متفذة .^(١) ولكن لاجلوس له بدار العدل كما يجلس ويكل بيت المال بالديار المصرية، إلا أن يكون كاتب دست فيجلس بواسطتها في جملة الموقعين لا بالوكالة .

(ومنها) بقابة الأشراف - والأمر فيها كما في الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وقد تقدم في الكلام عليها في الديار المصرية أنه كان من حقها أن تورد في جملة وظائف أرباب السيوف إذ يكتب في توقيع متوليها "الأميرى" وإن كان متعما، وإنما التغليب العرفي اقتضى ذكرها في جملة وظائف أرباب الأقسام .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - وموضوعها كما في الديار المصرية : من التحدث على جميع الخوانق والفقراء بدمشق وأعمالها، والعادة أن يكون متوليها شيخ الخانقاه الشميصاتية بدمشق، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) الحسبة - وهي كما تقدم في الديار المصرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . ولا مجلس متوليها بدار العدل كما يجلس محتسب القاهرة بدار العدل في الديار المصرية ، وإليه ولاية نواب الحسبة بجميع أعمال دمشق .

(ومنها) الخطابات المددوقة بنظر النائب - فيولى فيها بتواقيع كريمة حتى إنه ربما كتب عنه التواقيع بخطابة الجامع الأموى ، وإن كان الغالب أنها لاتولى إلا من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، وقد صارت مضافة لقاضى القضاة الشافعى .

(ومنها) التداريس - وتختلف باختلاف حال من يتولاها في الرقعة وغيرها ، وولاياتها عن النائب بتواقيع كريمة غالبا والله أعلم .

(١) الأولى ثابتة ، وقد جرى في التعبير العرفى العامى .

الصنف الرابع

(من الوظائف بِدِمَشْقَ ووظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رياسة الطَّبِّ ، ورياسة الكَحَّالين ، ورياسة الجرائحية - وكلها على نحو ما تقدم في الديار المصرية ، وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت وما في معناها ، فهناك تختص بالنائب لقيامه مقام السلطان وأختصاص البيوت به .

الصنف الخامس

(وظائف زعماء أهل الذمة بها)

وفيها بطرك النصارى اليَعاقِبة ، وبَطْرُكُ النصارى المَلِكانيّة ، ورئيس اليهود القرآيين والرَبّانيين ، ورئيس السامرة ، ولكنه مقيم بمدينة نَابُلس التي هي مدينتهم المعظمة عندهم ، وإلى طُورها حَجَّهم ، وله نائب مقيم بِدِمَشْقَ . قلت : وربما كتب عن السلطان من الأبواب الشريفة بتواقيع ومراسيم بالحل^(١) على ما تصدر ولايته عن النائب ، وربما كتب به عنه ابتداء .

الجملة الثالثة

(في ترتيب النيابة بها)

وتوافق ترتيب السلطنة في الديار المصرية في بعض الأمور، وتخالفها في بعض . وكان عادة النائب بها في المواكب أن يركب في العسكر من الأمراء ومقدمي الخلقة وأجنادها في كل يوم آثين ونحيس ، ويخرجون إلى سوق الخيل تحت القلعة فيسيرون

(١) المراد بثبت ما يصدر عن النائب كما تفيد البقية .

خيولهم ، وتعرض عليهم خيول المنادة وغيرها من آلات السلاح ونحوها ، وينادى بينهم على العقار من الدور والضّياح وغيرها ، ولا يتعدون سوق الخليل إلى غيره . أما الآن فإنهم قد رفضوا التسيير بسوق الخليل ، وصار النائب يخرج بالسكر إما إلى ميدان ابن أتاك ، وإما إلى قبة يلغا : قبليّ دِمَشَق ، وإما إلى المزة غربىّ دِمَشَق ، وإما إلى القابون شمالىّ دِمَشَق على حسب ما يختاره ، فيسيرون هناك بدلا من تسييرهم بسوق الخليل ، ولا يسيرون بسوق الخليل إلا في يوم مهم من حضور رُسل من بعض الملوك الغرباء ونحو ذلك . فإذا فرغوا من التسيير عند ارتفاع النهار، عاد النائب في موكبه حتى يأتي باب الحديد من أبواب القلعة ، ويقف الأمراء على ترتيب منازلهم ، وينادى بينهم على العقار والدور وغيرها ، وكذلك الخيول والسلاح . ثم يسير النائب إلى دار النيابة ، فإن كان في الموكب سَمَاط تقدم الأمراء في خدمته ، ويترجل مماليكه من سوق الخليل ، ثم الأمراء على القرب من دار النيابة على ترتيب منازلهم حتى يكون ترجل المقدمين على باب دار النيابة ، ويبقى النائب راكبا وحده حتى ينتهى إلى قاعة عظيمة معدة لليلوس في المواكب بمثابة الإيوان الذى يجلس فيه السلطان بقاعة الجبل بالديار المصرية ، ويصعد بها كرسي من خشب مغشى بغشاء من الحرير الأطلس الأصفر، وعليه سيف نجاه، مسند إلى صدره، فيجلس النائب بصدر القاعة على مقعد مختص به ، لا يشاركه أحد في الجلوس عليه ، وخلفه بثميمخ منصوب وراء ظهره كعادة الأمراء ، ويكون الكرسي المذكور على شماله على نحو ثلاثة أذرع منه ، ويجلس قاضى القضاة الشافعى عن يمين النائب على نحو ثلاثة أذرع منه ، مسندا ظهره إلى جدار صدر القاعة ، ويجلس قاضى القضاة الحنفى عن يمينه ، وقاضى القضاة المالكى عن يمين الحنفى ، وقاضى القضاة الحنبلى عن يمين المالكى ، وقاضى العسكر الشافعى عن يمين قاضى القضاة الحنبلى ، وقاضى العسكر

الحنفيّ عن يمين قاضي العسكر الشافعيّ، صفاً مساوياً للنائب في صدر القاعة؛ ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقاً لمقعده الذي هو جالس عليه، جاعلاً يمينه إلى جدار صدر القاعة وظهره إلى جهة الكرسيّ. بأتحراف قليل لمواجهة النائب؛ وكُتِبَ الدست بالميسرة تحته بالتدريج على حسب القُدْمة صفاً ممتداً من كاتب السر إلى جهة باب القاعة؛ ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر على سمت يمين قاضي القضاة الحنبليّ؛ ويجلس ناظر الجيش تحته، وكُتِبَ الدست باليمين تحت ناظر الجيش على الترتيب بالقُدْمة أيضاً، أخذاً من الوزير إلى جهة باب القاعة، فيصير كاتب السر والوزير ومن يسامتهما صفين متقابلين؛ ويجلس أتاكُ العساكر من الأمراء في رأس الميمنة خلف الوزير على بُعد، وبقية الأمراء المقدمين تحته على الترتيب بحسب القُدْمة، وأمراء الطليخاناه باليمين تحتهم كذلك حتى يصيروا صفاً آخر كصف الوزير ومن معه؛ ويجلس المقدمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه وتحتهم الطليخاناه على الترتيب المتقدم صفاً آخر مقابلاً لصف الميمنة، بحيث يكون أوله خارجاً عن يسار الكرسيّ. ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع، وبينه وبين رأس الميسرة نحو عشرة أذرع، وتقف طائفة من أمراء العشرات والنخسات ومقدمي الحلقة باليمين صفاً مستقيماً خلف الأتابك والأمراء الجلوس في صفه على ترتيب منازلهم، ويقف مماليك النائب عن يسار الكرسيّ صفاً أخذاً من خلف أول مقدمي الميسرة بأتحراف فيه إلى خلف، وطائفة من مقدمي الحلقة خلف الأمراء الجالسين في الفرجة الواقعة بينهم وبين مماليك النائب؛ ويجلس حاحب الحجاب أمام النائب في آخر صفى الموقعين الممتدين من كاتب السر والوزير بميلة إلى صف الميمنة؛ ويقف بقية الحجاب خلفه، وتقبأ الجيش خلفهم. وترفع القِصص فيتناولها تقبأ الجيش ويوصلونها إلى

حاجب الحجاب فيتناولها ويقوم فيوصلها إلى كاتب السر فيفترقها على الموقعين ،
 ويتدئ هو بالقراءة فيقرأ ما بيده من القصص ويوقع عليها بما يرسم به النائب ،
 ثم يقرأ الذي يليه ، ثم الذي يليه إلى آخر صفه . فإذا فرغ ذلك الصف من القراءة ،
 قرأ من هو أول الصف الذي في جانب الوزير ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه إلى آخر
 الصف . فإذا انتهت القراءة ، قام القضاة ومن في صفهم وكاتب السر والوزير وناظر
 الجيش وسائر أرباب الأقاليم فينصرفون . فإذا آنقضى المجلس وأنصرف القضاة
 ومن معهم ، مد السباط ، ويجلس النائب على رأس السباط والأمراء ومقدمو الحلقة
 على ترتيب منازلهم فيما كلون ، ثم يرفع السباط ويتحول النائب إلى طرف الإيوان
 فيجلس فيه ، ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتي المحاكمات فيفصلها ،
 ويقرأ عليه كاتب السر ما يرفع في ذلك المجلس من القصص ، ويتكلم مع ناظر الجيش
 فيما يتعلق بأمر الجيش والإقطاعات ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف كاتب
 السر وناظر الجيش .

قال في "مسالك الأبصار" : وتزيد عساكر الشام على غيرها ركوب يوم السبت .
 قلت : وهو ركوب مجزئ ليس فيه دار عدل ولا سباط . على أنه ربما أهمل
 حضور دار العدل ومد السباط في يومى الاثنين والخميس أيضا كما في الديار المصرية .

المقصد الثانى

(فى ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو خارج عن حاضرتها من النيابات والولايات)

قد تقدم أن لدمشق أربع صفاقات : غربية (وهى الساحلية) . وقبيلية .
 وشمالية . وشرقية . ففى الصفاقة الأولى وهى الغربية نيابتان وخمس ولايات .

فأما النيابةان :

فالأولى - (نيابة غزّة) أو مقدمة العسكر بها على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .
ومعاملاتها بالدنانير وبالدرهم الثقيرة، وصنجاتها في الذهب والفضة كصنجة الديار
المصرية . وكان بها فلوس كل ثمانين منها بدرهم، ويعبر عن كل أربعة منها بحبة،
ثم راجت بها الفلوس الجدد في أوائل الدولة الناصرية "فرج بن برقوق" ولكن كل
سنة وثلاثين فلسا منها بدرهم، ورطلها سبعمائة وعشرون درهما بالدرهم المصري،
وأواقيها اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية ستون درهما . ومكيلاتها معتبرة بالغرارة . وكل
غرارة من غرارها ثلاثة أردب بالمصري، وقياس قماشها بالذراع المصري، وأرضها
معتبرة بالفدان الإسلامي والفدان الرومي على ما تقدم في دمشق، وجيوشها مجتمعة
من الترك ومن في معناهم ومن العرب والتركيان، وبها من الوظائف النيابة، ثم تارة
يصرح لنائبها بنبابة السلطنة . وبكل حال فنائبها أو مقدم العسكر بها لا يكون
إلا مقدم ألف، وبها أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومن في معناهم، وفيها
من وظائف أرباب السيوف الجوبية، وحاجبها أمير طبلخاناه، وولاية المدينة
وولاية البر، وشدة الدواوين، والمهندارية، ونقابة النقباء وغير ذلك .

وبها من الوظائف الديوانية كاتب درج، وناظر جيش، وناظر مال، وولايتهم
من الأبواب السلطانية؛

ومن الوظائف الدينية قاض شافعي، وولايته من قبيل قاضي دمشق
إذا كانت غزّة تقدمه عسكر وإلا فهي من الأبواب السلطانية، وقاض حنفي
قد استحدثت، وولايته من الأبواب السلطانية، وبها المحتسب، وويكل بيت المال
ومن في معناهم، وكلهم نواب لأرباب هذه الوظائف بدمشق كما في القاضي الشافعي،
وليس بها قضاء عسكر ولا إفتاء دار عدل .

الثانية - (نيابة القُدس) - وقد تقدّم أنها كانت في الزمن المتقدّم ولايةً صغيرة . وأن النيابة استُحدثت فيها في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، ونيابتها إمرة طبلخاناه ، وقد جرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام ؛ ومعاملتها بالذهب والفضة والفلوس على ما تقدّم في معاملة دِمَشقَ ؛ ورطلها ^(١) وكيلها معتبر بالغرارة ، وغرارتها ^(١) وقياس قماشها بذراع ^(١) ؛ وبها من الوظائف غير النيابة ولايةً قلعة القُدس ، وواليها جنديّ ، وكذلك ولاية المدينة ، وكانت توليتها أولاً من جهة نائب السلطنة بدمشقَ ، ثم أخبرني بعض أهل المملكة الشامية أن ولاية والى القلعة وولاية البلد صارتا إلى نائب القُدس من حين استقرّ نيابة ، وكذلك ولاية بلد الخليل عليه السلام . وبها قاض شافعيّ ومحتسب نائبان عن قاض دِمَشقَ ومحتسبها ، وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن أرباب الوظائف بدمشقَ .

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية الرملة) - وكانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من الولايات الصّغار بها جنديّ ، ثم استقرّ بها في دولة الظاهر برقوق كاشف أمير طبلخاناه ، ثم حدثت مكاتبته عن الأبواب السلطانية بعد ذلك .

الثانية - (ولاية لدّ) - وقد كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون ولايةً صغيرة بها جنديّ ، ثم أضيفت إلى الرملة حين استقرّ بها الكاشف المقدم ذكره .

الثالثة - (ولاية قاقون) - وكان بها في الأيام الناصرية جنديّ ، ثم أضيفت إلى كاشف الرملة عند استقراره .

الرابعة - (ولاية بلد الخليل عليه السلام) - وكان في الأيام الناصرية بها جنديّ ، ثم أضيفت إلى القُدس حين استقرّ النائب به .

(١) بياض بالأصل في هذه المواضع ولعلها مثل الذي تقدّم في غزوة لتقارب الأمكنة .

الخامسة - (ولاية نابلس) - وهي باقية على حالها في الانفراد بالولاية ، وواليها تارة يكون أمير طبلخاناه ، وتارة أمير عشرين ، وتارة أمير عشرة .
وأما الصفقة الثانية وهي القبلية ، فيها نيابتان وثمان^(١) ولايات .
فأما النيابتان :

فالأولى منهما (نيابة قلعة صرّخد) - قال في " التعريف " : قد يجعل فيها من يَحْطُّ عن رتبة السلطنة أو تكون نيابة معظمة ، وذكر نحوه في " مسالك الأبصار " وكأنه يشير إلى ما كانت عليه في زمانه ، فإنه من جملة من كان نائباً بها العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة ، ثم أنتقل منها إلى نيابة حماة . وأعلم أن صرّخد المذكورة قلعة لها وِالٍ خاص . قال في " التثقيف " : وهي من القلاع التي يستقل نائب الشام بالتولية فيها .

الثانية - (نيابة مجلّون) - وقد أشار في " التثقيف " إلى أنها نيابة حيث قال : ومجلّون إن كانت نيابة فإن نائب الشام يستقل بالتولية فيها ، ولم تجرله عادة بمكاتبة من الأبواب الشريفة .

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية بيسان) - وواليها جندي .

الثانية - (ولاية بانياس) - وواليها جندي تارة ، وتارة إمرة عشرة .

الثالثة - (ولاية قلعة الصبيبة) - وكانت ولاية صغيرة وبها جندي ثم أضيفت إلى بانياس .

الرابعة - (ولاية الشعرا) - وكانت في الأيام الناصرية مضافة إلى بانياس ، وهي الآن ولاية مفردة ، وواليها جندي .

(١) أي ان جعلت الصلت ولاية مفردة وإلا فسبعة .

الخامسة - (ولاية أَدْرَعَات) - قال في "التعريف" : وبها مقر ولاية الحاكم على جميع الصفقة ، ثم الحاكم على جميع الصفقة تارة يكون طبلخاناه وتكون ولايته عن نائب الشام ، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . أخبرني بعض كتّاب دَسْت دِمَشَق أنه إن كان مقدم ألف ، سُمِّي كاشف الكُشَاف وإن كان طبلخاناه سُمِّي والى الولاية وهو الغالب .

السادسة - (ولاية حُسْبَانَ وَالصَّلْت) - من البقاء . أخبرني القاضي ناصر الدين ابن أبي الطيب كاتب السردِ دِمَشَق أنهما إن جمعا لوال واحد كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة ، وإن أفرد كل منهما لوال كان جنديا .

السابعة - (ولاية بَصْرَى) - ووالها جندي أيضا .

الصفقة الثالثة الشمالية . وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات .

فأما النيابة (فنيابة بَعْلَبَك) - وقد كانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون إمرة عشرة ، ثم صارت الآن إمرة طبلخاناه ، وبكل حال فنائب الشام هو الذي يستقل بولايتها ، وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال في "التعريف" : ولها ولاية خاصة يعنى غير ولاية المدينة ، وقد كانت في الدولة الأيوبية مفردة في الغالب بملك بمفردها .

وأما الولايات :

فالأولى - منها (ولاية البِقَاعِ البَعْلَبَكِي) - قال في "التعريف" : وهاتان الولايتان^(١) الآن منفصلتان عن بَعْلَبَك ، وهما مجموعتان لوال واحد جليل مفرد بذاته ، وهما على ما ذكره من جمعهما لوال واحد إلى الآن ، إلا أنه تارة يليهما مقدم حلقة وتارة جندي .

(١) أى ولاية "البقاع البعلبكي" و"البقاع العزبي" فكان المناسب أن يذكر البقاع العزبي أيضا كما سبق له ذكرهما في الأعمال وعقبهما بعبارة التعريف هذه فتنبه .

الثانية - (ولاية بيروت) - وولايتها الآن إمرة طبلخاناه .

الثالثة - (ولاية صيدا) - قال في "مسالك الأبصار" : وهي ولاية جليلة ؛

وهي على ما ذكره إلى زماننا، تارة يليها أمير طبلخاناه، وتارة أمير عشرة .

الصفحة الرابعة الشرقية . وبها ثلاث نيابات وأربع ولايات .

فأما النيابات :

فالأولى - (نيابة حصص) - وهي نيابة جليلة، وقد كانت في الأيام الناصرية فما

بعدها مقدمة ألف . قال في "التتيف" : ثم أستقرت طبلخاناه بعد ذلك . قال :

ونائب قلعها من الممالك السلطانية . وقد تقدم أن الذكر في الزمن القديم كان لها دون حماة، وقد كانت في الدولة الأيوبية مملكة منفردة تارة، وتضاف إلى غيرها أخرى .

الثانية - (نيابة مضيايف) - وقد تقدم أنها كانت أولا من مضافات أطرابلس

في جملة قلاع الدعوة، ثم أضيفت بعد ذلك إلى دمشق، وأستقرت على ذلك إلى

الآن . ونيابتها تارة تكون إمرة طبلخاناه، وتارة تكون إمرة عشرة، وبكل حال

فتوليتها من الأبواب السلطانية . ونائبها لا يكتب له إلا في المهمات دون خلاص

الحقوق أيضا .

الثالثة - (ولاية صيدا)^(١) - والغالب في نيابتها أن تكون مقدمة ألف، وأشار

في "التتيف" إلى أنها قد تكون طبلخاناه . قال في "التعريف" : وبقلعها

بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين .

(١) تقدمت في "الصفحة الثالثة الشالية" . على أنه لم يتكلم على الولايات الأربع التي ذكرها في ترجمة

هذه الصفحة ، وقد ذكر في التعريف الجملة التي نقلها عنه في الكلام على الرحبة التي عدّها من الصفحة الرابعة

وجعل ولاياتها أربعا ولاية حصص ، وولاية سلفية ، وولاية قارا ، وولاية تدمر . وبالجملة فهذا الموضوع يحتاج

إلى تحرير .

الضرب الثاني

(من الخارج عن حاضرة دمشق العُربانُ؛ والإمرة بها في بطون من العرب)

الوطن الأولى

(آل ربيعة من طَيِّ من كَهْلَانَ من القَحْطَانِيَّة)

وهم بنو ربيعة بن حازم، بن عليّ، بن مفرج، بن دَعْفَل، بن جراح، وقد تقدّم نسبه مستوفى مع ذكر الاختلاف فيه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى. قال في "العبر": وكانت الرياسة عليهم في زمن الفاطميين: خلفاء مصر لبني جراح، وكان كبيرهم مفرج بن دَعْفَل بن جراح، وكان من إقطاعه الرملة. ومن ولده حَسَّان وعليّ ومحمود وحرار، وولى حَسَّان بعده فعظم أمره وعلا صيته، وهو الذي مدحه الرِّبَاشِيّ الشاعر في شعره. قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الأتابك زنكي صاحب الموصل، وكان أمير عرب الشام أيام طُغْتَكِين السَّلْجُوقِيّ صاحب دِمَشْقَ ووفد على السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فأكرمه وشاد بذكره. قال: وكان له أربعة أولاد، وهم فَضْل، ومرأ، وثابت، ودَعْفَل. ووقع في كلام المسيحيّ أنه كان له ولد اسمه بدر. قال الحمداني: وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيان لهم مكانة وأبهة، أول من رأيت منهم مائع بن حديثة وغنام بن الطاهر، على أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب. قال: ثم حضر بعد ذلك منهم إلى الأبواب السلطانية في دولة المعز أيك وإلى أيام المنصور قلاوون زامل ابن عليّ بن حديثة، وأخوه أبو بكر بن عليّ، وأحمد بن حجي وأولاده وإخوته، وعيسى ابن مُهَنَّأ وأولاده وأخوه؛ وكلهم رؤساء أكبر وسادات العرب ووجوهها، ولهم عند السلاطين حُرْمَةٌ كبيرة وصِيتٌ عظيم، إلى رونق في بيوتهم ومنازلهم.

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ : لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ * مثلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسِيرِي بِهَا السَّارِي
ثم قال : إلا أنهم مع بُعْدِ صِيَّتِهِمْ قَلِيلٌ عَدْدُهُمْ . قال في "مسالك الأبصار" :
لكنهم كما قيل :

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا * فقلْتُ لها : إِنْ الْكَرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا * عَزِيزُ وَجَارِ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة، يُجْلُوْنَهُمْ فوقِ كِيَوَانٍ،
وَيُنَوِّعُونَ لهم أجناس الإحسان . قال الحمداني : وَفَدَّ فَرَجَ بِنِ حِيَّةٍ عَلَى الْمُعْزَأِيكِ
فَأَنْزَلَهُ بَدَارَ الضِّيَافَةِ وَأَقَامَ أَيَّامًا، فَكَانَ مَقْدَارُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ عَيْنٍ وَقِمَاشٍ وَإِقَامَةٍ - لَهُ
وَلَمِنْ مَعَهُ - سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ : وَاجْتَمَعَ أَيَّامَ "الظَّاهِرِ بَيْرَسَ" جَمَاعَةٌ
مِنْ آلِ رِبِيعَةَ وَغَيْرِهِمْ فَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الضِّيَافَةِ خَاصَّةً فِي الْمُدَّةِ السَّيْرَةِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا
الْمَقْدَارِ، وَمَا يَعْلَمُ مَا صُرِفَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ بِيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالخَزَائِنِ وَالغِلَالِ لِلْعَرَبِ
خَاصَّةً إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ آلَ رِبِيعَةَ قَدِ انْقَسَمُوا إِلَى ثَلَاثَةِ أَفْخَادٍ، هُمُ الْمَشْهُورُونَ مِنْهُمْ وَمَنْ عَدَاهُمْ
أَتْبَاعُهُمْ وَدَاخِلُونَ فِي عَدْدِهِمْ، وَلِكُلِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَمِيرٌ مُخْتَصٌّ بِهِ .

الفخذ الأول - (آل فضل) - وهو فضل بن ربيعة المقدم ذكره، وهم رأس
الكل وأعلامهم درجة وأرفعهم مكانة . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم من
حِصَّ إِلَى قَلْعَةِ جَعْبَرٍ، إِلَى الرَّحْبَةِ، آخِذِينَ عَلَى شِقِّ الْفِرَاتِ وَأَطْرَافِ الْعِرَاقِ حَتَّى
يَنْتَهَى حَدُّهُمْ قِبْلَةَ بَشْرٍ إِلَى الْوَشْمِ، آخِذِينَ يَسَارًا إِلَى الْبَصْرَةِ، وَلَهُمْ مِيَاهُ كَثِيرَةٌ
وَمَنَاهِلٌ مُورُودَةٌ :

وَلَهَا مَنَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَاءٍ * وَعَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ آتَارُ

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : نقلا عن محمود بن عرام ، من بني ثابت بن ربيعة : أن آل فضل تشعبوا شعبا كثيرة ، منهم آل عيسى ، وآل فرج ، وآل سميطة ، وآل مسلم ، وآل علي . قال : وأما من ينضاف إليهم ويدخل فيهم ، فرعب ، والحريث ، وبنو كلب ، وبعض بني كلاب ، وآل بشار ، وخالد حمص ، وطائفة من سنيس وسعيدة ، وطائفة من بربر وخالد الحجاز ، وبنو عقيل من كدر ، وبنو رميم ، وبنو حن ، وقران ، والسراجون . ويأتيهم من البرية من عربيه غالب ، وآل أجود ، والبطنين ، وساعدة ، ومن بني خالد آل جناح ، والصبيات من مياس ، والحبور ، والدغم ، والقرسة ، وآل منيحة ، وآل بيوت ، والعامرة ، والعلمجات من خالد ، وآل يزيد من عابد ، والدوامر ، إلى غير هؤلاء ممن يخالفهم في بعض الأحيان . قال المقر الشهابي بن فضل الله : على أنى لا أعلم في وقتنا من لا يؤثرُ صحبتهم ويُظهرُ محبتهم . وسأتي ذكر قبائل أكثر هذه العُربان التي تنضاف إليهم في مواضعها إن شاء الله تعالى .

قال في "مسالك الأبصار" : وأسعدُ بيت في وقتنا آل عيسى ، وقد صاروا بيوتا : بيت مهنا بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى ، وبيت حارث بن عيسى ، وأولاد محمد ابن عيسى ، وأولاد حديثه بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى . قال : وهؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر فيما بعد وأقرب ، وساداتُ الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب . وأما الإمرأة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولي من الأبواب السلطانية ، ويكتب له تقليدٌ شريف بذلك ، ويلبس تشريفا أطلس أسوة النواب إن كان حاضرا ، أو يجهزُ إليه إن كان غائبا ، ويكون لكل طائفة منهم كبير قائم مقام أمير عليهم ، وتصدر إليه المكتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليدٌ ولا مرسوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولم يصرح لأحد منهم بإمرة على العرب

يتقلد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر : أنحى السلطان صلاح الدين يوسف
 ابن أيوب ، أمر منهم حديثه يعني ابن عقبة بن فضل بن ربيعة ، والذي ذكره
 قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخه أن الإمرة عليهم في أيام العادل
 أبي بكر بن أيوب كانت لعيسى بن محمد بن ربيعة ، ثم كان بعده ماتع بن حديثه
 ابن عقبة بن فضل ، وتوفي سنة ثلاثين وستمائة ، وولي عليهم بعده ابنه مهنا ، وحضر
 مع المظفر قطز قتال هولاكو ملك التتار وانتزع سامية من المنصور بن المظفر
 صاحب حماة وأقطعها له ؛ ثم ولي الظاهر بيبرس عند مسيره إلى دمشق لتشييع
 الخليفة المستعصم إلى بغداد عيسى بن مهنا بن ماتع وقر له الإقطاعات على حفظ
 السابلة وبقى حتى توفي سنة أربع وثمانين وستمائة ؛ فولى المنصور قلاوون مكانه ابنه
 مهنا بن عيسى ، ثم سافر الأشرف " خليل بن قلاوون " إلى الشام فوفد عليه مهنا
 ابن عيسى في جماعة من قومه فقبض عليهم ، وبعث بهم إلى قلعة الجبل بمصر فأعتقلوا
 بها وبقوا في السجن حتى أفرج عنهم العادل كتبغا عند جلوسه على التخت سنة
 أربع وتسعين وستمائة ورجع إلى إمارته ؛ ثم كان له في أيام الناصر بن قلاوون نصره
 واستقامة تارة وتارة ، وميلاً إلى التتار بالعراق ، ولم يحضر شيئاً من وقائع غازان ؛ ووفد
 أخوه فضل بن عيسى على السلطان الملك الناصر سنة اثنتي عشرة وسبعائة فولاه
 مكانه وبقى مهنا مشرداً ، ثم لحق سنة ست عشرة بخدابندا ملك التتار بالعراق فأكرمه
 وأقطعه بالعراق وهلك خدابندا في تلك السنة فرجع مهنا إلى الشام ، وبعث ابنه
 محمداً وموسى وأخاه محمد بن عيسى إلى الملك الناصر ، فأكرمهم وأحسن إليهم ، ورد
 مهنا إلى إمارته وإقطاعاته ؛ ثم رجع إلى موالاته التتار فطرد السلطان الملك الناصر آل
 فضل بأجمعهم من الشام وجعل مكانهم آل علي ، وولي منهم علي أحياء العرب محمد

(١) في الأصل هنا غيبة ، والذي في الجزء الأول (ص ٣٢٥) عقبة ، فلينبه .

أبن أبي بكر بن عليّ، وصرف إقطاع مهنا وأولاده إليه وإلى أولاده، وأقام الحاسب على ذلك مدة . ثم وفد مهنا على السلطان الملك الناصر صحبة الأفضل بن المؤيد صاحب حماة فرضى عنه السلطان وأعاد إمرته إليه ورجع إلى أهله ، فتوفى سنة أربع وثلاثين وسبعائة ؛ وولّى مكانه أخوه سليمان فبقي حتى توفى سنة أربع وأربعين وسبعائة عقب موت الملك الناصر ؛ وولّى مكانه أخوه سيف بن فضل فبقي حتى عزله السلطان الملك الكامل "شعبان بن قلاوون" سنة ست وأربعين ، وولّى مكانه أحمد بن مهنا بن عيسى فبقي حتى توفى في سنة سبع وأربعين وسبعائة في سلطنة الناصر "حسن بن محمد بن قلاوون" المرة الأولى ؛ وولّى مكانه أخوه قياض فبقي حتى مات سنة ستين وسبعائة ، وولى مكانه أخوه جبار من جهة الناصر حسن في سلطته الثانية ، ثم حصلت منه نفرة في سنة خمس وستين وسبعائة وأقام على ذلك ستين إلى أن تكلم بسببه مع السلطان نائب حماة يومئذ فأعيد إلى إمارته ؛ ثم حصل منه نفرة ثانية سنة سبعين في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فولّى مكانه ابن عمه زامل ابن موسى بن عيسى فكانت بينهم حروب ، قتل في بعضها قشتمر المنصوري نائب حلب فصرفه الأشرف وولّى مكانه ابن عمه معقل بن فضل بن عيسى ، ثم بعث معقل في سنة إحدى وسبعين يستأمن لجبار المتقدم ذكره من السلطان الملك الأشرف فأمنه ، ووفد جبار على السلطان في سنة خمس وسبعين فرضى عنه وأعادته إلى إمرته فبقي حتى توفى سنة سبع وسبعين ، فولّى مكانه أخوه قنارة ، وبقي حتى مات سنة إحدى وثمانين ، فولّى مكانه معقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى ابن عيسى المتقدم ذكرهما شريكين في الإمارة ؛ ثم عزلا في سنتهما وولّى مكانهما

(١) ذكر في العربيين هذا والذي قبله مظفر الدين موسى ووفاته في ٤٢ وذكرا أن سليمان توفى في ٤٣

وبعد شرف الدين عيسى بن فضل ووفاته في ٤٤ .

محمد بن جبار بن مهنا وهو نَعير، ثم وقعت منه نُفرة في الدولة الظاهرية برقوق، فولى مكانه بعض آل زامل، ثم أعيد نَعير المذكور إلى إمرته وهو باق على ذلك إلى الآن، وهو محمد بن جبار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن ماتب بن حديثة بن عقبة^(١) ابن فضل بن ربيعة.

وقد ذكر المقرّ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار": أمراء آل فضل في زمانه، فذكر أن أمير آل عيسى وسائر آل فضل أحمد بن مهنا، وأمير بيت فضل ابن عيسى سيف بن فضل، وأمير بيت حارث بن عيسى قناة بن حارث. ثم قال: أما أولاد محمد بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن عيسى فأتباع.

وذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجليش في "التتقيف": أنهم صاروا يبتين: وهما بيت مهنا بن عيسى وفضل بن عيسى. وذكر من أكابرهم عساف بن مهنا وأخاه عتقا، وزامل بن موسى بن مهنا، ومحمد بن جبار وهو نَعير قبل الإمرة، وعود ابن سليمان بن مهنا، وعلي بن سليمان بن مهنا، وأما بنو فضل بن عيسى فذكر منهم فضل بن عيسى، ومُعَيْل بن فضل، وقال: كان قبلهما سيف وأبو بكر. ثم قال: ومن لم يكاتب أولاد قياض وبقية أولاد جبار ورقية بن عمر بن موسى ونحوهم.

الفخذ الثاني - (من آل ربيعة آل مرا) - نسبة إلى مرا بن ربيعة، وهو أخو فضل المتقدم ذكره. قال في "التعريف": ومنازلهم حوران. وقال في "مسالك الأبصار": ديارهم من بلاد الحيدور والجولان إلى الزرقاء والضليل إن بصرى، ومشرقاً إلى الحرة المعروفة بحرة كشت قريباً من مكة المعظمة إلى شعباء إلى نيران مزيد إلى الهضب المعروف بهضب الرابي، وربما طاب لهم البر وأمتد بهم المرعى أو أن خصب الشتاء فتوسعوا في الأرض وأطالوا عدد الأيام والليالي حتى تعود مكة

(١) في العرعسية.

المعظمة وراء ظهورهم ، ويكاد سهيل يصير شامهم ، ويصيرون مستقبليين بوجوههم الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شعبا كثيرة ، وهم آل أحمد بن حجي وفيهم الإمرة ، وآل مسخر ، وآل نبي ، وآل بقرة ، وآل شماء .

ومن ينضاف إليهم ويدخل في إمرة أمراءهم حارثه ، والخاص ، وآلام ، وسعيدة ، ومُدبج ، وقرير ، وبنو صخر ، وزبيد حوران : وهم زبيد صرخد ، وبنو غني ، وبنو عمر قال ؛ ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير ، والمفارجة ، وآل سلطان ، وآل غزى ، وآل برجس ، والحرسان ، وآل المغيرة ، وآل أبي فضيل ، والزرقاق ، وبنو حسين الشرفاء ، ومطين ، وخشم ، وعدوان ، وعنترة . قال : وآل مرا أبطال مناجيد ، ورجال صناديد ، وأقبال قل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، لا يعدّ منهم عترة العبيسي ، ولا عرابة الأوسى ، إلا أن الحظ يحظ بنى عمهم [بأكثر] مما يحظهم ، ولم تزل بينهم نوب الحرب ، ولهم في أكثرها الغلب . قال الشيخ شهاب الدين أبو الشاء محمود الحلبي رحمه الله : كنت في نوبة حمص في واقعة التتار جالسا على سطح باب الإصطبل السلطاني دمشق إذ أقبل آل مرا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسومة ، والحياد المطهمة ، وعليهم الكرغندات الحمر الأطلس المعدني ، والديباج الرومي ، وعلى رؤوسهم البيض ، مقلدين بالسيوف ، وبأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ، ويرقصون بتراقص المهارى ، وبأيديهم الجنايب ، التي إليها عيون الملوك صورا ؛ ووراءهم الطعان والحول ، ومعهم مغنية لهم تعرف بالخرمية طائرة السمعة ، سافرة من الهودج وهي تغنى :

وَكَمَا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ * لِيَا لِي لَاقِينَا جُدَامًا وَحَمِيرًا
وَمَا لَقِينَا عُصْبَةَ تَغْلِيَّةٍ * يَقُودُونَ جُرْدًا لِلنِّبَةِ ضَمْرًا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّعْجَ بِالنَّعْجِ بَعْضُهُ * بَعْضُ أَبْتِ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسُرَا
سَقَيْنَاهُمْ كَأَسَا سَقُونَا بِمِثْلِهِ * وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

وكان الأمر كذلك، فإن الكسرة أولاً كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكثرة على التتار، فسبحان منطق الألسنة ومُصَرَّف الأقدار .

الفخذ الثالث - من آل ربيعة (آل عليّ) - وهم فرقة من آل فضل المقدم ذكرهم ينتسبون إلى عليّ بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم مرج دِمَشَقَّ وِغُوطُهَا، بين إخوتهم آل فضل وبني عمهم آل مرا، ومنتاهم إلى الحوف والجبابنة، إلى السكة، إلى البرادع . قال في "التعريف" : وإنما نزلوا غُوطَةَ دِمَشَقَّ حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهناّ وبقى جار الفرات في تلايب التتار . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت عظيم الشأن مشهور السادات ، إلى أموال جمّة ونعم ضخمة ومكانة في الدول عليه . وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان أميرهم في زمانه رَمَلَةَ بن جمار بن محمد بن أبي بكر بن عليّ بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ثم قال : وقد كان جدّه أميراً ثم أبوه . قلد الملك الأشرف "خليل بن قلاوون" جدّه محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك مهنا بن عيسى . ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه أيضاً حين طرد مهنا وسائر إخوته وأهله . قال : ولما أمر رَمَلَةُ كان حَدَثَ السنِّ فحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر ، وقدموا على السلطان بتقاديمهم وتراموا على الأمراء، وخواصّ السلطان، وذوى الوظائف فلم يُحْضِرهم السلطان إلى عنده ولا أذنى أحدا منهم ، فرجعوا بعد معاينة الحين ، بَحْفَى حِينٍ ؛ ثم لم يزالوا يتربصون به الدوائر وينصبون له الجبائل والله تعالى يقيه سيئات ما مكروا حتى صار سيّد قومه ؛ وفرقده دهره ، والمُسَوَّد في عشيرته ، المبيّض لوجوه الأيام بسيرته . وله إخوة ميامين كبار، هم أمراء آل فضل وآل مرا . وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الحليش في "التتيف" : أن الأمير عليهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان عيسى بن زيد بن جمار .

الوطن الثانية

جَرَم (بفتح الجيم وسكون الراء المهملة) . قال الحمداني : وأسمه ثعلبة وجرم أسم
 أمه ، وقد تقدم ذكر نسبه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى .
 قال في "مسالك الأبصار" : وهم ببلاد غَزَّةَ والدَّارُوم مما يلي الساحل إلى الجبل
 وبلد الخليل عليه السلام . قال الحمداني : وجَرَمُ المذكورة شَمِجَان ، وقران ،
 وجِيَّان . قال : والمشهور منهم الآن جذيمة ، ويقال إن لهم نسبا في قريش ، وزعم
 بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم . وقال آخرون : بل من جذيمة بن مالك بن حنبل
 ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . ثم قال : وجذيمة هذه هم آل عَوْبِجَةَ ، وآل أحمد ،
 وآل محمود ، وكلهم في إمارة شاور بن سنان ثم في بنيه ، وكان لسنان المذكور أخوان
 فيهما سُوددٌ : وهما غانم وخضر . ومن جذيمة جابع (؟) الرايديين وبنو أسلم ، ويقال
 إن أسلم من جذام لا من جذيمة ولكنها اختلطت بها ؛ ومن جذيمة أيضا شبل ،
 ورضيعة جَرَم ونيفور ، والقذرة ، والأحامدة ، والرفثة وكور جرم ، وموقع . وكان
 كبيرهم مالك الموقعي ؛ وكان مقدما عند السلطان صلاح الدين بن أيوب وأخيه
 العادل ؛ ومنهم بنو غور ، ويقال إنهم من جرم بن جرمز من سنيس ؛ ومن هؤلاء
 العاجلة ، والصمان ، والعبادة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ؛ ومن بنى جميل بنو مقدم ؛
 ومن بنى غور آل نادر ؛ ومن بنى غوث بنو بها ، وبنو خولة ، وبنو هرماس ، وبنو
 عيسى ، وبنو سهيل . وأرضهم الدَّارُوم ، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاورهم قوم
 من زبيد يعرفون بنى فهيد ثم اختلطوا بهم . قال الحمداني : فهذه جرم الشام
 وحلقاؤهم ، ومن جاورهم ولادهم .

وأما الإمرة عليهم . فقد ذكر في "التعريف" : أن الإمرة على عرب غَزَّةَ
 في زمانه كانت لفضل بن حجي ، وعرب غزاة هم جَرَمُ المذكورون ، والمعروف أن

جَرْمًا يَكُونُ لَهُمْ مَقْدَمٌ لَا أَمِيرَ . وَعَلَيْهِ جَرِي الْقَاضِي تَقِيّ الدِّينِ بْنِ نَاطِرِ الْجَيْشِ فِي "التَّثْقِيفِ" وَذَكَرَ أَنَّ مَقْدَمَهُمْ فِي زَمَانِهِ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِرَفُوقِ كَانَ عَلِيَّ بْنَ فَضْلِ .

البطن الثالثة

تَعْلَبَةٌ مِنْ طَيِّئٍ أَيْضًا . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَدِيَارَهُمْ مِمَّا يَلِي مِصْرَ إِلَى الْخُرُوبَةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سِيَاقَةِ الْكَلَامِ عَلَى جَرْمِ أَنَّ تَعْلَبَةَ هَذِهِ مِنْ بَقَايَا تَعْلَبَةِ الْمُتَقَلِّينَ إِلَى مِصْرَ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنَّ تَعْلَبَةَ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ تَعْلَبَةُ ابْنِ سَلَامَانَ ، وَأَنَّ سَلَامَانَ بَطْنٌ مِنْ بَطُونِ طَيِّئٍ ، وَأَنَّ تَعْلَبَةَ الْمَذْكُورِينَ بَطْنَانِ : وَهِيَ دَرَمًا وَزُرَيْقُ ابْنَا عَوْفِ بْنِ تَعْلَبَةَ وَقِيلَ ابْنَا تَعْلَبَةَ لِصُلْبِهِ ، وَأَنَّ أَسْمَ دَرَمًا وَعَمْرُو ، وَدَرَمًا أَسْمَ أُمِّهِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ مِنْ دَرَمًا الْجَوَاهِرَةَ وَالْحَنَابِلَةَ وَالصُّبَيْحِيِّينَ . قَالَ الْحَمْدَانِيُّ : وَتَعْلَبَةُ الشَّامِ مِنْ دَرَمًا آلِ غِيَاثِ الْجَوَاهِرَةَ وَمِنْ الْحَنَابِلَةَ وَمِنْ بَنِي وَهْمٍ مِنَ الصُّبَيْحِيِّينَ ، وَمِنْ أَحْلَافِهِمْ فِرْقَةٌ مِنَ النِّعَمِيِّينَ وَمِنْ الْعَارِ وَالْجَمَانَ ؛ وَتَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَعْلَبَةِ مِصْرَ أَيْضًا أَنَّ بِكُلِّ مِنْ تَعْلَبَةِ مِصْرَ وَالشَّامِ قَوْمًا مِنْ خِنْدِفٍ وَقَيْسٍ وَمُرَادٍ وَيَمِينَ .

قُلْتُ : وَلَمْ يَكُنْ فِي "التَّعْرِيفِ" وَلَا "التَّثْقِيفِ" لِتَعْلَبَةِ الْمَذْكُورِينَ ذِكْرٌ لِعَدَمِ مَنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ إِذْ لَمْ يَكُونُوا فِي مَعْنَى مَنْ تَقَدَّمَ .

البطن الرابعة

بَنُو مَهْدِيٍّ (بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْهَاءِ وَالِدَالِ الْمَهْمَلَةِ) قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنَّهُمْ أَخُو نَحْمٍ وَهُوَ جُدَامُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَبِيٍّ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ ، إِمَّا مِنْ عَمْرٍو بْنِ سَبِيٍّ مِنَ الْقَحْطَانِيَّةِ كَمَا يَقْتَضِيهِ كَلَامُ "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ"

وإما من عُدرّة من قُضَاعَة من حَمِير بن سبيا من القحطانية أيضا كما صرح به في "التعريف" . قال في "التعريف" : ومنازلم البلقاء . وقال في "مسالك الأبصار" : منازلم البلقاء إلى ناس إلى الصوان ، إلى علم أعفر . قال الحمداني : ومن بني مهدي المشابطة الذين منهم أولاد عسكر ، والعناترة ، والنترات ، واليعاقبة ، والمطارنة ، والعفير ، والرؤيم ، والقطاربة ، وأولاد الطائية وبنو دوس ، وآل يسار ، والمخابرة ، والسماعة ، والعجارمة من بني طريف ، وبنو خالد والسلمان والقرانسية والدرالات والحملات والمساهرة والمعاورة ، وبنوعطا ، وبنو ميّاد وآل شبل ، وآل رويم ، وهم غير الرويم المتقدم ذكرهم ، والمخارقة وبنو عيّاض ؛ ومنهم طائفة حول الكرك يأتي ذكرهم في الكلام على عرب الكرك . قال الحمداني : ويجاورهم بالبقاء طائفة من حارثة ولهم نسب بقري بن عقة .

وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "التعريف" أن إمرتهم مقسومة في أربعة منهم ، لكل واحد منهم الربع ، ولم يسم أمراء زمانه منهم . وذكر في "التثقيف" مثل ذلك ، وسمى أمراءهم في زمانه . فقال : وهم بربوب ذئب بن محفوظ العنبي ، وسعيد بن بحري بن حسن العنبي ، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنبي ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسري .

البطن الخامسة

زبيد (بضم الزاي) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم فرق شتى . وذكر من بالشام وغيره ولم يتعرض لنسبهم في أيّ أحياء العرب . وذكر الجوهري أن زبيدا أسم قبيلة ، ولم يزد على ذلك . قلت : والموجود في كتب التاريخ عدّ زبيد من

بطون سعد العَشيْرة من مَدْحِجِ بن كَهْلان بن سبِيٍّ من العرب العاربة، وهم عرب اليمن على ما تقدّم ذكره . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن بالشام منهم فِرْقَةٌ بَصْرَحَدَ، وفِرْقَةٌ بَغُوطَةَ دِمَشْقَ . وذكر في "التعريف" : منهم زُبَيْدُ المَرَجِ وَزُبَيْدُ حَوْرَانَ وَزُبَيْدُ الأَحْلافِ . وذكر مثله في "التثقيف" : ومقتضى الجمع بين كلامه في "المسالك" و"التعريف" : أن تكون زُبَيْدٌ خمسَ فِرَقٍ : زُبَيْدُ المَرَجِ ، وَزُبَيْدُ الغُوطَةِ ، وَزُبَيْدُ صَرَحَدَ ، وَزُبَيْدُ حَوْرَانَ ، وَزُبَيْدُ الأَحْلافِ وليس كذلك ، بل زُبَيْدُ الغُوطَةِ وَزُبَيْدُ المَرَجِ واحدة ، فإن المراد غُوطَةُ دِمَشْقَ وَمَرَجُهَا ، وهما متصلان والتازون فيما كالفرقة الواحدة ، وَزُبَيْدُ صَرَحَدَ هي زُبَيْدُ حَوْرَانَ كما صرح به في موضع آخر من "مسالك الأبصار" : إذ صَرَحَدُ من جملة بلاد حَوْرَانَ . أما زُبَيْدُ الأَحْلافِ فديارهم بالقرب من الرّحبة بجوار آل فِضْلٍ . قال الحمداني : والذين بَصْرَحَدَ منهم آل مِيَّاسَ ، وآل صِفِيّ ، وآل برة ، وآل محسن ، وآل جحش ، وآل رجاء . والذين بالمَرَجِ والغُوطَةِ آل رجاء ، وآل بدال ، والدوس ، والحريث ، وهم في عداد آل ربيعة المتقدّم ذكرهم وذكر معهم المشاركة جيرانهم . ثم قال : وإمارة زُبَيْدِ هؤلاء في نَوْفَلٍ ، وليس للمشاركة إمارة ، ولكن لهم شيوخ منهم ؛ وأمر الفريقين إلى نواب الشام ليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمارة ؛ وديارهم متصلة من المَرَجِ والغُوطَةِ إلى أمّ أو عال إلى الدريشدان ؛ وعليهم الدرك وحفظ الأطراف .



وأما العرب المستعربة ، (وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ! على ما تقدّم بيانه في الكلام على عرب الديار المصرية) ، فالمشهور بأعمال دِمَشْقَ منهم قبيلة واحدة ، وهم بنو خالد عَرَبُ حِمَصَ . قال الحمداني : وهم يدعون النسب إلى خالد

أبن الوليد رضى الله عنه ، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على أنقرض عَقِيه . قال في "مسالك الأبصار" : ولعلمهم من ذوى قرابته من مخزوم ، وكفاهم ذلك فخارا أن يكونوا من قريش . وقد تقدم ذكر نسب مخزوم في قريش في الكلام على بنى خالد في جملة عرب الديار المصرية فأغنى عن إعادته هنا .

قلت : ومن جملة من عدّه في "التعريف" من عرب الشام غزيرة ، ولم يتخزرى هل هى من العرب العاربة أو العرب المستعربة . فلذلك ذكرتها بمفردها . وقد ذكر الحمدانى أنهم متفرقون في الشام والحجاز وبغداد ، وفيما بين العراق والحجاز ، ولم يذكر واحد منهما منازلهم من الشام ، بل ذكر الحمدانى منازلهم بالبرية والعراق خاصة . وقال : هم بطون وأخاذ ، ولهم مشايخ منهم من وفد على السلاطين في زماننا ، وأشار في "التعريف" إلى أن الغالب عليهم عدم الطاعة ، ومنهم أحلاف لآل فضل قد تقدم ذكرهم وهم غالب وآل أجود والبطين ، وسأذكرها ببطونها ومنازلها ومياها من البرية في جملة عرب الحجاز .

النِّبَاةُ السَّانِيَةُ

(من نيبات السلطنة بالممالك الشامية ، نيابة حلب ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها من الدنانير والدرهم والصنجة ، فعلى ما تقدم في دمشق من غير فرق ، ولم ترح الفلوس الجدد فيها إلى الآن وإنما يتعامل فيها بالفلوس القديمة ، ورطلها سبعمائة وعشرون درهما ، وأواقيها اثنتا عشرة أوقية ، كل أوقية ستون درهما ، وفي أعمالها ربما زاد الرطل على ذلك ، وتعتبر مكيالاتها بالمشوك

في حاضرتها وسائر أعمالها؛ والمكوك المعبر في حاضرتها سبع وبيات بالكيل المصري،
وأما في نواحيها وبلادها، فيختلف اختلافًا متباينًا في الزيادة والنقص . قال
في "مسالك الأبصار" : والمعتدل منها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة^(١)،
وما بين ذلك كل ذلك تقريبًا؛ ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش
المصري سُدس ذراع، وهو أربعة قراريط؛ وتعتبر أرض دورها بذراع العمل
كما في الديار المصرية وأرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في دمشق؛
ونحراج أرض الزراعة بها كما في دمشق؛ وأسعارها على نحو سعر دمشق إلا في القواكه
فإنها في دمشق أرخص لكثرتها بها .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها؛ وهي على ضربين)

الضرب الاول

(ترتيب حاضرتها)

أما جيوشها فعلى ما تقدم في دمشق من آسئمال عسكرها على الترك والجرس
والروم والروس وغير ذلك من الأجناس المشابهة للترك، وأنقسامها إلى الأمراء
المقدمين والطلبخانات والعشرات ومن في معناهم من العشرينات والخمسات، وكذلك
أجناد الحلقة ومقدموها؛ وإقطاعاتها على نحو ما تقدم في دمشق في المقدار؛ وربما
زاد إقطاع الحلقة بها على إقطاع الحلقة بالديار المصرية بخلاف إقطاعات الأمراء
بها فإنها لا تساوى إقطاعات الأمراء بالديار المصرية .

وأما وظائفها فعلى أربعة أصناف .

(١) تقدم ذلك في (ص ١١٨) من هذا الجزء فأنظره .

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف؛ وهي عدّة وظائف)

(منها) نيابة السلطنة - وهي نيابة جليظة في الرتبة الثانية من نيابة دمشق ، ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنائب السلطنة الشريفة ، ولا يقال فيه كافل السلطنة كما يقال لنائب دمشق ، ويكتب عن نائبها التواقيع الكريمة بأكثر وظائف حلب وأعمالها ، وكذلك يكتب عنه المرَبعات الجيشية بالديار المصرية ، والمناشير الإقطاعية على حكمها كما تقدم في دمشق ، وكذلك يكتب على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد ، ويزيد على نائب دمشق بسرحين يسرحهما للصيد ، الأولى منهما يسرحها في بلاد حلب من جانب الفرات الغربي يتصيد فيها الغزلان ، يقيم فيها نحو عشرة أيام ، والثانية وهي العظمى يعبر فيها الفرات إلى بر الجزيرة شرق الفرات ، وينتقل في نواحيها مما هو داخل في مملكة الديار المصرية وما حولها ، يتصيد فيها الغزلان وغيرها من سائر الوحوش ، وقيم فيها نحو شهر .

(ومنها) نيابة القلعة بحلب - وهي نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها ، وليس لنائب السلطنة على القلعة ولا على نائبها حكم كما تقدم في قلعة دمشق ، وعادة نائبها أن يكون أمير طبابخاناه ، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف ، وفيها من الأجناد البحرية المعدّين لحراستها نحو أربعين نفسا ، مقيمون بها لا يظعنون عنها بسفر ولا غيره ، يجلس منهم في كل نوبة عدّة في الباب الثاني منها من حين فتح الباب في أول النهار وإلى حين قفله في آخر النهار ، وبها الحرس في الليل ، وضرب الطبل على مضى كل أربع درج كما تقدم في قلعة دمشق .

(ومنها) الجُوبية - والعادة أن يكون بها أربعة مُجَّاب. أحدهم مقدّم ألف: وهو حاجب المُجَّاب، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة في المكاتب وغيرها بأمر حاجب بحلب كحاجب المُجَّاب بدمشق، وهو ثاني نائب السلطنة في الرتبة ولا يدخل أحد دار النيابة راكبا غير النائب وغيره، وهو نائب الغيبة إذا خرج نائب السلطنة في مهمٍّ أو متصيدٍ أو غير ذلك؛ وإليه تردُّ المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان القبض عليه، ويكون هو المتصدّي لحال البلد إلى أن يُقام لها نائبٌ، والثلاثة الباقون إما ثلاث طبليخانات، أو طبليخانتان وعشرة، أو ما في معنى ذلك، وولاية حاجب المُجَّاب والحاجب الثاني من الأبواب الشريفة السلطانية بغير تقليد ولا مرسوم، ومن عداهما ولايته عن نائب حلب، وفيها آثنان واحد بالميمنة وواحد باليسرة، فالذي في الميمنة في الغالب يكون أمير عشرة وربما كان أمير خمسة، والذي باليسرة جنديّ من أجناد الحلقة، وولايتهما عن النائب كل منهما بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الأوقاف - وهي بها رتبةٌ جليلة أعلى من شدّ الأوقاف بدمشق، وعادتها مقدمة ألف أو طبليخاناه، تُولى من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . كذا أخبرني بعض أهلها؛ ومتوليها يتحدّث على سائر أوقاف المملكة الحلبية .

(ومنها) المهمندارية - وموضوعها على ما تقدّم في الديار المصرية ودمشق، وبها آثنان : فأحدهما تارة يكون أمير طبليخاناه وتارة يكون أمير عشرة، والآخر جنديّ حلّمة، وولاية كل منهما بكل حال عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الدراوين - وموضوعها كما تمّ - تم في الديار المصرية ودمشق، وعادته إمرة عشرة، وربما وليها جنديّ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ مراكر البريد - وموضوعها كما تقدّم في دِمَشق، وعادتها إمرة عشرة، وربما كان مقدّم حلقة أو جنديا، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدّث في الشُرطة كما تقدّم في الديار المصرية ودِمَشق، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدّم حلقة، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الأقواد - وموضوعها التحدّث على الأموال التي تُساق قوداً من المملكة في كل سنة، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدّم حلقة، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

قلت : وسائر وظائف الأمراء أرباب السيوف المستقرّ مثلهم بالحضرة السلطانية كراس نوبة وأمير مجلس ومن في معناهما ممن يجرى هذا المجرى المختص بالنائب يكون له مثلها من أجناده لقيامه مقام السلطان هناك كما تقدّم في دِمَشق .

وأما الوظائف الديوانية بها لأرباب الأقلام .

(فمنها) الوزارة - ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنظر المملكة ليس إلا، ولا يصرح له بأسم الوزارة بحال، وإن كان الحارى على ألسنة العامة تلقب متوليا بالوزير، ولم تجر العادة بأن يتولاها إلا أرباب الأقلام، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف، ولديوان هذا النظر عدّة مباشرين أتباعاً لناظرها كصاحب الديوان والمستوفى والكاتب والشهود وسائر فروع الوزارة، والنائب يولّى كلاً من هؤلاء المباشرين بتواقيع كريمة .

(ومنها) كتابة السر - ويعبر عن متوليا في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بصاحب ديوان المكاتبات بحلب، ولا يُسمَح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب

كما في دِمَشقَ ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، وبديوانه كُتِبَ
الدست وكتاب الدرَج كما في دِمَشقَ والديار المصرية .

(ومنها) نظر الجيش - والحكم فيه كما تقدم في دِمَشقَ من كتابة المرَبَّعات بما
يُعيَّنه النائب من الإقطاعات وتجهيزها للأبواب الشريفة لتُشَمَلَ بالخط الشريف
وتخلَّد شاهدا بديوان الجيوش بالديار المصرية ، وكذلك إثبات ما يصدر إليه من
المناشير من الأبواب الشريفة ؛ وولايته من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نظر المال - وهو بمعنى الوزارة كما في دِمَشقَ إلا أنه لا يطلق على متوليه
وزير البتة ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ولديوانه كُتِبَ أتباعُ
له : كصاحب الديوان والكُتَّاب والشهود وغيرهم ؛ وولاية كل منهم عن النائب
بتواقيع لهم كما في دِمَشقَ .

(ومنها) نظر الأوقاف - وحكمها التحدُّث على الأوقاف بمدينة حَلَبَ وأعمالها
كما في دِمَشقَ ؛ وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الجامع الكبير - ومتوليها يكون رفيقا للنائب في التحدُّث فيه ؛
وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان - وقد تقدَّم في الكلام على مدينة حَلَبَ أن بها بيمارستانين
أحدهما يعرف بالعتيق والآخر بالجديد، ولكل منهما ناظر يُخصَّصه ؛ وولاية كل منهما
عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الأقواد - ومتوليها يكون رفيقا لشاؤ الأقواد المتقدم ذكره في أرباب
السيوف ؛ وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

الصنف الثاني

(الوظائف الدينية)

(فمنها) القضاء - وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة كما في دِمَشَقَ ، إلا أن استقرار الأربعة بها كان بعد استقرارها بدمشق ، وولاية كل منهم من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ويختص الشافعيّ منهم بعموم تولية التواب بالمدينة وجميع أعمالها ، ويقتصر من عداه على التولية في المدينة خاصة كما تقدّم في دِمَشَقَ والديار المصرية .

(ومنها) قضاء العسكر - وبها قاضيا عسكرا: شافعيّ وحنفيّ كما في دِمَشَقَ ، وولايتهما من الأبواب الشريفة ، ويكتب لكل منهما توقيع شريف .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وبها آثنان أيضا: شافعيّ وحنفيّ كما في دِمَشَقَ ، وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) وكالة بيت المال - وولايتها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، ووكالته عن السلطان بمصر مثبتة فتنفذ بالمملكة كما تقدّم في دمشق .^(١)

(ومنها) نقابة الأشراف - والأمر فيها على ما تقدّم في دِمَشَقَ والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - والحكم فيها كما في دِمَشَقَ ، وعادتها أن يكون متوليا هو شيخ الخلق المعروفة بالقديم ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وربما كانت من الباب الشريف .

(ومنها) الحسبة - وهي على ما تقدّم في دِمَشَقَ والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، ومتولياها يولّى تواب الحسبة بسائر الأعمال الحلية .

(١) لعله "مبينة" .

(ومنها) الخطابة بالجامع الكبير - وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .
 (ومنها) التداريس والتصاوير المعدوقة بنظر النائب - وولايتها عنه بتواقيع كريمة
 على قدر مراتب أصحابها .

الصنف الثالث

(وظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رئاسة الطب ، ورئاسة الكمّالين ، ورئاسة الجرائحية كما في دمشق
 والديار المصرية ، وولاية كل منهم بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت
 ومن في معناهم ففقودون هناك لفقد البيوت السلطانية، وإنما مهتارية البيوت
 بها للنائب خاصة لقيامه مقام السلطان بها كما في دمشق .

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدم في دمشق ، وعادة النائب بها أن يركب
 في المواكب في يومى الاثنين والخميس من دار النيابة، ويخرج من باب يقال له باب
 القوس، في وسط البلد على القرب من القلعة، ويمر منه إلى سوق الخليل، ويخرج من
 سور البلد من باب النرب، ويتوجه إلى مكان يعرف بالميدان ويعرف بالقبة أيضا
 على القرب من المدينة بطريق القرية المعروفة بجبريل، في جهة الجنوب عن المدينة،
 ثم يعود من حيث ذهب، وقد وقف الأمراء في أنتظاره بسوق الخليل، وآخر
 خيولهم إلى القلعة ورعوس خيولهم إلى الجهة التي يعود منها أمراء الخمسات، ثم أمراء
 العشرات ومن في معناهم على ترتيب منازلهم، ثم أمراء الطلبخانات، ثم الأمراء
 المقدمون . فإذا حاذى النائب في عوده أمراء الخمسات والعشرات في طريقه، سلم
 وهو سائر فيسألون عليه، وهم وقوف في أمكتهم لا يتحركون ولا يرحون عنها . فإذا
 حاذى أمراء الطلبخانات، سلم عليهم فيتقدمون بخيولهم إليه نحو قصبتى قياس فيسلمون

عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم فيقفون فيها . فإذا حاذى الأمراء المقدمين سلم عليهم فيفعلون كما فعل أمراء الطبلخانات من التقدم إليه والسلام عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم ، ويمر النائب حتى ينتهي إلى آخر سوق الخيل فيعطف رأس فرسه ويقف مستقبلاً للجهة التي عاد منها في الجنوب والعسكر ، واقفون على حالهم ، وينادى بينهم على العقارات من الأملاك والضياع وكذلك الخيول والسلاح قدر خمس درج ، ثم يمر إلى دار النيابة : فإن كان ذلك الموكب فيه سباط ، سار في خدمته إلى دار النيابة من كان معه في ركوب الموكب من الأمراء الأكبر والأصغر من الحجاب وغيرهم ، ويمر بباب القلعة وقد نزل نائب القلعة إلى بابها فوقف فيه ممالك في خدمته من الأجناد البحرية المقيمين بالقلعة ، فإذا مرت بهم النائب ، سلم على نائب القلعة فيسلم عليه ، ويطلع نائب القلعة إلى قلعته ، ويمر النائب في طريقه إلى دار النيابة ، ويكون ممالك النائب قد ترجلوا عن خيولهم ، وترجل أمراء الخمسات والعشرات بعدهم ، ثم يترجل الطبلخانات على القرب من دار النيابة ، ثم الأمراء المقدمون على باب دار النيابة ، كل منهم على قدر منزلته ، ويستمر النائب راجعاً حتى يأتي المقعد المذكور ، وهو مقعد مربع مرتفع عن الأرض عليه قبة مرتفعة ودرابزين من خشب دائر ، وفيه دكة من خشب صغيرة في جانبه مرتفعة عن المقعد قدر ذراع ، تسع جالساً فقط معدة لجلوس النائب ، فينزل النائب على باب من أبواب المقعد الثلاثة مخصوص به ، ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة أعلى السلم خارج الدرابزين معدة لجلوسه عن يمين النائب ، ويكون القضاة الأربعة وقاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وكاتب السر وكتاب الدست وناظر الجيش قد حضروا قبل حضور النائب وحاجب الحجاب وطلعوا من سلم مخصوص بهم وأخذوا مجالسهم وجلسوا في انتظار النائب ، فإذا حضر قاموا

وجلسوا بجلوسه ، ويكون جلوسهم بترتيب خاص يوافق دِمَشْقَ في بعض الأمور ويخالف في بعضها : فيجلس عن يسار النائب قاضي القضاة الشافعيّ ، و يليه قاضي القضاة الحنفيّ ، و يليه قاضي القضاة المالكيّ ، و يليه قاضي القضاة الحنبليّ ، و يليه قاضي العسكر الشافعيّ ، و يليه قاضي العسكر الحنفيّ ، و يليه مفتي دار العدل الشافعيّ ، و يليه مفتي دار العدل الحنفيّ ، و يليه الوزير، صفًا مستقيماً ، و يجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه ، و يليه عن يمينه ناظر الجيش ، و يليه كُتَّاب الدَّسْتِ على ترتيب منازلهم حتى يساؤوا في المقابلة الصف الذي فيه قضاة القضاة ومن معهم ، و يجلس باقي الموقعين بين الصفين مقابل حاجب الحجاب حتى يصلوهما فيصرون كالخَلْقَةِ المستديرة ، و يقف الحجاب الصغار أسفل السلم الذي يصعد منه ، و حاجب الحجاب و ثقباء الجيش خلفهم ، و الولاة خلف ثقباء الجيش . فإن كان الأمراء قد حضروا لأجل السَّماط ، جلس المقدمون و الطبلخاناه على مصاطب معدة لهم على القرب من المقعد الذي يجلس فيه النائب و من معه من أرباب الأقلام المتقدم ذكرهم ، و تُرْفَعُ القِصَصُ فيتناولها ثقباء الجيش و يتناولونها الحجاب فيناولونها لحاجب الحجاب فيناولها لكاتب السر فيفرقها على الموقعين و يبقى بعضها معه ، فيقرأ ما معه ثم يقرأ من بعده على الترتيب إلى آخر الموقعين . فإذا آنقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة و من في معناهم و كُتَّاب الدست فانصرفوا . فإذا آنقضى المجلس ، فإن كان في الموكب سَماط قام النائب و الأمراء من أما كن جلوسهم فدخلوا إلى قاعة عظيمة قد وضع بصدورها كرسي سلطنة مغشى بالحرير الأطلس الأصفر و عليه نمجاء مسندة إلى صدره كما تقدم في دِمَشْقَ ، و قد مد السَماط السلطانيّ فيجلس النائب على رأس السَماط و الأمراء على ترتيب منازلهم في الإمرة و القُدْمَة و يأكلون و يرفع السَماط ، ثم يقوم الأمراء فينصرفون ، و يقوم النائب و معه كاتب السر و ناظر الجيش

فيدخل إلى قاعة صغيرة فيها شباك مطل على دوار بإصطبل النائب، فيجلس في ذلك الشباك، ويجلس كاتب السر وناظر الجيش فيصرفان^(١).

قلت : ويخالف دمشق في أمور :

أحدها - أن كرسي السلطنة ليس بدار العدل حيث يجلس النائب والمتعممون كما في دمشق بل في مكان آخر .

الثاني - أن الأمراء لا يجلسون مع النائب بدار العدل كما في دمشق بل في مكان منفرد .

الثالث - أن النائب يجلس على دكة مرتفعة عن جلسائه بخلاف دمشق، فإنه يجلس مساويا لهم، وكان المعنى فيه عدم جلوس الأمراء في مجلس النائب بحلب بخلاف دمشق .

الرابع - أن الوزير بحلب يجلس في آخر صف القضاة ومن في معناهم تحت مفتحي دار العدل، وبدمشق يجلس في رأس صف يقابل كاتب السر، وكانت المعنى فيه أن كاتب السر بحلب يجلس أمام النائب فلو جلس الوزير فوفقه لخالف قاعدة جلوس كاتب السر، أو جلس تحته لكان نقصا في رتبته . ولا شك أنه يجلس فوقه القضاة ومن في معناهم لرفعة رتبة الشرع .

الخامس - أن السباط بحلب لا يمد بدار العدل كما في دمشق بل في مكان آخر مخصوص .

السادس - أن النائب بحلب له موضع مخصوص يجلس فيه للحاكيات ومد السباط، وفي دمشق يجلس على طرف الإيوان بدار العدل بعد رفع السباط منه .

(١) لعله ثم ينصرفان .

الجملة الثانية

(في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛ وهو ثلاثة أنواع ^(١))

النوع الأول

(ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهو ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(النواب ؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ، وهي إحدى عشرة نيابة)

الأولى - (نيابة قلعة المسلمين المسماة في القديم بقلعة الروم) - وعادة نائبها أن

يكون مقدّم ألف يولّي من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثانية - (نيابة الكّخّنا) - ونيابتها تارة تكون طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها

من نائب حلب .

الثالثة - (نيابة كركر) - ونيابتها تارة طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها من

نائب حلب .

الرابعة - (نيابة بهسنى) - وقد ذكر في " التثقيف " ما يقتضى أن نيابتها

طبلخاناه ، لكن أخبرني بعض كُتّاب السربحلب أنها ربما كانت مقدمة ألف . وقد ذكر

في " التعريف " ما يقتضى ذلك فقال : ولنائبها مكانة جليّة ، وإن كان لا يلتحق

بنائب الأيّرة ؛ وبكل حال فتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة عينتاب) - وقد أوردها في " التثقيف " في جملة أمراء

العشرات وذكر أنه رأى بخط ابن النشأى ما يقتضى أنها كانت طبلخاناه . وقد أخبرني

(١) لم يذكر النوعين فتنه .

بعض كُتَّابِ سِرِّ حَلَبِ أَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ تَقْدِمَةَ أَلْفِ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِرُقُوقِ،
وَاسْتَقَرَّتْ تَوَلِيَّتَهَا مِنَ الأبوابِ السُّلْطَانِيَّةِ .

السَّادِسَةُ - (نِيَابَةُ الرَّأْوَدَانِ) - وَقَدْ أوردَهَا فِي "التَّثْقِيفِ" فِي جَمَلَةِ نِيَابَاتِ
العَشْرَاتِ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي بَعْضُ كُتَّابِ السِّرِّ بِحَلَبَ أَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ بِهَا آخِرًا جَنْدِيًّا،
وَتَوَلِيَّتَهَا مِنْ نَائِبِ حَلَبِ .

السَّابِعَةُ - (نِيَابَةُ الدَّرْبَسَاكِ) - وَقَدْ أوردَهَا فِي "التَّثْقِيفِ" فِي جَمَلَةِ العَشْرَاتِ .
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ كُتَّابِ سِرِّ حَلَبَ أَنَّهَا رُبَّمَا أُضِيفَتْ لِنَائِبِ بَغْرَاسِ الآتِي ذِكْرَهَا وَأَنَّهَا
الآنَ بِيَدِ ابْنِ صَاحِبِ البَايِزِ التُّرْكَانِيِّ، وَتَوَلِيَّتَهَا مِنْ نَائِبِ حَلَبِ .

الثَّامِنَةُ - (نِيَابَةُ بَغْرَاسِ) - وَقَدْ أوردَهَا فِي "التَّثْقِيفِ" فِي جَمَلَةِ العَشْرَاتِ ؛
وَوَلَايَتَهَا مِنْ نَائِبِ حَلَبِ . وَهِيَ بِيَدِ أَوْلَادِ دَاوُدِ الشَّيْبَانِيِّ التُّرْكَانِيِّ مِنْ تَقَادِمِ السَّنِينَ ؛
وَوَلَايَتَهَا مِنْ نَائِبِ حَلَبَ .

التَّاسِعَةُ - (نِيَابَةُ القُصَيْرِ) - وَقَدْ أوردَهَا فِي "التَّثْقِيفِ" فِي جَمَلَةِ العَشْرَاتِ .
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ كُتَّابِ سِرِّ حَلَبِ أَنَّهَا الْآنَ جَنْدِيًّا .

العَاشِرَةُ - (نِيَابَةُ الشُّغْرِ وَبَكَّاسِ) - وَقَدْ أوردَهَا فِي "التَّثْقِيفِ" فِي جَمَلَةِ
العَشْرَاتِ، وَقَدْ أَخْبَرْتُ أَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ بِهَا آخِرًا جَنْدِيًّا، وَتَوَلِيَّتَهَا مِنْ نَائِبِ حَلَبِ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ - (نِيَابَةُ شَيْزَرِ) - كَانَتْ فِي الزَّمَنِ المَتَقَدِّمِ إِمْرَةً عَشْرَةَ يَسْتَقِلُّ نَائِبُ
حَلَبَ بِتَوَلِيَّتَهَا فَلَمَّا تَسَلَّطَتْ عَلَيْهَا العُرْبَانُ بَعْدَ وَقْعَةِ مِطَاشِ وَالنَّاصِرِيِّ اسْتَقَرَّتْ
تَقْدِمَةً بَوَالِيَّةً مِنَ الأبوابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِمَرْسُومِ شَرِيفِ .

الضرب الثاني

(النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية، وهي قسمان)

القسم الأول

(بلاد النغور والعواصم وما والاها، والمعتبر فيها ثمان نيابات)

الأولى - (نيابة مَلْطِيَّة) - ونيابتها طبلخاناه، وتوليها من الأبواب السلطانية.

الثانية - (نيابة دَبْرِي) - وقد ذكر في "التثقيف" أنها تارة تكون طبلخاناه وتارة تكون عشرة، وبكل حال فولايتها من نائب حلب .

الثالثة - (دَرِنْدَة) - ونيابتها في الغالب إمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه، وولايتهما في الحالتين من نائب حلب .

الرابعة - (نيابة الأَبْسُتَيْن) - ونيابتها مقدمة ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة آيَاس) - وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية - ونيابتها مقدمة ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السادسة - (نيابة طَرَسُوس) - ونيابتها مقدمة ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السابعة - (نيابة أَدَنَة) - ونيابتها مقدمة ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثامنة - (نيابة سِرْفَنْدْ كَار) - ونيابتها إمرة عشرة، ووقع في "التثقيف" نقلاً عن ابن النشأى ما يقتضى أنها كانت أولاً طبلخاناه، وبكل حال فولايتها من نائب حلب .

التاسعة - (نيابة سيس) (١) - وقد تقدم أن فتحها قريب في الدولة الأشرفية "شعبان
 أن حسين" ولم تزل نياتها منذ فتحت مقدمة ألف ، وكانت قد جعلت نيابةً
 مستقلةً عند الفتح ثم جعلت بعد ذلك مقدمة عسكر كغزة إلا أن مقدم العسكر بها
 لا يكاتب في خلاص الحقوق بخلاف مقدم العسكر بغزة .

قلت : وبعد ذلك نيات صغار يولي بها نائب حلب أجنادا ، ولا مكاتب لها
 من الأبواب السلطانية : وهي نيابة قلعة باري كركوك ، ونيابة كاورا ، ونيابة كولاك ،
 ونيابة كرزال ، ونيابة كومي ، ونيابة تل حمدون ، ونيابة الهارونيين ، ونيابة قلعة
 نجة ، ونيابة حيمص ، ونيابة قلعة لؤلؤة .

القسم الثاني

(ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات ، والمعتبر فيها ثلاث نيات)

الأولى - (نيابة البيرة) - ونيابتها مقدمة ألف ، وتوليتها من الأبواب السلطانية

بمرسوم شريف .

الثانية - (نيابة قلعة جعبر) - ونيابتها طبلخاناه ، وتوليتها من الأبواب السلطانية

بمرسوم شريف .

الثالثة - (نيابة الرها) - قال في "التتقيف" : وقد جرت العادة أن تكون نياتها

طبلخاناه ، ثم أستقر بها في الدولة المنصورية في سنة ثمان وسبعين وسبعائة
 مقدم ألف .

(١) زادها على المعترف به .

الصنف الثاني

(من أرباب السيوف بخارج حَلَبِ الوَلَاةِ، وولاية جميعها من نائب حلب بتواقيع كريمة ، والمشهور منها اثنتا عشرة ولاية)

الأولى - (ولاية بَرَحَلَبَ كما في دِمَشَقَ) - إلا أن والى برحلب هو والى الوَلَاةِ .

الثانية - (ولاية كَفْرِ طَابَ) - وواليتها جندي .

الثالثة - (ولاية سَرَمِينَ) - وواليتها في الغالب جُنْدِيُّ ، وربما كان أمير عشرة .

الرابعة - (ولاية الجُبُولِ) - وواليتها جندي .

الخامسة - (ولاية جَبَلِ سَمْعَانَ) - وواليتها جندي ، وهو مقيم بمدينة حلب ، يحضر المواكب مع والى المدينة ووالى البر : لقربه منها .

السادسة - (ولاية عَزَازَ) - وواليتها جندي ، وربما كان أمير عشرة .

السابعة - (ولاية تَلِّ بِاشِرَ) - وكان لها والٍ بمفردها جندي ، ثم أضيفت آخرا لَعَيْتَابَ .

الثامنة - (ولاية مَنِيحَ) - وواليتها جندي .

التاسعة - (ولاية تَيْرِينَ) - وهى تارة تفرد بوال يكون جنديا ، وتارة تضاف إلى حَارِمَ ، ويقال والى حارم وتيرين .

العاشر - (ولاية البَابِ وَبُرَاعَا) - وواليتها جندي .

الحادية عشرة - (ولاية دَرَكُوشَ) - وواليتها جندي .

الثانية عشرة - (ولاية أَنْطَاكِيَةَ) - وواليتها تارة يكون جنديا وتارة أمير عشرة ،

وأخبرنى بعض كُتَّابِ السَّرْحَلَبِ أنها ربما أضيفت إلى نائب القُصَيْرِ .

قلت : ووراء ذلك ولايات أنرببلاد الأرمن ونحوها لم يتحررى حائلها ، والظاهر أن ولاية جميعها أجناد .

النوع الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان)

واعلم أنه قد تقدم في الكلام على آل فضل من عربان دِمَشَق أن منازلهم ممتدة بأراضي الشام إلى الرّحبة وجعبر في جانب الفُرات ، وتقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة نقلا عن المقرّ الشهابيّ ابن فضل الله في "التعريف" أن جعبر كانت في زمانه من مضافات دِمَشَق ، وأن الواجب أن تكون من مضافات حَلَب ، فإنها أضيفت بعده إلى حَلَب ، وحينئذ فيكون في بلاد حلب بعض عرب آل فضل المتقدّم ذكرهم هناك .

والمختصّ بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان .

القبيلة الأولى - (بنو كلاب) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم عرب أطراف حَلَب والرّوم ، ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تعدّ ، ولا تزال تُباع بنات الرّوم وأبناؤهم من سبائهم ؛ ويتكلمون بالتركية ويركبون الأكَاديش ، وهم عرب غزوّ ، ورجال حروب ، وأبطال جيوش ، وهم من أشدّ العرب باسا ، وأكثرهم ناسا . قال : وإفراط نكائتهم في الرّوم صُنفت السيرة المعروفة "بدلّمة والبَطال" ^(١) منسوبة اليهم بما فيها من مُلح الحديث وُلّح الأبطال ؛ ولكنهم لا يدينون لأمير منهم يجمع كلمتهم ، ولو أنقادوا لأمير واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة .

(١) هي السيرة المشهورة الآن "بذات الهمة" وقد طبعت أخيرا بالمطبعة "الحسينية" وانتشرت

في أيدي العامة وهي في بابها لا بأس بها .

قال الحمداني : وكان بنو كلاب قد ظهروا على آل ربيعة ، وذلك أن الملك الكامل كان طلب من ماتع بن حديثة وغنم بن الطاهر جملاً يحمل عليها غللاً إلى خلاط يقوتها بها ، فأحتج بغيبة جماله في البرية ، وكان بعض بني كلاب حاضراً فتكفل له بمجاخته من الجمال ووفى له بذلك ، فحقد بها الملك الكامل على ماتع بن حديثة وغنم بن الطاهر وأستوحشاً منه ثم أتياه عند أخذه أمداً ، فوبخهما فخرجا خائفين منه إلى أن فتح دمشق فأتياه بأنواع التقدام وتقرباً إليه بالخدمة . قال : وكانت بنو كلاب تحذم الملك الأشرف موسى وتصحبه لمتاخمة بلاد الروم .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان سلطاننا يعني الناصر محمد بن قلاوون لا يزال ملتفتاً إلى تألف بني كلاب هؤلاء ، وكان أحمد بن نصير المعروف بالترتي قد عاث في البلاد والأطراف وأشتد في قطع الطريق ، فأمنه وخلع عليه وأقطعه فأنقادت بنو كلاب للطاعة ، وكان الملك الناصر قد أمر عليهم سليمان بن مهنا وجعل عليه حفظ جعبر وما جاءرها .

القبيلة الثانية - (آل بشار) - قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم الجزيرة والأحص^(١) ببلاد حلب . قال : والأحلاف منهم حالم في عدم الأتقياد لأمر واحد حال بني كلاب . ولو اجتمعوا لما أمن بأسهم نقيم على تفرق كلمتهم ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل ، وطالما بانوا وقلوبهم منهم ملأئى من الحذر ، وعيونهم وسنى من السهر ، وبينهم دماء ، وهم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران ، وديارهم من سنجار وما يداينها إلى البارة أو قريب الجزيرة العمرية إلى أطراف بغداد .

(١) هو بهذا الضبط موضع . أنظر معجم البلدان (ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٣) .

النيابة الثالثة

(نيابة أطرابلس ، وفيها حملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فبالدنانير والدرهم النقرة على مامر في الديار المصرية ودمشق وحلب ؛ وصنعتها كصنجة دمشق في الذهب والفضة ؛ وبها الفلوس العتق (١) فلسا بدرهم ؛ ورطلها ستمائة درهم كما في دمشق ، وأوقيه اثنتا عشرة أوقية كل أوقية خمسون درهما . وتعتبر مكيلاتها بالمكوك كما في حلب ؛ ويقاس القماش بها بذراع كل عشرة أذرع منه إحدى عشرة ذراعا بالمصرى ؛ وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في الديار المصرية وغيرها من البلاد الشامية ؛ وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في دمشق وغيرها من البلاد الشامية ؛ ونحارجها على ماتقدم في دمشق وغيرها من بلاد الشام .

وأما جيوشها فن الترك ومن في معناهم على ماتقدم في غيرها من الممالك الشامية ، وبها أمير واحد مقدّم ألف غير النائب ، وباقي أمراءها طبلخاناه وعشرات ونحسات ومن في معناهم من العشرينات وغيرها ؛ وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة : وهي نيابة جليلة ، نائبها من أكبر مقدّمى الألوف ، وهو في الرتبة الثانية من حلب كما في حماة ؛ وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم لجمعها والمتصرف فيما لديها من أمر العسكر وغيره .

ومنها الجيوبية ، وبها ثلاثة حجاب أكبرهم طبلخاناه وهو حاجب الحجاب ، والحاجبان الآخران كل منهما أمير عشرة .

(١) بياض في الأصل .

ومنها المهندارية، وشدّ الدواوين، وشدّ الخصاص، وشدّ مراكز البريد، وشدّ
المينا، وتقابة النقباء، وأميراخورية، وشدّ الأوقاف، وتقدمه البريدية، وأميراخورية
البريد، وولاية المدينة، وتقدمه التُّرْكان وغير ذلك، وكلها يوليها النائب بها .

وبها من أرباب الوظائف الديوانية ناظر المملكة، وناظر الجيش، وصاحب
ديوان المكتبات، وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة، وكُتَّاب
دَسْت، وكُتَّاب دَرَج، ولايتهم من نائبها .

وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الأربعة، وقاضياً عسكرياً
شافعيّ وحنفيّ، ومفتياً دار عدل كذلك، ومحتسب، ويكل بيت المال . إلى غير
أولئك من أرباب الوظائف .

وأما ترتيب النيابة بها فإنّ النائب يركب في يومى الإثنين والخميس من دار
النيابة، ويخرج في موكبه من الأمراء والأجناد حتى يأتى ساحل البحر، ثم يعود إلى
دار النيابة ومعه جميع الأمراء والأجناد، خلا الأمير المقدم فإنه لا يحضر معه إلى دار
النيابة . وإذا حضر النائب إلى دار النيابة جلس في دار العدل بصدر الإيوان
وليس بها كرسيّ سلطنة، ويجلس قاضيان: شافعيّ وحنفيّ عن يمينه، ومالكيّ وحنبليّ
عن يساره، ويكل بيت المال تحت القاضي المالكيّ، ويجلس كاتب السر أمامه
على القرب من يساره وكُتَّاب الدَسْت خلفه، وحاجب الحُجَّاب جالس أمام النائب
على القرب منه، ويأخذ الحُجَّاب الصَّغار القِصَصَ ويناولونها إلى حاجب الحُجَّاب
فيدفعها لكاتب السر، ويفصل المحاكمات، ثم ينفض المجلس ويمد السَّمَّاطُ فَيَأْكُلُونَ
وينصرفون كما في غيرها .

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضريين)

الضرب الأول

(التواب، وهم على قسمين)

القسم الأول

النيابات بمضافات نفس أَطْرَابُلَسَّ، وبها خمس نيابات كلهم يَكْتَبُونَ عن الأبواب السلطانية في المهمات ونحوها، دون خَلَّاصِ الحقوق. فإنه يختص بنائب السلطنة بها.

- الأولى - (نيابة حِصْنِ الأكراد) - ونيابته إمرة عشرة.
- الثانية - (نيابة حِصْنِ عَكَار) - ونيابته إمرة عشرة.
- الثالثة - (نيابة بَلَّاطُنُس) - ونيابتها إمرة عشرة.
- الرابعة - (نيابة صَهْيُون) - ونيابتها إمرة عشرة.
- الخامسة - (نيابة اللَّاذِقِيَّة) - ونيابتها إمرة عشرة.

القسم الثاني

(نيابات قِلاعِ الدعوة، وهي ست نيابات خارجا عن مِصْيَافِ)

حيث أضيفت إلى دِمَشْقَ)

- الأولى - (نيابة الرِّصَافَةِ) - وأصل نيابتها إمرة عشرة.
- الثانية - (نيابة الحَوَائِي) - وأصل نيابتها إمرة عشرة.
- الثالثة - (نيابة القُدُمُوس) - وأصل نيابتها إمرة عشرة.

- الرابعة - (نيابة الكهف) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 - الخامسة - (نيابة المنيقة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 - السادسة - (نيابة القلعة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
- قلت : وقد أخبرني بعض كتّاب المملكة أن هذه النيابات كلّها آستقر فيها أجناد؛ وبالجملة فإنما يولّى فيها نائب طرابُلُس بكل حال .

الضرب الثاني

(الوُلاة)

- وبها ولايات ست ، ووُلاة جميعها أجناد، عن نائب طرابُلُس .
- الأولى - ولاية أنطُرطوس .
- الثانية - ولاية جُبّة المُنظرَة .
- الثالثة - ولاية الظنّين .
- الرابعة - ولاية بُشريه .
- الخامسة - ولاية جَبَلَة .
- السادسة - ولاية أنفة .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة؛ وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير والدرهم، وصنّجتها كصنّجة دمشق وحلب وطرابُلُس، تنقص عن الصنّجة المصرية

كل مائة مثقال مثقال وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ، ورطلها سبعمائة وعشرون
درهما بصنجنها ، ومكيلاتها معتبرة بالمشوك كما في حلب وبلادها ، ومشوكها مقدر
كل مكوئين وربع موك غرارة بالدمشقي ، وقياس قماشها بذراع (١)
وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

الجملة الثانية

(في ترتيب نياتها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما مجازتها)

اما جيوشها فمن الترك ومن في معناهم ، وبها عدة من أمراء الطبلخانا والعشرات
والخمسات ومقدمي الحلقة وأجنادها ، وليس بها مقدم ألف . وقد تقدم في الكلام
على قواعد الشام المستقرة أنها كانت بيد بقايا الملوك الأيوبيية إلى آخر الدولة
الناصرية "محمد بن قلاوون" في سلطته الأخيرة . قال في "مسالك الأبصار" :
إن صاحبها كان مستقل فيها بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء
وكتاب السروسائر الوظائف بها ، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يمضي
أمرا كبيرا في مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو
لا يجيبه إلا بأن الرأي مآتراه ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسوم شريف
بالتصرف في مملكته . قال في "مسالك الأبصار" : ومع ذلك فصاحب مصر
متصرف في ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولآه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر
على ذلك إلى أن خلع الأفضل محمد بن المؤيد المتقدم ذكره من سلطنتها ، بعد موت

(١) بياض في الأصل .

(٢) أى وأسدت نياتها في ذلك الحين إلى ملوك أبيه "سيف الدين طغتمش" كذا في تاريخ أبي الفداء .

السلطان الملك الناصر وملك آبنه أبى بكر؛ ونائبها من أكابر الأمراء المقدمين، ولكنه فى الرتبة دون نائب طرأبلَس وإن كان مساويا له فى المكتابة من الأبواب السلطانية؛ ويظهر ذلك فى كتابة المطلقات الجكار حيث يذكر نائب طرأبلَس قبله .
وبها من وظائف أرباب السيوف المحبوبة؛ وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخاناه والثانى عشرة؛ والمهمندارية ، وبها آثنان وهما جنديان ؛ وشد مراكر البريد، وبه جندى؛ وأميراخورية البريد ، ومتوليا جندى؛ وولاية المدينة ، واليهما جندى؛ ونقابة العساكر، وبها آثنان وهما جنديان أحدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف يوليم النائب بها بتوقيع كريمة ، وليس بها قلعة لها نائب .

وبها من الوظائف الدينية من أرباب الأقالام أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ، وولايتهم من الأبواب السلطانية بتوقيع شريفة ، وقاضى عسكر حنفى ، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأخر ولا مفتو دار عدل؛ وبها وكيل بيت المال ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة شرعية ؛ ومحتسب بولاية عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأقالام كاتب سر، ويعبر عنه فى ديوان الإنشاء بصاحب ديوان المكتبات بحماة المحروسة ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كُتاب الدست وكُتاب الدرَج وولايتهم عن النائب بتوقيع كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كُتاب وشهود، وولايتهم عن النائب بتوقيع كريمة .
إلى غير ذلك من وظائف صغار يوليها النائب بتوقيع كريمة .

وترتيب المؤكَب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة فى يومى الخميس والأثنين وصحبته العسكر من الأمراء وأجناد الحلقة ، ويخرج إلى خارج المدينة من قبلها

ويسير في الموكب إلى ضيعة تسمى بقرين على القرب من حماة ، ثم يعود في موكبه حتى يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف ، وينادى بينهم على الخيول ، وربما نودى على بعض العقارات ، ثم تصيح الجاويشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويأتى دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل باب يعرف باب العسرة^(١) ، ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ، ولا يزال راكبا حتى يترجل شبك بدار النيابة معد للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشباك القضاة الأربعة : الشافعى والحنفى عن يمينه ، والمالكى عن يساره والحنبلى يليه ، ويجلس الأمراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار ونقيب النقباء ، وتُرفع القصص فيقرأها كاتب السرعة ويرسم فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراء فيفصل بقية أموره مما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السباط بعد ذلك فيأكلون وينصرفون .

الضرب الثانى

(ماهو خارج عن حاضرتها)

وليس بخارجها نيبات ، بل يقتصر فيه على ثلاث ولايات ، ولأنها أجناد يوليمهم النائب بها .

الأولى - ولاية برها كما في دمشق وحلب .

الثانية - ولاية بارين .

الثالثة - ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا تُركان تنسب إليها .

(١) فى الضوء "باب العزة" .

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فكما في دِمَشق وغيرها من البلاد الشامية؛ وصنجاتها كصنجاتها ورطلها^(١) وأواقيہ اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ...^(١) وتعتبر ميكلاتها ...^(١) وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلاميّ والفدان الروميّ كما في غيرها من البلاد الشامية .

وأما جيوشها ووظائفها الديوانية ووظائفها الدينية، فكما في طَرَابُلُس . وأما ترتيب النيابة بها ...^(١) ...

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بأعمالها نيابة بل كلها ولايات، يليها أجناد من قبل نائب صَفَد، وهي إحدى عشرة ولاية .

الأولى - ولاية بَرَّها كما في غيرها من الممالك المتقدمة .

الثانية - ولاية الناصرة .

الثالثة - ولاية حَطَبِيَّة .

الرابعة - ولاية تَبْنين وهونين .

الخامسة - ولاية عَثَلِيَّة .

(١) يياض في الأصل في المواضع الأربعة .

- السادسة - ولاية عكا .
- السابعة - ولاية صور .
- الثامنة - ولاية الشاغور .
- التاسعة - ولاية الإقليم .
- العاشر - ولاية الشقيف .
- الحادية عشرة - ولاية جينين .

النيابة السادسة (نيابة الكرك ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى (فيما هو بمحاضرتها)

أما معاملاتها فكما في غيرها : من المعاملة بالدنانير والدرهم ، وصنعتها ^(١) ورطلها ^(١) وأواقيها اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ^(١) ويقاس قماشها بذراع ^(١) وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من بلاد الشام ، وكذلك نحراج أرضها .

وأما جيوشها فعلى ما تقدم في غيرها من الممالك من اجتماعها من الترك ومن في معناتهم ؛ وبها من الأحرار الطليخان والعشرات والخمسات ومن في معناتهم ، وليس بها مقدم ألف غير النائب كما تقدم والمجوية والمهندارية وتقدمة البريد ، وولاية القلعة ؛ وبها من الوظائف الديوانية ناظر المال وناظر الجيش وكتب درج ؛ وولاية هؤلاء الثلاثة من الأبواب السلطانية .

(١) يياض في الأصل .

(١) وأما ترتيب الموكب بها .

الجملة الثانية

(فما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضريين)

الضرب الأول

(الولايات، وفيها أربع ولايات)

الأولى - ولاية برها كما في غيرها .

الثانية - ولاية الشؤيك .

الثالثة - ولاية زُغَر .

الرابعة - ولاية مُعَانَ .

الضرب الثاني

(العرب)

وعرب الكرك فيما ذكره في "مسالك الأبصار": بنو عُقبة، وعُقبة من جُدَام .

قال في "مسالك الأبصار": وكان آخر أمرائهم شطى بن عتبة (؟) وكان سلطاننا

(١) بياض بالأصل بقدر ستة أسطر .

الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السما كين وألحقه
بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا ، وأقطعه الإقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف
الكبير ، وأجرل له الحباء ، وعمّر له ولأهله البيت والحباء . وكذلك ممن ينسب إلى عرب
الكرّك بنو زهير عرب الشؤبك ، وآل عجبون ، والعطويون ، والصونيون وغيرهم .

الفصل الثالث

من الباب الثالث من المقالة الثانية
(في المملكة الحجازية ، وفيه سبعة أطراف)

الطَّرَفُ الأوَّلُ

(في فضل الحجاز وخواصّه وعجائبه)

أما فضله ففي "صحيح مسلم" من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم ! قال : " غَلَّظَ القلوبَ والحَفَاءَ في المَشْرِقِ ، والإيمانُ
في أهلِ الحِجَازِ " .

قلت : وفي ذلك دليل صريح لفضل الحجاز نفسه ، وذلك أن هواء كل بلد
يؤثّر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء ، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالا
تخصهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل الحجاز بالرفقة كما أخبر عن أهل
المشرق بالغلظة والحفء ، وناهيك بفضل الحجاز وشرفه أن به مهبط الوحي ومنبع
الرسالة ، وبه مكة والمدينة اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى وأجل بقاع الأرض ،
ولكل منهما فضل يخصه يأتي الكلام عليه عند ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما خواصه فيختص من جهة الشرع بأمرين :

أحدهما - أنه لا يستوطنه مشرك من ذمى ولا معاهد، وإن دخله لم يمكن من الإقامة في موضع منه أكثر من ثلاثة أيام ثم يُصَرَف إلى غيره ، فإن أقام بموضع أكثر من ثلاثة أيام ، عُرِّرَ إن لم يكن له عُدْر . قال أصحابنا الشافعية : ولو عقد الإمام عقداً لكافر على الإقامة بالحجاز على مسمى بطل العقد ووجب المسمى .

الثاني - أنه لا تُدْفَن فيه موتاهم وإن دفن أحد منهم فيه نقل إلى غيره .

وأما عجائبه فمنها مقام إبراهيم عليه السلام ، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء البيت فأثرت فيه قدماه وصار أثرهما فيه ظاهراً كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهو باق على ذلك أمام البيت من جهة الباب إلى الآن .

(ومنها) مذكوره في "الروض المعطار" من أن أثر قدم إسماعيل عليه السلام بمسجد بنى في حجر فيه أثر عقبه حين رَفَس إبليس برجله عند اعتراضه له في ذهابه مع أبيه للدَّبْح .

(ومنها) حصى الجمار، وهو أنه في كل سنة يرمى الحجاج عند الجمرات الثلاث في أيام منى ما تحصل منه التلال العظيمة على طول المدى، ومع ذلك لم يكن موجوداً بنى منها إلا الشيء القليل على تطاول السنين ، يقال إن مهما تُقبِّل منها رفع والباقي منها ما لم يتقبل .

الطرف الثاني

(في ذكر حدوده ، وأبْتداء عمارته ، وتسميته حجازاً)

أما حدوده فأعلم أن الحجاز عبارة عن مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها على خلاف في بعض ذلك ، يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، وهو بجملته قطعة من جزيرة العرب ، وهي ما بين بحر القلزم وبحر الهند وبحر فارس والفرات وبعض بادية الشام .

قال المدائني: جزيرة العرب خمسة أقسام: تِهَامَةٌ، وَنَجْدٌ، وَالْحِجَازُ، وَالْعَرُوضُ، وَالْيَمَنُ. وزاد ابن حوقل في أقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة فيما بين دَجَلَةَ وَالْفُرَاتِ وبادية الشام، وفيها خلاف يطول ذكره.

قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": وسميت جزيرة العرب جزيرةً لِأَنجِزَارِ الْمَاءِ عَنْهَا حَيْثُ لَمْ يَمُدَّ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ مُطِيفًا بِهَا. والحجاز عندهم عبارة عن جبل السَّراة - بالسَّين والراء المهملتين - على ما أورده في "الروض المعطار"؛ وَضَبِطَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" فِي الْكَلَامِ عَلَى الْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ، وَهُوَ جَبَلٌ يُقْبَلُ مِنَ الْيَمَنِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِبَادِيَةِ الشَّامِ، وَهُوَ أَكْثَرُ جِبَالِ الْعَرَبِ. وَحَدَّهُ مِنَ الْجَنُوبِ تِهَامَةٌ؛ وَهِيَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَحْرِ الْهِنْدِ فِي غَرْبِيِّ بِلَادِ الْيَمَنِ؛ وَحَدَّهُ مِنَ الشَّرْقِ بِلَادُ الْيَمَنِ وَهِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَارِسَ؛ وَحَدَّهُ مِنَ الشَّمَالِ نَجْدٌ، وَهُوَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِرَاقِ؛ وَحَدَّهُ مِنَ الْغَرْبِ بَحْرُ الْقَلْزُومِ وَمَا فِي جَنُوبِيهِ مِنْ بَادِيَةِ الشَّامِ.

الطرف الثالث

(في ابتداء عمارته وتسميته حجازا)

أما ابتداء عمارته فإنه لما أنبت أولاد سام بن نوح عليه السلام وهم العرب في أقطار هذه الجزيرة حين قسم نوح الأرض بين بنيهِ، نزل الحجاز منهم من العرب البادية طَسْمٌ وَجَدَيْسٌ [ومنزلهم] الْيَمَامَةُ وَمَنْزَلُهُمْ جَرْمٌ عَلَى الْقَرْبِ مِنْ مَكَّةَ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ عِمَارَةِ الْحِجَازِ بَعْدَ الطُّوفَانِ؛ ثُمَّ بَادَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ وَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَأَنْقَطَعَتْ آثَارُهُمْ. وَعَمَرَ الْحِجَازَ بَعْدَهُمْ جُرْهُمُ الثَّانِيَةُ، وَهُمْ بَنُو جُرْهُمِ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَائِحِ بْنِ أَرْقَشُدَّ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ. وَلَمَّا أَسْكَنَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي

أَسَكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) كانت جرهمُ الثانية نازلين بالقرب من مكة فاتصلوا بإسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم وكثروا وبتناسلوا فعمروا الحجاز إلى الآن .

وأما تسميته حجازا، فقال الأصمعيّ : سمي بذلك لأنه حمزين نجدٍ وتِهَامَةٌ ولأمتداده بينهما على ما تقدّم . وقال ابن الكلبيّ : سمي بذلك لما احتجز به من الجبال . قلت : ووهم في "الروض المعطار" فقال : سمي حجازا لأنه حمزين الغور والشام، وقيل لأنه حمز بين نجدٍ والسّراة ، وما أعلم ما الذي أوقعه في ذلك .

الطَّرْفُ الرَّابِعُ

(في ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة)

أما مياهه وعيونه، فقال المتكلمون في المسالك والممالك : ليس بالحجاز بل بجزيرة العرب جملةً نهرٌ يجري فيه مرَّكَبٌ، وإنما فيه العيون الكثيرة المتفجرة من الجبال المعتضدة بالسيول والأمطار، الممتدة من وادٍ إلى وادٍ، وعليها قُرَاهِمٌ وحدائقهم وبساتينهم مما لا يحصى ذلك كثرةً، كما في الطائف و بطن مرٍّ، و بطن نَحْلٍ، وعُسفان و بَدْرٍ وغير ذلك .

وأما جباله المشهورة، فأعلم أن جميع أرض الحجاز جبال وأوديةٌ ليس فيها بسيط من الأرض، وجباله أكثر من أن تدخل تحت العدِّ أو يأخذها الحصر، وقد ذكر الأزرق في "تاريخ مكة" أن لمكة^(١) اثني عشر ألف جبل لكل جبل منها اسم يخصه ولكن قد شهرت جبال مكة والمدينة والينبع .

(١) لعله للحجاز .

فمن جبال مكة المشهورة (جبل أبي قبيس) وهو الجبل الذي في جنوبي مكة ممتدا على شرقها . قال الأزرقى : وهو أول جبل وُضِع بالأرض ولذلك كان أقرب الجبال إلى البيت .

(ومنها) جبل قينقاع^(١) - بقاف مفتوحة وياء مثناة تحت ساكنة ونون مضمومة وقاف ثانية مفتوحة بعدها ألف وعين مهملة - وهو الجبل الذي غربى مكة ، سمي بذلك لمكان سلاح تُبَع منه ، والقعقة صوت السلاح ، كما سمي جِيَاد جِيَادا لمكان خيله منها .

(ومنها) جبل حرّاء - بجاء مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف - وهو جبل يُشْرِف على مكة من شرقها يرى البيت من أعلاه ، وفيه الغار الذي كان يتعبّد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وفيه جاءه جبريل عليه السلام في أول النبوة .

(ومنها) جبل ثورٍ - بفتح التاء المثناة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر - وهو جبل مشرف على مكة من جنوبيها ، وفيه الغار الذي آخفت في رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(ومنها) جبل تبيير^(٢) - بفتح التاء المثناة فوق وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وراء مهملة في الآخر - وهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة .

الطَّرَفُ الْخَامِسُ

(في زُرُوعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره)

أما زروعه ففيه من الحبوب المزدرة البر والشعير والذرة والسلت ، وجميعها تُزْرَع على المطر ، وربما زُرِع بعضها على ماء العيون ، والشعير والذرة أكثر الحبوب

(١) صوابه قَيْقَاعَان . أنظر معجم البلدان ومعجم ياقوت . (٢) صوابه تَبِيرُ التَّاءِ المثناة .

وجودا، ويُزرَع فيه على العيون البَيْطِيخُ : الأَخْضَرُ والأَصْفَرُ، والقِثَاءُ، والبَاذِجَانُ،
والدَّبَّاءُ، والملوخيا، والهِندِباءُ، والفُجْلُ، والكُرَّاثُ، والبَصَلُ، والثُّومُ .

وأما فواكهه ففيه الرُّطْبُ، والعِنْبُ، والمَوْزُ، والتَّفَّاحُ، والسَّفْرَجَلُ، وَاللِّيمُونُ
وغير ذلك .

وأما رياحينه ففيه التامرِحَنَاءُ، ويسمى عندهم القَاغِيَّةُ : بالفاء وغين معجمة وياء
مشناة تحت وهاء في الآخر .

وأما مواشيه ففيه الإِبِلُ، والضَّائُنُ، والمعزُّ بكثرة، والبقر بقلَّة . وبه من الخيل
ما يفوق الوصف حسنه، ويُعجز البرق إدراكه .

وأما وحوشه ففيه الغِزْلَانُ، وحُرُّ الوحش، والدَّبَّابُ، والضَّبَاعُ، والثعالبُ،
والأرانب وغيرها .

وأما طيوره ففيه الحمام، والدجاج، والحِدَاةُ، والرَّخَمُ .

الطرف السادس

(في قواعده وأعماله ؛ وفيه ثلاث قواعد)

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لها ستة عشر اسما . ” مَكَّة ” بفتح الميم وتشديد

الكاف المفتوحة وهاء في الآخر . كما نطق به القرءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي

كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنْ مَكَّةَ ﴾ ، سميت بذلك لقلته ماؤها أخذنا من

قولهم أَمَتَكَ الفصِيلُ ضَرَعُ أُمِّهِ إِذَا أَمْتَصَهُ ، وقيل لأنها تَمُكُّ الذنوب بمعنى أنها تَذْهَبُ بها، ويقال لها أيضا (بَكَّةٌ) بإبدال الميم بباء موحدة . وبه نطق القرءان أيضا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ قال الليث : سميت بذلك لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة أُنَى تَدْقُهَا والْبُكُّ الدَّقُّ؛ وقيل بالميم الحرم كله وبَكَّةُ المسجد خاصة ، حكاه الماورديّ عن الزهرىّ وزيد بن أسلم؛ وقيل بالباء اسم لموضع الطواف، سمي بذلك لأزدحام الناس فيه والْبُكُّ الأزدحام . ومن أسمائها أيضا (أُمُّ الْقُرَى) و(الْبَلَدُ الْأَمِين) و(أُمُّ رُحْم) بضم الراء وإسكان الحاء المهملتين لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادعون؛ و(صَلَاح) مبنى على الكسر كقَطَامٍ ونحوه؛ و(الْبَاسَّةُ) لأنها تَبْسُ الظالم أي تحطمه؛ و(النَّاسَةُ) بالنون لأنها تَنْسُ الملاحد فيها أي تطرده؛ و(النَّسَاسَةُ) لذلك أيضا؛ و(الْحَاطِمَةُ) لأنها تحطِمُ الظالم كما تَقْدَمُ و(الرَّاسُ) و(كُوْنِي) بضم الكاف وفتح المثناة؛ و(الْقُدْسُ) و(القادس) و(المقدّسة) . قال النووىّ: وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ولذلك كثرت أسماء الله تعالى وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم! وقد تقدّم انها من جملة الحجاز . وحكى ابن حوقل عن بعض العلماء أنها من تِهَامَةَ ورجحه في "تقويم البلدان" . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "كتاب الأطوال": طولها سبع وستون درجة وثلاث عشرة دقيقة، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "القانون": طولها سبع وستون درجة فقط، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وقال في "رسم المعمور": طولها سبع وستون درجة، وعرضها إحدى وعشرون . وقال كوشيا وطولها سبع وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة فى بطن وادٍ والجبال

مَحْتَفَةٌ بِهَا ، فَأَبُو قُبَيْسٍ شَرَفَ عَلَيْهَا مِنْ شَرْقِيَّهَا وَأَجْيَادٌ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مَشْرُفٌ عَلَيْهَا مِنْ غَرْبِيَّهَا . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَوْضِعِ خَيْلِ تَبَعٍ مِنْهُ . قَالَ فِي "الرَّوَضِ الْمَعْطَارِ" : وَسَعَتَهَا مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ نَحْوَ مِيلَيْنِ ، وَمِنْ أَسْفَلِ أَجْيَادٍ إِلَى ظَهْرِ جَبَلِ قُعَيْقَعَانَ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ الْكَلْبِيُّ : وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مَنَازِلُ مَبْنِيَّةٌ فِي بَدَأِ الْأَمْرِ ؛ وَكَانَتْ جُرْهُمُ وَالْعَمَالِقَةُ حِينَ وَلَايَتِهِمْ عَلَى الْحَرَمِ يَنْتَجِعُونَ جِبَالَهَا وَأَوْدِيَّتَهَا يَنْزِلُونَ بِهَا ؛ ثُمَّ جَاءَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَهُمْ فَمَشُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صَارَتْ الرِّيَاسَةُ فِي قُرَيْشِ لُقْصَى بْنِ كَلَابِ بْنِ أَبِي دَارِ النَّدْوَةِ ، يَحْكُمُ فِيهَا بَيْنَ قُرَيْشٍ ؛ ثُمَّ صَارَتْ لِمَشَاوَرَتِهِمْ وَعَقْدِ الْأُلُوِيَّةِ فِي حُرُوبِهِمْ ؛ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ : فَبَنَوْا دُورًا وَسَكَنُوهَا ، وَتَزَادَ الْبِنَاءُ فِيهَا حَتَّى صَارَتْ إِلَى مَا صَارَتْ . وَبَنَآؤُهَا بِالْحَجْرِ وَعَلَيْهَا سُورٌ قَدِيمٌ قَدْ هُدِمَ أَكْثَرُهُ وَبَقِيَ أَثَرُهُ وَالْمَسْجِدُ فِي وَسْطِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ فِي "تَارِيخِ مَكَّةَ" أَنَّ الْكَعْبَةَ كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تُدْحَى الْأَرْضُ رَابِعَةَ حُمْرَاءَ مَشْرُفَةٍ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، وَلَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، اسْتَوْحَشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ قُبَّةً مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءَ لَهَا بَابَانِ فَوُضِعَتْ مَكَانَ الْبَيْتِ فَكَانَ يَتَأَسَّسُ بِهَا ، وَجَعَلَ حَوْلَهَا مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ بِصَرَ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهَا . قَالَ فِي "الرَّوَضِ الْمَعْطَارِ" : وَكَانَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ كَرَسِيًّا يَجْلِسُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَطُولُهُ ذِرَاعٌ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْمَأُورِدِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا قَالُوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لِأَذْوَابِ الْعَرْشِ خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَطَافُوا حَوْلَهُ سَبْعًا فَرَضَى عَنْهُمْ وَقَالَ : آبَنُوا فِي الْأَرْضِ بَيْتًا يَعُودُ بِهِ مَنْ سَخِطْتُ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي آدَمَ فَبَنَوْا هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ أَوَّلُ بِنَائِهِ ؛ ثُمَّ بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ قَالَ فِي "الرَّوَضِ الْمَعْطَارِ" : وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَقْفًا . قَالَ : ثُمَّ أَنْهَدِمَتْ الْكَعْبَةَ فَبَنَيْتُهَا الْعَمَالِقَةُ ، ثُمَّ أَنْهَدِمَتْ فَبَنَيْتُهَا جُرْهُمُ ، ثُمَّ أَنْهَدِمَتْ فَبَنَاهَا قُصَيٌّ بْنُ كَلَابٍ وَسَقَّفَهَا بِخَشَبِ

الدَّوْمِ وجريد النخل ، وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا ، ثم استهدمت وكانت فوق القامة فأرادت قُرَيْشٌ تليتها فهدمتها وبنتها ، والنبي صلى الله عليه وسلم عمره خمس وعشرون سنة ، وشهد بناءها معهم ، وكان بابها بالأرض فقال أبو حذيفة ابن المغيرة : يا قوم أرفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا مسلم ففعلوا ذلك وسقفوها بخشب سفينة ألقاها البحر إلى جدّة .

قال في "الروض المعطار" : وكان طولها ثمانى عشرة ذراعا ، ثم أحترق البيت حين حوَّصر ابن الزبير بمكة وتأثرت حجارتها بالنار ، فهدمه ابن الزبير وأدخل فيه ستة أذرع من الحجر ، وقيل سبعة ، وجعل له بايين ملصقين بالأرض : شرقيا وغربيا يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وجعل على بابها صفايح الذهب ، وجعل مفاطيجه من ذهب . قال في "الروض المعطار" : وبلغ بها في العلو سبعا وعشرين ذراعا . فلما قتل ابن الزبير كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره بإعادته على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من بناء قريش فهدم جانب الحجر وأعادته إلى ذلك ، وسد الباب الغربى ورفع الشرقى عن الأرض إلى حدّه الذى هو عليه الآن ؛ وكان عبد الملك بن مروان بعد ذلك يقول : "وَدِدْتُ أَنى كُنْتُ حَمَلْتُ ابن الزبير من بناء الكعبة ماتمَّحَلَّ" .

ثم جدّد المتوكل رُخَام الكعبة فأزرها بفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب ، وهو على ذلك إلى الآن . وهو مبنى بالحجر الأسود مستطيل البناء على التربع ، فى ارتفاع خمسة وعشرين ذراعا . وله أربعة أركان .

الأول - ركن الحجر الأسود . وهوما بين الشرق والجنوب ، ومنه يتبدأ الطواف .

(١) عبارة ياقوت "ورفعوا بابها مخافة السيل وأن لا يدخل فيها إلا من أحبوا" .

الثاني - الشامي . وهو ما بين الشرق والشمال ، سمي بذلك لمسامته بعض بلاد الشام ، وداخله باب المَطَّلَع إلى سطح الكعبة .

الثالث - الغربي . وهو ما بين الشمال والغرب ، سمي بذلك لمسامته بلاد المغرب ، ولو سمي بالمصري لكان جديرا به لمسامته بلاد مصر .

الرابع - اليماني . وهو ما بين الغرب والجنوب ، سمي بذلك لمسامته بلاد اليمن ولذلك خفت الياء في آخره نسبة إلى اليمن . وقال ابن قتيبة : سمي بذلك لأنه بناه رجل من اليمن يقال له ابن أبي سالم ، وقد يُطَلَّق عليه وعلى ركن الحجر الأسود اليمانيان ، وعلى الشامي والغربي الشاميان تغليا .

ثم بين ركن الحجر الأسود وبين الركن الشامي أربعة وعشرون ذراعا ، وبالقرب من الركن الأسود في هذا الحدار باب الكعبة على أربعة أذرع وشيء من الأرض يُرَقَى إليه بدرج من خشب توضع عند فتح الباب ، والمُلتَزَم بين الركن الأسود والباب الشرقي ، وبالقرب من الركن الشامي منه مصلى آدم عليه السلام . وهذا الحدار مقسوم ثلاث جهات .

الأولى - من الركن الأسود إلى باب الكعبة . وهي في جهة القبلة لأهل البصرة ، والأهواز ، وفارس ، وأصبهان ، وكرمان ، وسجستان ، وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك .

الثانية - من الباب إلى مصلى آدم عليه السلام . وهي جهة القبلة لأهل الكوفة ، وبغداد ، وحلوان ، والقادسية ، وهمدان ، والرّي ، ونيسابور ، ومرو ، وخوارزم ، ومجآرا ، ونسا ، وفرغانة ، والشاش ، وخراسان ، وما على سمت ذلك .

الثالثة - من مصلى آدم عليه السلام إلى الركن الشامي . وهي جهة القبلة لأهل الرها ، والموصل ، وملطية ، وشمشاط ، والحيرة ، وسنجار ، وديار بكر ، وأرمينية إلى باب الأبواب ، وما على سمت ذلك .

وبين الركن الشامي والركن الغربي أحد وعشرون ذراعا ، وبأعلى هذا الجدار الميزاب في الوسط منه وخارجه الحجر (بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم) مستديرا به على سمت الركنين ، يفصل بينه وبين البيت فرجتان .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى - من الركن الشامي إلى دون الميزاب . وهي جهة القبلة لدمشق ، وحماة ، وسامية ، وحلب ، ومنبج ، وميافارقين ، وماسامت ذلك .

الثانية - وسط الجدار من الميزاب وما إلى جانبه . وهي جهة القبلة للدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) وجانب الشام الغربي ، وغزة ، والرملة ، وبيت المقدس ، وفلسطين ، وعكا ، وصيدا .

الثالثة - ما يلي هذه الجهة إلى الركن الغربي . وهي جهة القبلة لمصر بأسرها من أسوان إلى دمياط ، والإسكندرية ، وبرقة ، وكذلك طرابلس الغرب ، وصقلية ، وسواحل الغرب ، والأندلس وما على سمت ذلك . وبين الركن الغربي والركن اليماني في هذا الجدار الباب المسدود تجاه الباب المفتوح . وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى - من الركن الغربي إلى ثلث الجدار . وهي جهة القبلة لأهل الشمال من بلاد البجاوة ، والثوبة ، وأوسط الغرب من جنوب الواحات إلى بلاد الجريد إلى البحر المحيط وما على سمت : ذلك من عيذاب ، وسواكن ، وجنوب أسوان ، وجدة ، ونحو ذلك .

الثانية - من ثلث الجدار إلى دون الباب المسدود . وهي جهة القبلة لأهل الجنوب من بلاد البجاوة ودهلك وسواكن والثوبة والتكرور ، وما وراء ذلك وعلى سمتة .

الثالثة - من دون الباب المسدود إلى الركن اليماني . وهي جهة القبلة لأهل الحَبَشَةِ ، والزَّبِيجِ ، والزَّلِيعِ ، وأكثر بلاد السودان وما والاها من البلاد أو كان على سمتها .

وبين الركن اليماني وركن الحجر الأسود عشرون ذراعاً، أنقص من مقابله بذراعٍ ، وبالقرب من ركن الحجر الأسود من هذا الجدار مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات .

الأولى - الركن اليماني إلى سبعة أذرع من الجدار . وهي جهة القبلة لتدمر ، وحَضْرَمَوْتِ ، وَعَدَنَ ، وَصَنْعَاءَ ، وَعُمَانَ ، وَصَعْدَةَ ، وَالشَّحْرَ ، وَسَبِيَا ، وَزَيْبَدَ وما والاها أو كان على سمتها .

الثانية - من حدّ الجهة المتقدمة إلى دون مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة . وهي جهة القبلة لجنوب بلاد الصَّينِ ، والسَّنْدِ ، والتَّهَامِ ، والبحرين ، وما سامت ذلك .

الثالثة - من مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة إلى ركن الحجر الأسود . وهي جهة القبلة لأهل واسِطَ ، وبلاد الصَّينِ ، والهِندِ ، والمَرَجَانِ ، وكَابُلِ ، والقُنْدُهَارِ ، والمعَبَرِ ، وما والاها من البلاد أو كان على سمتها .

ويقابل الجدار الشرقي من البيت مما يلي ركن الحجر الأسود زَمَزَمُ وسِقَايَةُ العَبَّاسِ ، ويقابله مما يلي الركن الشامي مَقَامُ إبراهيم عليه السلام . وقد تقدّم الكلام عليه في عجائب الحجاز فيما مرّ ، ويسمى ما بين الكعبة وزَمَزَمَ والمَقَامِ الحَاطِمِ (الحاء والطاء المهملتين) . قال في "الروض المعطار" : سمي بذلك لأنه كان من لم يجد من الأعراب

ثوباً من ثياب أهل مكة يطوف فيه رمي ثيابه هناك وطاف عريانا. وخارج المسجد الصفا والمروة اللذان يقع السعي بينهما.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة)

أما الحرم فهو ما يطيف بمكة مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه ونحو ذلك ، وقد تقدم أن الله تعالى جعل ملائكة يحرسون القبة التي أنزلها الله تعالى إلى آدم من الجنة ووضعت له مكان الكعبة وجعلت الملائكة حرسا لها كي لا يقع عليها بصر الشياطين ، فكانت مواقف الملائكة هي حدود الحرم . قال ابن حوقل : وليس بمكة والحرم شجر يُشمر إلا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار .

وآدم أن مقادير جهات الحرم متفاوت في القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده أعلام منصوبة في كل جهة تدل عليه . قال في "الروض المعطار" : قال الزبير : وأول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان بن أدد ، خوفا من أن تدرس معالم الحرم أو تتغير . قال : وحده من التنعيم على طريق سرف إلى مَر الظهران خمسة أميال ، وذكر في موضع آخر أنها ستة أميال ، وحده من طريق جدة عشرة أميال ، ومن طريق اليمن ستة أميال ، ودوره سبعمائة وثلاثة وثلاثون ميلا . ثم بحدود هذا الحرم أما كن مشهورة ، يخرج إليها من مكة من أراد أن يهمل بعمره فيحرم منها .

أحدها - (التَّعْمِيمُ) - بالف ولام لازمتين وفتح التاء المشناة فوق وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون الياء المشناة تحت وميم في الآخر - وهو موضع على حد الحرم على طريق السالك من بطن مَرٍّ وإلى مكة . قال في "الروض المعطار" : وسُمِّي التعميم لأن الجبل الذي عن يمينه اسمه نُعَيْمٌ والذي عن يساره اسمه نَاعِمٌ والوادي الذي هو فيه اسمه نَعْمَانُ ؛ ومنه آعتمرت عائشة رضي الله عنها مع عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهناك مسجدٌ يعرف بمسجد عائشة إلى الآن .

الثاني - (الحُدَيْبِيَّةُ) - بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء المشناة تحت وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشددة وفي آخرها تاء - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعيّ تخفيف الياء الثانية . قال في "تقويم البلدان" : وهو موضع/بعضه في الحِلِّ وبعضه في الحَرَمِ ، وفيه صَدَّ المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن البيت ؛ وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت ؛ وهي على مسيرة يوم ؛ وهي في مثل زاوية للحرم . وذكر في "الروض المعطار" أن الحديبية أسم لبتُر في ذلك المكان ، ومذهبُ الشافعيّ أن العمرة منه أفضل من التعميم .

الثالث - (الجِعْرَانَةُ) - بكسر الجيم والعين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة بعدها ألف ونون مفتوحة وهاء في الآخر - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعيّ سكون العين وتخفيف الراء . قال : وهو مكان بين مكة والطائف ولكنه إلى مكة أقرب ، ومنه أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة في وجهته تلك ، ومذهب الشافعيّ أن العمرة منه أفضل من الحُدَيْبِيَّةِ .

وأما مشاعر الحج الخارجة عن مكة فثلاثة .

(١) أي مرجعه من غزاة حنين وقسم فيها غنائم هوازن . أنظر "معجم البلدان" .

أحدها - مَنَى بكسر الميم وفتح النون وألف مقصورة - سميت بذلك لما يَمْنَى فيها من الدماء أى يراق . قال في "المشترك" : وبينها وبين مكة ثلاثة أميال - وهى تشبه القرية مبنية على ضفتى الوادى . وبها مسجد الخيِّف - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المشناة تحت وفى آخره فاء - وهو مسجد عظيم متسع الأرجاء بغير سقف .

الثانى - (المُزْدَلِفَةُ) - بضم الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وكسر اللام وفتح الفاء وآخرها هاء - وهى موضع على يسرة الذهاب من منى إلى عرفة . قال النووى : سميت بذلك من الترفل والأزدلاف وهو التقرب ، لأن الحجاج إذا أفاضوا من عَرَافَاتِ أزدَلَفُوا إليها أى تقربوا ومضوا إليها ، وتسمى جمعاً أيضاً بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة - لأنه يجمع بها بين المغرب والعشاء ، وبها مسجد متسع . قال في "الروض المعطار" : طوله ثلاثة وستون ذراعاً ، وعرضه خمسون ذراعاً ، وأرتفاع جداره عشرة أذرع .

الثالث - (عَرَافَةُ) - بفتح العين والراء المهملتين والفاء وهاء فى الآخر - ويقال فيه أيضاً عَرَافَاتٌ على الجمع ، وبه جاء القرآن فى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ﴾ وهو موقف الحج ، وسمى عرفات لتعارف آدم عليه السلام وحواء به . قال كعب الأحمري : أهبط آدم عليه السلام بالهند ، وحواء بعرفة ، وإبليس بجدة ، والحياة بأصبهان ، وأمر الله تعالى آدم بحج البيت فحج ، فكان حيث وضع قدمه نتفجر الأنهار وتبنى المساجد . فلما وصل إلى عرفة ، وجد بها حواء فتعارفا بها .

الضرب الثانى

(قُراها ومَحَالِيفُها)

وأعلم أن أكثر جبال مكة وأوديتها مسكونة معمورة إلا أنه ليس بها قرية مُقَرَّاة إلا حيث المياه والعيون البخارية والحدائق المحدقة ، والمشهور من ذلك عشرة أماكن .

الأول - (جدة) - بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء - وهي فُرْصَةٌ مكة على ساحل بحر القلزم ، وموقعها في أول الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة ، وهي في الغرب عن مكة بمسلة إلى الشمال . قال في "الأطوال" : طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . ووافقته على ذلك في "القانون" . وقال في "رسم المعمور" : طولها خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . وهي مينا عظيمة محل حط وإقلاع ، إليها تنتهي المراكب من مصر واليمن وغيرهما ، ومنها تصدر من مكة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من مكة على مرحلتين . وقال الإدريسي : بينهما أربعون ميلاً ، وهي ميقات من قطع البحر من جهة عيذاب إليها .

الثاني - (بطن نخل) - وضبطه معروف ، ويقال فيه أيضا وادي نخلة على التوحيد ونخلة بإسقاط لفظ وادي . قال الجوهري : وبه كانت العزى التي هي أحد طواغيت قريش ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد فهدمها ، وهي الآن بيد هذيل ، وهي قري مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . أخبرني بعض أهل الحجاز أن بها نحو أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وغالب فواكه مكة وقطانيها وبقولها منها ، ومنها يصب الماء إلى بطن مرة الآتى ذكره .

الثالث - (الطائف) - بألف ولام لازمتين فطاء مهملة مشددة مفتوحة بعدها ألف وياء مثناة تحت مكسورة ثم فاء - وهو بلد شرقي بطن نخل المتقدم ذكرها ، وبطن نخل بينه وبين مكة . قيل سميت الطائف لأنها في طوفان نوح أنقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالأرض حتى أرسَتْ في هذا الموضع . وقال في "الروض المعطار" : أسماها القديم وَّجَّ يعني بواو مفتوحة وجيم مشددة - سميت برجل من العالقة ، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطا مطيفا بها فسميت الطائف .

قال : وهى إحدى القريتين المذكورتين فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من الحجاز تقريبا ، وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى . وقال ابن سعيد : طولها ثمان وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، وهو بلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيرها ، وهى طيبة الهواء إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما جمد الماء بها لشدة بردها .

الرابع - (بَطْنُ مَرَّةٍ) - بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة ونون بعدها ثم ميم مفتوحة وراء مهملة مشددة - وهو واد من أودية الحجاز فى الشمال عن مكة على مرحلة منها على طريق حجاج مصر والشام . قال فى "الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بقعة بها عدة عيون ومياه تجرى ونخيل كثير ، والنخل والمزدرع متصل من وادى نخلة إليها . وذكر غيره أن بها نحو أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية ، ومنها تُحمَلُ الفواكه والبُقُولات إلى مكة كما تحمل من نخلة والطائف ، وهى بيد بنى حسن أمراء مكة .

الخامس - (الهُدَّة) - بألف ولام ثم هاء ودال مهملة مفتوحتين وهاء ساكنة فى الآخر - وهو واد على القرب من بطن مرَّة ، على مرحلة ونصف من مكة ، به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وهى بيد بنى جابر .

السادس - (عُسْفَانٌ) - بضم العين وسكون السين المهملتين وفتح الفاء ثم ألف ونون - وهو واد معروف على طريق حجاج مصر ، على ثلاث مراحل من مكة ، كان بها حدائق ومياه تنصب إليها من الهدَّة المذكورة ، وهى الآن خراب ليس بها عمارة .

السابع - (الْبَرْزَةُ) - بألف ولام ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى واد بالقرب من عُسْفَانَ على مرحلتين من مكة؛ به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية؛ وهى الآن بيد بنى سَلُولَ وبنى مُعَبِّدٍ بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة .

الثامن - (خُلَيْصٌ) - بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وإسكان الياء المشناة تحت والصاد المهملة - وهو واد على طريق مُجَجَّاجٍ مصر على أربع مراحل من مكة؛ به نحو تسعة أنهر على كل نهر قرية .

التاسع - (وَادِى كَلْبِيَّة) - بضم الكاف وفتح اللام وتشديد الياء المشناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وهو واد بالقرب من خُلَيْصٍ به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية، وكان بيد سُلَيْمٍ، وقد خرب من مدة قريبة بعد الثمانين والسبعائة .

العاشر - (مَرَّ الظُّهْرَانِ) - بفتح الميم وتشديد الراء المهملة ثم ألف ولام وظاء معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ونون - وهو موضع بينه وبين مكة نحو ستة عشر ميلا، وهو الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم! عند صلحه مع قريش، كان به ضياع كثيرة وهو الآن خراب . قال فى "الروض المعطار": وبه حصن كبير؛ كان يسكنه سُكْرُ بن الحسن بن على بن جعفر الحسنى يعنى أمير مكة الآتى ذكره فى جملة أمرائها .

الطرف السابع

(في ذكر ملوك مكة ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

اعلم أن مكة بعد الطوفان كان ملكها في عاد ، وكان بها منهم معاوية بن بكر بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان مع معاوية بن بكر (وهو عاد الآخرة فيما يقال) يعرب ثم غلبهم العماقية عليها . فلما غلب ابن قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عادا على اليمن وفرق ملك اليمن في إخوته ، استولى على الحجاز وأخرج العماقية منه وولّى أخاه جرهم بن قحطان على الحجاز ، فبقي به حتى مات . فملك بعده ابنه عبد ياليل . ثم ملك من بعده ابنه جرهم ، ثم ملك بعده ابنه عبد المدان ، ثم ملك بعده ابنه ببيعة ، ثم ملك بعده ابنه عبد المسيح ، ثم ملك بعده ابنه مضاض ، ثم ملك بعده ابنه الحرث ، ثم ملك بعده ابنه عمرو ، ثم ملك بعده أخوه بشر بن الحرث ، ثم ملك بعده مضاض بن عمرو بن مضاض .

قال ابن سعيد : وجرهم هذه هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، وكانت قبلهم جرهم أخرى مع عاد . قال في "الروض المعطار" : وفي ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مضاض ، وهو التاسع من ملوك جرهم المتقدم ذكرهم :

وصاهرنا من أكرم الناس والدا * فابنأوه منا ونحن الأصاهر!

قال صاحب حمة في "تاريخه" : وقد اختلف المؤرخون في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين إسماعيل ، فبعضهم يقول : كان الملك في جرهم ، ومقاتيح الكعبة وسداتها في يد ولد إسماعيل ، وبعضهم يقول : إن قي دار بن إسماعيل توجهت أخواله من جرهم وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز .

وأما سِدَانَةُ الْبَيْتِ ومفاتيحه فكانت مع بنى إِسْمَاعِيلَ بلا خلاف حتى آتتهى ذلك إلى نَابِيتٍ من ولد إِسْمَاعِيلَ، فصارت السِّدَانَةُ بعده جُرْهُمَ، ويدل على ذلك قول عمرو بن الحرث :

وَكَا وَوَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِيتٍ * نَطُوفٌ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ!
 وذكر في "الروض المعطار" : أنه كان مع جُرْهُمَ بمكة قَطُورًا ، وجُرْهُمَ وقَطُورًا
 أخوان، وكان منزل جرهم أعلى مكة بقَعِيقَعَانَ فما حاز، ومنزل قَطُورًا أسفل مكة
 بأجباد فما حاز، وآتته رياسة قَطُورًا في زمن مُضَاضِ بن عبد المسيح المتقدم ذكره
 إلى السَّمِيدِعِ، وكان مُضَاضٌ يُعَشِّرُ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا، وَالسَّمِيدِعُ عِشْرُونَ
 مِنْ دَخَلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا، ثُمَّ بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَنَافَسُوا الْمَلِكَ وَأَقْتَتَلُوا فَتَقَبَّلَ
 السَّمِيدِعُ، وَأَسْتَقْبَلَ مُضَاضٌ بِالْأَمْرِ، وَبَقِيَ جُرْهُمُ وَوَلَاةَ الْبَيْتِ نَحْوَ ثَلَاثِينَ سَنَةً
 فَأَكَلُوا مَالَ الْكَعْبَةِ الَّذِي يَهْدَى إِلَيْهَا وَأَسْتَحْلُوا حَرَمَهَا، وَبَلَغَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنْ الرَّجُلَ إِذَا
 لَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَزِينُ فِيهِ (٢) الْكَعْبَةَ فَزِنَى فِيهَا، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا حَتَّى يُقَالَ إِنَّ إِسَافَ
 أَبْنَ سَهِيلِ زَنِىَ بِنَائِلَةَ بِنْتِ عَمْرٍو بْنِ ذُوَيْبٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ فَسَخَا حَجْرَيْنِ، وَنَضَبَ
 مَاءً زَمَزَمَ لِكَثْرَةِ الْبَغْيِ وَدَرَسَتْ مَعَالِمَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَمْرٍو بْنُ لُحْيٍ فَغَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ
 عَلَيْهِ السَّلَامَ وَبَدَّلَهُ وَبَعَثَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ التَّمَاثِيلِ، وَعُمِّرَ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسًا
 وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَبَلَغَ مِنَ الْوَلَدِ وَوَلَدِ الْوَلَدِ الْأَلْفِينَ .

ثم صارت سِدَانَةُ الْبَيْتِ ومفاتيحه إلى نُحْرَاعَةَ بْنِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ بْنِ سَبَّانٍ مِنَ
 الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْ حِينَ تَفَرَّقَ عَرَبُ الْيَمَنِ بِسَبَبِ سَيْلِ الْعَرَمِ بِيَطْنَ
 مَرَّ عَلَى الْقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ، وَصَارَتْ لَهُمُ الرِّيَاسَةُ بِسِدَانَةِ الْبَيْتِ، وَبَقِيَ السِّدَانَةُ بِيَدِهِمْ

(١) في "السبانك" و"العبر" بدون ألف .

(٢) بياض بالأصل، ولعل أصله "دخل" كما هو ظاهر .

إلى أن آتته إلى أبي غبشان: سليمان بن عمرو الخزاعي في زمن بهرام جور بن يزيد جرد من ملوك الفرس؛ ورئيس قريش يومئذ قصى بن كلاب، فأجتمع قصى مع أبي غبشان على شراب بالطائف، فلما سكر أبو غبشان اشترى قصى سداثة البيت منه بزق نحر وتسلم مفاتيحه وأشهد عليه بذلك، وأرسل ابنه عبد الدار بها إلى البيت فرفع صوته وقال: يامعشر قريش! هذه المفاتيح: مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، قد ردها الله عليكم من غير عار ولا ظلم. فلما صحح أبو غبشان ندم حيث لا ينفعه الندم. ويقال "أخسر من صفة أبي غبشان" وأكثر الشعراء القول في ذلك حتى قال بعضهم:

بَاعَتْ خُرَاعَةُ بَيْتِ اللَّهِ إِذْ سَكِرَتْ * بَزِقَ نَحْرِي، فَبَيْسَتْ صَفْقَةَ الْبَادِي

بَاعَتْ سِدَاتَهَا بِالزَّرِّ وَأَنْصَرَفَتْ * عَنِ الْمَقَامِ وَظِلِّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي

ولما وقع ذلك عدت خراعة على قصى فظهر عليهم وأجلاهم عن مكة؛ وكان بمكة عرب يميزون الحجيج إلى الموقف، وكان لهم بذلك رياسة فأجلاهم قصى عن مكة أيضا وأنفرد بالرياسة. قال العسكري في "الأوائل": وكان أول من نال الملك من ولد النضر بن كنانة.

ولما تم لقصى ذلك بنى دار الندوة بمكة، فكانت قريش تقضى فيها أمورها فلا تتكبح ولا تشاور في أمر حرب ولا غيره إلا فيها؛ ولم تزل الرياسة فيه وفي بنيه بعد ذلك. فولد له من الولد عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى.

ثم أنتقلت الرياسة العظمى بعد ذلك لبني عبد مناف، وكان له من الولد هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل، وكان هاشم أرفعهم قدرا وأعظمهم شأنا، وإليه آتته سيادة قومه؛ وكانت إليه الرقادة وسقاية الحجيج بمكة؛ وكانت قريش تجارا، وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وما حولها فخرج هاشم إلى الشام حتى نزل بقبصر

ملك الروم فسأله كتابة أمان لتجار قريش ، فكتب له كتابا لكل من مرَّ عليه ، فخرج هاشم فكلمنا مرَّ يحيى من العرب أخذ من أشرافهم أمانا لقومه حتى قَدِم مكة ، فاتاهم بأعظم شيء أتوا به قَطُّ بركةً ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج معهم حتى أوردتهم الشام ؛ وخرج أخوه المطلب إلى اليمن فأخذ لهم أمانا من ملكه ، وخرج أخوهما عبد شمس إلى ملك الحبشة فأخذ لهم أمانا كذلك ؛ وخرج أخوهم نوفل إلى كسرى ملك الفرس فأخذ لهم منه أمانا . وكانت قريش يرحلون في الشتاء للشام وفي الصيف لليمن ، وآتعت معاشهم بسبب ذلك ، وكثرت أموالهم حتى آمنت الله عليهم بذلك بقوله : ﴿ لِيَلِافِ قُرَيْشٍ لِيَلِافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ والإيلاف الأمان .

ثم وُلِدَ لهاشم عبد المطلب وبقيت الرياسة فيه ؛ وكانت برّ زمزم قد أنظمت ونصب مأواها فخرها عبد المطلب ، حتى أكل الله تعالى بنبوته نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ! .

وأما سِدانة البيت ومفاتيحه ، فبقيت بيد بنى عبد الدار بن قُصَيّ المتقدم ذكره من حين تسلّمها عبد الدار عند أخذها من أبي غَبْشَانَ الخزاعي حتى صارت لبني شَيْبَةَ من بنى عبد الدار ، وأتته في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة بن عبد الدار . فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فصلّى ركعتين ، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى

عثمان ويعتذر إليه، فقال عثمان : أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق ؟ فقال له عليّ :
 لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرءانا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن لا إله
 إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
 فأخبره أن السّدانة في أولاد عثمان أبداً ، فهي باقية فيهم إلى الآن .

الضرب الثاني

(ملوكها في الإسلام ، وهم على طبقات)

الطبقة الثالثة^(١)

(عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)

هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل وفاته ، وحجّ حجة الوداع في السنة
 العاشرة من الهجرة ، وتوفّي سنة إحدى عشرة من الهجرة وعلى مكة عثمان بن أسيد ،
 وتوالت عليها عمّال الخلفاء بعده إلى آخر أيام الحسن بن عليّ بن أبي طالب كرم
 الله وجهه .

الطبقة الرابعة

(عمال بني أمية من لدن معاوية رضى الله عنه إلى أنقراضهم)

ثم وثى عليها معاوية بن أبي سفيان في خلافته في سنة اثنتين وأربعين من الهجرة
 (خالد بن العاص بن هشام) ثم أضيفت إلى عمّال المدينة إلى أيام الوليد بن عبد الملك
 فكان من وليها منهم (الوليد بن عتبة) ثم (عمرو بن سعيد الأشدق) ثم (الوليد بن عتبة)

(١) هكذا في الأصل بهذا العنوان وصوابه الأولى والذي يظهر أن هذا من النسخ فان المقام لا يحتمل
 السقط . ومن جهة أخرى لم يترك في الأصل بياض حتى كان يخيل أن المؤلف ترك الكلام عليه للعود إليه
 فق ما هنا "الطبقة الأولى" وما بعدها "الطبقة الثانية" وهكذا حتى تسلسل الطبقات .

ثانياً؛ ثم (مُصعب بن الزبير) من جهة أخيه عبد الله بن الزبير لما بويع له بالخلافة؛
 ثم (جابر بن الأسود) ثم (طلحة بن عبد الله بن عوف) ثم (طارق بن عمرو بن عثمان)
 ثم (الجبَّاح بن يوسف الثقفي) ثم (أبان بن عثمان) ثم (هشام بن إسماعيل المخزومي)
 ثم (عُمَر بن عبد العزيز) .

ثم أفردوا الوليد بن عبد الملك عن المدينة وولّى عليها (خالد بن عبد الله القسري)
 بعد عمر بن عبد العزيز؛ ثم وليها (عبد العزيز بن خالد بن أسيد) أيام سليمان^(١)
 ابن عبد الملك؛ ثم عزله يزيد سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة إلى (عبد الرحمن
 ابن الضحّاك) ، ثم عزله عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه
 (عبد الواحد النضري) ، ثم عزله هشام بن عبد الملك في خلافته وولّى مكانه
 عليّ مكة والمدينة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل) ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة
 وولّى مكانه عليّ مكة والطائف دون المدينة (محمد بن هشام المخزومي)؛ ثم وولّى
 الوليد بن يزيد في خلافته خاله (يوسف بن محمد الثقفي) عليّ مكة مع سائر أعمال
 الحجاز؛ ثم وولّى مروان عليّ مكة وبرز الحجاز (عبد العزيز بن عمرو، بن عبد العزيز)
 ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه عليّ مكة والحجاز (عبد الواحد)
 ثم توالى عليها عمّال بني أمية إلى أن انقرضت دولتهم .

الطبقة الخامسة

(عمّال بني العباس)

وأولهم أبو العباس السّفّاح، فولّى عليها وعليّ المدينة وسائر الحجاز عمّه (داود) ثم توفى
 سنة ثلاث وثلاثين ومائة؛ فولّى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله بن عبد
 الدار الحارثي) .

(١) في الأصل عمرو .

ثم وثى السَّفَّاحُ على ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة (السَّريُّ بن عبد الله ابن الحارث بن العباس) .

ثم عزله أبو جعفر المنصور سنة ست وأربعين ومائة ووثى مكانه عمه (عبد الصمد ابن علي) ثم عزله عنها سنة تسع وأربعين ومائة ووثى مكانه (محمد بن إبراهيم الإمام) ثم عزله ووثى مكانه (إبراهيم ابن أخيه) ثم وثى على مكة وسائر الحجاز واليمامة (جعفر بن سليمان) ؛ ثم توالى عليها العمال إلى أن وثى الرشيد في خلافته على مكة واليمن (حمادا اليزيدي^(١)) سنة أربع وثمانين ومائة .

ثم وليها في زمان الأمين (داود بن عيسى) .

ثم وليها (محمد بن عيسى) ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وولى مكانه ابنه (المتصر) بن المتوكل .

ثم وليها (علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ووثى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين ووثى مكانه (عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام) ثم توالى عليها العمال من قبيل خلفاء بني العباس إلى أن غلب عليها السُّليمانِيُّونَ الآتى ذكرهم آنفا .

الطبقة السادسة

(السليمانيون من بنى الحسن)

نسبة إلى سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط .

وكان سليمان هذا في أيام المأمون بالمدينة وحدثت الرياسة فيها لنيه بعد أيام، وكان كبيرهم آخر المائة الثالثة محمد بن سليمان الربذي .

(١) في الكامل لابن الأثير "البربري" .

قال البيهقي: خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة في سنة إحدى وثلاثمائة في خلافة المقتدر؛ ثم أعترضه أبوطاهر القرمطي في سنة ثلثي عشرة وثلاثمائة، فأقطع حجيج العراق بسبب ذلك .

ثم أنفذ المقتدر الحجيج من العراق في سنة سبع عشرة وثلاثمائة فوافاهم القرمطي بمكة فمهمهم، وخطب لعبيد الله المهدي صاحب إفريقية وقلع الحجر الأسود وباب الكعبة وحملهما إلى الأحساء، وتعطل الحج من العراق إلى أن ولي الخلافة القاهر في سنة عشرين وثلاثمائة فحج بالناس أميره في تلك السنة .

ثم أقطع الحج من العراق بعدها إلى أن صولحت القرامطة على مال يؤديه الحجيج إليهم، فحجوا في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة؛ وخطب بمكة للراضي بن المقتدر، وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المتقي من بعده .

ثم أقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، فخرج ركب العراق بمهادنة القرامطة في خلافة المستكفي؛ ثم خطب بمكة لمعز الدولة ابن بويه مع المقتدر في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ ثم تعطل الحج بسبب القرامطة؛ ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلى مكانه فأعاده في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

وفي سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة حاول أمير الركب المصري الخطبة لابن الأخشيد صاحب مصر فلم يأت له ذلك وخطب لابن بويه، وأتصلت وفود الحج من يومئذ .

وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة مع المطيع .

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لبختيار بن معز الدولة بعد موت أبيه .

ثم في سنة ستين وثلاثمائة جهز المعز الفاطمي عسكراً من إفريقية لإقامة الخطبة له بمكة وعاضدهم بنو الحسين أهل المدينة فمنعهم بنو الحسن أهل مكة من ذلك وأستولوا على مكة .

فلما ملك مصر المعز كان الحسن بن جعفر بن الحسن بن سليمان بالمدينة فبادر فملك مكة ودعا للمعز وكتب له المعز بالولاية ؛ ثم مات الحسن فولّى مكانه أخوه عيسى .
ثم ولى بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم ؛ ثم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ؛ ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه ففتروا الحسن وترك مكة . ولما مات المعز وولى ابنه العزيز ، بعث إلى مكة أميراً علويّاً فخطب له بالحرمين وأستمرت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وستين وثلاثمائة .
وفي سنة ثمان وستين خطب لعضد الدولة بن بويه ؛ ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين وأربعمئة إلى عمّاله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأنكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة وحمله ذلك على أن آستبد بالأمر في مكة وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين فرجع أبو الفتوح إلى طاعته فأعادته إلى إمارته بمكة .

وفي سنة ثنتي عشرة وأربعمئة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم ؛ ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمئة للمستنصر بن الظاهر ؛ ثم توفي أبو الفتوح أمير مكة المتقدم ذكره سنة ثلاثين وأربعمئة لست وأربعين سنة من إمارته .

وولى بعده إمارة مكة ابنه شكر وملك معها المدينة وأستضافها لمكة ، وجمع بين الحرمين كله ثلاثاً وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة . قال ابن خزم : وكانت وفاته عن غير ولد وأنقرضت بموته دولة بني سليمان بمكة .

الطبقة السابعة

(الهواشم)

نسبة إلى أبي هاشم: محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام
ابن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط .

كان رئيس الهواشم لما مات شكر آخر أمراء السليمانيين (محمد بن جعفر) بن أبي
هاشم المذكور فاستولى على إمارة مكة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة بعد موت
شكر، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، ثم خطب لبني العباس في سنة
ثمان وخمسين وأربعمائة فقطعت ميرة مصر عن مكة فعذله أهله على ذلك فأعاد
الخطبة للمستنصر الفاطمي، ثم آسماه القائم العباسي وبذل له الأموال فخطب له
سنة ثنتين وستين بالموسم فقط، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه، ثم بعث إليه
السلطان ألب أرسلان السلجوقي بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه .
ثم جمع محمد بن جعفر المتقدم ذكره وزحف إلى المدينة فأخرج منها بنى الحسين
وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم وأقطع ما كان يصل إلى أمير مكة منه فقطع الخطبة للعباسيين .
ثم أرسل المقتدى بالله العباسي بمال فأعاد الخطبة للعباسيين فاستمرت الخطبة
لهم إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ست^(١) وثمانين وأربعمائة فأقطعت
الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاج من العراق، ومات المقتدى وبويع آبنه
المستظهر، ومات المستنصر العبيدي بمصر وبويع آبنه المستعلي فخطب له بمكة .

(١) لعله خمس كما يؤخذ من تاريخ أبي الفدا .

ثم مات محمد بن جعفر أمير مكة المتقدم ذكره سنة سبع وثمانين وأربعمائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ؛ وولى بعده ابنه (قاسم) فكثير اضطرابه ؛ ثم توفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته .

وولى بعده ابنه أبو فُلَيْتَةَ فَأَفْتَحَ بِالْخَطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَحَسَّنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةَ لِعَشْرٍ سَنِينَ مِنْ إِمَارَتِهِ وَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنَهُ قَاسِمَ وَالْخَطْبَةُ مَسْتَمِرَّةٌ لِلْعَبَّاسِيِّينَ .

ثم صنع المقتنى بابا للكعبة وأرسله إليها في سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وحمل الباب العتيق إليه فَأَتَّخَذَهُ تَابُوتًا يَدْفَنُ فِيهِ ، وَأَتَّصَلَتْ الْخَطْبَةُ لِبْنِي الْعَبَّاسِ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ، وَبَوَّعَ الْمُسْتَنْجِدَ فَخُطِبَ لَهُ كَمَا كَانَ يُحْتَبَطُ لِأَبِيهِ الْمَقْتَنِى .

ثم قتل قاسم بن أبي فليته سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه (عيسى) في أيام العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، وتوفى المستنجد وبعث المستضىء بالركب العراقى وأتقضت دولة الفاطميين بمصر ، ووليها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فخطب له بالحرمين الشريفين .

والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن عيسى عم قاسم سير الحاج في سنة ست وخمسين وخمسمائة وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى فملكها وهرب قاسم إلى جبل أبي قبيس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى وقتله .

ثم مات المستضىء وبويع ابنه الناصر وخطب له بالحرمين ، وحجت أمه وعادت فأنهت إليه من أحوال عيسى بن قاسم أمير مكة ما عزله به ؛ ووئى مكانه أخاه (مكث بن قاسم) وكان جليل القدر ، وهو الذى بنى القلعة على جبل أبي قبيس ، ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وبموته انقرضت دولة الهواشم بمكة .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن أمير حجاج العراق في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة توجه من عند الخليفة بعزله ، بغزى بينهما حرب انتهى الأمر فيها إلى انهزام مكثر المذكور ، وأقيم أخوه داود مكانه . وما زالت الإمرة فيه تارة ، وفي أخيه مكثر تارة حتى مات داود في سنة تسع وثمانين وخمسمائة .
وقال : إنه داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم .

الطبقة الثامنة

(بنو قتادة)

نسبة إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان السبب في ولايته مكة أنها لما كانت مع الهواشم كان بنو حسن مقيمين بنهر العاقمية من وادي ينبع ، فجمع قتادة قومه بنو مطاعن وأسالف بن أحمد وبنو إبراهيم وتأمروا عليهم وملك ينبع ، ثم ملك الصفراء ، وسار إلى مكة فأتزعاها من الهواشم المتقدم ذكرهم وملكها ، وخطب للناصر لدين الله العباسي : خليفة بغداد ، وتعاضم أمره حتى ملك مع مكة والينبع أطراف اليمن وبعض أعمال المدينة وبلاد نجد ، ولم يفد على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة ، وولى مكانه ابنه الحسن فامتعض لذلك أخوه راجح بن قتادة ، ثم قدم الملك المسعود أقسر بن الكامل صاحب اليمن سنة عشرين وستمائة من اليمن إلى مكة وملك مكة وقتل جماعة من الأشراف ونصب رايته وأزال راية أمير الركب الذي من جهة الخليفة ، فكتب الخليفة من بغداد إلى أبيه الكامل يعاتبه في ذلك ، فكتب الكامل

إلى ابنه أفسز برئتُ يا أفسز من ظهر العادل إن لم أقطع يمينك ! فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! ؛ وذهب حسن ابن قتادة إلى بغداد صريخاً فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، ومات أفسز بمكة سنة ست وعشرين ودفن بالمعلّى ، وبقي على مكة قائده نخر الدين بن الشيخ ، وقصد راجح بن قتادة مكة مع عساكر عمر بن رسول فلما كان من يد نخر الدين بن الشيخ سنة تسع وعشرين وستمائة .

ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فلكوا مكة وهرب راجح إلى اليمن ؛ ثم عاد ومعه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسه فهربت عساكر مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر .

ثم غلب على مكة سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة ولحق راجح باليمن ؛ وسار جَمَّاز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وستمائة إلى الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدمشق مستجيشاً على أبي سعد أن يقطع ذكر صاحب اليمن ، فجهزه عسكراً وسار إلى مكة فقتل أبا سعد في الحرم وملك مكة ، ثم وصل راجح من اليمن إلى مكة وهو شيخ كبير السن وأخرج منها جمّاز بن حسن فلحق باليمن .

ثم دار أمر مكة بين أبي نمي محمد بن أبي سعد علي بن قتادة وبين غالب بن راجح ابن قتادة ، ثم استبد أبو نمي بإمرة مكة ونفى قبيلة أبيه أبي سعد إلى اليمن ؛

ولما هلك أبو نمي قام بأمر مكة من بعده أبناء رميثة وحميضة ونازعهما أخوهما عطيفة وأبو الغيث فأعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيرس الجاشنكير كافل المملكة المصرية في الأيام الناصرية فأطلق عطيفة وأبا الغيث وولاهما ، وأمسك رميثة وحميضة وبعث بهما إلى مصر ؛ ثم ردّ السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما بمكة

مع عسكره وبعثاً إليه بعطيفة وأبى الغيث، وبقى التنازع بينهم، وهم يتعاقبون في إمرة مكة مرة بعد أخرى وهلك أبو الغيث في بعض حروبهم ببطن مرة .

ثم تنازع حميضة ورميثة وسار رميثة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سنة خمس عشرة وسبعائة فأمدته بعساكر وجه بها إلى مكة وأصلحوا .

ثم خالفهم عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعائة ووصل إلى السلطان فأمدته بالعساكر فلك مكة وقبض على رميثة فسجن ثم أطلق سنة عشرين وأقام بمصر، وبقى حميضة مشرداً إلى أن آستأمن السلطان فأمنه، ثم وثب بجميضة ممالك كانوا معه وقتلوه، وأطلق رميثة من السجن وأستقر شريكاً لأخيه عطيفة في إمارتها .

ثم مات عطيفة وأقام أخوه رميثة بعده مستقلاً بإمارة مكة إلى أن كبر وهرم .
وإلى ذلك أشار في "التعريف" بقوله : وأول إمرة في رميثة وهو آخر من بقى من بيته، وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع تداولهم لها، وكان أبناء بقية وعجلان قد أقسما معه إمارة مكة برضاه، ثم أراد الرجوع فلم يوافقاه عليه وأستمر معه في الولاية .

ولما مات رميثة تنازع ولداه : بقية وعجلان، وخرج بقية وبقى عجلان بمكة، ثم غلبه عليها بقيّة؛ ثم اجتمعاً بمصر سنة ست وخمسين وسبعائة فولّى السلطان عجلان، وفز بقية إلى الحجاز فأقام هناك منازعاً لعجلان من غير ولاية . وعجلان هو المستبدّ بها مع سلوك سيرة العدل والإنصاف والتجاني عن أموال الرعية والتعرض للجاورين إلى أن توفي سنة سبع وسبعين وسبعائة .

وولّى بعده ابنه أحمد، وكان قد فوّض إليه الأمر في حياته وقاسمه في أمره، فقام أحمد بأمر مكة جارياً على سنن أبيه في العدل وحسن السيرة، ومات في رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعائة في الدولة الظاهرية برقوق .

(١) عبارة التعريف "وهي الآن في رميثة وهو الخ ."

فولئى مكانه أبنة محمد، وكان صغيرا فى كفاة عمه كيش بن عجلان فبقى حتى وثب عليه فداوى عند ملافاة المحمل فقتله ؛ ودخل أمير الركب إلى مكة فولئى عنان ابن مغامس بن رميثة مكانه .

ثم لحق على بن عجلان بالأبواب السلطانية بمصر فولاه الظاهر برقوق سنة تسع وثمانين وسبعائة شريكا لعنان، وسار مع أمير الركب إلى مكة فهرب عنان ودخل على بن عجلان مكة فاستقل بإمارتها ؛ ثم وفد على بن عجلان على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفرده بالإمارة وأنزل عنان بن مغامس عنده وأحسن إليه ، ثم أعتقله بعد ذلك وبقى على بن عجلان فى إمارة مكة حتى قتل بطن مر فى سنة سبع وتسعين وسبعائة .

فولئى السلطان ابن أخيه حسن بن أحمد مكانه وأستبد بإمارة مكة وهو بها إلى هذا العهد . وهو حسن ، بن أحمد ، بن عجلان ، بن رميثة ، بن أبى نعى محمد ، بن أبى سعد على ، بن أبى عزيز قتادة ، بن إدريس ، بن مطاعن ، بن عبد الكريم ، بن موسى ، ابن عيسى ، بن سليمان ، بن عبد الله ، بن أبى الكرام ، بن موسى الجون ، بن عبد الله ، ابن حسن ، بن الحسن السبط ، بن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

الطرف السابع

(فى ترتيب مكة المشرفة ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدم فى الديار المصرية والبلاد الشامية من المعاملة بالدنانير والدرهم الثقرة ؛ وصنجاتها فى ذلك كصنجة الديار المصرية ، ويعبر عن الدرهم الثقرة فيها بالكامل ، نسبة إلى الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب صاحب مصر ،

وعندهم درهم آحر من فضة خالصة، مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، يعبرون عنه بالمسعودي نسبة إلى الملك المسعود صاحب اليمن، وهو في المعاملة بثلثي درهم كامل،

ولم يكن بها في الزمن المتقدم فلوس يتعامل بها ثم راجت الفلوس الجدد بها في أيام الموسم فيما قبل الدولة الظاهرية بقوق. ثم راجت في سائر الأوقات آخرا، إلا أن كل درهم بها ثمانية وأربعون فلسا على الضعف من الديار المصرية، حيث كل درهم فيها أربعة وعشرون فلسا، ويعبر عن كل خمسة قراريط من الدرهم الكامل فيها بجائز، وعن الربع والسدس منه بجائزين، وتعتبر أوزانها بالبن: وهو مائتان وستون درهما، وأواقه عشرة، كل أوقية عشرة دراهم، ويكلاها بالغرارة، وكل غرارة من غرائرها (١) وقياس قماشها بالذراع المصري، وأسعارها في الغالب مرتفعة عن سعر مصر والشام. وأما إمرتها فإنها إمرة أعرابية يمشي أميرها في إمرته على قاعدة أمراء العرب دون عادة الملوك في المواكب وغيرها، وأتباعه عرب، وأكثرهم من بني الحسن أشراف مكة، ويعبر عن أكابره بالقواد، وهم بمثابة الأمراء للملوك، وربما استخدم الممالك الترك ومن في معانهم.

وأكثر متحصّله مما يؤخذ من التجار الواردين إلى مكة من الهند واليمن وغيرهما. وأما تجهيز ركب الحجيج إليها ففي كل سنة يجهز إليها المحمل من الديار المصرية بكسوة البيت مع أمير الركب ويكسى البيت بالكسوة المجهزة مع المحمل، ويأخذ سدنة البيت الكسوة التي كانت على البيت، فيهادون بها الملوك وأشراف الناس، وداخل البيت كسوة أخرى من حرير منقوش لا تحتاج إلى التغيير إلا في السنين المتطاولة لعدم وصول الشمس ولس الأيدي إليها.

(١) بياض في الأصل.

ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج لملاقاته، فإذا وافاه
ترجل عن فرسه وأتى الجمال الحامل للمحمل فقلب خفف يده اليمنى وقبّله خدمة
لصاحب مصر . وقد روى ابن النجار في تاريخ المدينة النبوية من طريق الحافظ
أبي نعيم إلى حسين بن مُصعب أنه أدرك كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن
تصل إلى مكة فتنتشر على الرضراض في مؤخر المسجد، ثم يخرج بها إلى مكة . وذلك
في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين ومائة .

وأعلم أن كسوة الكعبة لها حالان :

الحال الأولى - ما كان الأمر عليه في الجاهلية . قد روى الأزرقى في "أخبار
مكة" : بسنده إلى أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ! "نهى
عن سب أسعد الحميري وهو تبع" وكان أول من كسا الكعبة . وذكر ابن إسحاق
عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع وهو أسعد
أرى في منامه أن يكسوها فكساها الأنطاع ، ثم أرى أن أكسها فكساها الوصائل
ثياب حبرة من عصب الين ، وعن ابن جريح نحوه .

وعن ابن أبي مليكة أنه قال : بلغني أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كسى
شئى . كانت البدن تجلّل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب الين ، وكان
يهدى للكعبة هدايا من كسى شئى سوى جلال البدن : حبر ونحو وأنماط فتكسى منه
الكعبة ، ويجعل ما بق في خزانة الكعبة . فإذا بلى منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب
آخر ، ولا يتزع بما عليها شيء .

وعن عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبي مليكة يقول : كانت قریش
في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة ، فيضربون ذلك على القبائل بقدر أحتالها ، من عهد
قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان

يختلف إلى اليمن يتجر فيها فأثرى في المال، فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدي سنةً وجميع قريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات : يأتي بالحبر الحندي من الحنْد فيكسو الكعبة ، فسمته قريش العدل لأنه عدل فعله بفعل قريش .

وروى الواقدي عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت رضي الله عنه أنها قالت : رأيت قبل أن ألد زيد بن ثابت على الكعبة مطارف نحر أخضر وأصفر ، وكرار وأكسية الأعراب وشقاق شعر .

وعن ابن جريح أن الكعبة فيما مضى إنما كانت تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحاج ، حتى كان بنو هاشم فكانوا يعلقون القميص يوم التروية من الديباج لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا ، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار .

وعن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : نذرت أمي بدنة تحرها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر ، فنظرت إلى البيت يومئذ وعليه كسى شتى من وصائل وأنطاع وكرار ونحر وتمارق عراقية ، كل هذا قد رأيت عليه .

قلت : حاصل الأمر أن الذي كسيت الكعبة الأنطاع وجبرأت اليمن والبرود والكرار والأنطاع والتمارق ومطارف الحز الأخر والأصفر والأكسية وشقاق الشعر والوبر وغير ذلك .

الحال الثانية - ما كان الأمر عليه في صدر الإسلام وهلم جرا إلى زماننا .

أما في صدر الإسلام فقد روى الواقدي عن إبراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه أن البيت كان في الجاهلية يكسى الأنطاع فكساه النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ، ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي . وعن ابن أبي نجيح أن عمر

أبن الخطاب رضى الله عنه كسا الكعبة القبايطى من بيت المال ، كان يكتب فيها إلى مصر ، ثم عثمان من بعده . فلما كان معاوية بن أبى سفيان كساها كسوتين : كسوة عمر القبايطى وكسوة ديباج ، وكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القبايطى فى آخر شهر رمضان .

وروى الأزرقى عن نافع قال : كان أبى عمر يكسو بدنه إذا أراد أن يحرم القبايطى والحجر ، وفى رواية الأنماط ، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها وإذا كان يوم النحر نزعها عنها ثم أرسل بها إلى شيبه بن عثمان الحجى فناطها على الكعبة . وروى الواقدى عن إسحاق بن عبد الله أن الناس كانوا يندرون كسوة الكعبة ويهدون إليها البدن عليها الحبرات ، فيبعث بالحبرات إلى البيت كسوة . فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج الخسروانى ، فلما كان أبى الزبير أتبعه على ذلك ، فكان يبعث إلى أخيه مضعب بن الزبير يبعث بالكسوة كل سنة وكانت تكسى يوم عاشوراء .

قال الأزرقى : وقد قيل إن ابن الزبير أول من كساها الديباج . قال أبو هلال العسكري فى كتابه "الأوائل" : وهو الصحيح .

وذكر الواقدى عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان كان يبعث فى كل سنة بالديباج من الشام فيمتر به على المدينة فينشر يوما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأساطين هاهنا وهاهنا ، ثم يطوى ويبعث به إلى مكة . وقد قيل إن عبد الملك أول من كسا الكعبة الديباج . قال الماوردى : وكساها بنو أمية فى بعض أيامهم الحلل التى كانت على أهل نجران فى جزيتهم ، والديباج من فوقها .

قال الأزرقى : ولما حج المهدي فى سنة ستين ومائتين ، رفع إليه أن ثياب الكعبة قد أثقلتها ويخاف على جذرانها من ثقل الكسوة ، فخردها حتى لم يبق عليها شئ من

الكسوة، ثم أفرغ عليها ثلاث كُسي : قباطىّ وخزوديباج . ولما غلب حسينُ ابن حسن الطالبيّ على مكة في سنة مائتين ، وجد ثيابها قد ثقلت عليها أيضا فخردها في أول يوم من المحرم وكساها كسوتين من قز رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء مکتوب بينهما .

”بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلّى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار .“
 ”أمر أبو السرايا الأصغر بن الأصغر راعية آل محمد صلوات الله عليه وسلامه بعمل
 ”هذه الكسوة لبيت الله الحرام“ .

وذكر الأزرقى عن جدّه أن الكعبة كانت تكسى في كل سنة كسوة ديباج يعنى أحمر وكسوة قباطىّ . فأما الديباج فتكسياه يوم التروية ، فيعلق القميص ويدلّى ولا يخاط ، وإذا صدر الناس من منى خيط القميص وترك الإزار حتى يذهب الحاج لثلا يخترقه . فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الإزار يوصل بالقميص ، وكأن المراد بالإزار ما تدرکه الأيدي في الطواف وبالقميص ما فوق ذلك إلى أعلى الكعبة ، فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم سبع وعشرين من شهر رمضان فتكسى القباطىّ القطن .

فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يبلّى ويتخزق قبل أن يبلغ الفطر ، فسأل المأمون صاحب بريد مكة في أى الكسوة الكعبة أحسن ؟ فقال له : في البياض ، فأمر بكسوة من ديباج أبيض ، عملت سنة ست ومائتين وبعث بها إلى الكعبة ، فصارت الكعبة تكسى ثلاث كسى : تكسى الديباج الأحمر يوم التروية ، وتكسى القباطىّ يوم هلال رجب ، وتكسى الديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر .

ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض يتخزق ويئلى في أيام الحج من مسّ الحاج قبل أن يُحاط عليها إزار الديباج الأحمر في عاشوراء ، فزادها إزار ديباج أبيض تُكسَاه يوم التَّروِيَةِ ، فيستر به ما تخزق من الإزار الذى كسيته .

ثم رفع إلى المتوكل في سنة أربعين ومائتين أن إزار الديباج الأحمر يئلى قبل هلال رجب من مسّ الناس ومسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، فأذال قميصها الديباج الأحمر وأسبله حتى بلغ الأرض ، ثم جعل الإزار فوقه ، في كل شهرين إزار ، ثم نظر المجبة فإذا الإزار الثانى لا يحتاج إليه ، فوضع في تابوت الكعبة وكتبوا إلى المتوكل أن إزارا واحدا مع ما أذيل من قميصها ، فصاريبعث بإزار واحد فتكسى بعد ثلاثة أشهر ، فيكون الذيل ثلاثة أشهر .

ثم في سنة ثلاث وأربعين ومائتين أمر المتوكل بإذالة القميص القباطى حتى بلغ الشاذروان الذى تحت الكسوة . قال الماوردى : ثم كسا المتوكل أساطينه الديباج .

وقد حكى المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" أن الفاطميين خلفاء مصر في إمارة أبى الحسن جعفر من السليمانيين على مكة في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة كسوا الكعبة البياض .

قلت : ثم رفع الأمر في خلفاء بنى العباس ببغداد إلى شعارهم من السواد ،^(١) فألبسوا الكعبة الديباج الأسود ؛ ثم جرى ملوك مصر عند استيلائهم على الحجاز على إلباسها السواد .

والذى جرى عليه الحال في زماننا إلى آخر الدولة الظاهرية برقوق وأوائل الدولة الناصرية ولده أن الكعبة تُكسى الديباج الأسود كسوة مسبلة من أعلى

(١) لعله ثم رجح الأمر .

الكعبة إلى أسفلها مرقوما بأعليها طراز رقم بالبياض من أصل النسيج مكتوب فيه ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَاءَ مُبَارَكًا﴾ الآيات ، وعلى الباب برقع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض ... (١) ... ثم في سنة ... (١) ... وثمانمائة في الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطراز من لون البياض إلى لون الصفرة ، فصار الرقم في السواد بحري أصفر مقصَّب بالذهب ، ولا يخفى أنه أنفُس من الأول والثاني أبهج منه لشدة مضادة ما بين البياض والسواد ، ثم جعل بعض جوانب الكسوة ديباجا أسود على العادة ، وبعضها كمنخا أسود بجامات مرقوم فيها بالبياض "لا إله إلا الله محمد رسول الله" . ثم جعل بعد ذلك برقع البيت من حرير أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نفاسة وعلا قيمة . ثم في سنة أربع عشرة وثمانمائة جعل واجهة الباب من الكسوة كمنخا أزرق بجامات مكتوب فيها ... (٣) ... والله العالم ما كان وما يكون .

قلت : وحاصل ما تقدم أن الذي أشتمت عليه أصناف الكسوة في الإسلام الثياب اليمانية ، والقباطى المصرية ، والحبر والأنماط والحلل التجرانية ، والديباج الأبيض ، والديباج الأحمر ، والديباج الأخضر ، والديباج الأصفر ، والديباج الأسود ، والديباج الأزرق .

وأما تجريد الكعبة من ثيابها ، فقد ذكر الأزرق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يترع كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج . وعن ابن أبى مليكة أنه قال : كانت على الكعبة كسوة كثيرة من كسوة أهل الجاهلية : من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط ، فكانت ركاماً بعضها فوق بعض .

(١) في الأصل بياض بهذا المقدار .

(٢) لعله وإن كان أبهج منه لشدة الخ تأمل .

(٣) في الأصل بياض بهذا المقدار .

فلما كسيت في الإسلام من بيت المال، كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء إلى أن كانت أيام معاوية فكتب إليه شيبه بن عثمان المحبب يرغب إليه في تخفيفها من كسبى الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم لنجاستهم، فكتب إليه معاوية أن جردها، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وحريرة، فجردها شيبه حتى لم يبق عليها شيء، وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية، وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة؛ وكان ابن عباس حاضرا في المسجد وهم يجردونها فلم ينكر ذلك ولا كرهه .

وروى أن عائشة رضی الله عنها أنكرت على شيبه ذلك، وقالت له بعها وأجعل ثمنها في سبيل الله، وكذلك ابن عباس .

وروى الواقدي عن أم سلمة رضی الله عنها أنها قالت : إذا نزع عن الكعبة ثيابها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب . وقد تقدم أن المهدي جردها حين حج في سنة ستين ومائتين؛ وحسين الطالبي جردها في سنة مائتين .

قلت : والذي أستقر عليه الحال في زماننا أنها لا تلبس في كل سنة غير كسوة واحدة على ما تقدم بيانه، وذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النمط المتقدم، ثم تحمل صعبة الركب إلى مكة فيقطع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامة من جدار الكعبة ويظهر من الجدار ما كان تحتها، ويبقى أعلاها معلقا حتى يكون يوم فتخلع (٢) الكسوة العتيقة وتعلق الجديدة مكانها، ويكسب المقام من نسبة كسوة الكعبة، ويأخذ بنو شيبه الحجة الكسوة العتيقة فيهدونها للجاج ولأهل الآفاق . وقد زاد رفدهم فيها من حين حصلت المغالاة في كسوة الكعبة وبرقعها على ما تقدم .
” اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما، وتكريما ومهابة“ .

(١) صوابه ومائة . أنظر تاريخ خلافة المهدي .

(٢) بياض في الأصل .

وأعلم أن جدار الكعبة كان عزيز الرؤية حين كانت الكسوة تتراكم عليها ولا يجتد عنها شيء، حتى إن الأزرقى حكى عن جدّه أنه تبجح برؤية جدارها حين جردت في سنة ثلاث وستين ومائتين ، وأنه رأى جدار الباب المسدود الذي كان عمله ابن الزبير في ظهرها وسده الحجاج، وشبه لون جدارها بالعنبر الأشهب .

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

أكثر من هو بياديتها وأوديتها القريبة منها بنو الحسن الأشراف . وقد ذكر في "التعريف" من عرب المجاز لأم، وخالد، والمتفق، والعايد، وزاد في "مسالك الأبصار": ذكر زبيد، وبنو عمرو، والمضارحة، والمساعد، والزراق، وآل عيسى، وآل دعم، وآل جناح، والجبور . ثم قال : وديارهم يتلو بعضها بعضا . قال الحمداني : وشرقى مكة حليجة ، وبنو هزرو ومنازلهم بيضة .

ومنهم من خنعم بنو منبه، وبنو فصيلة، ومعاوية، وآل مهدي، وبنو نصر، وبنو حاتم، والموركة، وآل زياد، وآل الصعافير، والشماو بلوس . ثم قال : ومنازلهم غير متباعدة .

أما العُربان بالدرب المصرى إلى مكة ، فمن بركة الحجاج إلى عقبة أيلة للعائد من عرب الشرقية ، ومن العقبة إلى الدماء دون عيون القصب لبني عقبة ، ومن الدماء إلى أكدي ليلي ، ومن أكدي إلى آخر الوعرات لجهينة ، ومن آخر الوعرات إلى نهاية بدر وإلى نهاية الصفراء ، ونقب على لبني حسن أصحاب الينبع ، ويليهم من أقاربهم من بني حسن بدر إلى رملة عاج في طرف قاع البروة ، ومن

الصفراء إلى المحفة ورابع لُزْبَيْد، ومن المحفة على قُدَيْد وما حولها إلى الثَّيَّةِ المعروفة بعقبة السَّوِيْقِ لِسُلَيْمٍ، ومن الثَّيَّةِ على خُلَيْص إلى الثَّيَّةِ المشرفة على عُسْفَانَ إلى الفَجِّ المسمَّى بالمحاطب لبني جابر، وهم في طاعة صاحب مكة، ومن المحاطب إلى مكة المعظمة لصاحب مكة وبني الحسن .

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة النبوية، على ساكنها أشرف الخلق مجد أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، وفيها ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

المدينة ضبطها معروف، وهو أسم غلب عليها، وبه نطق القرءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ ﴾ . وقوله : ﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ . وأسماها القديم يَثْرِبُ وبه نطق القرءان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ .

قال الزجاجي : وهو يَثْرِبُ، بن قانية، بن مهلائيل، بن إرم، بن عييل، بن عَوْصِ، ابن إرم، بن سام، بن نوح، هو الذي بناها، وورد ذكره في الحديث أيضا . قال الشيخ عماد الدين بن كثير في " تفسيره " وحديث النبی عن تسميتها بذلك ضعيف ؛ وسماها الله تعالى الدار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طَيْبَةَ (بفتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء) وطَابَةٌ بإبدال الياء بعد الطاء بألف . قال النووي : وهما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، وقيل من الطيب خلاف الردىء، وقيل من الطيب بمعنى

الطاهِر ، وقيل من طيب العيش . وزاد السهيلي في أسماؤها الجارية بالجم والباء
الموحدة ، والمحبّة ، والمحبوبة ، والقاصمة ، والمحبورة ، والعذراء ، والمرحومة ؛ وكانت
تدعى في الجاهلية غُلبَة لأن اليهود غلبوا عليها العالقي ، والأوس والخزرج غلبوا عليها
اليهود . قال صاحب حماة : وهي من الحجاز ، وقيل من نجد ، وموقعها قريب من
وسط الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في كتاب "الأطوال" : وطولها خمس
وستون درجة وثلاث ، وعرضها إحدى وعشرون درجة . وقال في "القانون" :
طولها سبع وستون درجة ونصف ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وثلاث .
وقال ابن سعيد : طولها خمس وستون درجة وثلاث ، وعرضها خمس وعشرون
درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها خمس وستون
درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها خمس وعشرون درجة .

وقد ذكر صاحب "الهناء الدائم ، بولد أبي القاسم" أن أول من بناها تبع^ه
الأول ، وذكر أنه متر بمكانها وهي يومئذ منزلة بها أدين ماء ، فأخبره أربعائة عالم من
علماء أهل الكتاب لهم عالم يرجعون إليه أن هذا موضع مهاجر نبي يخرج في آخر
الزمان من مكة اسمه محمد ! وهو إمام الحق ؛ فأمن بالنبي صلى الله عليه وسلم !
وبنى المدينة ، وأنزلهم بها وأعطى كلّا منهم ما لا يكفيه وكتب كتابا فيه :

"أما بعد يا محمد فإني آمنتُ بك وبربك ، وبكل ما جاء من ربك"
"من شرائع الإسلام والإيمان ، وإني قلتُ ذلك فإن أدركتُ فيها"
"ونعمتُ ، وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة ، ولا تنسني فإني من"
"أمتك الأولين ، وتابعتك قبل مجيئك ، وقبل أن يرسلك الله ، وأنا على"
"ملة أبيك إبراهيم !"

وختم الكتاب ونقش عليه : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ بِبَصْرِ اللَّهِ﴾ .

وكتب عنوانه .

”إلى محمد بن عبد الله خاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله
”عليه وسلم ! من تبع الأول حمير ، أمانة الله في يد من وقع إليه أن يدفعه“
”إلى صاحبه“

ودفع الكتاب إلى رئيس العلماء المذكورين ، وتداوله بنوه بعده إلى أن هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم ! إلى المدينة فلتقاه به بعض أولاد ذلك العالم بين مكة
والمدينة ، وتاريخ الكتاب يومئذ ألف سنة بغير زيادة ولا نقص . وقيل في بنائها غير
ذلك ، وهي مدينة متوسطة في مستو من الأرض ، والغالب على أرضها السباخ ،
وفي شمالها جبل أُحُد ، وفي جنوبها جبل عير ؛ وكان عليها سور قديم وبخارجها
خندقٌ محفور ؛ وهو الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب .

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسحاق بن محمد الجعدي سوراً منيعاً ،
وجدده عضد الدولة بن بويه الديلمي في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وهو باق عليها
إلى الآن ؛ ولها أربعة أبواب : باب في الشرق يُخرج منه إلى البقيع ؛ وباب في الغرب
يُخرج منه إلى العقيق وقُبَاء ، وبين يدي هذا الباب جداول ماء جارية ، وبوسطها
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! وهو مسجد متسع إلا أنه لم يبلغ في القدر مبلغ
مسجد مكة .

قال ابن قتيبة في ”كتاب المعارف“ : وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم !
مبنيًا باللبن وسقفه الجريد وعمده النخل ، ولم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ،

ثم غيّر عثمان وزاد فيه عثمان زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وبالقصّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة؛ ووسعه المهدي سنة ستين ومائة؛ وزاد فيه المأمون زيادة كبيرة في سنة اثنتين ومائتين؛ ولم تزل الملوك تتداوله بالعِمارة إلى زماننا .

وبه الحجرة الشريفة التي بها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما . بحجرتيه الشريفة دائرٌ عليه مقصورةٌ مرتفعة إلى نحو السقف، عليه ستر من حرير أسود؛ وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التي أخبر صلى الله عليه وسلم ! أنها روضةٌ من رياض الجنة .

وقد ذكر أهل الأثر : أن المنبر كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ! ثلاث درجات بالمقعد، وارتفاعه ذراعان وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وارتفاع صدره وهو الذي يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ذراع، وارتفاع رُماتيه اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم ! بيديه الكريمتين إذا جلس شبرًا وأصبعان، وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة؛ ويبقى على ذلك إلى أيام معاوية فكتب إلى مروان : عامله على المدينة أن أرفعه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفعها عليها فصار له تسع درجات بالمجلس . قيل : وصار طوله أربعة أذرع وشبرًا .

ولما حج المهدي بن المنصور العباسي سنة إحدى وستين ومائة، أراد أن يعيده إلى ما كان عليه فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشية التهاوت فتركه ؛ ويقال : إن المنبر الذي صنعه معاوية ورفّع منبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه، تهاوت على طول الزمان، وجدده بعض خلفاء بني العباس وأخذ من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم أمشاطًا للتبرك، ثم احترق هذا المنبر لما احترق المسجد في مستهل رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أيام المستعصم بالله، وشغل المستعصم عن عمارته بقتال

التار ، فعمل المظفر صاحب اليمن المنبر ، وبعث به إلى المدينة سنة ست وخمسين
وستمائة ، فنصب في موضع منبر النبي صلى الله عليه وسلم ! فبقي إلى سنة ست وستين
وستمائة ، فأرسل الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر المنبر الموجود الآن فأزيل ذلك
ووضع هذا وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع تزيد قليلا ،
ودرجاته سبع بالمقعد والأمر على ذلك إلى الآن .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهي على ضريين)

الضرب الأول

(حماها ومرافقها)

وأعلم أن للدينة الشريفة حمى ، حماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه كما حرّم
إبراهيم عليه السلام مكة . قال في "الروض المعطار" : حماها اثنا عشر ميلا ؛
وخارج بابها الشرقى البقيع المتقدم ذكره ، وهو مدفن أكثر أمواتها ، وهو بالباء الموحدة
في أوله ، ويسمى ببيع العرقيد - بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح القاف
ودال مهملة في الآخر . قال "الأصمعي" : سمي بذلك لأنه قُطع مابه من شجر العرقيد
يوم مات عثمان رضى الله عنه . وبه قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم !
من مارية القبطية ، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب ، وإلى جانبه قبر العباس :
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقبر عثمان بن عفان رضى الله عنه في قبة دونهما ،
وقبر مالك بن أنس إمام المذهب المعروف ؛ وحول المدينة حدائق النخل الأنيقة ؛
وثمرها من أطيب الثمر وأحسنه ، وغالب قوت أهلها منه .

الضرب الثاني

(في مخالفتها وقراها، والمشهور منها ثمانية أما كن)

الأول - (قُبَاء) - بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف في الآخر - ويروى بالمد والقصر والمد أشهر . قال في "الروض المعطار" : ومن العرب من يذكره فيصرفه ، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه . قال : وسميت قُبَاءً بئر كانت بدار توبة بن الحسن ابن السائب بن أبي لبابة يقال لها قُبَاء ، وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها ، وبها مسجد التقوى الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قُبَاء كل يوم سبت راكباً وماشيئاً ، ومُصَلَّاهُ بها مشهور .

الثاني - (خير) - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر - قال الزجاجي : سميت بخَيْرٍ بن قانية وهو أول من نزلها ، وهي بلدة بالقرب من المدينة الشريفة . قال ابن سعيد : طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، وعرضها سبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهي بلدة عامرة أهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجري . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بني عنزة من اليهود ، والخَيْرُ في لغة اليهود الحِصْن ، وهي في جهة الشمال والشرق عن المدينة على نحو ست مراحل وقيل أربع مراحل . قال الإدريسي : وهي ذات نخيل وزرع ، وكانت في صدر الإسلام دارا لبني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وبها كان السَّمَوَعِلُ بن عاديًا الشاعر المشهور .

الثالث - (فَدَك) - بفتح الفاء والداد المهملة وكاف في الآخر - قال الزجاجي : سميت فَدَك بن حام ، وقيل : سميت بفَيْد بن حام ، وهو أول من نزلها . قال

في "الروض المطار": و بينها وبين المدينة يومان، وحصنها يقال له الشمروخ على القرب من خير، وكان أهلها قد صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم! على النصف من ثمارها في سنة أربع من الهجرة، ولم يُوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصةً، وكان معاوية بن أبي سفيان قد وهبها لمروان بن الحكم، ثم آرتجمها منه لمؤجدة وجدها عليه. فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، ردّها إلى ما كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تُغلّ في أيام إمرته عشرة آلاف دينار، يتجافى عنها.

الرابع - (الصفراء) - مؤنث أصفر - وهو واد على ستّ مراحل من المدينة كثير المزارع والمياه والحدائق. أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة وعشرين نهراً على كل نهر قرية، ووعيونته تصب فضلها إلى ينبع؛ وهو بيد بني حسن الشرفاء.

الخامس - (ودان) - بفتح الواو وتشديد الدال المفتوحة وألف ثم نون - وهو واد به قرى نراب لا تحصى كثرة.

السادس - (الفرع) - بضم الفاء وسكون الراء المهملة وبالعين المهملة - وهو واد في جنوبى المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدة قرى أهله، أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية، وماؤها يصب في رابع حيث يُحرم حجاج مصر، وعليها طريق المشاة من مكة إلى المدينة. قال في "الروض المطار": ويقال إنها أول قرية مارت إسماعيل عليه السلام التمر بمكة، وهي الآن بيد بني حرب.

السابع - (الجار) - قال في "الباب": بفتح الجيم وألف وراء مهملة - وهي فُرصة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها. قال ابن حوقل: و بينها وبين ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل، منه عن أيلة على نحو عشرين مرحلة.

الثامن - (وَادِي الْقَرْي) - بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر جمع قرية . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون ، وبها ناس من وُلد جَعْفَر بن أَبِي طالب رضى الله عنه ، وهم الغالبون عليها ، وتُعرف بالوَادِيَيْنِ ؛ والذي أخبرني به بعض أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدّة قُرَى فخرت لاختلاف العرب ، وهي الآن خراب لا عامر بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها .

قلت : وبالغ الإدريسيّ في "زهة المشتاق" فعّد من مخاليفها تيماء ودومة الجندل ، ومدّين ، والتحقيق خلاف ذلك .

فأما تيماء - بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت وميم ثم ألف في الآخر - فقد عدها في "تقويم البلدان" : من بادية الشام تقريبا . قال في "العريزي" : وهي حاضرة طيء وبها الحصن المعروف بالأبلق المنسوب إلى السّمّوعل بن عاديّ . قال في "تقويم البلدان" : وهي الآن أعمر من تبوك ، وبها نخيل قائمة .

وأما دومة الجندل فقال في "تقويم البلدان" : هو موضع فاصل بين الشام والعراق على سبع مراحل من دمشق ، وبينه وبين المدينة الشريفة ثلاث عشرة مرحلة . وأما مدّين فقد تقدّم ذكرها في الكلام على كور مصر القديمة ، ووقع الكلام عليها هناك وإن كان الحق أنها من ساحل الحجاز .

الجملة الثالثة

(في ذكر ملوك المدينة وأمرائها، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من قبل الإسلام؛ وهم ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(التبابعة)

قد تقدم في الكلام على بناءها نقلا عن صاحب "الهتاء الدائم": أن تبعاً الأول هو الذى بناها وأسكنها جماعة من علماء أهل الكتاب، وكتب كتاباً وأودعه عندهم^(١) ليوصله من أدركه من أبنائهم إليه، وبنى الكتاب عندهم يتوارثونه حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فتلقاه من صار إليه الكتاب منهم وأوصل الكتاب إليه . وحينئذ فيكون أول من ملكها التبابعة .

الطبقة الثانية

(العاقلة من ملوك الشام)

قال السهيلي: وأول من نزلها منهم يثرب، بن عييل، بن مهلائيل، بن عوص، ابن عملاق، بن لاوذ، بن إرم، بن سام، بن نوح عليه السلام فسميت به . قال في "الروض المعطار": وكانت هذه الأمة من العالقي يقال لها جاسم، وكانوا قد آستولوا على مكة وسائر الحجاز، وكانت قاعدة ملكهم تيماء، وكان آخر ملوكهم الأرقم بن أبي الأرقم .

(١) أى إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم قريباً .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني إسرائيل ومن انضم إليهم من الأوس والخزرج)

قال في "الروض المعطار": لما ظهر موسى عليه السلام على فرعون، بعث بعثاً من بني إسرائيل إلى الحجاز وأمرهم أن لا يستبقوا منها أحداً بلغ الحلم، فقتلوه حتى انتهوا إلى ملكهم الأرقم بتياء فقتلوه وأبقوا له ابناً صغيراً ليرى موسى عليه السلام فيه رأيه . فلما رجعوا به إلى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد توفى ، فقال لهم الناس : عصيتم وخالفتم أمر نبيكم، وحالوا بينهم وبين الشام، فقال بعضهم لبعض : خير من بلدكم البلد الذي خرجتم منه، فعادوا إلى الحجاز فقتلوه، فكان ذلك أول سُكنى اليهود الحجاز ، فنزل جمهورهم بمكان يقال له يَثْرِبُ يجتمع السيول وأخذوا الآطام والمنازل ، ونزل معهم جماعة من أحياء العرب من بلي وجُهينة .

وكانت يثرب أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قباء إلى الجرف؛ ثم لما كان من سبل العرم باليمن ما كان ، تفرق أهل مارب ، فأتى الأوس والخزرج يثرب لليهود فحاربوهم ، وكان آخر الأمر أن عقدوا بينهم وبينهم جواراً وأشتركوا وتحالفوا ، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً ، فصارت للأوس والخزرج ثروة ومال وعز جانبهم يخافهم اليهود، فقطعوا الحلف، وخافهم الأوس والخزرج فبعثوا إلى من لهم بالشام فأعانوهم حتى أذلوا اليهود وغلبوهم عليها، وبقيت بأيديهم حتى جاء الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها وهم رؤساؤها وحكامها .

(١) أى من العالين والأوضح منهم .

(٢) فى المعجم "أبنا شابا جيلا" وهو الأنسب .

الضرب الثاني

(من في زمن الإسلام، وهم أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(من كان بها في صدر الإسلام)

كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى في سنة إحدى عشرة من الهجرة. ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن توفى سنة اثنتي عشرة من الهجرة. ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة ثلاث وعشرين. ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة خمس وثلاثين. ثم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أن قتل سنة أربعين. ثم الحسن بن علي بن أبي طالب إلى أن سلم الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية.

الطبقة الثانية

(عمال الخلفاء من بني أمية)

وُلِّي عليها معاوية سنة اثنتين وأربعين من الهجرة (مروان بن الحكم). ثم عزله سنة تسع وأربعين وولِّي مكانه (سعيد بن العاص). ثم عزله سنة أربع وخمسين وردَّ إليها (مروان بن الحكم). ثم عزله سنة تسع وخمسين وولِّي مكانه (الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان).

ثم عزله يزيد بن معاوية عن المدينة والحجاز وولِّي مكانه (عمرو بن سعيد الأشدق) ثم عزله سنة إحدى وستين وأعاد (الوليد بن عتبة).

ثم أستعمل ابن الزبير عند غلبته علي المدينة أخاه (مُضْعَبًا) سنة خمس وستين؛ ثم نقله إلى البصرة وولّى مكانه (جابر بن الأسود) بن عوف الزهري؛ ثم ولى مكانه (طلحة بن عبد الله) بن عوف .

ثم غلب عبد الملك بن مروان على الخلافة فبعث على المدينة (طارق بن عمرو) فغلب عليها طلحة بن عبد الله وأتزعها منه . ثم أنفرد عبد الملك بالخلافة وولّى على المدينة والحجاز واليمن واليمامة (الحجاج بن يوسف) وعزل طارقا عن المدينة وجعله من جنده . ثم ولى عليها سنة سبع وسبعين (أبان بن عثمان) . ثم عزله في سنة اثنتين وثمانين وولّى مكانه (هشام بن إسماعيل المخزومي) .

ثم كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فعزل هشام بن إسماعيل وولّى مكانه (عثمان ابن حيان) .

ثم تولى عليها (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) أيام سليمان بن عبد الملك .

ثم أستعمل عليها عمر بن عبد العزيز في خلافته (عبد العزيز بن أرطاة) . ثم عزله يزيد بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة وولّى مكانه (عبد الرحمن بن الضحاك) وأضاف إليه مكة؛ ثم عزله لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه على مكة والمدينة (عبد الواحد النضري) .

ثم عزله هشام بن عبد الملك وولّى عليها وعلى مكة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي) . ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة وولّى مكانه بالمدينة خاصية (خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم) . ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولّى مكانه (محمد بن هشام بن إسماعيل) .

ثم ولى الوليد بن يزيد في خلافته خاله (يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي) على المدينة وسائر الحجاز في سنة أربع وعشرين ومائة . ثم عزله يزيد في خلافته في سنة

ست وعشرين ومائة ووثى مكانه (عبد العزيز بن عمرو بن عثمان). ثم وثى مروان^(١) على المدينة وسائر الحجاز. ثم عزله في سنة سبع وعشرين ومائة ووثى مكانه (عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز). ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة ووثى مكانه على المدينة وسائر الحجاز (عبد الواحد).

الطبقة الثالثة

(عُمَّالها في زمن خلفاء بني العباس)

لما ولى السَّقَّاح الخِلافَةَ وُثِيَ على المدينة والحجاز واليمن واليَمَامَةِ عَمَّهُ (داود). ثم توفى داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله ابن عبد المَدَّان الحارثي). ثم وُثِيَ سنة ثلاث وأربعين ومائة على المدينة (محمد بن خالد ابن عبد الله القَسْرِي). ثم أتهمه في أمر فعزله ووثى مكانه (رياح بن عثمان المُرِّي) فقتله أصحاب محمد المهدي؛ فولى مكانه (عبيد الله بن الربيع الحارثي). ثم عزله المنصور سنة ست وأربعين ومائة ووثى مكانه على المدينة (جعفر بن سليمان). ثم عزله في سنة خمسين ومائة ووثى مكانه (الحسن بن زيد بن الحسن). ثم عزله المنصور في سنة خمس وخمسين ومائة ووثى مكانه عمه (عبد الصمد بن علي). ثم عزله المهدي في خلافته سنة تسع وخمسين ومائة ووثى مكانه (محمد بن عبد الله الكَثِيرِي). ثم عزله ووثى مكانه (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان). ثم عزله ووثى مكانه (زفر بن عاصم). ثم تولى على المدينة والحجاز (جعفر ابن سليمان). ثم كان بها (محمد بن عيسى) بعد مدة ،

(١) لم يذكر من ولاة ولعل الصواب ثم ولاة مروان [أى أقره] على المدينة الخ وأنظر الكلام على مكة

فيما سبق . (٢) في الكامل "محمد بن عبيد الله الخ" .

وعزله المتوكل وولّى مكانه (المستنصر بن المتوكل) . وتوالى عليها عمّال بنى العباس إلى عشر السنين والمائة .

الطبقة الرابعة

(أمراء الأشراف من بنى حُسين الذين منهم الأمراء المستقرون في إمارتها إلى الآن)

كانت الرياسة بالمدينة آنحرا لبنى الحسن بن عليّ .

وكان منهم أبو جعفر عبد الله ، بن الحسين الأصغر ، بن عليّ زين العابدين ، ابن الحسين السَّبُط ، بن عليّ ، بن أبي طالب رضی الله عنه .

وكان من جملة ولده جعفرٌ حجة الله ، ومن ولده الحسن ، ومن ولد الحسن يحيى الفقيه النَّسَّابة ، كانت له وَجَاهَةٌ عظيمة ونفخ ظاهر ، وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين ؛ ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيى ، ساد أهل عصره وبنى دارا بالعقيق ونزلها ، وتوفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

وكان من ولده الحسن بن طاهر رحل إلى الأخشيد بمصر ، وهو يومئذ مَلِكُهَا ، فأقام عنده وأقطعه الأخشيد ما يُعْلَقُ في كل سنة مائة ألف دينار وأستقر بمصر ؛ وكان له من الولد طاهر بن الحسن ، وتوفى سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وخلف أبنه محمدا الملقب بمسلم ، وكان صديقا لكافور الأخشيدى صاحب مصر ، ولم يكن في زمنه بمصر أوجهٌ منه . ولما آختل أمر الأخشيدية دعا مسلم هذا للعز صاحب إفريقية يومئذ . ولما قدم المعز إلى الديار المصرية بعد فتح جوهر القائد لها ، تلقاه مسلم بالجمال بأطراف بَرَقَة من جهة الديار المصرية ، فأكرمه وأركبه معدلا له وآخص به ؛ ثم توفى سنة ست وستين وثلثمائة فصلى عليه المعز ، وكانت له جنازة عظيمة .

وكان من ولد مسلم هذا طاهر أبو الحسين فالحق طاهر بالمدينة الشريفة
 فقدمه بنو الحسين على أنفسهم وأستقل بإمارتها سنين، وكان يلقب بالمليح، وتوفى
 سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وولى بعده أبوه (الحسين بن طاهر) وكنيته أبو محمد .
 قال العتبي : وكان موجودا في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وغلبه على إمارتها بنوعم أبيه
 أبي أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر حجة الله وأستقلوا بها .
 وكان لأبي أحمد القاسم من الولد داود ويكنى أبا هاشم . وقال العتبي : الذي
 ولى بعد طاهر بن مسلم صهره وأبن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر،
 وكناه أبا علي .

وقال ابن سعيد : ملك أبو الفتوح الحسن بن جعفر من بنى سليمان إمرة مكة
 والمدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم العبيدي وأزال إمرة بنى الحسين منها ،
 وحاول الحاكم نقل الجسد الشريف النبوي إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريح عظيمة
 أظلم منها الجوّ، وكادت تقتلع المباني من أصلها، فردهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد
 إلى مكة ورجع أمراء المدينة إليها .

وكان لداود بن القاسم من الولد مهنا وهاني والحسن . قال العتبي : ولى هاني
 ومهنا وكان الحسن زاهدا .

وذكر الشريف الحرّاني النسابة هنا أميرا آخر منهم وهو أبو عمارة مدّة كان
 بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة . قال : وخلف الحسن بن داود أبوه هاشما وولى المدينة
 سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قبل المستنصر .

قال : وخلف مهنا بن داود عبيد الله والحسين وعمارة فولى بعده أبوه عبيد الله
 وكان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة وقتله موالى الهاشميين بالبصرة، ثم ولى الحسين وبعده
 أبوه مهنا بن الحسين .

قال الشريف الحزاني : وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله وقاسم فولى الحسين المدينة وقتل عبد الله في وقعة نخلة . وذكر صاحب حجة من أمرائها منصور بن عمارة الحسيني وأنه مات في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقام ولده مقامه ولم يسمه ؛ ثم قال وهم من ولد مهنا . [وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنا ^(١)] حضر مع صلاح الدين بن أيوب فتح أنطاكية سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وذكر ابن سعيد عن بعض مؤرخي الحجاز أنه عد من جملة ملوكها قاسم بن مهنا وأنه ولاء المستنصر فأقام نحسا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وولى ابنه سالم بن قاسم .

قال السلطان عماد الدين صاحب حجة في "تاريخه" : وكان مع السلطان ^(٢) صلاح الدين يوسف بن أيوب في فتوحاته يتبرك به ويتمن بصحبته ويرجع إلى قوله . ويقى إلى أن حضر إلى مصر للشكوى من قتادة فمات في الطريق قبل وصوله إلى المدينة . وولى بعده ابنه شيحة وقتل سنة سبع وأربعين وستمائة ، وولى ابنه عيسى مكانه . ثم قبض عليه أخوه جهمّاز سنة تسع وأربعين وستمائة وملك مكانه ، وهو الذى ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : أن الإمرة في بيته إلى زمانه .

قال ابن سعيد : وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، كان بالمدينة أبو الحسين بن شيحة بن سالم . وقال : غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وولى أخوه جهمّاز فطال عمره وعمى ومات سنة أربع أو خمس بعد السبعائة .

وولى بعده ابنه منصور بن جهمّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جهمّاز على الظاهر بيبرس بمصر ، فأشرك بينهما في الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة وأستخلف ابنه

(١) أى المكنى بابى فليتة ، والزيادة عن ابن خلدون ليستقيم الكلام . (٢) أى قاسم المكنى أبا فليتة .

(٣) أى سالم بن قاسم .

كبيشة فهجم عليه مقبل وملكها من يده ولحق كبيشة بأحياء العرب فأستجاشهم وهجم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبعائة، ورجع منصور إلى إمارته، وبقى ماجد ابن مقبل يستجيش العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إلى المدينة كلما خرج منها، ثم زحف ماجد سنة سبع عشرة وسبعائة، وملكها من يد عمه منصور، فأستصرخ منصور بالملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فأنجده بالعساكر وحاصروا ماجدا بالمدينة ففر عنها وملكها منصور، ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله، وولى أخاه ودي بن جمار أيا، ثم أعاد منصورا إلى ولايته، ثم هلك منصور سنة خمس وعشرين وسبعائة، فولى ابنه كبيشة مكانه فقتله عسكر ابن عمه ودي وعاد ودي إلى الإمرة، ثم توفى ودي، فولى طفيل بن منصور بن جمار وأنفرد بإمرتها، وهو الذى ذكر المقر الشهابي في "التعريف": أنه كان أميرها في زمانه، وبقى إلى سنة إحدى وخمسين وسبعائة فوقع النهب في الركب، فقبض عليه الأمير طاز أمير الركب، وولى مكانه سيفا من عقب جمار، ثم ولى بعده فضل من عقب جمار أيضا، ثم ولى بعد فضل ماتع من عقب جمار، ثم ولى جمار بن منصور، ثم قتل بيد الغداوية أيام الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وأنفق أمراء الركب على تولية ابنه هبة إلى حين يرد عليهم من السلطان ما يعتمدونه، ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب ودي فعزل ودي وولى مكانه، ثم ولى بعده عطية بن منصور بن جمار، فأقام سنين، ثم عزل وولى هبة بن جمار، ثم عزل وأعيد عطية، ثم توفى عطية وهبة وولى جمار بن هبة بن جمار، ثم عزل وولى نعيم بن منصور بن جمار، ثم قتل، فوثب جمار بن هبة على إمارة المدينة وأستولى عليها، فعزله السلطان، وولى ثابت بن نعيم، وهو بها إلى الآن في سنة تسع وتسعين وسبعائة. وهو ثابت،

أبن ججاز، بن هبة، بن ججاز، بن منصور، بن ججاز، بن شيحة، بن سالم، بن قاسم،
 أبن ججاز، بن قاسم، بن مهنا، بن الحسين، بن مهنا، بن داود، بن القاسم،
 أبن عبيد الله، بن طاهر، بن يحيى، بن الحسن، بن جعفر حجة الله، بن عبد الله،
 أبن الحسين الأصغر، بن عليّ زين العابدين، بن الحسين السَّبَط، بن عليّ بن أبي
 طالب كرم الله وجهه .

وإمرتها الآن متداولة بين بنى عطية وبين بنى جَمَّاز، وهم جميعا على مذهب
 الإمامية الرافضة يقولون بإمامة الأئني عشر إماما وغير ذلك من معتقدات الإمامية،
 وأمرء مكة الزيدية أخف في هذا الباب شأنا منهم .

الجملة الثالثة

(في ترتيب المدينة النبوية)

أما معاملاتها فعلى ما تقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدرهم، والأمر
 في الفلوس على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر وزنها في المبيعات بالمنّ وهو مائتان وستون درهما
 على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر كيلها بالمد، وقياس قماشها بالذراع الشامي؛ وأسعارها
 نحو أسعار مكة، بل ربما كانت مكة أرخص سعرا منها قربها من ساحل البحر بمجدة .
 وأما إمارتها فإمارة أعرابية كما في مكة من غير فرق .

وأما وفود الحجج عليها، فقد جرت العادة أن كل من قصد السبق في العود إلى
 الديار المصرية من الجند وغيرهم يزور النبي صلى الله عليه وسلم! عند ذهاب الركب
 إلى مكة ثم يعود بعد الحج إلى مصر من غير تعريج على المدينة، وبقى الحجج وأمير
 الركب لا يأتونها للزيارة إلا بعد أنقضاء الحج .

وأعلم أن كسوة الحجرة الشريفة ليست مما يجدد في كل سنة كما في كسوة الكعبة، بل كلما بليت كسوة جددت أخرى، ويقع ذلك في كل نحو سبع سنين أو ما قاربها، وذلك أنها مصونة عن الشمس، بخلاف كسوة الكعبة فإنها بارزة للشمس فيسرع بلاؤها.

وقد حكى ابن النجار في "تاريخ المدينة" أن أول من كسا الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبي الهيثم صهر الصالح طلائع بن رزيق وزير العاضد، والعاضد آخر الخلفاء الفاطميين، عمل لها ستارة من الدبيق الأبيض عليها الطرز والحامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر، مكتوب عليها سورة يس بأسرها، والخليفة العباسي يومئذ المستضيء بأمر الله.

ولما جهزها إلى المدينة، أمتنع قاسم بن مهنا أمير المدينة يومئذ من تعليقها حتى يأذن فيه المستضيء فنقذ الحسين بن أبي الهيثم قاصدا إلى بغداد في استئذانه في ذلك فأذن فيه، فعلمت الستارة على الحجرة الشريفة نحو سنتين. ثم بعث المستضيء ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والحامات البيض المرقومة، وعلى دور جاماتها مرقوم "أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي" وعلى طرازها اسم الإمام المستضيء بالله، فقلعت الأولى ونفذت إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالكوفة، وعلقت ستارة المستضيء مكانها. ثم عمل الناصر لدين الله في خلافته ستارة أخرى من الإبريسم الأسود فعلقت فوق تلك. ثم عملت أم الخليفة الناصر بعد حجبها ستارة على شكل ستارة أنها المقدمة الذكر فعلقت فوق الستارتين السابق ذكرهما.

قال ابن النجار: ولم يزل الخلفاء في كل سنة يرسلون ثوبا من الحرير الأسود عليه علم ذهب يكسب به المنبر. قال: ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا

على أبواب الحرم ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى حين انقراض الخلافة من بغداد ، فتولى ملوك الديار المصرية ذلك كما تولوا كسوة الكعبة على ما تقدم ذكره .

قلت : والستارة الآن من حرير أسود عليها طرز مرقوم بحرير أبيض ، وآخِر مَنْ عملها في العشر الأول من الثمانمائة السلطان الملك الظاهر برفوق .

وقد ذكر ابن النجار في "تاريخ المدينة" أيضا أن الناصر لدين الله العباسي كان يُرسل في كل سنة أربعة آلاف دينار للصدقة وألفا ونحوها من ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء ، خارجا عما يجهزه للعمارة ، وما يُعده من القناديل والشيرج والشمع والند والغالية المرغبة والعود : لأجل تبخير المسجد .

وذكر عن يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! كان يُجمل من الشام حتى أنقطع في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة فجعله على سوق المدينة . ثم لما ولي داود بن عيسى في سنة ثمان وسبعين ومائة ، أخرجه من بيت المال ، ثم ذكر أنه كان في زمانه في خلافة الناصر لدين الله يصل الزيت من مصر من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطارا ، كل قنطار مائة وثلاثون رطلا بالمصري ، ومائة وستون شعبة ما بين كبيرة وصغيرة ، وعلبة فيها مائة مثقال ندى .

الباب الرابع

من المقالة الثانية

(في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول

(في الممالك والبلدان الشرقية عنها ، وما يخروط في سلكها من شمال
أو جنوب ؛ وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الأول

(في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك إليه ، وما كان له

من الأولاد ، وتقسيمه الملك فيهم)

أما اسمه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني
أن اسمه في الأصل تمرجين ، وأنه لما عظم شأنه سمي جنكرخان . وقد ذكر
في "مسالك الأبصار" عن بعضهم : أن الصواب في النطق به جنكص خان بالصاد
بدل الزاي .

وأما نسبه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أيضا أنه جنكرخان ، بن بيسوكي ، بن
بهادر ، بن تومان ، بن برتيل خان ، بن تومنيه ، بن بادستقر ، بن تيدوان ديوم ، بن بغا ،
ابن بودنجه ، بن ألانقوا ، وألانقوا هذه امرأة من قبيلة من التتر تسمى قبات من
أعظم قبائلهم شمرة ، كانت متزوجة بزوج أولدها ولدين أسم أحدهما بكنوت ، والآخر

بلكتوت ؛ ومن عقبهما الطائفة المعروفة في قبائل التتر بالدلوكة إلى الآن ؛ ثم مات زوج ألان قوا أبو هذين الأثنين وبقيت ألان قوا أيمًا فحملت فأُنكر عليها الحمل ، وحملت إلى ولي أمرهم حينئذ فسألها من حملت ؟ فقالت : إنى كنت جالسة وفرجى مكشوف ، فترل نور ودخل في فرجى ثلاث مرات فحملت منه هذا الحمل ، وأنا حامل بثلاثة ذكور ، كل مرة من دخول ذلك النور بذكر ، فأمهلوني حتى أضع . فإن وضعت ثلاثة ذكور فأعلموا صدق ، وإلا فدونكم وما ترون ؛ فأمهلوها حتى ولدت فأتت بثلاثة ذكور ، فسَمَّتْ أحدهم يوقن قوتاغى ، والثانى بوسن ساغى ، والثالث بودنجر ، وهو جد جنكرخان . وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانين نسبة إلى النور الذى زعمت أنه دخل فرجها فحملت منه . قال في "مسالك الأبصار" : "وهذه أكذوبة قبيحة ، وأحدوثة غير صحيحة ؛ وإن صححت عن المرأة فلعلها كانت قد سمعت بقصة مريم البتول عليها السلام ، فأحالت لسلامة نفسها بالتشبه بشأنها" .

وأما مصير الملك إليه فقد اختلف فيه على مذهبين .

أحدهما - ما حكاها في "مسالك الأبصار" عن الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : أنه كان يملك الترك ملك من عطاء الملوك يدعى أربك خان ، فتردد إليه جنكرخان في حال صغره وخدمته ، فتوسم فيه النجابة فقرّبه وأدناه وزاده في الارتقاء على أقاربه ، ففسدوه فوشوا به إلى الملك حتى غيروه عليه فأضمر له المكاييد ؛ وكان بالقرب من أربك خان ملكهم صغيران يخدمانه فأطلعا على ما أضمره الملك لجنكرخان وعرفاه ما أضمره الملك له وحدّراه ؛ وكان جنكرخان قد لَفَّ لفيفا عظيمًا فجمع لفيفه من قبائل التتر وقصد ذلك الملك في جيوشه ، وكان من أعظم القبائل المحيية لدعوته قبيلتان : إحداهما تدعى إديرات والأخرى فيقورات . مع قبيلته قبات المقدم ذكرها ،

(١) وجد في العبر (ج ٥ ص ٥٢٥) فرق في الأسماء ولم نعلم الصواب لهجمتها فليتبّه .

بفؤد العساكر لأزبك خان وجرت الحرب بينهما فقتل أزبك خان وملك جنكرخان وقرب كلاً من الصغيرين وجعل كلاً منهما ترخانا، وكتب لها بفراغهما من جميع المون والكلف إلى سبعة أبطن من أولادهما .

والثاني - ما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : عن محمد بن أحمد بن علي المثنى : كاتب إنشاء السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه : أن مملكة الصين كانت منقسمة من قديم الزمان إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر، يتولى أمر كل جزء منها خان نيابة عن خاتهم الأعظم بطمغاج قاعدة الصين .^(١) إلى أن كان خاتهم الأكبر في زمان السلطان خوارزم شاه يسمى الطرخان، وكان من جملة الخانات الستة الذين ينوبون عنه شخص يسمى دوشى خان ، وكان متزوجاً بعممة جنكرخان فمات دوشى خان زوج عممة جنكرخان ، فحضر جنكرخان إلى عمته معزياً ، وكان يجاور دوشى خان خان من الخانات الستة يسمى أحدهما كشلوخان والآخر قلان ، فأرسلت زوجة دوشى خان إليهما بنعى زوجها إليهما وتلاطفانهما في أستقرار جنكرخان ابن أخيها مكانه في الخانية على أن يكونا معاضدين له ، فأجابها إلى ذلك . فأستقر جنكرخان في الخانية مكان دوشى خان زوج عمته ، فبلغ ذلك الخات الأعظم الطرخان فأنكر ذلك على كشلوخان وقلان المذكورين ، فاتصل ذلك بهما فأجتمعاهما وجنكرخان وخلعوا طاعة الطرخان ، ثم مات أحد الخاتين وخلف أبنا اسمه كشلوخان فغلب جنكرخان على ملكه ، ثم مات الخات الآخر وأستقل جنكرخان بالملك ، ثم غلب على خوارزم شاه ، ثم على ابنه جلال الدين وأستقل بما وراء النهر .

(١) في تاريخ أبي الفدا "بطوغاغ وهى واسطة الصين" .

وأما أولاد جنكركخان فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن صاحب علاء الدين الجويني المتقدم ذكره أنه كان له عدة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسراري ، وكان أعظم نسائه أو بولي ، من تيكى ، ومن رسم المغل تعظيم الولد بنسب والدته ، وكان له من هذه أربعة أولاد معدين للأولاد الخطيرة ، هم لتخت ملكه بمنزلة أربع قوائم ؛ وهم توشى وجفظاى ، وهو أصغرهم ، وأوكداى ، وأوتكين نويان ، وأنه جعل موضعه نقطة دائرة ملكه وبنيه حوله كحيط الدائرة ، بفعل ابنه أوكداى ولى عهده ورتبه لما يتعلق بالعقل والرأى والتدبير والولاية والعزل واختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه فى حياة أبيه حدود ايمك وقراباق . فلما جلس بعد أبيه على تخت الملك ، أنتقل إلى الموضع الأصلي بين الخطا وبلاد الايغور ، وأعطى ذلك الموضع لولده كيوك . وجعل لابنه أوتكين حدود بلاد الخطا ؛ وعين لابنه الكبير توشى حدود قياتق (؟) إلى أقصى سفسفين (؟) وبلغار ، ورتبه على الصيد والقنص ؛ وجعل لابنه جفظاى حدود بلاد الأيغور إلى سمرقند وُبجَارَا ، ورتبه لتنفيذ النابات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال ابن عطاء ملك : وكانت أولاده وأحفاده تزيد على عشرة آلاف .

وذكر عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن جنكركخان أولد أربعة أولاد ، وهم جوجى : وهو أكبرهم ، وكداى ، وطولى ، وأوكداى ، فقتل جوجى فى حياة أبيه وخلف أولادا . قال ابن الحكيم الطيارى : وهم باتو ويقال : باطو ، وأورده ، وبركه ، وتولى ، وجمتى . قال الشيخ شمس الدين المذكور : والمشهور باتو وبركه ، وأوصى بأن يكون تحتَه لولده الصغير أوكداى وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداى ؛ وجعل لابنه جوجى دشت القبجاق وما معه وأضاف إليه إيران وتبريز وهمذان

ومراغة، ولم يحصل لطولى شيء . فلما مات جنكرخان أستقل أوكداى بتخت أبيه ،
وأستقل جوجى بدشت القبجاق وما معه ، وأستقل باتو بن جوجى فيما جعله جدّه
جنكرخان لأبيه جوجى من إيران وتبريز وما مع ذلك ، ولم يتمكن كداى من مملكة
ماوراء النهر، ثم مات أوكداى مالك التخت وملك بعده ولده كيوك، وكان جبارا
قوى النفس فحكم على بنى أبيه فقهرهم وأنزع ما بيد باتو بن جوجى من إيران
وسائر مامعها، وأقام بها أميرا اسمه الجكرأى . ثم جرى بينهم اختلاف كان آخر
الأمر فيه أن أُمسك الجكرأى وقتل وحمل إلى باتو بن جوجى وطبخه وأكله، فبلغ
ذلك كيوك صاحب التخت فشق عليه وجمع ستمائة ألف فارس، وجمع باتو للقاتنه
وسار كل منهما لمحاربة الآخر حتى كان بينهما عشرة أيام مات كيوك فكتب
خواتينه إلى باتو يعلمونه بموته ويسألونه فى أن يكون عوضه على تخت جنكرخان،
فلم يرض ذلك وميزله منكوتان بن تولى بن جوجى بن جنكرخان، وجهاز معه إخوته
قبلاى خان وهولاكو : ولدا تولى، ووجه معهم باتو أخاه بركة بن جوجى فى مائة ألف
فارس للجلسة على التخت ثم يعود ، فتوجه بركة بمنكوتان فأجلسه على التخت ،
ثم عاد فمز فى طريقه ببخارا، فأجتمع فيها بالشيخ شمس الدين البانخرزى من أصحاب
شيخ الطريقة نجم الدين كيزى وحادثه فحسّن موقع كلامه منه فأسلم على يده ، وهو
أول من أسلم من بيت جنكرخان، وأشار البانخرزى على بركة بموالاته المستعصم خليفة
بنى العباس ببغداد يومئذ، فكاتبه وهاداه وتردّدت الرسل والمكاتبات بينهما . ثم إن
منكوتان بعد أستقلاله بتخت جدّه جنكرخان ملك أولاد جفطاي مملكة ماوراء النهر
تنفيذا لما كان جنكرخان أوصى به لأبيهم جفطاي كما تقدّم ومات دونه، وعلت كلمة
منكوتان صاحب التخت ووصلت إليه كتب أهل قزوين وبلاد الجبال يشكون
من سوء مجاورة الملاحدة : وهم الإسماعيلية فجهز إليهم منكوتان أخاه مكوقان لقتال

(١) لعله هولاكو كما يؤخذ من بقية الكلام .

الملاحدة وأخذ قلاعهم ، وأن يضم إلى ذلك بلاد الخليفة المستعصم فبلغ ذلك بركة
 ابن جوجى فشق عليه لصداقته مع الخليفة ، وكلم أخاه باتو فى ذلك فكتب باتو
 إلى هولاءكو بمنعه من التعرض لممالك الخليفة ، فوافاه الكتاب قبل أن يعبر نهر
 جيحون ، فأقام هناك سنتين حتى مات باتو وتسلطن أخوه بركة بعده فكتب هولاءكو
 إلى أخيه منكوتان يستأذنه فى إنفاذ ما كان عزم عليه من أخذ ممالك الخليفة
 وحسن له ذلك فلم يأذنه فيه فأصر هولاءكو على عزمه فأوقع بالملاحدة وقتل جماعة
 أتهمهم بملاة بركة ، وأشتد فى البلاد وقصد دشت القبجاق بلاد بركة فدهمه بركة
 بعساكره فكانت الدائرة على هولاءكو فكر راجعا ودخل بلاد الخليفة وقبض عليه
 وقتله وملك بلاده . وكان أمر الله قدرا مقدورا !

الجملة الثانية

(فى عقيدة جنكرخان وأتباعه فى الديانة إلى أن أسلم من أسلم منهم وما جرت

عليه عادتهم فى الآداب وحالهم فى طاعة ملوكهم)

أما عقيدتهم فقد قال الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : إن الظاهر
 من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى ، وأنه خالق السموات والأرض ،
 وأنه يحيى ويميت ، ويعطى ويفقر ، ويعطى ويمنع ، وأنه على كل شىء قدير ، وأن منهم
 من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من أطرح الجميع ، ومنهم من
 تقرب بالأصنام . قال : ومن عادة بنى جنكرخان أن كل من أتجمل منهم مذهبا لم ينكره
 الآخر عليه ، ثم الذى كان عليه جنكرخان فى التدين وجرى عليه أعقابه بعده الجرى
 على منهاج ياسة التى قررها ، وهى قوانين نحتها من عقله وقررها من ذهنه ، رتب فيها
 أحكاما وحدد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها مخالف

لذلك سماها الياسة الكبرى، وقد آكتبتها وأمر أن تجعل في خزانته تُتوارث عنه في أعقابه وأن يتعلمها صغار أهل بيته .

منها أن من زنى قتل ، ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ، ومن بال في الماء قتل ، ومن أعطى بضاعة نخسر ثم أعطى ثانيا نخسر ثم أعطى ثالثا نخسر قتل ، ومن وقع حملهُ أو قوسه فمتر عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قتل ، ومن وجد أسيرا أو هاربا أو عبدا ولم يرده قتل ، ومن أطعم أسير قوم أو سقاه أو كساه بغير إذنه قتل ، إلى غير ذلك من الأمور التي رتبها ممامم دائنون به إلى الآن ، وربما دان به من تحلّى بحلية الإسلام من ملوكهم . ومن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تُلَفَّ قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه . ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح .

وأما عاداتهم في الأدب فكان من طريق جنكركخان أن يعظم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلى الله تعالى ؛ ومن حال التتر في الجملة إسقاط المؤن والكلف عن العلويين وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ومن جرى هذا المجرى .

ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتى يأكل المُطعمُ منه ولو كان المُطعمُ أميرا والآكل أسيرا ، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه ، ولا يمتاز أمير بالشَّع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية ، ولا يخطو أحد موقد نار ولا طبقا رآه ، ومن آجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن ، وأن لا يدخل أحد يده في الماء بل يأخذ منه ملء فيه

(١) في الخطط للقريزي (ص ٢٢٠ ج ٢) ما نصه "ولا يخطى أحد نارا ولا مائدة ولا الطبق الذي يؤكل عليه" .

(١) ويغسل يديه ووجهه، ولا يبول أحدٌ على الرماد . ويقال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة، ولا يميزون بين طاهر ونجس .

ومن طرائفهم أنهم لا يتعصبون لمذهب، وأن لا يتعزّضوا لمال ميت أصلا، ولو ترك ملء الأرض، ولا يدخلونه حرّانة السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لا يفحّمون الألفاظ، ولا يعظّمون في الألقاب حتى يقال في مراسم السلطان "القان بكذا" من غير مزيد ألقاب .

وأما حالهم في طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم، لالمال ولا لجاه بل ذلك دأب لهم حتى إنه إذا كان أمير في غاية من القوّة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى أذنب ذنبا يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من أخس أصحابه من يأخذه بما يجب عليه ألقى نفسه بين يدي الرسول ذليلا ليأخذه بموجب ذنبه، ولو كان فيه القتل .

ومن طريق أمرائهم أنه لا يتردد أمير إلى باب أمير آخر، ولا يتغير عن موضعه المعين له . فإن فعل ذلك عوقب أو قتل، وإذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وقوا في العرض حتى بالخيط والإبرة، ورعاياهم قائمون بما يلزمون به من جهة السلطان طيبةً به نفوسهم، وإن غاب أحد من الرجال قام النساء بما عليهم .

(١) عبارة الخطط "وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء ولكنه يتناول الماء بشيء بغتره به" .

المهيع الثاني^(١)

(في ذكر ممالك بني جنكرخان على التفصيل، وهي مملكتان)

المملكة الأولى

(مملكة إيران)

^(٢) بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت والراء المهملة وألف ثم نون . وهي مملكة
الفرس، وتعرف بإيران بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أول من ملكها
وأضيفت إليه وعرفت به . قال في "التعريف" : وهي مملكة الأكاسرة .
ثم قال : وهي من الفرات إلى نهر جيحون حيث بلخ، ومن البحر الفارسي وما صاقبه
من البحر الهندي إلى البحر المسمى بالفلزم بحر طبرستان، وهي المملكة الصائرة إلى
بيت هولوكو . قال : وقد دخل فيها مملكة الهياطلة، وهي مملكة مازندران وما يليها
إلى آخر كيلان، وطبرستان واقعة بين مازندران وكيلان، ومازندران الآخذة شرقا،
وكيلان الآخذة غربا .

وقال في "مسالك الأبصار" : هذه المملكة طولها من نهر جيحون المحيط بآحر
نحراسان إلى الفرات القاطع بينها وبين الشام، وعرضها من كرمان المتصل بالبحر
الفارسي المنقسم من البحر الهندي، إلى نهاية ما كان يبدقايا الملوك السلجوقية بالروم
على نهاية حدود العلايا وأنطاليا من البحر الرومي . قال : ويفصل في الجانب الشمالي
بين هذه المملكة وبين بلاد القبحاق النهر المجاور لباب الحديد المسمى باللغة التركية
دقربو، وبحر طبرستان المسمى بحر الخزر . ثم قال : وأخبرني الفاضل نظام الدين
أبو الفضل يحيى بن الحكيم الطياري أن هذه المملكة تكاد تكون مربعة، فيكون

(١) لعله المقصد الثاني فإن التقسيم كان بالمقاصد .

(٢) ضبطه ياقوت بالكسر .

طولها بالسير المعتاد أربعة أشهر ، وعرضها أربعة أشهر . وهي من أجل ممالك الأرض ، وأوسطها في الطول والعرض ، متوسطة في الطول والعرض . وإذا أنصفت كانت هي قلب الدنيا على الحقيقة ، ذات أقاليم كثيرة ومدن كبيرة ، مشتملة على رساتيق وأعمال وخطط وجهات ، وهي ممتدة من بلاد الشام وما على سمتها إلى بلاد السند والهند وما والاها .

ولها جانبان : جنوبي وشمالي .

الجانب الأول

(الجنوبي)

ويشتمل على ستة أقاليم :

الإقليم الأول

(الجزيرة الفراتية)

وهي أقرب أقطار هذه المملكة لمملكة الديار المصرية والشامية لمجاورتها بلاد الشام . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طرف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة . فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات إلى مَلطية ، إلى شمشاط ، إلى قلعة الروم ، إلى البيرة ، إلى قبالة منبج ، إلى السن ، إلى الرقة ، إلى قرقيسيا ، إلى الرحبة ، إلى هيت ، إلى الأنبار . ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ويعطف الحد من الأنبار إلى تكريت ، وهي على نهر دجلة ، إلى بلس ، إلى الحديثة على دجلة إلى الموصل . ثم يعطف من الموصل إلى جزيرة ابن عمر ، إلى آمد . ثم يصير الحد غربيا ممتدا بعد أن يتجاوز آمد على حدود إرمينية ، إلى حدود بلاد الروم ، إلى الفرات عند مَلطية من حيث وقع الابتداء . قال : فعلى هذا يكون بعض إرمينية وبعض الروم غربى الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض

إرْمِينِيَّةَ شماليها . قال في "تقويم البلدان" : وتشتمل الجزيرة على ديار ربعة وديار مَضْر (يعنى بالصاد المعجمة) وبعض ديار بكر ، وهم القبائل الذين كانوا ينزلونها في القديم على ما تقدم ذكره في الكلام على أحوال العرب في المقالة الأولى .

قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه الجزيرة مجموعها مملكة جليلة باقية بذاتها في الدولة الأتابكية يعنى دولة الأتابك زكى صاحب المَوْصِلِ والد نور الدين الشهيد صاحب دِمَشْقَ ، وقاعدتها (المَوْصِلُ) . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام في الآخر - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعٌ وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي على دِجَلَةَ من الجانب الغربى ، ويقابلها من الجانب الشرقى مدينة نَيْنَوَى التي بُعثَ يونس عليه السلام إلى أهلها . وهي الآن خراب . وفي جنوبى الموصل مَصَبُّ الزَّابِ الأصغر في دِجَلَةَ ، وهي في مستوي من الأرض ؛ ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دِمَشْقَ . قال المؤيد صاحب حماة : والعامر منها في زماننا نحو ثلثيها ، ولها قلعة قد صارت في جملة الخراب . قال قاضى القضاة ولّى الدين بن خلدون : وهي قاعدة ملك قديم يُعرف قديما بمملكة الجرامقة ، وكانت قد صارت إلى عماد الدين زكى : والد نور الدين الشهيد ، ثم آتفق بها الحال إلى أن دخلت في مملكة التتر من بنى هولاكو . قال ابن خرداذبه في كتابه في المسالك والممالك : ومن أقام بها سنة (١) ثم ... عقله وجده قد نقص ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكرها في "التثقيف" وذكر أنه كان بها الأمير أردبغا قبل أن يحصل عليها من بيرم خواجا ثم أبو القان أويس .

(١) بياض في الأصل . وأنظر معجم البلدان فانه يؤخذ منه أن من أقام بها سنة تبين في بدنه فضل قوة .

ثم بها عدة مُدن وقلاع مشهورة .

(منها) مَارِدِينَ . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والبدال المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها ونون - وهي قلعة بديار ربيعة من هذه الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على جبل عال ، من الأرض إلى ذروتِه نحو فرسخين . قال ابن حوقل : وهي قلعة منيعة لا يستطاع فتحها عنوة ، ويحبلها جواهر الزجاج ، وبه حيات تفوق غيرها بسرعة القتل .

وأعلم أن ماردين هذه بيد ملوكها من بني أرتُق ، لها بيدهم الأمد الطويل ، لم تزل أيديهم عنها مذ ملكوها . قال القاضي ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" : وأول من ملكها منهم ياقوتى بن أرتُق بعد السبع والأربعائة ، تملكها من يد مغن كان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقى أقطعها له ، ثم ملكها بعد ياقوتى المذكور أخوه على ، ثم عمه سقمان ، ثم أخوه إيلغازى ، ثم ابنه حسام الدين تمرتاش ، ثم ابنه قطب الدين الپي ، ثم ابنه نظام الدين إيلغازى ، ثم ابنه حسام الدين بولق أرسلان ، ثم أخوه ناصر الدين أرتُق أرسلان بن إيلغازى ، ثم ابنه نجم الدين غازى ، ثم أخوه قرا أرسلان ، ثم ابنه شمس الدين داود ، ثم أخوه نجم الدين غازى ، وتلقب بالمنصور . وهو أول من تلقب بالقباب السلطنة منهم ، ثم ابنه شمس الدين صالح وتلقب بالصالح ، ثم ابنه أحمد وتلقب بالمنصور ، ثم ابنه محمود وتلقب بالصالح ، ثم ابنه نخر الدين داود ، وتلقب بالمظفر ، ثم ابنه نور الدين عيسى ، وتلقب بالظاهر ، وهو القائم بملكها إلى الآن ، وهو الظاهر عيسى ، بن المظفر داود ، بن الصالح [محمود ، بن المنصور أحمد ، بن الصالح^(١)] صالح ، بن المنصور غازى ، بن المظفر قرا أرسلان ، بن المنصور أرتُق أرسلان [ابن بولق أرسلان^(١)] بن إيلغازى ، بن ألي ، بن تمرتاش ، بن إيلغازى ، بن أرتُق .

(١) الزيادة عن تاريخ ابن خلدون (ص ٢٢٠ ج ٥) .

ولما ملك هولاء كوفى بغداد وأعمالها كان القائم بملك ماردين يومئذ المظفر
قرا أرسلان فأعطاه الطاعة وخطب له في جميع أعماله ، وتبعه على ذلك من بعده
من ملوكها إلى حين موت القان أبى سعيد من بقايا الملوك الهولاء كوفية ، فقطع
الخطبة لصاحب بغداد وما معها وخطب لنفسه ، والأمر على ذلك إلى الآن ،
وملوكها مؤادون للملوك الديار المصرية والمكاتبات بينهم متواصلة .

(ومنها) حصن كيفا . قال في "تقويم البلدان" : بحاء وصاد مهملتين ثم نون
ثم كاف وياء مشاة من تحت وفاء وألف - وهى مدينة من الجزيرة المذكورة من
الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ،
والعرض سبع وثلاثون درجة ونحس وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهى من
ديار بكر . قال في "المشرك" : وهى على دجلة بين جزيرة ابن عمر وبين ميا فارقين .
قال في "اللباب" : والنسبة إليها حصكفى - بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح
الكاف وفاء ثم ياء النسب . قال في "التعريف" : وملكها من بقايا الملوك الأيوبية
ومن ينظر إليه ملوك مصر يعين الإجلال ، لمكان ولائهم القديم لهم ، وأستقرار الوداد
الآن . قال في "التثقيف" : وأخبرنى المقر السيفى منجك كافل الممالك الشريفة
أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان يعظم سلفه فإنه كان أستاذ قلاوون والده .
قال في "التعريف" : وكان آحروقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية .
فلما أتى دمشق عقبته الأخبار بأن أخاه قد ساور سريره ، وقصد بسلطته
سلطانه . ففكر رجعا ولم يعقب ، فما لبثت الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعتة ،
وكرر نحو سريره رجعتة ، وثب عليه أخوه المتوثب فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه
ندمه . وكتب إلى السلطان فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعداره والسرائر
مكذبة ، والخواطر بعضها من بعض منقره . وذكر فى "التثقيف" أن الذى أتضح له

آخرها في رمضان سنة ست وسبعين وسبعائة أن صاحبها الملك الصالح سيف الدين أبو بكر، ابن الملك العادل شهاب الدين غازي، ابن الملك العادل مجد الدين محمد، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر، ابن الملك الموحد تقي الدين عبد الله، ابن الملك المعظم سيف الدين توران شاه، ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد، بن العادل أبي بكر بن أيوب . ثم قال : وما يبعد أن الصالح المذكور هو ابن عم العادل مجد الدين محمد، وأن العادل غازي لاحقيقة له . ثم قال : وهو غلط لأن المستقر إلى آخر سنة ثنتين وستين وسبعائة وما بعدها بمدة هو العادل مجد الدين، وكتبت إليه في هذه المدة بهذا الاسم واللقب، ولم يبلغنا أنه استقر بعده سوى ولده، ثم نقل أنه الصالح ونقل الناقل أنه ابن العادل وهو صحيح لكنه قال : إن اسمه شهاب الدين غازي بن العادل مجد الدين وفيه بعد^{وهو} كون الولد يلقب بلقب والده الملوكي . انتهى كلامه .

قلت : والذي أخبرني به بعض قُصّاد صاحبها في سنة تسع وتسعين وسبعائة أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود، وذكر لي لقبه الملوكي فنسبته، وذكر أنه يقول الشعر، وأحضر معه بيتا مفردا من نظمه وهو :

وَجَارِيَةٍ تُعِيرُ الْبَدْرَ نُورًا * وَلَوْلَا نُورُهَا عَادَ الظَّلَامُ !

فنظمت له أبياتا وبعثت بها إليه صحبة قاصده أولها :

سَلِيمَانُ الزَّمَانِ يَحْضِنُ كَيْفَا * لَهُ فِي الْمُلْكِ آثَارُ كِرَامٍ

زَكَاَ أَصْلًا فَطَابَ الْفَرْعُ مِنْهُ * وَطَابَ الْغُصْنُ إِذْ طَابَ الْمِكَامُ

بَنُو أَيُّوبَ أَبَقُوا مِنْهُ ذُخْرًا * وَنِعْمَ الذُّخْرُ وَالْقَيْلُ الْهَمَامُ

وأثبت البيت الذي قاله في آخر هذه .

(ومنها) حَرَّانُ . قال في "المشترك" : بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وفي آخرها نون بعد الألف - وهي مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ثلاث وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وكانت حَرَّانُ مدينةً عظيمةً أما اليوم نخراب . قال ابن حوقل : وهي مدينة الصابئين ، وبها سَدَتْهُمُ السبعة عشر، وبها تَلَّ عليه مصليٌ للصابئين يعظّمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام، وهي قليلة الماء والشجر . قال في "العزيزي" : والجبل منها في سَمْتِ الجنوب والشرق على فرسخين، وتربتها حمراء ، وشرب أهلها من قناة تجرى من العيون خارج المدينة ومن الآبار، وحاكمها يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي في المكاتب إن شاء الله تعالى .

(ومنها) شِمَشَاط . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانية ثم ألف فطاء مهملّة - وهي بلدة من ديار مُضَرَ، وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "رسم المعمور" حيث الطول اثنتان وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي بلدة الثُّغُور الجزيرية بين آمد وبين نَحْرَتِ بَرْت . وقال ابن حوقل : هي بخر الجزيرة^(١)، وبها حاكمٌ يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حَيْرَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملّة وسكون المثناة من تحتها وفتح الزاي المعجمة وألف ونون - وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها خمس وستون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كثيرة

(١) في التقويم . هي نخر .

الأشجار خصوصا شجر البُنْدُق . قال : وهى بين جبال ، ولها مياه سارحة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكر فى "التثقيف" أنه كان اسمه فى زمانه عز الدين ، ثم آستقر بعده ابنه أسد الدين .

(ومنها) رَأْسُ عَيْنٍ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الراء المهملة ثم سين وعين مفتوحة مهملتان ومثناة تحت ونون فى الآخر - وتسمى عين واردة أيضا ، وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة فى مستو من الأرض . قال ابن حوقل : يخرج منها فوق ثلثائة عين كلها صافية ، ويصير من هذه العين نهر الخابور ، وهم السمعاني جعلها منبع دجلة . قال فى "العزى" : وهى أول مدن ديار ربيعة من جهة ديار مَضَرَ ، وذكر السمعاني أنها من ديار بكر ، وأنكره ابن الأثير وقال : ليست من ديار بكر [بل هى] من الجزيرة . قال فى "اللباب" : وهى على يومين من حرَّان والنسبة إليها رَسَعْنِيٌّ ، وإليها ينسب الرَّسَعْنِيُّ المُفَسِّرُ .

(ومنها) مِيَا فَارِقِينَ . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وتشديد المثناة من تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبعدهما راء مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول خمس وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى قاعدة ديار بكر . وقال ابن حوقل : هى بين الجزيرة وبين إرْمِينِيَّةَ . قال فى "اللباب" : وعليها سورٌ حَجْرٍ دائرٌ ، وهى دون حماة فى القدر ، وهى فى ذيل جبل ، فى شمالها وهى فى ذيله . قال فى "اللباب" : والمياه والبساتين محذقة بها ، ولها نهر صغير على شوط فرس منها ، من عين تسمى عين حَنْبُوصَ بين الغرب والشمال ، تنخرق دُورَهَا

وتسقى بساكنيها ، وبينها وبين المَوْصِلِ على حِصْنٍ كَيْفَا نحو ستة أيام وعلى مَارِدِينَ نحو ثمانية أيام ، والنسبة إليها فَارِقِيٌّ . قال في " اللباب " : أسقطوا بعضها لكثرة حروفها ، وبها حاكم يكتّب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قَرْقِيسِيَا . قال في "تقويم البلدان" : المشهور بفتح القاف الأولى وكسر الثانية وبينهما راء مهملة ساكنة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم سين مهملة ثم ياء ثانية وألف - وهي مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في " اللباب " : وهي على الفُرات والخابور ، على القرب من الرِّقَّة . قال في " العزيزي " : وهي شرقاً الفرات والخابور الخارج من رأس عين فيصب في الفرات على القرب منها . قال : وهي مدينة الرِّبَاءِ صاحبة جَدِيمة الأبرش ، يعنى التي قتلته . قال في " اللباب " : وبها مات جَرِير بن عبد الله البجليّ الصحابيّ رضي الله عنه . قال : والنسبة إليها قَرْقِيسِيَانِي وقد تحذف النون وتجعل الياء عوضها .

(ومنها) مَا كِسِينُ . قال في " اللباب " : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الكاف والسين المهملة وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " اللباب " : وهي على الخابور . قال في " العزيزي " : وبينها وبين قَرْقِيسِيَا سبعة فراسخ ، وبينها وبين سِنْجَارِ أَثْنَانٍ وعشرون فرسخاً .

(ومنها) نَصِييْنُ . قال في " اللباب " : بفتح النون وكسر الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها ثم باء موحدة وياء ثانية ونون - وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : وهي قاعدة ديار ربيعة . قال :

وهي مخصوصة بالورد الأبيض لا يوجد فيها وردة حمراء ، وفي شمالها جبل عظيم يقال إنه الجودي الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام ، منه ينزل نهرها حتى يمر على سورها وعليه بساطينها ، ونهرها يسمى الهرماس ، وبها عقارب قتالة .

(ومنها) جزيرة ابن عمر - وضبطها معروف - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ست وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة صغيرة على دجلة من غربها ذات بساطين كثيرة . وقال في "المشرك" : هي في شمالي الموصل ودجلة محيطة بها مثل الهلال ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) سنجَار . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهملة - وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي في جنوبي نصيبين - وهي من أحسن المدن وجبلها من أخصب الجبال . قال ابن حوقل : وهي في وسط برية ديار ربيعة بالقرب من الجبل والجبل في عاليها ، وليس بالجزيرة بلد فيه نخيل سواها . وهي في جهة الغرب عن الموصل على ثلاث مراحل عنها ، وهي على قدر المعرة من البلاد الشامية ؛ ولها قلعة وبساطين كثيرة ؛ وشربها من القني ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) تلّ أعفر - وضبط التل معروف ، وأعفر بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الفاء وراء مهملة في الآخر - وهي من الجزيرة من الإقليم الرابع من

الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : **وَتَلُّ أَعْقَرَفَلَعَةٌ بَيْنَ سِنَجَارَ** وبين المَوْصِلِ . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض أهلها أنها غربي المَوْصِلِ فيما بينها وبين سِنَجَارَ ، وربما تكون إلى سِنَجَارَ أقرب . وذكر في "العزيزي" أن بينها وبين سِنَجَارَ خمسة فراسخ ، ولها أشجار كثيرة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) الحَدِيثَةُ . قال في "تقويم البلدان" : **بِفَتْحِ الحَاءِ وَكسْرِ الدَّالِ المَهْمَلَتَيْنِ** ثم مشاة من تحت وئام مثلثة وهاء في الآخر وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : **وهي في وَسَطِ الفُرَاتِ والمَاءِ مَحِيطٌ بِهَا ، وتعرف بحديثة النُّورَةِ . وهي غير حديثة المَوْصِلِ : بليدة صغيرة إلا أن لها ذكرا في القديم . قال في "المشترك" : وهي على فراسخ من الأنبار ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .**

(ومنها) عَانَةٌ . قال في "اللباب" : **بِفَتْحِ العَيْنِ المَهْمَلَةِ وَأَلْفِ وَنُونِ وهَاءِ** في الآخر . وهي بلدة من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . وهي بلدة صغيرة على جزيرة في وَسَطِ الفُرَاتِ . قال في "اللباب" : **وهي تقارب الحَدِيثَةَ . وقال ابن حوقل : يطوف بها خليج من الفُرَاتِ . قال ابن سعيد : وتحررها مذكور في الأشعار ، وأستشهد بقول بعض الشعراء :**

* **وَمِنْ عَانَةٍ أَمِّ مِنْ مَرَّاشِفِكَ الخَمْرُ؟** *

وكثيرا ما تُقْرَن في الذِكر مع الحديشة لقرابها فيقال عانهُ والحديشة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) آمِد . قال في "اللباب" : بمد الألف وكسر الميم وفي آخرها دال مهملة . وهي مدينة من ديار بكر ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة أزيَّة على الدجلة . قال ابن حوقل : وتليها سُور في غاية الحصانة . قال في "العزيزي" : وسورها من الحجارة السود التي لا يعمل فيها الحديد ، ولا تضرُّها النار ، وهو مشتمل عليها وعلى عيون ماء ، ولها بساتين ومزارع كثيرة . قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخصب . (ومنها) سِعْرَتُ . قال في "تقويم البلدان" : نقلا عن صالح : بكسر السين والعين وسكون الراء المهملات وفي آخرها مثناة من فوق ، وقيل إسْعُرْد بكسر الهمزة وسكون السين وكسر العين وسكون الراء المهملات ودال مهملة في الآخر . وهي مدينة من ديار ربيعة ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مبنية على جبل تحيط بها الوطاة ، على القرب من شطِّ دجلة من جهة الشمال والشرق ، وهي في المقدار أكبر من المعرة ، وبها الأشجار الكثيرة من التين والرمان والكروم ، جميع ذلك عذُّى لا يسقى ، وشرب أهلها من بئار قريبة من وجه الأرض ؛ وهي عن مياْفَارِقِينَ على مسيرة يوم ونصف في جهة الجنوب ، وعن آمِد على مسيرة أربعة أيام في جهة الشمال منها ، وعن الموصِل على خمسة أيام في جهة الشرق والشمال عنها .

(ومنها) تِكْرِيْتُ . قال في "اللباب" : بكسر المثناة من فوق وسكون الكاف وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة من تحت في آخرها تاء مثناة من فوق - وهي مدينة

(١) ضبطها المجد بالفتح وكذا ياقوت وقال : وكسرها العامة .

من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث
الطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأثنتا
عشرة دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مدُن الجزيرة مما يلي العراق
على غربي دِجْلَةَ في بَرِّ المَوْصِلِ . قال في "اللباب" : وسميت تِكْرِيْتُ تِكْرِيْتُ بنت
وائل أخت بكر بن وائل .

أما قلعتها فبناها سابور بن أردشير بن بَابَك ، وهي الآن خراب . قال ابن سعيد :
وفي جنوبها وشرقها النهر الإسحاق ، حفره إسحاق بن إبراهيم صاحب شُرْطَةِ
المتوكل ، وهو أول حدود سَوَادِ العراق ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية .

(ومنها) بَرَقِيدُ - بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وكسر العين
المهملة وسكون المثناة من تحتها ودال مهملة في الآخر . قال في "العزيزي" :
وهي [مدينة] لها سور وأسواق كثيرة .

(ومنها) العَامِدِيَّةُ - بكسر العين المهملة وفتح الميم وبعدها ألف ثم دال مهملة
مكسورة وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" :
وهي قلعة عامرة على ثلاث مراحل من المَوْصِلِ في الشرق والشمال ، وهي على جبل من
الصخر ، وتحتها مياه جارية وبساتين ، وهي في جهة الشمال عن إربل ، بناها عماد الدين
زنكي صاحب المَوْصِلِ فنسبت إليه ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة كُشَاف . قال في "تقويم البلدان" : بضم الكاف وبالشين المعجمة
ثم ألف وفاء في الآخر . وهي قلعة عامرة بين الزَّابِ والشَّطِّ ، قريبة من مصبه في الشط
[وهي في الشرق] والجنوب عن الموصل . قلت : وقد ذكرها في "تقويم البلدان" أولاً

في جملة بلاد الجزيرة ووصفها بهذا الوصف ولم يضبطها ، ثم ذكرها في بلاد الجبل .
المعروفة بعراق العجم بهذا الوصف أيضا وضَبَطَهَا على ما تقدم ، والظاهر أنها من
بلاد الجزيرة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة فنك . قال في "تقويم البلدان" : نقلنا عن أبي المجد في "كتاب

التمييز" : بفتح الفاء والنون - وهي قلعة حصينة فوق جزيرة ابن عمر .

(ومنها) الشوش . قال في "المشترك" : بضم الشين المعجمة وسكون الواو

ثم شين ثانية . قال : وهي قلعة مشهورة من أعمال الموصل في الجبال شرق

دجلة ، وإليها ينسب حب الرمان الشوشى .

(ومنها) عقر الحميدية . قال في "المشترك" : بفتح العين المهملة وسكون

القاف ثم راء مهملة - وهي قلعة حصينة مشهورة ، والحميدية قبيلة من الأكراد

بتلك البلاد .

(ومنها) الهتأخ . قال في "مزيل الأرتياب" : بفتح الهاء وتشديد التاء المثناة

من فوقها وفتحها وبعد الألف خاء معجمة . قال في "تقويم البلدان" : وهي

قلعة حصينة .

(ومنها) حاني . قال في "اللباب" : على وزن داعي ، يعني بفتح الحاء المهملة

وبعدها ألف ثم نون مكسورة وياء مثناة تحت في الآخر . قال : هذا ما تعرف به

الآن ، ولكن السمعاني قد قال فيها حنا ، بفتح الحاء المهملة والنون ، وهي مدينة

من ديار بكر من الجزيرة [من الإقليم الرابع] من الأقاليم السبعة ، وبها حاكم يكتب

عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية معدود في الأكراد .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مَجَاوِرَةٌ لِمَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ اتَّصَلَتْهَا بِالْبِلَادِ

الشامية من الجهة الشرقية ، وقد تقدم أن بعض بلادها داخلة في أعمال حلب

من ممالك الديار المصرية كالرُّها وقلعة جَعَبَر وما والاها، والمسافة ما بين حلب والرُّها معلومة؛ ومن الرُّها إلى حَران يوم واحد؛ ومن حَران إلى رأس عين ثلاثة أيام، ومن رأس عين إلى نَصِيبين ثلاث مراحل؛ ومن نَصِيبين إلى المَوْصِل أربع مراحل. وقد تقدّم أن المَوْصِل هي قاعدة الجزيرة في القديم، ومن الموصل إلى تِكْرِيَت سبعة أيام، وقد تقدّم أن تكريت هي آخر مُدُن الجزيرة مما يلي العراق، ومن الموصل أيضا إلى آمَد أربعة أيام؛ ومن آمَد إلى شِمَشَاط ثلاثة أيام.

الإقليم الثاني (العراق)

قال في "اللباب": بكسر العين وفتح الراء المهملتين ثم ألف وقاف. قال الجوهري: وهو يذكَر ويؤنث. قال أبو المجد إسماعيل الموصلي في كتابه المسمى "بالتمييز والفصل": وإنما سمي عراقا لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر، أخذنا من عراق القرية، وهو الخُرْزُ الذي في أسفلها؛ ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم. قال في "تقويم البلدان": ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية؛ ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خوزستان؛ ومن الشرق حدود بلاد الجبال إلى حُلوان؛ ومن الشمال من حلوان إلى الجزيرة من حيث وقع الأبتداء.

قال: والعراق على ضفتي دجلة مثل ما بلاد مصر على ضفتي النيل، ويجرى دجلة من الشمال بميلة إلى الغرب، إلى الجنوب بميلة إلى الشرق، وأمتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحديثة على دجلة إلى عبّادان على مصب دجلة في بحر فارس، وأمتداده غربا وشرقا من القادسية إلى حُلوان. فالحدیثة في وسط الحدّ الشمالي

بميلة إلى الغرب، والقادسية في وسط الحد الغربي بميلة إلى الجنوب، وعبادان في وسط الحد الجنوبي بميلة إلى الشرق، وحلوان في وسط الحد الشرقي بميلة إلى الشمال، ووسط العراق الذي من القادسية إلى حلوان هو أعرض ما في العراق .
 وأما رأس العراق الذي عند عبادان، فيدق عن ذلك . ثم قال : والذي يستدير على العراق - يعني والعراق على شماله - إذا أبتدأ من تكريت من بلاد الجزيرة المتقدمة، يمر منها إلى حدود شهرزور؛ وهي بين الشرق والشمال عن العراق، ثم إلى السيروان، وهي في الشرق، إلى حدود جباً، وهي في الشرق والجنوب، ثم إلى البحر يعني بحر فارس، وهو في الجنوب عن العراق . وفي هذا الحد من تكريت إلى البحر تقويس، ثم من البحر إلى البصرة، وهي في الجنوب عن العراق، ثم من البصرة إلى البادية على سواد البصرة، ثم إلى بطائح البصرة، ثم إلى واسط، ثم إلى سواد الكوفة ويطائحها، ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار، ثم من الأنبار إلى تكريت حيث وقع الأبتداء .

(١)
 ثم للذن قواعد ومدن .

القاعدة الأولى

(بايل)

بفتح الباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة ثانية مكسورة ولام في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" "حيث الطول سبعون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة ونحو خمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقدم أبنية العراق، وإليها ينسب إقليم بابل لقدمها، وكانت ملوك الكنعانيين

(١) لعل الصواب "ثم للعراق قواعد ومدن" .

وغيرهم يقيمون بها . قال في "تقويم البلدان" : وبها آثار أبنية أحسبها أن تكون في قديم الأيام مصرا عظيما؛ ويقال إنها من بناء الضحالك : أحد ملوك الفرس الذي ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها أئمة إبراهيم الخليل عليه السلام في النار؛ وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن بها هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَلَكَيْنِ اللّٰذِينَ يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ، ويقال إنهما بها في بئرٍ وإن البئر ظاهرة بها إلى الآن . قال صاحب حماة : وهي اليوم مدينة خراب، وقد صار في موضعها قرية صغيرة .

القاعدة الثانية

(المدائن)

جمع مدينة وضبطها معروف . قال في "تقويم البلدان" : وآسماها بالفارسية طَيْسَفُونُ - بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو ونون - ثم قال : وكل ذلك سمعا وقد تبدل الفاء باء . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي على دجلة من شرقها تحت بغداد على مرحلة منها . قال في "العزيزي" : والمدائن في جنوبي بغداد، وكان بالمدينة الكبرى منها إيوان كسرى في شرقي دجلة ارتفاعه ثمانون ذراعا . ونقل في "تقويم البلدان" عن بعض الثقات في سَعته من ركنه إلى ركنه خمسة وتسعون ذراعا . وكانت هي قاعدة ملوك الفرس ، فلما وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم ، أنشق هذا الإيوان ثم خرب هو وسائر المدائن في الإسلام .

القاعدة الثالثة

(بَغْدَادُ)

قال في "اللباب": بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وفي آخرها ذال معجمة . وموقعها في آخر الإقليم الثالث . قال في "القانون": حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمسة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان": وسميت بغداد بهذا الاسم لأن كسرى أهدى إليه خصى من المشرق فأقطع بغداد ، وكان له صنم يعبد به المشرق يقال له البغ فقال ذلك الخصى بغ داد يعني أعطاني الصنم ، وكان عبد الله بن المبارك يكره أن يقال لها بغداد بالذال المعجمة في آخرها ، فإن بغ شيطان و داد عطية فعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بغداد بالداين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن بغ بالفارسية البستان و داد بإهمال الأولى وإعجام الثانية أسم رجل ومعناه بستان داد؛ ويقال فيها أيضا بَغْدان بإبدال الدال الأخيرة نونا؛ ومَغْدان بإبدال الباء الأولى ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام . وبغداد على جانبي دجلة من الشرق والغرب، والجانب الغربي منها يسمى الكرخ، وبه كان سكنى أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، والجانب الشرقي منها بناه المهدي بن المنصور المقدم ذكره وسكنه بعسكره فسمى عسكر المهدي، ثم بنى فيه الرشيد بن المهدي قصرا سماه الرصافة فأطلق على الجانب كله الرصافة، ويسمى جانب الطاق أيضا نسبة إلى رأس الطاق، وهو موضع السوق الأعظم منها . وبهذا الجانب محلة تسمى (الحريم) يعني حريم دار الخلافة . قال في "المشرك": بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخره ميم . قال : وهي قريب من ثلث الجانب الشرقي، وعليه سور ابتدأه من دجلة وآتتهاء إليها أيضا

كهيسة الهلال أو كنصف دائرة؛ وله أبواب أو لها باب الغربية، وهو على دجلة، ثم يليه باب سوق التمر، وهو باب شاهق ولكنه أغلق في خلافة الناصر لدين الله، ثم آسَمَزَ غَلَقَهُ، ثم باب البَدْرِية، ثم باب النُوبى . وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرُّسل، ثم باب العائمة، ويقال له أيضا باب عَمُورِيَّة . ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنطرة التي تتحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتى سهم .

وبهذا الحريم محالٌ وأسواق ودُور كثيرة للريعة وهو كأكبر مدينة تكون . قال :
وبين دُور الريعة التي داخل هذا السور وبين دجلة سور آخر، وداخل السور الثانى دُور الخلافة لا يدخلها شىء من دور العائمة . قال فى "مسالك الأبصار" : وبين الجانيين جسران منصوبان على دجلة شرقا بغرب على سُفْن وزوارق أوقفت فى الماء ومدت بينهما السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقال ، وفوقها الخشب الممدود ، وعليها التراب يمر عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالجر والجمال والحمول ؛ وعلى ضَفَّتَى دجلة قُصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية بالشبابيك والطاقت المطة على دجلة ، وبنائها بالآجر .

ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجر أيضا ملصق بالقيرو وهو الزفت ، ولهم الصنائع العجيبة فى الترويق بالآجر، وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخَوَاقق والرُّبُط والبيمارستانات والصدقات الجارية ووجوه المَعُونَة ، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض . ومنها فلائد الأعناق ، ورتابها لى القُبل وإمْدُ الأحداق .

قال فى "مسالك الأبصار" : قال الحكيم نظام الدين بن الطيارى : وأوقفها جارية فى مجاريها ، لم تعترضها أيدي العُدوان فى دولة هولاكو ولا فيما بعدها ، بل

كل وقف مستمرٌ بيد متوليه، ومن له الولاية عليه، وإنما نقصت الأوقاف من سوء ولاية أمورها لا من سواها. وبها البساتين الموقَّه، والحدائق المحذَّقه، وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتمر، وبها أنواع الرياحين والخضراوات والغلال؛ وسعرها متوسط في الغالب لا يكاد يرخُص. قال المقر الشهابي بن فضل الله: سألت الصدر مجد الدين بن الدوري عن السبب في قلة الغلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها، فقال: قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاء كو وحيزه^(١) للعراق وما جاوره من البلاد.

قلت: وبغداد وإن كانت أم الممالك ودار الخلافة، فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تبريز والسلطانية وصيروها قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتي ذكره في الكلام على إقليم أذربيجان فيما بعد إن شاء الله تعالى

القاعدة الرابعة

(سُرَّ من رأى)

من السرور والرؤية، ثم خففها الناس فقالوا سَامَرًا. قال في "اللباب": بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مهملة مشددة - وهي مدينة واقعة في الإقليم الرابع. قال في "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال في "العزيزي": وهي على شاطئ الدجلة من الشرق. قال ابن سعيد: بناها المعتصم، وأضاف إليها الواثق المدينة المارونية، والمتوكل المدينة الجعفرية فعظم قدرها. قال في "اللباب": ثم خربت عن قريب من عمارتها. قال في "العزيزي": ولم يبق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقرية.

(١) بمعنى حوزة وامتلاكه، لغة نقلها الفيومي في مصباحه.

وأما المذُن التي بالعراق :

(فمنها) هَيْتٌ . قال في "المشترك" : بكسر الهاء وسكون المثناة تحت وتاء مثناة من فوق في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزيزي" : وهي من حدود العراق . قال ابن سعيد : وإليها ينتهي حدّ الجزيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على شماليّ الفرات ، ووهم في "العزيزي" فجعلها غربيّ الفرات . قال في "المشترك" : وهي من أعمال بغداد . قال في "اللباب" : وهي فوق الأنبار . قال صاحب "التهذيب" : وسُمّيت هيت لكونها في هوة من الأرض . قال في "اللباب" : وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حيرةٌ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة وهاء في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار ، وهي عن الكوفة على نحو فرسخ . وقال في "العزيزي" : مدينة قديمة على ثلاثة أميال من الكوفة ؛ وكانت منازل آل النعمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن أمرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة . والحيرة على موضع يقال له النَّجْفُ ، زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصلُّ به ؛ وبينهما اليوم مسافة بعيدة . قال في "اللباب" : والحيرة مدينة قديمة عند الكوفة ، وبها الخورنق . قال في "الترتيب" : إن تبعاً لما سار من اليمن إلى خراسان وأتمى إلى موضعها ليلاً فتحير ونزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة .

(ومنها) الأنبار . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف - وهي من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال في "المشترك" : والأنبار عن بغداد^(١) على عشر فراسخ منها . قال في "المشترك" : وهي من نواحي بغداد على شاطئ الفرات . قال ابن حوقل : وهي أول بلاد العراق ، وبها كان مقام السفّاح : أول خلفاء بني العباس حتى مات ، ويقال إن أول ما نقلت الكتابة العربية إلى مكة من الأنبار على ما تقدم في المقالة الأولى في الكلام على الخط .

(ومنها) الكوفة . قال في "اللباب" : بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء - وهي مدينة إسلامية بنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي على ذراع^(٢) من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال في "الترتيب" : وسميت كوفة لأستدارتها ، أخذاً من قول العرب رأيت كوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لأجتماع الناس ، أخذاً من قولهم تكوّف الرمل إذا ركب بعضه بعضاً . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "العزيزي" : وهي قدر نصف بغداد ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه حيث دفين ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

(١) وقع في الأصل سقط من النسخ في أثناء الكلام على الحيرة والأنبار . وقد أستوفينا من كتاب تقويم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مربعتين هكذا [] .

(٢) في معجم البلدان "شعبة" وهي المراد بالذراع .

(ومنها) البَصْرَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح الراء المهملتين - وهي مدينة إسلامية بنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا ، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرَةَ أخذًا من البَصْرَةَ ، وهي الحجارة السود ، وفي جنوبيها وغربيها البرية ، وليس في بريتها ماء ، يزرع على المطر . قال في "المشترك" : وبالْبَصْرَةَ محلةٌ يقال لها المِرْبَدُ - بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة - وهي محلة عظيمة من جهة البرية كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون .

(ومنها) وَأَسِطُ . قال السمعاني في "الأنساب" : بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين المهملة وطاء في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : سميت واسط لتوسطها بين مدن العراق إذ منها إلى البَصْرَةَ نحو خمسون فرسخًا ، ومنها إلى الكوفة نحو خمسون فرسخًا ، ومنها إلى الأهواز نحو خمسون فرسخًا ، ومنها إلى بغداد نحو خمسون فرسخًا . وهي نصفان على جانبي دجلة بينهما جسر من السفن كما تقدم في بغداد . قال في "المشترك" : وهي من بناء الحجاج أخطها بين الكوفة والبصرة في سنة أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها في سنة ست وسبعين .

(ومنها) حُلْوَانٌ . قال في "المشترك" : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال في "اللباب" ثم ألف وواو ونون - وهي مدينة من أول الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون

(١) في تقويم البلدان ومعجم البلدان : أربع وسبعون .

درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخردُمدن العراق، ومنها يُصعد إلى الجبال، وقيل هي من الجبال، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها . قال ابن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف، وأكثر ثمارها التين، والثلج يسقط على جبلها دائماً، وهو منها على مرحلة، وبينها وبين بغداد خمس مراحل .

(ومنها) الحِلَّة . قال في "المشترك" : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام - وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول ثمان وستون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحموي : وتعرف بحلَّة بنى مزيد . وأول من أخطت بها المنازل وعمرها سيف الدولة صدقة بن دُبَيْس بن علي بن مزيد الأسدّي في سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وكان موضعها قبل ذلك يسمى بالجامعين .

(ومنها) النَّهْرَوَانُ . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الهاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهي مدينة في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ضفتي نهر . قال في "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : النَّهْرَوَانُ اسم للمدينة والنهر الذي يشقها، وهي مدينة صغيرة على أربعة فراسخ من بغداد . قال في "اللباب" : ولها عدة [نواحي] خرب أكثرها . وقال السمعاني في "الأنساب" : هي على أربعة فراسخ من دجلة، والنَّهْرَوَانُ هذه هي التي أنحاز إليها الخوارج عند فراقهم لعلّي بعد وقعة صفين على ما تقدم ذكره في الكلام على النَّحْلِ وَالْمِلَلِ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى .

(ومنها) الأُبُلَّة . قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام وهاء في الآخر - وهي مدينة في فُردتها نهر طوله أربعة فراسخ بينها وبين البصرة

على جانبيه قصور وبساتين ومُدُن على خط واحد كأنها بُستان واحد ، وهو أحد متزّهات الدنيا .

(ومنها) القادِسيَّة - بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمانٌ وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه ، وهى على حافة البادية وحافة سواد العراق ، البادية من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق . قال فى "المشترك" : وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً فى طريق الحاج . قال فى "تقويم البلدان" : وسميت القادسية لتزول أهل قادس بها ، وقادس قرية بمرو الروذ ، وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادسية .

(ومنها) عبَّادانُ - بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملة بين ألفين وفى آخرها نون - وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال فى "الزيج" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وعبَّادانُ على بحر فارس ، وهو محيط بها لا يبقى منها فى البر إلا القليل ، وعندها مَصْبٌ دجلة فى جنوبى عبَّادانَ وشرقيها ، وهى عن البصرة على مرحلة ونصف ، وفى جنوبها وشرقيها علامات للراكب يعبر فارس لا يتجاوزها المراكب ، وهى حُشْبٌ منصوبة حيث يكون البحر عند الجزر فى بعض البحر . قال فى "العزيرى" : فى طريق العراق من الغرب القادسية وهيت ، ومن الشرق حلوان ، ومن الشمال سُرَّ من رأى ، ومن الجنوب الأبله .

الإقليم الثالث (خُوزُسْتَانُ وَالْأَهْوَاذُ)

يضم الخلاء وسكون الواو وضم الزاي المعجمة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "المشترك" : ويقال لها أيضا الخُوزُبُضم الخلاء المعجمة ثم واو وزاي معجمة . قال : وخُوزُسْتَانُ إقليم واسع بين البصرة وفارس يشتمل على مُدن كثيرة . قال في "تقويم البلدان" : والذي يُحيط به من الغرب رُسْتاقُ واسطَ ودُور الراسيِّ، ومن جهة الجنُوب من عَبَّادان على البحر إلى مَهْرُوبَانَ، إلى الدُّورَق، إلى حدود فارس؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الجنوب حدودُ فارس؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الشمال حدودُ أَصْفَهَانَ وبلاد الجبل؛ ومن جهة الشمال حدودُ الصَّيْمَر، والكرجة، وجبال اللُّور، وبلاد الجَبَل إلى أَصْفَهَانَ . قال : وخُوزُسْتَانُ في مستوٍ من الأرض ليس بها جبال ، وهي كثيرة المياه الحارِية ، وتجتمع مياهه وتعرض وتصل ببحر فارس عند حصن مَهْدِيٍّ .

وقاعدتها على ما ذكره صاحب حماة في "تاريخه" (سُستَر) . قال في "اللباب" : يضم المثناة من فوق وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وفي آخرها راء مهملة ، والعامّة تسميها سُستَر بإبدال التاء الأولى شينا - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرضُ إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وجعلها في "تقويم البلدان" من الأهواز ، ولها نهر معروف بها ؛ بنى فيه سابور : أحد ملوك الفرس بناء عظيمًا حتى ارتفع الماء إلى المدينة ، على مرتفع من الأرض ؛ ويقال إنه ليس على وجه الأرض مدينة أقدم منها . قال في "اللباب" : وبها قبر البراء بن مالك الصحابي رضي الله عنه .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" : بخوزستان عدّة مُدن .

(منها) السُّوس . قال في "المشترك" : يضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية . قال أبو الرِّيحان : وهي بالفارسية معجمة . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة قديمة ، قال : وبها قبر دانيال النبي عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : ولها بساتين وفيها ترونج كالأصابع .

(ومنها) الطَّيْبُ . قال في "المشترك" : بكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفي آخرها باء موحدة ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة بين واسط وبين الأهواز . ثم قال : وفيها عجائب ولم يذكر ما هي ؛ وإلى الطَّيْبِ هذه ينسب الطَّيْبِيُّ صاحب الحواشي على "كشاف الزمخشري" .

(ومنها) جُبِّي . قال في "المشترك" : يضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وياء آخر الحروف في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم العرفية . قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي كثيرة النخل . قال : وإليها ينسب أبو علي الجبائي المعتزلي .^(٢)

(ومنها) مهروبان . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء المهملة وسكون الواو ثم باء موحدة وألف ونون . وعدّها ابن حوقل وآبن

(١) في معجم البلدان "بالضم ثم التشديد والقصر" .

(٢) أى على غير قياس والقياس جبوي .

سعيد من فارس؛ وهي مدينة من فارس صغيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة. وهي فرضة أَرْجَان وما والاها. قال في "العزيزي": وهي على البحر.

(ومنها) أَرْجَان. قال في "اللباب": بفتح الألف وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وفي آخرها نون بعد الألف. وقال ابن الجوالقي في المعرّب من العجمية للعربية: إنها بتشديد الراء. وقال ابن حوقل: هي من آخر فارس من جهة خُوزُستان. وقال في "العزيزي": هي أول مُدُن فارس - وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير، وبها النخل والزيتون بكثرة، بَرِيَّةٌ بحرية، سُهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ، على مرحلة من البحر. قال في "العزيزي": وهي مدينة جليلة لها كورة وأعمال نفيسة؛ وإليها ينسب القاضي الأَرْجَانِيّ الأديب الشاعر.



وأما الأهواز. فقال في "اللباب": هي بفتح الألف وسكون الهاء وفي آخرها زاي معجمة. وهي كورة من كُور خُوزُستان المقدم ذكرها كما ذكره في "تقويم البلدان" وإن كان قد ذكر في أول الكلام على إقليم فارس أن خُوزُستان هي الأهواز إلا أنها غلب ذكرها فصارت كالإقليم المنفرد بذاته. ولها عدة مُدُن تعرف بها.

(منها) سُوق الأهواز - وهي مدينتها، فقد قال في "المشترك": وسوق الأهواز هي مدينة الأهواز، وذكر مثله في "العزيزي". قال في "المشترك": وقد حَرِبَ أكثرها. قال في "العزيزي": ومنها إلى أَصْفَهَانَ ثمانون فرسخاً.

(ومنها) قُرُقُوبٌ . قال في "اللباب" : بضم القافين وبينهما راء مهملة ثم واو وفي الآخرباء - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث ، قال فى "القانون" حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . وهى مدينة مشهورة . قال فى "اللباب" قرية من الطيب قال فى "العزيزى" : وبينهما سبعة فراسخ ومنها إلى مدينة السوس عشرة فراسخ .

(ومنها) جُنْدَى سَابُورَ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينة خصبة كثيرة الخير . قال ابن حوقل : وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه . قال فى "العزيزى" : منها إلى تُسْتَرِ ثمانية فراسخ ، ومنها إلى السوس ستة فراسخ .

(ومنها) عَسْكَرٌ مُكْرِمٌ . قال فى "اللباب" : بفتح العين وسكون السين المهملتين وفتح الكاف وفى آخرها راء مهملة . قال فى "تقويم البلدان" : عن الثقات أن مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة ثم ميم - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وثمان دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة مُحَدَّثَةٌ ، وكانت قرية ينزلها مكرم بن الفُزْرِ أحد بنى جَعُونَةَ بعسكرة كان قد أنفذه به الحجاج لمحاربة خُرْدَازِ بن بارس ، فأقام بها مدة وأبنتى بها البنات فسميت عَسْكَرَ مُكْرِمٍ . قال : وليس بالأهواز مدينة مُحَدَّثَةٌ سواها ، وبها عقارب صغار مشهورة بالقتل .

(ومنها) رَامَهْرَمَنْ . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والميم وضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم الثانية وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" " حيث الطول ست وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كُورَة من كُورِ الأهواز . قال ويقال إن سلمان الفارسي رضي الله عنه منها . قال المهلبّي : وبينها وبين سوق الأهواز تسعة عشر فرسخا .

(ومنها) الدَّورِقُ . قال في "المشترك" : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وفي آخرها قاف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" " حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة . قال في "العزيزي" : " ومنها إلى أَرْجَانِ ثمانية عشر فرسخا .

(ومنها) حِصْنُ مَهْدِيٍّ . وضبطه معروف ، وموقعه في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" " حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهو حصن تجتمع فيه مياه خوزستان ثم تصير نهرا وتصب في بحر فارس ، وبينه وبين البصرة خمسة عشر فرسخا .

(ومنها) جُرْحَانُ . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وحاء معجمة ثم ألف ونون . قال : وهي بلدة بقرب السوس .

(ومنها) جِبَالُ اللُّورِ . قال في "اللباب" : بضم اللام وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة . قال : وبها جبال يقال لها لُورُستان من بلاد خوزستان . وقال ابن حوقل : غالب بلاد اللور جبال وكانت قديما من خوزستان . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلاد خِصْبَةٌ والغالب عليها الجبال ، وهي متصلة بخوزستان ولكن

أفردت عنها . قال في "الأطوال" : وهي بين تُسْتَرِ وَأُصْبَهَانَ ، وأمتدادها طولاً نحو ستة أيام ، وفيها خلق عظيم من الأكراد . قال : وهي حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال في "مسالك الأبصار" : وهم طائفة كثيرة العدد ومنهم فرق مفرقة في البلاد ، وفيهم ملك وإمارة ، ولهم خفة في الحركات يقف الرجل منهم إلى جانب البناء المرتفع ويلصق بطنه باحدى زواياه القائمة ثم يصعد فيه إلى أن يرتقى صهوته العليا .

ومما يحكى أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حضره رجل منهم وصعد في جدار كذلك ، فأنعم عليه الإنعام الجزيل وأمره أن يُحضر كل من قدر عليه من أصحابه فأحضر منهم جماعة ، وهو يُحسِن إليهم إلى أن لم يبقَ منهم أحدٌ قتلهم عن آخرهم خشيةً مما لهم من قوة التسور ؛ ومن هؤلاء طوائف بمصر والشام يُعرفون بالنورة ، يجالس أحدهم الرجل فيسرق ماله وهو لا يدري ، ويمشون على الجبال المرتفعة ولنسائهم في ركوب الخيل الفروسية العظيمة .

الإقليم الرابع

(فارس)

بقاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهمله مكسورة وسين مهمله في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط ببلاد فارس من جهة الغرب حدودُ خورستان ، وتمام الحد الغربي إلى جهة الشمال حدودُ أصفهان والجبال ، ويحيط بها من جهة الجنوب بحر فارس ، ومن جهة الشرق حدودُ كرمان ، ومن جهة الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان ، وتمام الحد الشمالي حدودُ أصفهان وبلاد الجبال ، قال في "العزى" : وعلى نهاية فارس الشرقية ناحية يزد ، وعلى نهايتها من الجنوب سيراف والبحر ، وحدها

من الشمال الرّبيّ . قال ابن حوقل : وقاعدتها فيما ذكره صاحب حماة في تاريخه : (شيراز) . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفي آخرها زاي معجمة بعد الألف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض ثمان وعشرون درجة وست وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة إسلامية مُحَدَّثَةٌ، بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل الثَّقَفِيُّ^(١)، وهو ابن عم المجاح بن يوسف . قال : وسميت بشيراز تشبهاً بجوف الأسد لأنّ عامّة الميرة بتلك النواحي تُحْمَلُ إلى شيراز ولا يحمل منها شيء إلى غيرها . قال المهلبّي : وهي مدينة واسعة سرية كثيرة المياه؛ وشربهم من عيون تتخرق البلد وتجري في دُورهم، وليس تكاد تخلو دارها من بُستان حسن ومياه تجرى، وأسواقها عامرة جليّة؛ وإليها ينسب الشيخ أبو إسحاق الشيرازيّ صاحب "التنبيه" رحمه الله؛ وبها قبر سيديوه النحويّ، وبنها وبين أصهبان آشان وسبعون فرسخاً؛ وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) جُورُ . قال في "اللباب" : بضم الجيم ثم واو وراء مهملة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من قواعد فارس . قال ابن حوقل : وعليها سور من طين وخنديق؛ ولها أربعة أبواب وفيها المياه جارية - وهي مدينة زهّية كثيرة البساتين جدّاً ويرتفع منها ماء ورد يُعمُّ البلاد، وهي في ذلك كدمشق . قال "العزيريّ" : ومنها إلى شيراز أربعة وعشرون فرسخاً، وقال في موضع آخر عشرون فرسخاً .

(١) كذا في التقويم أيضاً وفي معجم البلدان ابن عقيل .

(ومنها) كَازَرُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الكاف وسكون الألف وفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة وواو ساكنة وفي آخرها نون - وهى مدينة من كُورة سابور واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أعظم مدينة فى كُورة سابور . وقال المهلبى : هى مدينة لطيفة صالحة العمارة . قال ابن حوقل : وهى صحيحة التربة والهواء وماؤها من الآبار . قال فى "اللباب" : ونرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) فيروزآباد . قال فى "المشترك" : بفتح الفاء وكسرهما وسكون المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وزاى معجمة ثم ألف وباء موحد وألف ثانية وذال - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" (١) حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال فى "المشترك" : وكانت تسمى فى القديم جور ثم غير اسمها ، وهى بلدة مشهورة على القرب من شيراز ، وهى أصل بلد الشيخ أبى إسحاق الشيرازى المقدم ذكره فى شيراز .

(ومنها) سيراف . قال فى "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفاء فى الآخر - وهى بلدة على البحر واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى أعظم فُرْضة لفارس ، وليس لها زرع ولا ضرع بل هى مدينة حطّ وإقلاع للراكب ؛ وهى مدينة أهلة ، ولهم عناية بالبنيان حتى إن الرجل من التجار ينفق فى عمارة داره ثلاثين ألف

(١) أى معجمة كما فى التقويم والمعجم .

دينار؛ وليس حولها بساتين ولا أشجار؛ وبنائهم بالساج والخشب، يحمل اليهم من بلاد الزنج؛ وهي شديدة الحر.

(ومنها) البيضاء - بفتح الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الضاد المعجمة وألف في الآخر. وهي مدينة من عمل إصطخر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال في "القانون": حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة. قال ابن حوقل: وهي من أكبر مدن كورة إصطخر. قال: وسميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء ترى من بعد، وأسمها بالفارسية نسانك، ويقال إن الحسين الحلاج منها، وإليها ينسب القاضي ناصر الدين البيضاوي صاحب "المنهاج" في أصول الفقه، و"الطوالع" في علم الكلام وغير ذلك. قال المهلب: وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ.

(ومنها) إصطخر. قال في "اللباب": بكسر الألف وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وفي آخرها راء مهملة قبلها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال ابن سعيد حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأثنتان وثلاثون دقيقة. قال في "تقويم البلدان": وهي من أقدم مدن فارس، وبها كان سرير الملك في القديم؛ وبها آثار عظيمة من الأبنية حتى يقال إنها من عمل الجن كما يقال عن تدمر وبعلبك من بلاد الشام. قال في "العريزي": وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا. قال [وينسب إليها] أبو سعيد الإصطخري أحد أصحابنا الشافعية.

(ومنها) بسا. قال في "اللباب": بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف - وهي مدينة من كورة دارا مجرد واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال

(١) الزائد مأخوذ بالمعنى من "معجم البلدان".

في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ،
والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي تقارب شيراز في الكبر وأكثر
خشب أبنيتها السرو ، ويجتمع فيها التلج (؟) والرطب والجوز والأترج ، وإليها ينسب
البساسيري الذي خطب لخلقاء مصر في بغداد .

(ومنها) يزد . قال السمعاني في "الأنساب" : بفتح المثناة التحتية وسكون الزاي
المعجمة وفي آخرها دال مهملة - وهي مدينة من كورة إصطخر . قال في "الأطوال"
حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . خرج منها
جماعة من العلماء وإليها ينسب القماش اليزدي .

ومنها - (داراً بجرد) . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون الألفين
بينهما راء ثم باء موحدة وجيم مكسورة وراء مهملة ساكنة وفي آخرها دال مهملة -
وهي مدينة من فارس واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول
ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : ومعنى
دارا بجرد عمل دارا ، وهي مدينة لها سور وخندق تتولد المياه فيه ، وفيه حشيش
يلتف على الساج فيه حتى لا يكاد يسلم من الغرق ، وفي وسط المدينة جبل كالثبة
ليس له اتصال بشيء من الجبال ، وبنواحيها جبال من الملح الأبيض والأسود
والأصفر والأحمر والأخضر ، ينحت منه ويحمل منها إلى البلاد . قال في "المشترك" :
وعملها من أجل كور فارس . قال في "العزيزي" : وبأعمالها معدن مومياً
ومعدن زئبق .

الإقليم الخامس (كُرمَان)

كما قاله في "مسالك الأبصار" : قال في "المشترك" : بفتح الكاف، ومنهم من يكسرهما . قال : وهو صُقع كبير بين فارس وسجستان ومكران من بلاد الهند . ويحيط به من جهة الغرب حدود فارس ؛ ومن جهة الجنوب بحر فارس ؛ ومن جهة الشرق أرض مكران من وراء البلوص إلى البحر ؛ ومن الشمال المفازة التي هي فيما بين فارس وكُرمَان وبين خراسان . قال في "تقويم البلدان" : وأرض كُرمَان داخلة في البحر ، وللبحر ساعدان قد أعتنقا أرض كُرمَان ، فالبحر على ساحل كُرمَان قطعة قوس من دائرة . وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" السيرجان . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها والراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي أكبر مدينة بكُرمَان ، وأبنيتها أقباء لقلعة الخشب بها وداخلها قُبَى الماء . قال في "اللباب" : وهي مما يلي فارس .

وتشتمل كُرمَان على عدّة مُدن .

(١) (منها) جِيرْفُت . قال في "اللباب" : بكسر الجيم وسكون المثناة تحت وضم الراء المهملة وسكون الفاء وفي آخرها تاء مثناة من فوق - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة مجمع للتجار الواصلين من خراسان وسجستان ،

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء .

وهي حصينة للغاية . قال المهلبى : وهي من أعظم مدينة بكرمان كثيرة النخل والأشراج وبينها وبين السيرجان مرحلتان .

(ومنها) زَرَنْدُ . قال في "المشترك" : بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي مدينة مشهورة . قال "المهلبى" : وبينها وبين مدينة السيرجان تسعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) بَمُّ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وتشديد الميم - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "العزيزى" : وهي من كبار مدُن كَرْمَانَ ، وهي مصر من الأمصار . قال ابن حوقل : وهي أكبر من جِرْفَتَ ، وهما ثلاثة جوامع .

(ومنها) هُرْمُزُ . قال في "المشترك" : بضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي فُرْضَةُ كَرْمَانَ . قال في "المشترك" : تدخل إليها المراكب من بحر الهند في خليج . قال صاحب حماة : وهي مدينة كثيرة النخل شديدة الحر . ثم قال : أخبرنى من رآها في زماننا يعنى في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أن هُرْمُزَ العتيقة حربت من غارات التترواُن أهلها أنتقلوا عنها إلى جزيرة في البحر تسمى زَرُونَ - بفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة ثم واو وفي الآخر نون - وهي جزيرة قريبة من البرغربى هُرْمُزَ العتيقة ،

ولم يبق بهرمز العتيقة إلا قليل من أطراف الناس ، ومنها إلى أول حدود فارس نحو سبع مراحل .

قلت : وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة كُتِبَ إلى صاحبها عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في الدولة الناصرية أبي السعادات فرج بن السلطان الشهيد الظاهر برفوق ، وسيأتي الكلام على صورة المكتبة إليه في المكاتب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم السادس (سجستان والرَّخَج)

أما سَجِسْتَانُ فقال في " المشترك " : بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون السين الثانية ثم مشناة من فوقها وألف ونون . قال : وسَجِسْتَانُ إقليم عظيم بين نُحْرَاسَانَ وبين مَكْرَانَ والسند وبين كَرْمَانَ . قال ابن حوقل : ويحيط بسَجِسْتَانَ من جهة الغرب نُحْرَاسَانَ ، ومن جهة الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس وكَرْمَانَ ، ومن جهة الشرق مَفَازَةٌ بين سجستان وبين مَكْرَانَ ، وهي المفازة الواصلة بين مَكْرَانَ والهند ، ^(١) وتنام الحدّ الشرقي في شيء من عمل المثلثان من الهند ، ومن جهة الشَّمال أرض الهند ، وفيما يلي خراسان والغور والهند تقويس . وقال في " العزيرى " : سجستان شرقي كَرْمَانَ إلى الشمال . قال ابن حوقل : وأراضى سَجِسْتَانَ بها الرمال والنخيل ، وهي أرض سهَّلة لا يرى فيها جبل ، وتشتدُّ بها الريح وتدوم ، وبها أرحية تطحن بالريح ، والرياح تنقل رمالهم من مكان إلى مكان ، وإذا أرادوا نقل الرمل عن مكانٍ ، عملوا هناك حائطا من خشب أو غيره وجعلوا في أسفله طوقا وأبوابا

(١) في " تقويم البلدان " والسند وهو الضواب بدليل ماسيأتي .

فتدخل فيها الريح من تلك الأبواب وتطير الرمل وترميه بعيداً، وسجستان خصبة كثيرة الطعام والتمر والأعنان وأهلها ظاهر واليسار . وقال في "اللباب" : والنسبة إلى سجستان سَجْرِيٌّ بكسر السين المهملة وسكون الجيم ثم زاي معجمة على غير قياس . قال : وينسب إليها سَجِسْتَانِيٌّ أيضاً يعني على الأصل .

وقاعدتها (زَرْجِيٌّ) . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وسكون النون وجيم في الآخر - وهي مدينة كبيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" " حيث الطول سبع وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وقد يطلق على زَرْجِيٍّ نفسها سَجِسْتَانُ . قال في "المشترك" : بل أنسب اسم زرنج وأطلق اسم الإقليم وهو سجستان على المدينة . وجعل في "اللباب" : زَرْجِيٌّ ناحية بسجستان . قال ابن حوقل : ولها سُورٌ وَخَنْدَقٌ يُنْبَعُ فِيهِ الْمَاءُ ، وَأَبْنِيَّتُهَا عَقُودٌ لِأَنَّ الْخَشَبَ فِيهَا يَسْوَسُ وَلَا يَثْبُتُ . وفيها مياه تجرى في البيوت والأزقة وأرضها سبخة . قال في "اللباب" : وخرج منها جماعة من العلماء منهم محمد بن كَرَّامِ الزَّرْجِيِّيِّ صاحب المذهب المشهور . ولها مَدَنٌ .

(منها) حِصْنُ الطاق - وضبطه معروف . قال ابن سعيد : وهو حصن واقع في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" " حيث الطول ثمان وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، على جبل عند أتواء النهر في غاية المنعة لا يرام بحصار . قال وبه يعتصم ملوك هذه البلاد ويعملون فيه خزائهم . أما الطاق المضاف إليها فمدينة صغيرة لها رُستاق، وبها أعنان كثيرة يتسع بها أهل سَجِسْتَانِ .

(ومنها) سَرَوَانٌ . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الثقات - بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الواو ثم ألف ونون - وهي مدينة من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة بها فواكه كثيرة ونخيل وأعناب .

(ومنها) بُسْتٌ . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها تاء مشناة من فوقها - وهي مدينة على شط نهر الهندمند . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وثمان وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة كثيرة النخل والأعناب . وقال في "اللباب" : هي مدينة حسنة كثيرة المياه والخضرة . وقال في "العزيزي" : مدينة جليلة بها عدة منابر ورباطات كثيرة عظيمة . وذكر في "اللباب" : أنها من بلاد كابل بين هراة وغزنة . قال ابن حوقل : وبينها وبين غزنة نحو أربع عشرة مرحلة .

وأما (الرُّخَج) فقال في "اللباب" : بضم الراء المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وفي آخرها جيم . قال ابن حوقل : وهو إقليم عظيم متصل بسجستان فيه عدة مدن وهي على غاية الحُصْبِ والسَّعة . قال : ومن مدنها بنجوان (؟) ولم يزد على ذلك .

الجانب الثاني

(من مملكة إيران الشماليّ)

ويشتمل على عدة أقاليم من الأقاليم العرفية .

الإقليم الأول (إرمينية)

قال ياقوت : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وكسر النون ثم ياء ثانية مخففة وقد تشدد - وضبطها في "اللباب" : بفتح الهمزة . قال في "تقويم البلدان" : وقد جمع أرباب المسالك والممالك إرمينية وأزان وأذر بيجان لعُسر أفراد إحداها عن الأخرى . قال : ويحيط بها على سبيل الإجمال من الغرب حدودُ بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة ؛ ومن جهة الجنوب بعض حدود الجزيرة وحدود العراق ؛ ومن جهة الشرق بلاد الجليل والدَّيلم ، إلى بحر الخزر ؛ ومن جهة الشمال بلاد القتيق ؛ ثم أفرد أذر بيجان بحدود تخصها فقال : يحدها من جهة الشرق بلاد الجليل وتام الحد الشرقي بلاد الدَّيلم ؛ ويحدها من جهة الجنوب العراق عند ظهر حلوان وشيء من حدود الجزيرة . وذكر في "مسالك الأبصار" نحوه إلا أنه ذكر أن حدّها الغربيّ إلى بلاد الأرمن . قال ابن حوقل : والغالب على إرمينية الجبال .

وقاعدتها (الدَّيْل) فيما ذكره ابن حوقل والمهلبى . قال في "المشترك" : وهي بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة ثم مشناة من تحتها ساكنة وفي آخرها لام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول آنتنان وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة والنصارى فيها كثيرة ، وبها جامع للمسلمين إلى جانب كنيسة النصارى . قال في "العريزي" : "وهي من أجَلّ البلاد وأنفسها وهي مستقرُّ سلطانها . وبها عدّة مدن .

(منها) أَرْزَجَانُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم ثم ألف ونون، ويقال بالكاف أيضا عوضا عن الجيم - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى بين سيواس وبين أَرْزَنِ الروم ؛ وبينها وبين كل واحدة منهما أربعون فرسخا ، وما بينها وبين أَرْزَنِ كلُّه مروج ومرعى ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) أَرْزَنُ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة ثم نون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهى من أطراف إرمينية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى غير أَرْزَنِ الروم ، وهى عن خِلَاطٍ على ثلاثة أيام . قال : ووهى في "اللباب" جعلها من ديار بكر من الجزيرة ، والصحيح ما تقدم . وصاحبها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما سياتى ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الثانية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) بَدْلَيْسُ . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة ساكنة ولام وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة . قال : وعن بعضهم أنها بفتح الباء الموحدة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة

(١) الذى في "تقويم البلدان" أنها من آخر الرابع .

ونحس وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهل تلك البلاد أنها بين مياً فارقين وبين خِلاط . قال : وهي مدينة مسورة ، وقد نرب نصف سورها ، والمياه تخترق المدينة من عيون في ظاهرها ، ولها بساتين في وادٍ وهي بين جبال تحفُّ بها . قال وهي دون حماة في القدر . وقال ابن حوقل : بلد صغير عامر خصب كثير الخير ، وهي شديدة البرد كثيرة الثلوج ، وصاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(ومنها) أَخْلَاط . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام ثم ألف وطاء مهملة ، ويقال فيها خِلاط بفتح الخاء من غير همز - وموقعها في الإقليم الخامس . قال في "الأطوال" "حيث الطول نحس وستون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : عن بعض أهلها إنها في مستو من الأرض ، ولها بساتين كثيرة ، وبها عتة أنهار على شبه أنهار دِمَشق ، وليس يدخل المدينة منها إلا الشيء اليسير ، ولها سور نراب ، وهي قدر دِمَشق ، والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم ، وبردها شديد . قال ابن سعيد : وهي أجل مدينة بإرمينية ، وذكرها جليل الشهرة . وقال ابن حوقل : وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير . قال في "الغزيرى" : وبينها وبين بَدليس سبعة فراسخ .

(ومنها) نَحْرَت بَرْت - بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وتاء مثناة فوق ثم باء موحدة مكسورة بعدها راء مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق في الآخر ، وتعرف

بِحُصْنِ زِيَاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بإرمينية على القرب من خَلَّاط ، وحاكمها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الإقليم الثاني (أذربيجان)

قال ابن الجوالقي في "المعرب من العجمة إلى العربية" بقصر الألف وإسكان الذال المعجمة . قال ابن حوقل : الغالب عليها الجبال أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أجل الأقاليم الثلاثة ، وهي كانت قرار ملوك بني جنكخان . وبها ثلاث قواعد .

القاعدة الأولى (أردبيل)

قال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملتين وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت ولام في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : لعله بناها أردبيل بن أردميني بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال في "العزيرى" : وهي في الجهة الشمالية من أذربيجان . قال : وهي مدينة كثيرة الحُصْب ، وعلى فرسخين منها جبل عظيم الارتفاع لا يفارقه الثلج . قال المهلبى : وأهلها غليظو الطبع شرسو الأخلاق . قال : وبينها وبين تبريز خمسة وعشرون فرسخا . قال في "مسالك الأبصار" : وأعمالها تكون ثلاثين فرسخا . قال : وبها كانت دار الإمارة في صدر الإسلام .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطه ياقوت بفتح الدال وهو المشهور .

القاعدة الثانية

(تَبْرِيزُ)

قال في "اللباب": بكسر المشناة من فوق وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم مشناة من تحت وفي آخرها زاي معجمة ، والجاري على السنة العائمة توريز بالواو بدل الموحدة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة أذربيجان في عصرنا . قال في "اللباب" : وهي أشهر بلدة بأذربيجان ؛ وبها كان كرسي بيت هولاكو من التتر، ثم أنتقل بعد ذلك إلى السلطانية الآتية ذكرها . ومبانيها بالقاشاني والحص والكس ، وبها مدارس حسنة ولها غوطة رائقة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة أعرفت في السعادة أنسابها، وثبتت في النعمة قواعدها . قال : وهي مدينة غير كبيرة المقدار، والماء منساق إليها ؛ وبها أنواع الفواكه لكن ليست بغاية الكثرة، وأهلها من أكبر الناس حشمة، وأكثرهم تظاهرا بنعمه ؛ ولهم الأموال المديدة ، والنعم الوافرة، والنفوس الأبية ؛ ولهم التجمل في زيهم : من المأكول والمشروب، والملبوس والمركوب ؛ وما منهم إلا من يأنف أن يذكر الدرهم في معاملته ، بل لا معاملة بينهم إلا بالدينار . وسيأتي ذكر مقدار دينارهم في الكلام على معاملة هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى - وهي اليوم أم إيران جميعا لتوجه المقاصد من كل جهة إليها، وبها محط رحال التجار والسفّار؛ وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحبين لسلطانها لقربها من أركان محلّ مشتاهم . قال : ويشتد البرد بتوريز كثيرا ، وتتوالى الثلوج بها حتى إن سرّوات أهلها يجذون في أدّهم ، ليس فيها فرجة ولا يدخلها ضوء إلا ما يروّنه من طاقات حيطانها من وراء الزجاج المركب عليها .

القاعدة الثالثة

(السُّلْطَانِيَّة)

نسبة إلى السلطان ، وأسمها فَنُغْرُلَان . قال في " تقويم البُلْدَان " : بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " تقويم البُلْدَان " : والقياس أنها حيث الطولُ ست وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال : وهي عن توريز في سمت المشرق بِمِثْلَةِ يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها - وهي مدينة مُحَدَّثَةٌ ، بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، على القرب من جبال كِلَان ، على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسي مملكته ، وهي في مستو من الأرض ، ومياهها قُئِي ، قليلة البساتين والفواكه ، وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد المُصَاقِبَةِ لها . قال في " مسالك الأبصار " : وهي مدينة قد رُفِعَ بناؤها ، وأتسع فِنَاؤها ، وأُتْقِنَتْ قسمتها في الخطط والأسواق ، وجَلَبَ إليها بانها الناس من أقطار مملكته ، وأستجلبهم إليها بما بسط لسُكَّانها من العدل والإحسان . قال : وهي الآن عامرة أهلة كأنما مر عليها مئون سنين لكثرة من أستوطنها وتأهل بها وأولد من الولد فيها ، وقد مضت عليها مدَّة بنوها مبالغ الرجال ، وفيهم من جاز إلى الأكتحال .

وبها عدَّة مدُن غير هذه القواعد .

(منها) سَلْمَاسُ . قال في " اللباب " : بفتح السين المهملة واللام والميم وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحو عشرين دقيقة . قال المهلبي : وهي على آخر حدود أذربيجان من الغرب ، وهي مصر من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة .

(١) لعله " حتى بلغ بنوها " أو نحو ذلك .

(ومنها) حُوى . قال في "اللباب" : بضم الخاء وفتح الواو وتشديد المثناة من تحت - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي آخر مُدُن أذربيجان، وبينها وبين سَلْمَاسَ أحد وعشرون ميلا .

(ومنها) أُرْمِيَّة . قال في "اللباب" : بضم الألف وسكون الراء المهملة والميم في آخرها هاء بعد ياء مثناة من تحتها . قال ابن الجوالقي في "المعرب" : ويجوز في قياس العربية تخفيف الياء منها وتشديدها - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال المهلبى : وهي آخر حدود أذربيجان، وهي مدينة جليلة . قال : ويقال إن زرادشت نبىّ المجوس منها . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة وسطى عامرة، وهي في أول الجبال وآخر الوطاة، في الغرب عن سَلْمَاسَ على ستة عشر فرسخا منها، وبينها وبين الموصل قاعدة الجزيرة أربعون فرسخا، والموصل في سمت الغرب عنها؛ ولأُرْمِيَّةَ قلعة على جبل تسمى قلعة تالا في غاية الحصانة، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصاتها والنسبة إلى أُرْمِيَّةَ أُرْمَوِيَّةَ .

(ومنها) مرَاغَة . قال في "المشترك" : بفتح الميم والراء المهملة وألف وغين معجمة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشر دقائق، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال المهلبى : وهي مدينة مُحدثة كانت قرية، فنزل بها مرّوان بن محمد وكان

(١) الذى في "تقويم البلدان" وهي في آخر الجبال وأول الوطاة التي خلف جبال العمم .

هناك سِرْجِينٌ فَمَرَّغَ النَّاسُ فِيهِ دَوَابَّهُمْ فَبَنَاهَا مَدِينَةً فَسُمِّيَتْ مَرَاغَةَ . قال ابن حوقل :
 وهي من قواعد أذربيجان ، وهي حصينة ، نزهة كثيرة البساتين والرساتيق .^(١)

(ومنها) مِيَانِجُ . قال في "المشترك" : بفتح الميم والمثناة من تحتها وسكون الألف
 وكسر النون وفي آخرها جيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
 في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة .
 قال في "المشترك" : وهي مدينة كبيرة على مسيرة يومين من مراغة . وسمّاها
 في "اللباب" : مِيَانَهُ بفتح الميم والمثناة من تحتها وألف ونون وهاء . وقال : خرج
 منها جماعة من العلماء .

(ومنها) مَرَّندُ . قال في "اللباب" : بفتح الميم والراء المهملة وسكون النون وفي آخرها
 دال مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث
 الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال في "اللباب" :
 وهي قرية من تَبْرِيزَ في جهة الشرق عنها بميلة يسيرة إلى الشمال . وقال المهلبي :
 هي عن تدسر على أربعة عشر فرسخا . قال في "تقويم البلدان" : وذكر من رآها
 أنها بلدة صغيرة ذات أنهار وأشجار .

الإقليم الثالث

(أَرَان)

قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة ثم ألف ونون .
 ولها قاعدتان .

(١) في "تقويم البلدان" عن ابن حوقل "خصبة" .

القاعدة الأولى

(بردعة)

قال في " اللباب " : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم عين مهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في " تقويم البلدان " : وهي قاعدة مملكة أزان . وقال في " اللباب " : هي من أقاصي أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة كثيرة الحصب نزهة . قال : وعلى أقل من فرسخ منها موضع [يسمى الأندراب يكون ^(١) مسيرة يوم في يوم بساتين مشتبكة كلها فواكه . قال المؤيد صاحب حماة : هذا ما كانت عليه في زمان ابن حوقل ، أما في زماننا فأخبرني من رآها أنها تحربت ولم يبق منها معمور إلا دون المعرة في القدر ، وهي في مستوي من الأرض ، ذات بساتين ومياه ، وهي على القرب من نهر الكر .

القاعدة الثانية

(تفلِس)

قال في " اللباب " : بفتح المثناة فوق وسكون الفاء وكسر اللام وسكون المثناة التحتية وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في آخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : وهي قصبه كرجستان . وقال في " اللباب " : هي آخر بلدة من أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة مسورة عليها سُورَان ، ولها ثلاثة أبواب ، وبها حمامات مثل حمامات طبرية مأوها ينبع سخنا بغير نار ، وهي كثيرة

(١) الزيادة عن " تقويم البلدان " .

الْحِصْبِ . قال ابن سعيد : وكان المسلمون قد فتحوها وسكنوها مدة طويلة ، وخرج منها جماعة من العلماء ، ثم أسترجمها الكُرْج وهم نصارى ، وهى بأيدى الكُرْج إلى الآن ؛ وملك الكُرْج صاحبها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سياتى ذكره فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
وبها عدة مدن .

(منها) تَشْوَى . قال السمعاني فى " الأنساب " : بفتح النون والشين المعجمة وفى آخرها واو ثم ياء آخر الحروف . وسماها ابن سعيد تَقَّجَوَان - بفتح النون وسكون القاف وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطولُ إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهى من المدن المذكورة فى شرقى أَرَان . " قال السمعاني " : وهى بلدة متصلة بإرمينية وأذربيجان . قال ابن سعيد : وهى فى شمالى نهر الكُرِّ . قال فى " الأنساب " : وبينها وبين تبريز ستة فراسخ . قال ابن سعيد : وقد نحرَّها التتر وقتلوا جميع أهلها .

(ومنها) مُوقَان . قال فى " الباب " : بضم الميم وسكون الواو وفتح القاف وسكون الألف وفى آخرها نون ، والعامَّة تُبَدِّل القاف غينا معجمة فيقولون مُوغان . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال السمعاني : وهى بَدْرَبَنْد فيما أظن ، وقال المهلبى : هى من عمل أَرْدَبِيل . وقال المهلبى : مُوقَانُ فى نهاية بلاد كِلَانَ فى جهة الغرب . قال ابن حوقل : وبينها وبين باب الأبواب يومان . قال فى " تقويم البلدان " : لم يبق لمدينة مُوقَان فى هذا الزمان شهرة بل المشهور أراضى مُوقَان ، وهى أراضٍ كثيرة المياه والأقصاب والمراعى

في ساحل بحر طبرستان على القرب من البحر، وهي في سمت الشمال والغرب، عن يبريز على نحو عشر مراحل منها، وبها يشتي أردو التتر في غالب السنين .

(ومنها) شَمَكُورُ . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وضم الكاف وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهو حصن من أعمال أتران . قال في "تقويم البلدان" : وشَمَكُورُ بِقُرْبِ بَرْدَعَةَ، وبها منارة في غاية الارتفاع والشموق .

(ومنها) بَيْلِقَان . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت وفتح اللام والقاف ثم ألف ونون . قال في "القانون" حيث الطول أربع وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي عند شروان . قال : ولعلها بناها بَيْلِقَان بن أرميني بن مطى بن يونان فنسبت إليه . قال في "اللباب" : وهي مدينة من دَرَبَنْدِ خَرَّان . قال في "المشترك" : وهي من مشاهير البلدان . قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخير .

(ومنها) كَنْجَةَ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الكاف وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء ساكنة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وعشر دقائق . قال في "المشترك" : وهي من مشاهير بلاد أتران . قال المؤيد صاحب حماة : وأخبرني من أقام هناك أنها على مرحلتين من بَرْدَعَةَ، وبردعة عنها في جهة الغرب بميلة يسيرة إلى الشمال، وهي قصبة تلك الناحية، وهي في مستو من الأرض وفيها بساتين كثيرة، وبها التين الكثير . وقد شهر أن من أكل من ذلك التين حُمَ .

(ومنها) شَرَوَان . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون
 الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ونون في الآخر - وهي واقعة في الإقليم الخامس
 من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وستون درجة وست
 وخمسون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاث وأربعون دقيقة . قال
 في "اللباب" : بناها أُو شَرَوَان فأسقطوا أنو للتخفيف وبق شَرَوَان . قال
 ابن سعيد : وهي من أَرَان ، وكانت قاعدةً لبلادها، ثم صارت مملكتها مضافة إلى
 أَدْرَبِيحَان . قال : وبشَرَوَان الدَّرْبَنْد المشهور . قال السلطان عماد الدين صاحب
 حماة : وهو المعروف في زماننا بدَرْبَنْد باب الحديد . قال ابن الأثير : وقد نرح منها
 جماعة من العلماء .

(ومنها) باب الأبواب . قال في "تقويم البلدان" : بإضافة الباب المفرد الذي
 يدخل منه إلى جمعه . قال في "القانون" : ويعرف باب الأبواب بدَرْبَنْد خَزْرَان .
 قال في "تقويم البلدان" : ويعرف هذا المكان في زماننا بباب الحديد بإضافة الذي
 يعلق إلى الذي يتطرق . قال ابن حوقل : وهي على بحر طَبْرِسْتَانَ ، وتكون في القدر
 أصغر من أَرْدَبِيل . قال : ولهم الزرع الكثير وثمار قليلة تحمل إليهم من النواحي .
 قال : وهي فُرْضَة الخَزْر والسَّرِير وسائر بلاد الكفر، وهي أيضاً فُرْضَة جُرْجَان
 والدَّيْلَم وطَبْرِسْتَانَ ، ويجلب إليها الرقيق من سائر الأجناس . قال في "تقويم
 البلدان" : وهذه الصفات التي ذكرها ابن حوقل على ما كانت في زمانه ؛ أما اليوم
 فعن بعض المسافرين أن باب الحديد بليدة هي بالقرى أشبه ، على بحر الخَزْر وهي
 كالحَدِّ بين التتر الشماليين المعروفين ببيت بركة وبين التتر الجنوبيين المعروفين ببيت
 هُولَاكُو؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى
 ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم الرابع (بلاد الجبل)

بفتح الجيم والباء الموحدة ولام في الآخر، وصاحب "مسالك الأبصار" يسميها بلاد الجبال على الجمع، والعامّة تسميها عراق العجم. قال في "تقويم البلدان": ويحيط بها من جهة الغرب أذربيجان، ومن جهة الجنوب شيء من بلاد العراق وخوزستان، ومن جهة الشرق مفازة خراسان وفارس، ومن جهة الشمال بلاد الديلم وقزوین والرّي عند من يخرجهما عن بلاد الجبل ويضمهما إلى الديلم من حيث إن جبال الديلم تحفّ بهما.

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" (أصبهان). قال في "الباب": بكسر الألف وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وألف ثم نون في الآخر. قال في "تقويم البلدان": وقد تبدل الباء فاء. قال السمعاني: وسمعت من بعضهم أنها تسمى بالعجمية سباهان. قال وسبا العسكرة، وهان الجمع. وذلك أن عساكر الأكاسرة كانوا إذا وقع لهم بيكار يجتمعون بها فغربت فليل أصفهان - وموقعها في الإقليم الثالث. قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة وخمسون دقيقة. والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. قال ابن حوقل: وهي في نهاية الجبال من جهة الجنوب. قال: وهي مدينتان وإحداهما تعرف باليهودية، وهي من أخصب البلاد وأوسعها خطّة، وبها معدن الكحل الذي لا يسمي، مصابغا لفارس، وإلى أصبهان ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير.

قلت: وقد تقدّم في الكلام على أعمال الديار المصرية من أول هذه المقالة عند ذكر الأعمال القليوبية أنه ينسب إلى بلدتنا قلقشندة أيضا وأنه كان له دار بها،

فيحتمل أنه كان أولاً بأصهبهان، ثم لما رحل عنها إلى مصر نزل قَلْقَشَنَدَةَ فنسب إليها على عادة من ينتقل من بلد إلى آخر .
ولها عدة مدن .

(منها) إِرْبُلُ . قال في "المشترك" : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة ولام في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة بلاد شهرزور، وموقعها في الإقليم الرابع . قال ابن سعيد حيث الطول سبعون درجةً وعشرون دقيقةً ، والعرض خمس وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقةً . قال : وهي مدينة مُحدثة . قال في "المشترك" : بين الزَّابِيَيْنِ ، فيما بين المشرق والجنوب عن المَوْصِلِ ، على مسيرة يومين خفيفين . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة كبيرة قد نَحِرِبَ غالبها ، ولها قلعة على تل عالٍ داخل السور مع جانب المدينة في مستوي من الأرض ، والجبال منها على أكثر من مسيرة يوم ، ولها قُفْيٌ تدخل منها اثنتان إلى المدينة للجامع ودار السلطان ؛ وبها حاكم يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) شَهْرُزُور . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضم الراء المهملة والزاي المعجمة وسكون الواو وفي الآخراء مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول سبعون درجةً وعشرون دقيقةً ، والعرض سبع وثلاثون درجةً وخمس وأربعون دقيقةً . قال في "اللباب" : وهي بلدة بين المَوْصِلِ وبين هَمْدَانَ بناها زُورُ بن الضَّحَّاك ف قيل شهرزور ، يعنى مدينة شهر . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة . قال في "العريزي" : وهي خِصْبَةٌ كثيرة المتاجر في عُرْلَةٍ إلا أن في أهلها غِلْظَةً وجفاء . قال : وبينها وبين المَرَاغَةَ ست مراحل .

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء وهو المشهور . (٢) في تقويم البلدان "مدينة زور" وهو الصواب .

(ومنها) الدِّيَنُورُ . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح النون والواو ثم راء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي غربي همدان بميلة إلى الشمال ، وهي مدينة كثيرة المياه والمنازه كثيرة الثمار خصبة . قال في "العريزي" : وبينها وبين الموصل أربعون فرسخا ، وبينها وبين مراغة كذلك .

(ومنها) مَاسَبَدَانُ - بفتح الميم وبعد الألف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة بفتح الجميع وبعد الألف نون . وهي مدينة من سَيَرَوَانَ - بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وواو وألف ونون . كورة من كُورِ عِراق العجم . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وهي مدينة قديمة بين جبال وشعاب . قال : وهي في ذلك تشبه مكة شرفها الله تعالى وعظمتها ، وفيها عيون ماء تجري في وسطها . قال ابن خلكان : وكان المهدي العباسي يسكنها وبها مات ودفن .

(ومنها) قصر شيرين - بإضافة قصر إلى شيرين - بكسر الشين المعجمة ثم ياء آخر الحروف وراء مهملة ثم ياء ثانية بعدها ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهو قصر شيرين حظية كسرى أبرويز . وقال الإدريسي : شيرين امرأة كسرى . قال : وبهذا الموضع آثار ملوك الفرس عجبية ، ومنه إلى شهرزور عشرون فرسخا ، ومنه إلى حلوان من بلاد العراق خمسة فراسخ .

(ومنها) الصَّيْمَرَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الميم والراء المهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" :

حيث الطول إحدى وسبعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة نزهة ذات زروع وأشجار، والمياه تجري في دورها ومحامها . قال أحمد بن يعقوب : وهي في مَرَجِ أْفِجَ، فيه عيون وأنهار .

(ومنها) قِرْمِيسِينُ . قال في "اللباب" : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون المثناة من تحتها وكسر السين المهملة ومثناة تحتية ثانية ونون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ووجدناها في كثير من الكتب بإبدال الياء الأولى ألفا . قال في "اللباب" : وهي مدينة بيجال العراق - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : ويقال لها كِرْمَانِشَاه . قال في "العزيمي" : وهي من أجل مدُن الجبل وأعظمها خطرا، وهي عامرة غاصّة بالناس . قال : وينبت بها الزعفران .

(ومنها) سُهْرُورِدُ . قال في "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الراء الثمانية وفي آخرها دال مهملة . قال في "تقويم البلدان" : كذا ضبطها ولم يذكر الراء الأولى - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة، والغالب عليها الأكراد .

(ومنها) زَنْجَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم وألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقصى مدُن الجبال

في الشمال . قال في " اللباب " : وهي على حدِّ أذربيجان من بلاد الجبل ، ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم .

(١) ومنها) نُهاوَنَدُ . قال في " اللباب " : بضم النون وفتح الهاء وسكون الألف وفتح الواو وسكون النون وبعدها دال مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة على جبل ، ولها أنهار وبساتين ، وهي كثيرة الفواكه ، وفواكهها تحمل إلى العراق لجودتها . قال في " اللباب " : ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام ، وإنه كان أسماها نوح أو نند ، فأبدوا الهاء هاء .

(ومنها) هَمَدَانُ . قال في " الأنساب " : بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعده الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي وسط بلاد الجبال ، ومنها إلى حُلوانَ : أول بلاد العراق سبعة وستون فرسخا . قال : وهي مدينة كبيرة ، ولها أربعة أبواب ، ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة . قال في " الأنساب " : وهي على طريق الحاج والقوافل .

(ومنها) أَهْرَ . قال في " المشترك " : بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء ثم راء مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في " المشترك " : وهي مدينة بين قزوين وزَنْجان . قال ابن خردادبه : ومنها إلى زَنْجان خمسة عشر فرسخا .

(١) قال ياقوت : " بفتح النون الأولى وتكسر " .

(ومنها) سَاوَة . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وبعدها ألف ثم واو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال "المهلبّي" : وهي مدينة جليلة على جادة حجاج خراسان؛ وبها الأسواق الحسنة، وبها المنازل الحسنة .

(ومنها) قَرْوِينُ . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة وكسر الواو وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" و"رسم المعمور" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها حصن ومائها من السماء والآبار، ولها قناة صغيرة للشرب فقط . وهي مدينة حصينة، وبها أشجار وكروم كلها عذبة لا تسقى، وليس بها ماء جار سوى ما يشرب ويجرى إلى المسجد . قال ابن حوقل : وماء قناتها وبيء .

(ومنها) آبَة . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الألف ثم باء موحدة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال : والعامّة تسميها آوة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشر دقائق، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال المهلبّي : وهي مدينة في الشرق بأخفاف إلى الشمال عن همذان، وبينهما سبعة وعشرون فرسخاً . قال في "المشترك" : وبينها وبين ساوَة خمسة أميال .

(ومنها) قُمْ . قال في "اللباب" : بضم القاف وتشديد الميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وكان بناؤها في سنة ثلاث وثمانين للهجرة، بناها عبد الله بن سعد

والأحوص وإسحاق ونعيم وعبد الرحمن بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعريّ من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند أنهزامهم من الحجاج، وكان مكانها سبع قرى فأهلكوا أهلها وبنوها مدينة، كل قرية محلة من محلات المدينة. قال ابن حوقل: وهي مدينة غير مسورة حصينة البناء، وماؤها من الآبار، وبها البساتين على السواني، وبها شجر الفستق والبندق، وأهلها شيعة. قال المهلبيّ: وهي في مرج تقدير سَعْتِه عشرة فراسخ في منالها ثم تفضى إلى جبالها، وبها من الفستق ما ليس بغيرها.

(ومنها) الطَّلَاقَان. قال في "المشترك": بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون. وقال في "اللباب": بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "المشترك": وهو مدينة وكورة بين توريز وأبهر. قال ابن حوقل: وهي أقرب إلى الدَّيْلَم من قزوين. وقد أوردتها في "تكملة الأطوال" المنسوب للفرس مع بلاد الدَّيْلَم. قال أحمد الكاتب: وهي بين جبلين عظيمين، وهي تسمى الطالقان بلاد خراسان.

(ومنها) قَاشَان. قال في "اللباب": بفتح القاف وسكون الألف وبالشين المعجمة وبعد الألف نون. قال: ويقال بالسين المهملة أيضا - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال المهلبيّ: وهي مدينة لطيفة. قال ابن حوقل: هي أصغر من قُم وغالب بنائها بالطين، وهي خِصْبَةٌ، وقد خرج منها جماعة من العلماء. قال في "اللباب": وأهلها شِيعَةٌ.

(١) في تقويم البلدان، بين قزوين وأبهر.

(٢) لذا في الأصل بالاهمال، ولعله وهي غير الطالقان ببلاد الخ.

(ومنها) الرّى . قال في "اللباب" : بفتح الراء وتشديد الياء آخر الحروف . قال في "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة ، قدر عمارتها فرسخ ونصف فى مثله ، وفيها نهران يجريان ، وبها قُنيّ تجرى غير ذلك . وعدّها فى "اللباب" من الدائم ، ويخرج منها قُطنٌ كثير للعراق ، وبها قبر محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة ، والكسائى أحد القراء السبعة ، والنسبة إليها رازىّ على غير قياس ، وإليها ينسب الإمام نخر الدين الرازىّ الإمام المشهور .

(ومنها) الكرج . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف والراء المهملة وفى آخرها جيم - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة متفرقة البناء ليس لها اجتماع المذنب ، وتعرف بكرج أبى دلف . قال فى "المشترك" : لأن أول من مصرّها أبودلف القاسم بن عيسى العجليّ وقصده الشعراء . قال ابن حوقل : ولها زروع ومواشٍ ، ولكن ليس لها بساتين ولا متنزّهات ، والفواكه تجلب إليها .

(ومنها) حوّار . قال فى "المشترك" : بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وسكون الألف وراء مهملة فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة من نواحى الرّى تخترقها القوافل . قال فى "القانون" : وقامًا يذكر إلا منسوباً إلى الرّى فيقال حوّار الرّى .

(ومنها) جبال الأكراد . قال في "مسالك الأبصار" : والمراد بهذه الجبال الجبال الحاضرة بين ديار العرب وديار العجم ، دون أما كن من توغل من الأكراد في بلاد العجم . قال : وأبتداؤها جبال همذان وشهرزور ، وأتتهاؤها صياصي الكفرة من بلاد التكفور ، وهي مملكة سيس وما هو مضاف إليها مما أبدى بيت لاون ، ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفة من الأكراد .

الأول - (دياوشت) . من جبال همذان وشهرزور ، وهو مقام طائفة من الأكراد ولهم أمير يخصهم .

الثاني - (درانتك) . وهو مقام طائفة ثانية من الكورانية أيضا ، ولهم أمير يخصهم . قال في "مسالك الأبصار" : والطائفتان جميعا لا تزيد عدتهن على خمسة آلاف رجل .

الثالث - دانترك وناهوند إلى قرب شهرزور . وهي مقام طائفة منهم تعرف بالكلالية ، يعرفون بجماعة سيف ، عدتهن ألف رجل مقاتلة ، ولهم أمير يخصهم ، وهو يحكم على من جاورهم من الأكراد .

الرابع - مكان بجوار ديار الكلالية المقدم ذكرهم بجبال همذان . وهو مقام طائفة من الأكراد يقال لهم زنكلية ، وعدتهن نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة ، ولهم أمير يخصهم ، يحكم على بلاد كيكور وما جاورها من البقاع والكور .

الخامس - نواحي شهرزور . قال في "مسالك الأبصار" : كان يسكنها طوائف من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها اللوسة والأخرى يقال لها الباسرية ، رجال حرب ، وأقبال طعين وضرب ، نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ، ووفدوا إلى مصر والشام ، وسكن في أماكنهم قوم يقال لهم الحوسة ليسوا من صميم الأكراد .

السادس - مكان بين شهرزور وبين أشنه من أذربيجان، به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفى رجل؛ وهم ذوو شجاعة وحمية، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يخصهم .

السابع - بلاد بسقاد - وهي مقام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية . ويدهم من بلاد أذربك أماكن أخر، قال : وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولهم أمير يخصهم .

الثامن - بلاد الكركار - وهي مقام طائفة منهم يقال لها الحسانية، وهم على ثلاثة أطن : أحدها طائفة عيسى بن شهاب الدين، ولهم خفر قلعة برى والحامى، وثانيها طائفة تعرف بالتلية، وثالثها طائفة تعرف بالجاكية . وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة منهم أمير يخصهم .

التاسع - دربند قرير - وهو مقام الطائفة القرياوية، ولهم خفارة الدربند المذكور، وصاحبه يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وقد ذكر في "التتيف" أن صاحبه كان سيف الدين بن سير الحسنانى .

العاشر - بلاد الكرجين ودقوق الناقة - وبه طائفة منهم عدتهم تزيد على سبعمائة ولهم أمير يخصهم .

الحادى عشر - بين الجبلين، من أعمال إربل . قال في "مسالك الأبصار" : وبها قوم كانوا يُدَارون التتر وملوك الديار المصرية . ففي الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة، وفي الصيف يعينون سرايا الشام فى المجاملة . قال : وعددهم كعدد الكلالية، ولهم أمير يخصهم . وذكر أنه كان لهم فى الدولة المنصورية قلاوون أمير يُسمى الخضر ابن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فاخرتمه المنية قبل عوده، وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته فى الدولة الزينية كتبغا .

الثاني عشر - مازنجان ، ويروه ، وسحمة ، والبلاد البرانية - وهي مقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية لا تزيد عدتهم على خمسمائة ، وهم طائفة ينتسبون إلى المحمدية ، والمازنجانية هم طائفة المبارز كك الموجود اسمه ورسم المكتبة إليه في دساتير المكتبات القديمة . وقد أضيف إليهم الحميدية ، وهم طائفة من الأكراد لا تنقص عدتهم عن ألف مقاتل ، لأن أميرهم مبارز الدين كك ، كان من أمراء الخلافة في الدولة العباسية ، ومن ديوان الخلافة لُقِّبَ بمبارز الدين ، وكك اسمه . قال : وكان يدعى الصلاح وتذره الندور ، فإذا حملت إليه قبلها وأضاف إليها مثلها من عنده وتصدق بهما معا . وذكر نحوه في "التعريف" . ثم كان له في الدولة الهولاء كويّة المكانة العلية ، وأستنابوه في إربل وأعمالها ، وأقطعوه عقروشوش بكالها وأضافوا إليه هراة وتل حفتون وقدموه على خمسمائة فارس ، وتولّى الإمرة وقوانين (?) نحو عشرين سنة ، وبقي حتى جاوز التسعين وهمته همه الشبان ، ثم مات وخلفه ولده عز الدين ، فكان من أبيه نعم الخلف ، وجرى على نهج أبيه في ترتيب المملكة وعلت رتبته عند ملوك التتر وملوك الديار المصرية ، ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر بجرى على سميت أبيه وأخيه . ثم قال : وكانت ترد على الأبواب السلطانية بمصر وتواب الشام كتب تهلل بماء الفصاحة كالشحب ، وتسرح من أجنابها الأبيكار العرب . ثم خلفه ولده بجرى على سنه وبقيت الإمارة في بنه . والأمير القائم منهم هو المعبر عنه في الدساتير بصاحب عقروشوش ، وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالث عشر - بلاد شعلاباد إلى خفتيان ، وما بين ذلك من الدشت والدربند الكبير - وهو مقام طائفة منهم تعرف بالشهرية معروفون باللصوصية ، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجالهم عاصية ، ودربندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب

الكبير . قال في "مسالك الأبصار" : وعليه ثلاث قناطر : اثنتان منها بالبحر والطين ، والوسطى مضمفورة من الخشب كالحصير ، علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء ، وطولها بين الجبلين خمسون ذراعا في عرض ذراعين ، تمر عليها الدواب بأحمالها ، والخليل برجالها . وهي ترتفع وتخفض ، يخاطر المجتاز عليها بنفسه ، وهم يأخذون الخفارة عندها ، وهم أهل غدر وخديعة لا يستطيع المسافر مدافعهم ، ولهم أمير يخصمهم ، ولصاحبها مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الرابع عشر - ما ذكره والرستاق ، ومرت ، وجبل جنجرين المشرق على أشنه من ذات اليمين - وهو مقام طائفة منهم يقال لهم الزرزارية ، ويقال إنهم ممن تكرد من العجم ، ولهم عدد جم ، يكاد يبلغ خمسة آلاف مائتين أسراء وأغنياء وفقراء وأكّارين وغيرهم ، وجبلهم في غاية العلو والشهوق في الهواء ، شديد البرد ، بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرة أشبار في عرض دون الثلاثة ، متخذة من الحجر الأخضر المائع ، وعلى كل منها كتابة قد آضحت لطول السنين ، يقال إنها نصبت لمعنى الإنذار والإخبار عن أهل كه التلج والبرد هناك في الصيف ، وهم يأخذون الخفارة تحته . قال في "مسالك الأبصار" : وكان لهم أمير جامع لكلمتهم اسمه نجم الدين باشاك ، ثم تولاهم من بعده أبنته جيدة ، ثم ابنه عبد الله . قال : وكان لهم أمراء آخرون منهم الحسام شير الصغير ، وابن باشاك وغيرهم . قال : وينضم إلى الزرزارية شردمة قليلة تسمى باسم قريتها بالكان نحو ثلثمائة رجل منفردين بمكان مشرف على عقبة الحان يأخذون عليها الخفارة ، ولصاحب ما ذكره مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . ثم قال في "التثقيف" : وهو حنش بن إسماعيل .

الخامس عشر - جولرك - وهو مقام طائفة تسمى الجولركية ، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم ذلك فعرفوا به ، ويقال : إنهم طائفة من العرب من بني أمية آعتصموا

بهذه الجبال عند غلبة بنى العباس عليهم ، وأقاموا بها بين الأكراد فأخترطوا في سلكهم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم الآن في عدد كثير، يزيدون على ثلاثة آلاف، كان ملكهم في أوائل دولة التتر أسد بن مكلان، ثم خلفه ابنه عماد الدين، ثم ابنه أسد الدين . وبيلاده معدن الزرنيخين : الأحمر والأصفر، ومنها ينقل إلى سائر الأقطار . قال : وكان قد ظهر عنده معدن لا زورد فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه، ومعه من أممع المعامل ، على جبل مقطوع بذاته، والزاب الكبير مُحْدِق به، لا يحط للجيش عليه، ولا وصول للسهم إليه، وسطحه متسع للزراعة، وفي كل ضلع من أضلاعه كهف مرتفع يأوى إليه من أراد الامتناع، وأعلاه مغمور بالثلج، والصعود إليه في بعض الطريق يستدعى العبور على أوتاد مضرورة . ومن لا يستطيع التساق جرب الجبال، وكذلك بغال الطواحين . وملكهم معتمد عند الأكراد، وهو يأخذ الحفارة من جميع الطرقات من تبريز إلى خوى ونقجوان، وهذا هو المعبر عنه في "التعريف" وغيره من الدساتير في المكاتبات بصاحب جولرك؛ وهو يكتب من الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

السادس عشر - بلاد مركواف . على القرب من الجولركية، كثيرة الثلوج والأمطار، بلاد زرع وضرع - وهي متاخمة لأرمية من بلاد أذربيجان، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدتهم ثلاثة آلاف، وهم أحلاف للجولركية .

السابع عشر - بلاد كوردات - وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولركية من جهة بلاد الروم، وهي بلاد خصبة، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة، وعدتهم نحو ثلاثة آلاف، ولهم أمير يخصهم .

الثامن عشر - بلاد الدينار - وهي بلاد تلي بلاد الجولركية، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم، وعددهم نحو خمسمائة، ولهم سوق وبلد،

وكان لهم أميران ، أحدهما الأمير إبراهيم بن الأمير محمد ، كان له وجه عند الخلفاء ، والثاني الشهاب بن بدر الدين ، توفي أبوه وخلفه كبيرا خلفه في إمرته ، وكان بينهما وبين المازنجانية حروب .

التاسع عشر - بلاد العِمَادِيَّة وقلعة هارون . وهي بالقرب من بلاد الجولمركية ، وبها طائفة منهم يقال لهم الهَكَارِيَّة يزيد عددهم على أربعة آلاف مقاتل ، وطعم إِمارة نخصم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم يأخذون الخِفاة في أماكن كثيرة من بخارا إلى بلد الجزيرة . وصاحب هارون يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

العشرون - القمرانية وكهف داود - وبها طائفة منهم يقال لهم التنبكية . قال في "مسالك الأبصار" : وقليل ما هم لكنهم حماة رماة وطعامهم مبذول على خِصاصة .

وأعلم أنه بعد أن ذكر في "مسالك الأبصار" ما تقدم ذكره عقب ذلك بذكر جماعة من الأكراد تفرقوا في الأقطار بعد اجتماع ، منهم التحتية ، وهم قوم كانوا يضاؤون الحميدية كان لهم أعيان وأمراء وأكابر ، فهلك أمراؤهم ونسيت كبراؤهم ، ولم يبق منهم إلا شردمة قليلة تفرقت بين القبائل والشعوب . ثم قال : وشعبهم كثيرة : منهم السندية وهم أكثر شعبهم عددا ، وأوفرهم مددا ، كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل . ومنهم الحمديّة ، وكان لهم أمير لا يزيد جمعه على ستمائة رجل . ومنهم الراسنية ، كانوا أوفى عدد وعدد ، وجمع ومدد ، ثم تشتت شملهم ، وتفرقت جمعهم ؛ وعادت عنتهم في بلد الموصل لا تزيد على ألف رجل ؛ وكان لهم أمير يقال له علاء الدين كورك بن إبراهيم في بلد العقر ، ولا ينقص عن خمسمائة ؛ ومنهم الدنيكية ، وهم متفرقون في البلاد لا يزيد عددهم على ألف رجل .

قلت : وقد ذكرني "التثقيف" عدة أماكن من بلاد وقلاع يكاتب أصحابها من الأكراد سوى من تقدم ذكره، وهي خمسة وعشرون موضعا .

إحداها - برجوا . الثانية - البلهיתה . الثالثة - كرم ليس . الرابعة - اندشت .
 الخامسة - حردقيل . السادسة - سكراك . السابعة - قبلينس . الثامنة - جرموك .
 التاسعة - شنكوس . العاشرة - بهرمان . الحادية عشرة - حصن أزان وهو
 حصن الملك . الثانية عشرة - الثالثة عشرة - سونج . الرابعة عشرة - اكريسا .
 الخامسة عشرة - يزاركد . السادسة عشرة - الزاب . السابعة عشرة - الزيثية .
 الثامنة عشرة - الدربندات العرابلية . التاسعة عشرة - قلعة الجليلين .
 العشرون - سيدكان . الحادية والعشرون - صاحب زامادان .
 الثانية والعشرون - الشعبانية . الثالثة والعشرون - نمرية . الرابعة والعشرون -
 المحمدية . الخامسة والعشرون - كزليك .

الإقليم الخامس

(بلاد الديلم)

بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر . وهم
 جيلٌ من الأعاجم سكنوا هذه البلاد فعرفت بهم ، وبعض الناس يزعم أنهم من
 العرب من بني ضبّة ، ومنهم كان بنو بويه القائمون على خلفاء بني العباس ببغداد .
 قال ابن حوقل : وهي جبال متسعة إلى الغاية ، وبها غياض ومياه مشتبكة في الوجه
 الذي يقابل طبرستان والبحر ، وبين ذيل الجبل وبين البحر مسيرة يوم ، وربما
 نقص عن ذلك ، وربما زاد حتى بلغ يومين .

وقاعدتها (رُودَبَار) . قال في "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الذال المعجمة والباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل :
وبه مقام ملوكهم .

ومن بلادها (كَلَار) . قال في "تقويم البلدان" : بكاف ولام وألف وفي الآخر راء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال المهلبى : وهى مدينة الديلم ، وهى فى جهة الشرق والجنوب عن لَاهَجَان من بلاد كِلَان .

الإقليم السادس (الجيل)

قال في "المشترك" : بكسر الجيم وسكون المثناة من تحت ثم لام - وهو اسم لصُقْعٍ واسع مجاور لبلاد الديلم ، ليس فيه قرى كثيرة ، وليس فيه مدينة عظيمة . وقال في "اللباب" : الجيل اسم لبلاد متفرقة وراء طَبْرِسْتَانَ . قال : ويقال لها أيضا كِلَان وكِيل ، فلما عُرِبَت قيل جِيلَان وجِيل ، ومنها كُوشِيَار الحكيم الجيليّ فيما ذكره ياقوت ، وإليها ينسب الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وبالجملة فهما صُقْعَان متلاصقان يعسر تمييز أحدهما عن الآخر . قال في "مسالك الأبصار" عن الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد الجيليّ : إن بلاد كِلَان فى وِطَاة من الأرض ، وإنه يحيط بها أربعة حدود ، من الشرق إقليم مَازَنْدَرَانَ ، ومن الغرب مَوْقَانُ ، ومن الجنوب عراق العجم ، يفصل بينهما جبل يعرف بأشناده ، ومن الشمال بحر

الْقَلْبِمْ بِعْنَى بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ . قَالَ : وَطُولُ مَجْمُوعِ كِيلَانَ مِمَّا بَأَيْدِي مَلُوكِهَا ، وَهُوَ شَرْقٌ
بِغَرْبِ نَحْوِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَعَرْضُهَا وَهُوَ جَنُوبٌ بِشَمَالِ نَحْوِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَزِيدُ وَتَقْصُرُ ،
وَهِيَ شَدِيدَةُ الْأَمْطَارِ ، كَثِيرَةُ الْأَنْهَارِ ، كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ خِلا النَّخْلِ وَالْمُوزِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ
وَالْمَشْمَشِ ، وَيَجِبُ إِلَيْهَا الْحَمَضَاتُ مِنْ مَازَنْدَرَانَ . قَالَ : وَمُدُنُ كِيلَانَ غَيْرُ مَسُورَةٍ ،
وَلِمُلُوكِهِمْ قُصُورٌ عَلِيَّةٌ ، وَجَمِيعُ مَبَانِيهَا بِالْأَجْرِ مَفْرُوشَةٌ بِهِ أَيْضًا كَمَا فِي بَغْدَادٍ ، مَسْقُفَةٌ
بِالْحَشْبِ ، وَبَعْضُهَا مَعْقُودَةٌ أَقْبَاءً وَعَلَيْهَا قَشٌّ مِضْفُورٌ ، وَفِي غَالِبِ دِيَارِهَا آبَارٌ قَرِيبَةٌ
الْمُسْتَقَى نَحْوِ ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَقَلِّ ، وَالْأَنْهَارُ حَاكِمَةٌ عَلَى مُدُنِهَا ، وَبِهَا حَمَامَاتٌ
يَجْرِي إِلَيْهَا الْمَاءُ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَبِهَا الْمَسَاجِدُ وَالْمَدَارِسُ وَتَسْمَى بِهَا الْخَوَاطِقُ ، وَغَالِبُ
أَقْوَاتِهِمُ الْأَرَزُّ يَعْمَلُ مِنْهُ الْخَبْزُ وَالرَّقَاقُ مَعَ تَيْسَرِ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ عِنْدَهُمْ ، وَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ
عِنْدَهُمْ بِكَثْرَةٍ ، وَأَسْعَارُهُمْ مُتَوَسِّطَةٌ إِلَى الرَّخْصِ ، وَبِهَا الْحَرِيرُ الْكَثِيرُ ، وَلَهَا حِصُونٌ
فِي نَوَاحِي مَازَنْدَرَانَ وَجَزَائِرُ فِي بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ ، بِهَا الرِّمَانُ وَالْبَلْبُوطُ وَالْفَوَاكِهُ ، وَفِيهَا
تَحْصَنُهُمْ عِنْدَ مِغَالِبَةِ الْعَدُوِّ ، وَبِلِبَاسِهِمُ الْأَقْبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الضَّيْقَةُ الْأَكْمَامُ وَتَخَافِفُ
صِغَارُ عَلَى رِعْوِهِمْ ، وَيَشْتَدُّونَ الْمَنَاطِقَ وَالْبُنُودَ ، وَخَيْلُهُمْ بَرَادِينَ ، وَفِي سُرُوجِهِمُ الْحِثِّيُّ
بِالْفِضَّةِ وَغَيْرُهُ ، وَلِمُلُوكِهِمْ زِيٌّ جَمِيلٌ عَلَى ضَيْقِ بِلَادِهِمْ وَقَلَّةٍ مَتَحْصَلِهَا ، وَيَرْكَبُ
الْمَلِكُ بِالرَّقَبَةِ السَّلْطَانِيَّةِ وَالْمُجَّابِ وَالسَّلَاحِ دَارِيَّةِ وَالْجَمْدَارِيَّةِ وَالْجَنَائِبِ الْمَجْرُورَةِ ،
وَيَتَّخِذُ بَطَوَاهِرَ قُصُورِ مَلُوكِهِمْ مِيَادِينَ خُضْرًا ، فِي أَوْسَاطِهَا قُصُورٌ صِغَارٌ مِنَ الْحَشْبِ
فِيهَا جُلُوسُهُمْ لِلنِّدَمِ وَالْمِظَالِمِ . وَلَا يَزَالُ بَيْنَ مَلُوكِهِمُ الْخُلْفُ ، فَإِذَا قُصِدَهُمْ عَدُوٌّ خَارِجِيٌّ
عَنْهُمْ تَأَلَّفُوا وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنْ هُوَ لَا كُوْهُ جِهْزَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا عَدَدَتَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا
صَحْبَةً نَائِبَهُ قَطْلُوشَاهُ فَلَمْ يَنْبَلْ مِنْهُمْ قُصِدَا ، وَكَانَ آخِرَ الْأَمْرِ أَنْ قُتِلَ قَطْلُوشَاهُ وَهَلَكَ
جُلٌّ مِنْ مَعِهِ . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" أَنَّ بَهَا ثَمَانٌ قَوَاعِدَ بِكُلِّ قَاعِدَةٍ
مِنْهَا مَلِكٌ ، بَعْضُهُمْ أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ ، وَمَوْقِعُ جَمِيعِهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ .

فأما الكبار فأربع قواعد^(١).

القاعدة الأولى

(بُومِن)

قال في "تقويم البلدان": بضم الباء الموحدة التي بين الفاء والباء الموحدة وسكون الواو وكسر الميم ثم نون في الآخر. قال: وهي قريبة من البحر، وبها فيما يجاذبها معدن حديد، وبها من معمولات القماش. قال في "مسالك الأبصار": وصاحبها شافعي المذهب دون غيره من ملوك الجليل، مذهب نشأ عليه ملوكها. قال: وعسكره يزيد على ألف فارس، وبلاده قليلة ولكن غالب دخله من التجار، والحريز بها كثير. قال: وصاحبها يدعى النسبة إلى بيت الشرف، وله اعتناء بأهل العلم والفضل، ولباس الملك والجند بها نوع من لباس التتر، ولباس غلمانها قريب من زي التجار، ولهم عذبات كالصوفية قدامهم، وعامة أهلها كغيرهم ممن جاورهم.

القاعدة الثانية

(تُولْم)

قال في "تقويم البلدان": بضم المثناة الفوقية وواو ولام وميم، وصاحب "مسالك الأبصار" يثبت فيها باء مثناة تحتية بين اللام والميم - وهي قريبة من البحر أيضا. قال في "مسالك الأبصار": وأمر صاحبها قريب من صاحب بومين ولكن لا حريز في بلاده، وهو حنبلي المذهب، وعدة عسكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولهم على ملوك الجليل استظهار لما ظهر من نكايتهم في عسكر التتر. قال: وزبها كرى بومين.

(١) لم يذكر إلا ثلاثا. ولعل الرابعة دولاب.

القاعدة الثالثة

(كسكُ)

قال في "تقويم البلدان": بفتح الكافين وسكون السين المهملة بينهما وراء مهملة في الآخر. وقد ذكر أنها دُولَابُ - بضم الدال المهملة وسكون الواو ولام ألف وباء موحدة في الآخر. قال: وعن السمعاني فتح الدال وأنه أفصح وأنها من حدود الديلم. وذكر في "اللباب" أنها قرية من أعمال الرّي. قال في "مسالك الأبصار": وصاحبها له صَوْلَةٌ في ملوك تُولِمَ، وجيشه أكثر عددا من غيره من ملوك الجليل، وبلاده أوسع، وأرضه أخصب وأكثر حَبًّا وفاكهةً وأغناما وأبقارا مما حولها، وهي كثيرة السمك والطير. ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلاني قدس الله رُوحَه.

وأما الصغار فخاريع أيضا.

القاعدة الأولى

(لَاهَجَانُ)

قال في "تقويم البلدان": بفتح اللام وبعدها ألف وهاء وجيم مفتوحتان ثم ألف بعدها نون، ثم قال: وهي من الديلم أو كيلان. قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة قال في "تقويم البلدان": ومنها يجلب الحرير المشهور إلى البلاد. قال في "مسالك الأبصار": وهي في حال الحرير كما في يومن بخلاف غيرهما من سائر بلاد الجليل.

القاعدة الثانية - (سَخَامُ) .

القاعدة الثالثة - (مَرَسْتُ) .

القاعدة الرابعة - (تَنَفَسُ) .

ولها عدة مُدُن غير القواعد .

(١) (منها) كُوتُم . قال في "تقويم البُلدان" : بضم الكاف وواو ساكنة ثم تاء مثناة فوقية مضمومة ثم ميم في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "تقويم البُلدان" : قال من رآها إنها مدينة لها بساتين ، وهي ناقلة عن البحر مسيرة يوم . قال المهلبى : وهي مدينة كبيرة للجبل .

(ومنها) سألوس . قال في "تقويم البُلدان" : المشهور بالسين المهملة وألف ولام مضمومة وواو ساكنة ثم سين ثانية - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي على البحر ولها مَنَعَةٌ وهي صعبة المسلك . قال المهلبى : وهي آخر حدّ طَبَرِسْتَانَ من جهة الغرب .

الإقليم السابع

(طَبَرِسْتَانُ)

(٢) بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "تقويم البُلدان" : وهي في جهة الشرق عن بلاد الديلم وكيلان . قال : وإنما سميت طَبَرِسْتَانَ لأن طَبَرَ بالفارسية الفأس ، وهي من كثرة أشتبك أشجارها لا يسلك فيها الجيُش إلا بعد أن تقطع الأشجار بالطَبَر من بين أيديهم ، وأستان بالفارسية الناحية ، فسميت طَبَرِسْتَانَ أى ناحية

(١) ضبطها ياقوت بفتح الكاف والتاء .

(٢) ضبطه ياقوت بكسر الراء ، وقد تابعناه في ضبط ما تقدم .

الطَّابِر . قال في "العزيزي" : وهي في غاية المنعة والحصانة بالجبال المنيعة المحيطة بها من كل جانب، وفي وسط الجبال الأراضى السهلة، وفيها من كثرة المياه والغياض ما لا يساويها فيه بلد آخر، وهي عن قزوین في الشرق بانحراف إلى الشمال . قال ابن حوقل : وهي بلاد كثيرة المياه والأشجار والغالب عليها الغياض، وأبنيتها بالخشب والقصب، وهي بلاد كثيرة الأمطار . ويرتفع منها حرير يعم الآفاق، وغالب حُبُّهم الأرز . قال : وليس بجميع طَبْرَسْتان نهر تجرى فيه السفن ، إلا أن البحر قريب منهم على أقل من يوم . قال ابن خلكان : والنسبة إليها طَبْرِي .

وقاعدتها (أمل) . قال في "المشترك" : بهمزة مفتوحة بعدها ألف ثم ميم مضمومة ولام في الآخر - وهي مدينة من طَبْرَسْتان واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "القانون" : وهي قَصْبَة طَبْرَسْتان ، وهي أكبر من قزوین ، مشتبكة بالعمارة لا يعلم على قدرها أعمارها في تلك النواحي . قال أحمد الكاتب : وهي على بحر الديلم . وقال في "المشترك" : هي أكبر مدينة بطَبْرَسْتان . ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبْرِي الإمام الكبير المشهور . ولها عدة مدن .

(منها) رُوِيَان . قال في "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو ثم ياء مشناة من تحت وألف ونون - وهي مدينة من طَبْرَسْتان واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ست وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال في "المشترك" : وهي مدينة كبيرة في جبال طَبْرَسْتان ، ولها كورة عظيمة وعمل . قال في "اللباب" : وخرج منها جماعة كثيرة من العلماء .

(ومنها) مَاطِيرُ . قال في "اللباب" : بفتح الميمين وكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة في الآخر . قال في "اللباب" : وهي بلدة من عمل أَمَل ، خرج منها جماعةٌ من العلماء .

(ومنها) دِهِسْتَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الدال المهملة والهاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة من فوق ثم ألف ونون . قال ابن حوقل : وهي مدينة من طَبْرَسْتَانَ ، وقيل هي من خُرَاسَانَ - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وثمانون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة عند مازَنْدَرَانَ ، بناها عبد الله بن طاهر ، ومعناها بالفارسية موضع القرى ، وهي آخر حدّ طَبْرَسْتَانَ بين جُرْجَانَ وِخْوَارَزْمَ .

الإقليم الثامن

(مازَنْدَرَانُ)

بفتح الميم وبعدها ألف وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الدال والراء المهملتين وألف ثم نون ، وهو إقليم على القرب من طَبْرَسْتَانَ وقاعدتها (جُرْجَانُ) . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وجيم ثانية وألف وفي آخرها نون . قال في "المشترك" : والعجم تسميها كُرْكَانَ بضم الكاف وسكون الراء المهملة . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال "المهلب" : وهي

مدينة جليلة بين حُرَّاسَانَ وبين طَبْرَسْتَانَ . فُخْوَارِزْمُ منها في جهة الشرق وطَبْرَسْتَانُ منها في جهة الغرب . قال : وهي بلدة كثيرة الأمطار، متصلة الشتاء، وفي وسطها نهر يجرى ، وهي قريبة من بحر الخزر، والجبالُ مُحْتَفَةٌ بها فهي سُهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ ، يجتمع فيها فواكه العُورِ والنَّجْدِ . قال : وبها من خشب الخَلَنْجِ ما ليس في بلد آخر مثله .
ولهَا مُدُنٌ أُخْرَى .

(منها) سَارِيَّةٌ . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وألف وراء مهملة ومثناة من تحتها وهاء . قال في "اللباب" : وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقال ابن سعيد : من طَبْرَسْتَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . وفي شرقها خُوَارِزْمٌ والرِّيُّ وبينهما نحو ثمانين ميلاً .

(ومنها) أُسْتَرَابَادٌ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة . وقال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وكسر المثناة من فوق وفتح الراء المهملة وبالباء الموحدة بين ألفين وفي آخرها ذال معجمة . قال في "اللباب" : وقد يُلْحَقُونَ فيها ألفاً أُخْرَى بين التاء والراء . قال في "المشترك" : أُسْتَرَأْسَمُ رجل وَاِبَادُ أَسْمُ عمارة ، فكأنه قال عمارة أُسْتَرِ . وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقيل من حُرَّاسَانَ . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول تسع وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق . قال في "العزيزي" : وهي على حَدِّ طَبْرَسْتَانَ ، وبينها وبين أَمَلٍ : قَصْبَةُ طَبْرَسْتَانَ تسعة وثلاثون فرسخاً .

(١) الذي في تقويم البلدان عن اللباب بكسر الألف .

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح .

(١) (ومنها) أَبْسُكُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف الممدودة وضم الباء الموحدة
 وسكون السين المهملة وضم الكاف وفي آخرها نون - وهي بلدة على ساحل بحر
 الخزر واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول
 تسع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشر
 دقائق . قال في "القانون" : وهي فُرْضَةُ جُرْجَانَ . قال ابن حوقل : وإليها ينسب
 بحر أَبْسُكُونُ ، ومنها يركب إلى الخزر وإلى باب الأبواب والجيل والديلم وغير ذلك .

الإقليم التاسع (قُومَسُ)

(٢) قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم وفي آخرها سين
 مهملة . قال : ويقال لها بالفارسية كُومَسُ بإبدال القاف كافا . قال : وهي من
 بَسْطَامَ إلى سِمَنَانَ ، وهما من قُومَسَ بين خُرَّاسَانَ وبين الجبال ، وأولها من ناحية الغرب
 سِمَنَانَ . قال أحمد الكاتب : وقُومَسُ بلدٌ واسع جليل القدر . وقال في "المشترك" :
 قُومَسُ موضع كبير فيه بلاد كثيرة وقَرْيٌ - وقاعدتها (سِمَنَانُ) . قال في "المشترك" :
 بكسر السين المهملة وسكون الميم ونونين بينهما ألف . قال في "القانون" حيث
 الطول تسع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة .
 قال في "المشترك" : وهو بلد مشهور بين الرِّيِّ والدَّامَغَانَ .
 وبها مُدُنٌ أيضا .

(منها) الدَّامَغَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وألف وفتح الميم
 والغين المعجمة وألف ثانية ثم نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون"

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء . (٢) ضبطها ياقوت بكسر الميم .

حيث الطولُ تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

(ومنها) بَسْطَامُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وفي الآخريم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "اللباب" : وهي بلدة مشهورة . قال ابن حوقل : ولها البساتين الكثيرة ، وهي كثيرة الفواكه ، وإليها ينسب أبو يزيد البَسْطَامِيُّ الزاهد .

الإقليم العاشر

(خُرَّاسَانُ)

قال في "الباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون - وهي بلاد كثيرة . قال : وأهل العراق يقولون إنها من الرىِّ إلى مَطَّلَعِ الشمس ، وبعضهم يقول من حُلُوَانِ إلى مَطَّلَعِ الشمس ، ومعنى خُرَّاسَمٌ للشمس ، واسان موضع الشيء ومكانه ، وقيل معنى خُرَّاسَانُ كُلُّ بِالرَّفَاهِيَةِ . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها من جهة الغرب المفازة التي بينها وبين بلاد الحيل وجرجان ، ومن جهة الجنوب مفازة فاصلة بينها وبين فارس وقومس ، ومن الشرق نواحي سيجستان وبلاد الهند ، ومن جهة الشمال بلاد ماوراء النهر وشيء من تركستان . قال : وخُرَّاسَانُ تشتمل على عدَّة كُورٍ كلُّ كُورَةٍ منها نحو إقليم .

ومن كورها المشهورة (جوين) بضم الجيم وفتح الواو وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر . (وقوهستان) بضم القاف وسكون الواو وفتح الهاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة فوق وألف ثم نون . (بغشور) بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة

الساكنة ثم شين معجمة وواو وراء مهملة في الآخر. و(مَرُو) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو في الآخر. و(طُوسُ) بضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر. و(بَيْهَقُ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الهاء وقاف في الآخر. و(بَاخْرُزُ) بفتح الباء الموحدة ثم ألف وخاء معجمة وراء مهملة ساكنة وزاي معجمة؛ وإليها ينسب الباخرزى الذى أسلم على يديه بركة .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة فى تاريخه (نيسابور) . قال فى "اللباب":
 بفتح النون وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة وبعدها واو وراء مهملة . قال فى "اللباب": . وسميت نيسابور لأن سابور الملك لما رآها ، قال : يصلح أن يكون ها هنا مدينةً ، وكانت قصبا فأمر بقطع القصب وأن تبنى مدينة ، ف قيل نيسابور والنبي هو القصب . قال ابن سعيد :
 والعجم تسميها نساور . قال فى "تقويم البلدان" : وأسمها الآن نساور؛ يعنى بفتح النون والشين المعجمة وألف وفتح الواو وراء مهملة فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة مشهورة فى أرض سهلة ، وهى مفترشة البناء مقدار فرسخ فى فرسخ ، وبها قنّى ماء ، وهى صحيحة الهواء . قال فى "اللباب" : وهى أحسن مدن خراسان وأجمعها للخير . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وبينها وبين كل من مرو ومن هرة ومن جرجان ومن الدامغان عشر مراحل .

وبها مدن عديدة .

(منها) الطابران . قال فى "اللباب" : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وبعده الألف نون . قال فى "القانون" : وهى قصبة طوس من كور

نُحْرَاسَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "العريزي" : وهي من أجلّ مدن نُحْرَاسَانَ .

(١) (ومنها) نَوْقَانُ . قال في "اللباب" : يفتح النون وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون - وهي مدينة من أعمال طُوسَ من نُحْرَاسَانَ ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول اثنتان وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال المهلبي : وهي من أجلّ مدن نُحْرَاسَانَ وأعرها ، وبظاهرها قبر الإمام علي بن موسى بن جعفر الصادق، وقبر هارون الرشيد الخليفة العباسي ؛ وبها معدن الفيروزج والدّهنيج .

(٢) (ومنها) إِسْفَرَايْنُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر المثناة التحتية ونون في الآخر - وهي بلدة بنواحي نيسابور من نُحْرَاسَانَ - موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى المِهْرَجَانُ أيضا بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء المهملة والجيم وألف ونون في الآخر . يقال إن كسرى سماها بذلك تشبيها بالمِهْرَجَانِ أحد أعياد الفُرسِ : لأن المِهْرَجَانِ أطيب أوقات الفصول، شبيها بذلك نُحْضَرْتَهَا ونَضَارْتَهَا، وإليها ينسب الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني الإمام الكبير المشهور .

(ومنها) خَسْرُوْجُرْدُ . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وسكون السين وفتح الراء المهملتين وسكون الواو وكسر الجيم ثم راء ودال مهملتان - وموقعها

(١) ضبطها ياقوت بالضم .

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح ، ثم قال وياء مكسورة وياء أخرى ساكنة .

في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وثمانون درجة وخمس دقائق، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "المشترك" :
وهي قَصَبَة نَاحِيَة بِيَهَقَ مِنْ حُرَّاسَانَ . وقال في "اللباب" : كانت قَصَبَتَهَا ثم صارت القصبَة سبروار .

(ومنها) نَسَا . قال في "المشترك" : بفتح النون والسين المهملة وألف مقصورة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول اثنتان وثمانون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال في "المشترك" :
وهي مدينة من حُرَّاسَانَ بين أَيْبُورَدَ وَسَرَّخَسَ . قال ابن حوقل : وهي مدينة خِصْبِيَة ، ومنها الإمام أحمد النسائي صاحب السُّنَنِ .

(ومنها) أَزَادَوَارَ . قال في "تقويم البلدان" : بالهمزة والزاي المعجمة ثم ألف وذال معجمة وواو مفتوحتين وألف وراء مهملة في الآخر . وهي قَصَبَة جُوَيْنَ مِنْ حُرَّاسَانَ . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ؛ ومنها إمام الحرمين الإمام الشافعي المشهور .

(ومنها) قَايِنُ . قال في "اللباب" : بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناة تحتية مكسورة ثم نون . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس وثلاثون دقيقة [والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة^(١)] . قال ابن حوقل : وهي قَصَبَة قُوَهْسَتَانَ ، من حُرَّاسَانَ عَلَى مَفَازَة . قال : وهي مثل سَرَّخَسَ فِي الكِبَرِ ، ومَاوَهَا مِنَ القُنِيِّ ، وبساتينها قليلة ، وقراها متفرقة . قال في "اللباب" : وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(١) الزيادة عن تقويم البلدان نقلا عن القانون .

(ومنها) سَرَّحْسُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملتين ثم خاء معجمة ساكنة وسين مهملة ساكنة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة بين نَيْسَابُورَ وبين مَرَوَ في أرض سهلة ، وليس لها ماء جارٍ إلا نهر يجرى في بعض السنة ، وهو فضلة مياه هَرَّاءَ ؛ والغالب على نواحيها المراعى ، ومعظم مال أهلها الجمال ، وماؤهم من الآبار ، وأرحيتهم على الدواب . قال المهلبى : والرمال مُحْتَفَةٌ بها .

(ومنها) بُوَشْنَجُ . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وجيم في الآخر . قال في "اللباب" : ويقال لها أيضا فَوْشَنَجَ بالفاء بدل الباء . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا بُوَشْنَكُ بالكاف بدل الجيم . قال ابن حوقل : وهي مدينة على نحو النصف من هَرَّاءَ في مستوي من الأرض ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، وماؤها من نهر بهرَّاءَ ، وهو يجرى من هَرَّاءَ إلى بُوَشْنَجَ إلى سَرَّحْسَ .

(ومنها) هَرَّاءُ . قال في "اللباب" : بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء في الآخر . قال في "التعريف" : ولا يسمع عجمي يقول إلهري - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي من خُرَّاسَانَ ، ولها أعمال ، وداخلها مياه جارئة ، والجبل منها على نحو فرسخين ، ومنه تعمل حجارة الأرحية وغيرها ، وليس به محتطب ولا مرعى ، وعلى رأسه بيت نار كان للفرس ، وخارج هَرَّاءَ المياه والبساتين . قال في "المشترك" : وكانت مدينة عظيمة فخرَّ بها التتر . قال في "اللباب" : وكان فتحها في خلافة أمير المؤمنين

عثمان رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها هَرَوِيٌّ . قال فى "مسالك الأبصار" :
ومن الناس من يعدُّ هَرَاةَ مفردة بذاتها عن خُرَّاسَانَ ؛ وصاحبها يكتبُ عن الأبواب
السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) مَرَوُ الرُّوْدِ . قال فى "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهمله
وفى آخرها واو . وقال فى "اللباب" بفتح الواو وألف ولام وضم الراء الثانية
وسكون الواو وذال معجمة ، والرُّوْدُ بالعجمية النهر ، ومعناه مَرَوُ النهر . وموقعها
فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وثمانون
درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال
أبن حوقل : وهى أكبر من بوشنج ، ولها نهر كبير وعليه البساتين ، وهى طيبة التربة
والهواء ، والجبل عنها فى جهة الغرب على ثلاثة فراسخ . قال فى "اللباب" : وهى
من أشهر مدُن خُرَّاسَانَ ، والنسبة إليها مَرَوْرُوْدِيٌّ ومَرَوْدِيٌّ أيضا .

(ومنها) مَرَوُ الشَّاهِجَانِ . قال فى "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهمله
وواو فى الآخر ، وهو مضاف إلى الشَّاهِجَانِ بفتح الشين وألف بعدها هاء ثم جيم
وألف ونون - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى "المشترك" :
ومَرَوُ الشَّاهِجَانِ معناه رُوح الملك . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع
وثمانون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أبن حوقل :
وهى مدينة قديمة يقال إنها من بناء طهمورث : أحد ملوك الفُرس . قال فى "مسالك
الأبصار" : ويقال إنها من بناء ذى القرنين . قال : وهى فى أرض مستوية بعيدة
عن الجبال لا يرى منها الجبل ، وأرضها كثيرة الرمل وفيها سُبُوخة ، ويجرى على بابها
نهرٌ يدخل منه الماء إلى حياض المدينة ، ومنه شرب أهلها ؛ ولها ثلاثة أنهار آخرها
وبها الفواكه الحسنة تقدِّد وتعمل إلى البلاد ؛ وبها الزبيب الذى لا نظير له ؛ ولها من

النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الأبنية والغروس على الأنهار، وتميز كل سوقٍ عن غيره ما ليس لغيرها من البلاد . قال في "المشترك" : والنسبة إليها مَرَوِزِيٌّ . قال في "تقويم البلدان" : وبها كان مقام المأمون لما كان بجُرَّاسَانَ ؛ وبها قُتِلَ يَزْدَجَرْدُ آخرُ ملوكِ الفُرسِ ؛ ومنها ظهرت دولة بني العباس ، وبها صُيِّغَ أولُ سوادِ لبسته المسوَّدة ؛ ومنها يرتفع الحرير الكثير والقطن . قال في "المشترك" : وبينها وبين كلِّ من نَيْسَابُورَ وَهَرَّاءَ وَبَلَّخَ وَبُخَّارًا مسيرة اثني عشر يوماً .

(ومنها) الطَّالِقَانُ . قال في "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال في "اللباب" : بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وثمانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة نحو مَرَوِزِيٍّ وَرُودِ فِي الكَبَرِ ؛ ولها مياه جارية وبساتين قليلة ؛ وهي في جبل ، ولها رُستاق في الجبل ، وهي غير الطَّالِقَانِ المقدم ذكرها في عراق العجم .

(ومنها) بَلَّخُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفي آخرها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة في مستوٍ من الأرض ، بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ ؛ والمدينة نصف فرسخ في مثله ؛ ولها نهر يسمى ^(١) الدهاش يجري في ربضها ، وهو نهر يدعى عَشْرَ أَرْحِيَّةَ ؛ والبساتين تحتف بها من جميع جهاتها ؛ وبها الأترجُ وقَصَبُ السُّكَّرِ ؛ وتقع في نواحيها الثلوج . قال في "اللباب" :

(١) وقع في التقويم بإهمال السين ، ولم نعرطليه في المعجم ولا في القاموس .

فتحها الأحنف بن قيس التيمي في خلافة عثمان رضي الله عنه؛ ونخرج منها ما لا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء .

(ومنها) شَهْرَسْتَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملتين وفتح التاء المثناة من فوق وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال في "المشرك" : شهر بلغة الفرس المدينة ، واستان الناحية ، فعنى اسمها مدينة الناحية . قال : وهي مدينة مشهورة بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان وأول حدود رمال خوارزم .

الإقليم الحادي عشر (زَابُلِسْتَانُ)

بفتح الزاي المعجمة ثم ألف بعدها باء موحدة ولام مضمومتان وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق مفتوحة ثم ألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمسة عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها بلاد وأعمال ، وهي عن بلخ على عشر مراحل ، وعندها نهر كبير يجري ؛ وليس لها بساتين بل هي مدينة على جبل ، والفواكه تأتيها مجلوبة . قال في "اللباب" :
وبها قلعة حصينة .

ولها مدن غيرها .

(منها) غَزَنَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الغين وسكون الزاي المعجمتين وفتح

النون - وموقعها في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " و " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : هي من عمل الباميان ؛ وقد تقدم أن الباميان من رَابُلُسْتَانَ . وقال في " اللباب " : هي من أول بلاد الهند . وقال في " مزيل الأرتياب " : هي في طرف خراسان وأول بلاد الهند ، وهي كالحد بينهما . قال ابن حوقل : وهي فُرْضة الهند وموطن التجار ، ولها دَرَبَنْد مشهور .

(ومنها) بَجْهَيْرُ . قال في " اللباب " : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الجيم وكسر الهاء وسكون المثناة تحت وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من أعمال الباميان على جبل ، والغالب على أهلها العيثُ والفساد . قال في " اللباب " : وبها جبل الفضة ، والدرهم بها كثيرة ، لا يشترون ولو باقةً بقلٍ بأقل من درهم ، وقد جعلوا السوق كهيئة الغربال لكثرة الحفر . قال : وإنما يتبعون عروقاً يجدونها تُفْضِي إلى الفضة ، فإذا وجدوا عرقاً حفروا أبداً إلى أن يصيروا إلى الفضة ، والرجل منهم يُنْفِقُ الأموال الكثيرة في الحفر ، وربما خرج له من الفضة ما يستغني به هو وعقبه ، وربما خاب عمله لقلة المال وغير ذلك ، وربما وقف رجل على العرق ووقف آخر عليه في موضع آخر فأخذان جميعاً في الحفر ، والعادة عندهم أن من سبق فاعترض على صاحبه فقد أستحق .

الإقليم الثاني عشر (الغور)

قال في "اللباب" : بضم الغين المعجمة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر .
قال : وهي بلاد في الجبال بخراسان قريبة من هرة ، وهي مملكة كبيرة ، وغالبها جبال
عامرة ذات عيون ولساتين وأنهار ، وهي بلاد حصينة منيعة ، وتحيط بها خراسان
من ثلاث جهات ولذلك حُصيت من خراسان ، والحد الرابع لها قبلي سجستان .

وقاعدتها فيما قاله في "تقويم البلدان" (بيروزكوه) . قال في "المشترك" :
بكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاي معجمة
وضم الكاف وواو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
في "المشترك" : معنى بيروزكوه الجبل الأزرق ؛ وهي قلعة حصينة دار مملكة
جبال الغور . قال : وبها كان مستقرًا بنو ساحان ملوك الغور^(١) .

قلت : وبلاد الغور وغزنة وما والاها وإن عدها في "مسالك الأبصار" من
مملكة التورانيين ، فإنها ليست من أصل مملكة توران ، وإنما تغلب ملوكها عليها
من مملكة إيران ، فلذلك أثبتتها في مملكة إيران ؛ وما غلب عليه بنو هولوكو من مملكة
الروم ، وهو قونية وما معها ليس من مملكة إيران بل هو مملكة مستقلة بذاتها كما
سيأتي ، ولذلك لم أثبتها في مملكة إيران والله أعلم .

(١) كذا في الأصل على هذه الصورة ، والذي في التقويم "بها كان مستقر آل سام الخ" وفي معجم البلدان

"بناها بنو سام ملوك الغورية" .

الجملة الثالثة

(في الأنهار المشهورة)

واعلم أن هذه المملكة عدّة أنهار، والمشهور منها ثلاثة عشر نهرًا :

الأول - الفُرات وما يصب فيها ويخرج منها . فأما نهر الفرات فأوله من شماليّ مدينة أرزن الروم وشرقيها ، وأرزن هذه آخر حدّ بلاد الروم من جهة الشرق ؛ ثم يأخذ إلى قرب ملطية ثم إلى شمشاط ؛ ثم يأخذ مشرقًا ويتجاوز قلعة الروم ويمتد مع جانبها من شماليها وشرقيها ؛ ثم يسير إلى البيرة ، ويمتد من جنوبيها ؛ ثم يمتد مشرقًا حتى يتجاوز بالسّ وقلعة جعبر ويتجاوزها إلى الرّقة ؛ ثم يمتد مشرقًا ويتجاوز الرّحبة من شماليها ويسير إلى عانة ثم إلى هيت ؛ ثم يسير إلى الكوفة . فإذا جاوز نهر كوثى بستة فراسخ أنقسم نصفين ، ومرّ الجنوبيّ منهما إلى الكوفة ويجاوزها ويصبّ في البطائح . ويمتد القسم الآخر وهو أعظمهما ويعرف بنهر سورا ، ويمتد بإزاء قصر ابن هبيرة ، ويتجاوزه إلى مدينة بابل القديمة ، ويتفرّع منه عدّة أنهر ويمتد عموده إلى النيل ويسمى من بعد النيل نهر الصّراة ؛ ثم يتجاوز النيل ويصب في دجلة .

وأما الأنهار التي تصب فيه ، فمنها نهر شمشاط ، ونهر البليخ ، ونهر الخابور ، ونهر الهرماس ، وغيرها .

وأما الأنهار التي تخرج من الفرات ، فمنها نهر عيسى ، ونهر صرصر ، ونهر الملك ، ونهر كوثى وغير ذلك .

الثاني - دجلة وما يصب إليها ويخرج منها . فأما دجلة فقال في "المشرك" :

بكسر الدال المهملة وسكون الجيم . قال : وهي نهر عظيم مشهور مخرجه من بلاد

(١) كذا في التقيويم أيضا بالتأنيث والأولى التذكير .

الرُّومَ؛ ثم يمتز على أمد، وحِصْنِ كَيْفَا، وجزيرة ابن عُمَرَ، والمَوْصِلِ، وتِكْرِيتَ، وبَغْدَادَ، ووَاسِطَ، والبَصْرَةَ؛ ثم يصب في بحر فَارِسَ . وذكر في "العزيرى" : أن رأس دِجْلَةَ شمالي مِيَّافَرِيقَيْنِ من تحت حِصْنِ يعرف بِحِصْنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ . ويجرى من الشمال والغرب إلى جهة الجنوب والشرق ؛ ثم يشرق ويرجع إلى جهة الشَّمال ؛ ثم يغرب بميلة إلى الجنوب إلى مدينة أمد ؛ ثم يأخذ جنوبا إلى جزيرة ابن عُمَرَ؛ ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة بَلَدَ ؛ ثم يشرق إلى المَوْصِلِ ، ثم يسير مشرقا إلى تِكْرِيتَ ؛ ثم يأخذ مشرقا نصبا إلى سُرْمَنْ رَأَى ؛ ثم يأخذ جنوبا على عُنْكَرَى ؛ ثم يأخذ مشرقا إلى البَرْدَانِ ، ثم يأخذ جنوبا بميلة إلى الشرق إلى بَغْدَادَ؛ ثم يسير جنوبا إلى كَلْوَادَا ، ويأخذ إلى المدائن ويتجاوز إلى دير العاقول ؛ ثم يسير مشرقا إلى النُعْمَانِيَّةِ ؛ ثم يسير جنوبا ومشرقا إلى فَمِ الصَّلْحِ ؛ ثم يسير مغربا إلى وَاسِطَ ؛ ثم يشرق إلى بطائح وَاسِطَ ؛ ثم يخرج من البطائح ويسير بين الشرق والجنوب حتى يتجاوز البَصْرَةَ، ويمتز على فُوْهَةِ الأُبْلَةِ ، ثم يسير إلى عَبَادَانَ ويصب في بحر فَارِسَ .

وأما الأنهار التي تصب في دِجْلَةَ : فمنها نهر آرَزَنَ ، ونهر التُّرْتَارِ، ونهر الفُرَاتِ الأعلى وهو الأكبر، ونهر الزَّابِ الأصغر، وغيرها .

وأما الأنهار التي تخرج من دِجْلَةَ فعِدَّةٌ أنهار ؛ من أشهرها نهر الأُبْلَةِ ، ونهر مَعْقِلِ المقدم ذكرهما في الكلام على متنزهاة هذه المملكة .

الثالث - دِجْلَةُ الأهواز . وهو نهر ينبعث من الأهواز، ويمتز في جهة الغرب إلى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ، وهو قرب دِجْلَةَ بغداد في المقدار؛ وعليه مزارعٌ عظيمة من قصب السُّكَّرِ وغيره .

(١) الرابع - نهر شيرين . وهو نهر يخرج من جبل دينار من ناحية بازرع ويخترق بلاد فارس ويقع في بحر فارس عند جنابة ، من بلاد فارس .

الخامس - نهر المسرقان . وهو نهر عظيم في بلاد خوزستان ، يجري من ناحية شستر ، ويمر على عسكر مكرم ، ويسقى بجميع مائه النخل والزرع وقصب السكر ، ولا يضيع شيء من مائه .

السادس - نهر شستر . وهو نهر يخرج من وراء عسكر مكرم ، ويمر على الأهواز ؛ ثم ينتهي إلى نهر السدرة إلى حصن مهدى ، ويصب في بحر فارس .

السابع - نهر طاب . ومخرجه من جبال أصفهان من قرب المرح ، وينضم إليه نهر آخر ويسير حتى يمر على باب أرجان ، ويقع في بحر فارس عند شينير .

(٢) الثامن - نهر سگان . وهو نهر يخرج من رستاق الرونجان من قرية تدعى ساركري ، ويسقى شيئاً كثيراً من كور فارس ؛ ثم يصب في بحر فارس ؛ وعليه من العارة ما ليس على غيره .

التاسع - نهر زندورذ ، بفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة والواو ثم راء مهملة ساكنة وذال معجمة في الآخر . وهو نهر كبير على باب أصفهان .

العاشر - نهر الهندمند . قال ابن حوقل : وهو أعظم أنهار سجستان ، ويخرج من ظهر القور ، ويمر على حدود الرخج ؛ ثم يعطف ويمر على بست ، حتى يصير على مرحلة من سجستان ؛ ثم يصب في بحيرة زره ؛ وإذا تجاوز بست يتشعب منه أنهار كثيرة ؛ وعلى باب مدينة بست على هذا النهر جسر من السفن كما في دجلة .

(١) في التقوم "نازرنج" ولم نعرف في المعجم على كلا اللفظين .

(٢) في التقوم "الرويجان ساذفري" .

الحادى عشر - نهر الرَّسّ . وهو نهر يخرج من جبال قَالِقَلَا، ويمتد إلى وَرَثَانَ ؛ ثم يلتقى مع نهر الكُرِّ الآتى ذكره بالقرب من بحر الخَزْرِ فيصيران نهرا واحدا ويصبان في بحر الخَزْرِ المذكور . قال في "تقويم البلدان" : وخلف نهر الرَّسّ فيما يقال ثلاثمائة وستون مدينة خراب ، يقال إنها المراد في القرءان بقوله تعالى ﴿ وَأَحْبَابُ الرَّسِّ ﴾ .

الثانى عشر - نهر الكُرِّ . وهو نهر فاصل بين أَزَانَ وَأَدْرِيَجَانَ كالحلد بينهما ، وأوله عند جبل باب الأبواب ، ويخترق بلاد أَرَانَ ويصب في بحر الخَزْرِ . وذكر ابن حوقل أن نهر الكُرِّ يمتد على ثلاثة فراسخ من بَرْدَعَةَ . وبقَارِسَ أيضا نهر يقال له نهر الكُرِّ إلا أنه دون هذا في القدر والشهرة .

الثالث عشر - نهر جُرْجَانَ . ومخرجه من جبل جرجان ، ويسير غربا بجنوب إلى أَبْسُكُونَ ثم يفترق من أَبْسُكُونَ نهرين ويصب في بحر الدَّيْلَمِ .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة ، وذكر شيء

من المسافات بين بلادها)

وَأَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ الْمَمْلَكَةِ الْمَضَافَةَ إِلَى الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ مَمْلَكَةُ حَلَبَ ، فَتَعِينُ الْإِبْتِدَاءَ مِنْهَا . وَنَحْنُ نُوْرِدُ ذَلِكَ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ كَلَامُ عِيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُرْدَاذِبَةَ فِي كِتَابِهِ "المسالك والممالك" مقتصرًا على ذكر مشاهير البلاد .

(الطريق من حَلَبَ إِلَى الْمَوْصِلِ) - مِنْ حَلَبَ إِلَى مَنبِجَ ، وَمِنْ مَنبِجَ إِلَى الرَّسْتَنِ ، وَمِنْ الرَّسْتَنِ إِلَى الرَّقَّةِ إِلَى رَأْسِ عَيْنِ سَبْعَةِ عَشْرِ فَرَسَخًا ، وَمِنْ رَأْسِ عَيْنِ إِلَى كَفَرْتُونَا سَبْعَةَ فَرَسَخٍ ، وَمِنْ كَفَرْتُونَا إِلَى دَارَا نَحْسَةَ فَرَسَخٍ ، وَمِنْ دَارَا إِلَى نَصِيبِيْنَ أَرْبَعَةَ فَرَسَخٍ ، ثُمَّ إِلَى بَلَدِ ثَلَاثُونَ فَرَسَخًا ، ثُمَّ إِلَى الْمَوْصِلِ سَبْعَةَ فَرَسَخٍ .

(الطريق من الموصِل إلى بَغْدَادَ) - من الموصل إلى الحَدِيثَةِ أحد وعشرون فرسخًا ،
ثم إلى السَّنِّ خمسة فراسخ ، ثم إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ثلاثة فراسخ ، ثم إلى القَادِسِيَّة تسعة
فراسخ ، ثم إلى عَكْبَرَى ثمانية فراسخ ، ثم إلى البَرْدَانَ أربعة فراسخ ، ثم إلى بَغْدَادَ خمسة
فراسخ [. وأخبرني بعض أهل تلك البلاد أن الطريق من حَلَبَ إلى البيرة يومان ،
ومن البيرة إلى الرها يومان ، ومن الرها إلى ماردين أربعة أيام ، ثم من ماردين إلى
جزيرة ابن عُمر ثلاثة أيام ، ثم من جزيرة ابن عُمر إلى الموصِل يومان ، ومن الموصل
إلى تَكْرِيت يومان ، ومن تَكْرِيت إلى خُوَيَّ يومان ، ومن خُوَيَّ إلى بَغْدَادَ يومان .
(الطريق إلى نَيْسَابُورَ : قَاعِدَةُ خُرَّاسَانَ) - من بغداد إلى النَهْرَوَانَ أربعة فراسخ ،
ثم إلى الدَّسْكَرَةِ اثنا عشر فرسخًا ، ثم إلى جَلُولَاءَ سبعة فراسخ ، ثم إلى خَافِقِينَ سبعة
فراسخ ، ثم إلى قَصْرِ شِيرِينَ ستة فراسخ ، ثم إلى حُلَوَانَ خمسة فراسخ ، ثم إلى مَرَجِ
القَلْعَةِ عشرة فراسخ ، ثم إلى قَصْرِ يَزِيدَ أربعة فراسخ ، ثم إلى قَصْرِ عَمْرُو ثَلَاثَةَ عَشَرَ
فرسخًا ، ثم إلى قَصْرِ اللُّصُوصِ سبعة عشر فرسخًا ، ثم إلى قرية العَسَلِ ثلاثة فراسخ ،
ثم إلى هَمْدَانَ خمسة فراسخ ، ثم إلى الأَسَاوِرَةِ اثْنان وعشرون فرسخًا ، ثم إلى سَاوَةَ
خمس عشرة فرسخًا ، ثم إلى الرِّىِّ أربعة وعشرون فرسخًا ، ثم إلى قَصْرِ المَلْحِ أحد
وثلاثون فرسخًا ، ثم إلى رَأْسِ الكَلْبِ سبعة فراسخ ، ثم إلى سِمَنَانَ ثمانية فراسخ ،
ثم إلى بُوَمَنَ سبعة عشر فرسخًا ، ثم إلى أَسَدَابَادَ أربعون فرسخًا ، ثم إلى خُسْرُو حَرْدَ
اثنا عشر فرسخًا ، ثم إلى نَيْسَابُورَ خمسة عشر فرسخًا .

(الطريق من نَيْسَابُورَ إلى بَلْخِ ثم إلى نهر جِيحُونَ) - من نَيْسَابُورَ إلى طُوسِ ثلاثة
عشر فرسخًا ، ثم إلى مَرُو الرُّودِ أحد عشر فرسخًا ، ثم إلى سَرَخَسَ ، ثم إلى قَصْرِ النِجَارِ
ثلاثة فراسخ ، ثم إلى مَرُو الشَّاهْجَانَ سبعة وعشرون فرسخًا ، ثم إلى القَوَيْتَيْنِ خمسة

وعشرون فرسخًا، ثم إلى أسدآبادَ على النهر سبعة فراسخ، ثم إلى قصر الأحنف على النهر عشرة فراسخ، ثم إلى مرو الرود خمسة فراسخ، ثم إلى الطالقان ثلاثة وعشرون فرسخًا، ثم إلى أربعين تسعة فراسخ، ثم إلى العاديات عشرة فراسخ، ثم إلى السدرة من عمل بلخ أربعة وعشرون فرسخًا، ثم إلى الغور تسعة فراسخ، ثم إلى بلخ ثلاثة فراسخ، ثم إلى شطّ جيحونَ اثنا عشر فرسخًا. فذات اليمين كورة ختل ونهر الصرغام؛ وذات اليسار خوارزم، وسيأتي ذكرهما في الكلام على مملكة توران فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(الطريق إلى شيراز قاعدة فارس) - قد تقدّم الطريق من حلب من مضافات الديار المصرية إلى بغداد، ومن بغداد إلى واسط خمسة وعشرون سكة، ومن واسط إلى الأهواز عشرون سكة، ثم إلى النوبدجان تسع عشرة سكة، ثم إلى شيراز اثنتا عشرة سكة .

(الطريق من شيراز إلى السيرجان: قاعدة كرمان) - من شيراز إلى إصطخر خمس سكاك، ثم من إصطخر إلى البحيرة ثلاثة عشر فرسخًا، ثم إلى شاهك الكبرى سبعة عشر فرسخًا، ثم إلى قرية الملح تسعة فراسخ، ثم إلى مرزبانة ثمانية فراسخ، ثم إلى اروان ثلاثة فراسخ، ثم إلى المرمان وهو آخر عمل فارس إلى السيرجان ستة عشر فرسخًا .

(الطريق إلى أصفهان) - من بومن المقدم ذكرها إلى الرباط ثلاثة عشر فرسخًا، ثم إلى أصفهان أربعة عشر فرسخًا .

(الطريق إلى البصرة) - قد تقدّم الطريق من حلب إلى بغداد، ثم إلى واسط، ثم إلى الفاروث، ثم إلى دير العمال، ثم إلى الحوانيت، ثم يسير في البطائح، ثم إلى نهر أبي الأسد، ثم في دجلة العورا، ثم في نهر معقل، ثم يمضي إلى البصرة .

(١) (الطريق إلى تبريز) - قد تقدم الطريق من حلب إلى مَردِين، ثم من مَردِين إلى حِصْن كَيْفَا يومان، ومن الحصن إلى سِعْرَت يومان، ومن سِعْرَت إلى وان يومان، ومن وان إلى وَسْطَانَ ثلاثة أيام، ومن وَسْطَانَ إلى سَلْمَاسَ يومان، ومن سَلْمَاسَ إلى تَبْرِيزَ أربعة أيام؛ فيكون بين حلب وتَبْرِيزَ ثلاثة وعشرون يوما .

(الطريق إلى السُّلْطَانِيَّة) - من تَبْرِيزَ إليها سبعة أيام؛ فيكون من حلب إلى السُّلْطَانِيَّة ثلاثون يوما .

الجملة الخامسة

(في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة)

(بعض مسافات بلاد الجزيرة) - من الأَنْبَارِ إلى تِكْرِيْتِ مرحلتان، ومن تِكْرِيْتِ إلى المَوْصِلِ ستة أيام، ومن المَوْصِلِ إلى آمِدَ أربعة أيام، ومن آمِدَ إلى سُمَيْسَاطِ ثلاثة أيام؛ ومن المَوْصِلِ إلى نَصِيْبِيْنَ أربع مراحل، ومن نَصِيْبِيْنَ إلى رَأْسِ عَيْنِ ثلاث مراحل، ومن رَأْسِ عَيْنِ إلى الرِّقَّةِ أربعة أيام، ومن رَأْسِ عَيْنِ إلى حَرَّانَ ثلاثة أيام، ومن حَرَّانَ إلى الرُّهَّا يوم واحد .

(بعض مسافات خُورُسْتَانَ) - من عَسْكَرِ مُكْرَمِ إلى الأَهْوَازِ مرحلة، ومن الأَهْوَازِ إلى الدَّوْرَقِ أربع مراحل، [وكذلك من عَسْكَرِ مُكْرَمِ إلى الدَّوْرَقِ] (٢) ومن عَسْكَرِ مُكْرَمِ إلى سُوْقِ الأَرْبَعَاءِ مرحلة، ومن سُوْقِ الأَرْبَعَاءِ إلى حِصْنِ مَهْدِيْ مرحلة، ومن السُّوسِ إلى بَصْنِيْ مرحلة خفيفة، ومن السُّوسِ إلى مَتُوْثِ مرحلة .

(بعض مسافات فارس) - قال ابن حوقل : من شِيرَازَ إلى سِيرَافَ نحو ستين فرسخا، ومن شِيرَازَ إلى إِصْطَخْرَ نحو اثني عشر فرسخا، ومن شِيرَازَ إلى كَازْرُوْنَ

(١) في القاموس "تبريز وقد تكسر"

(٢) الزيادة عن "تقوم البلدان" ليم البيان .

نحو عشرين فرسخا ، ومن كازرون إلى جنّابة أربعة وأربعون فرسخا ، ومن شيراز إلى أصبهان أثنان وسبعون فرسخا ، ومن شيراز مغربا إلى أول حدود خوزستان ستون فرسخا ، ومن شيراز إلى بسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن شيراز إلى البيضاء ثمانية فراسخ ، ومن شيراز إلى دارايجرد خمسون فرسخا ، ومن مهرובان إلى حصن ابن عمارة نحو مائة وستين فرسخا .

(بعض مسافات كerman) - من السيرجان إلى المفازة مرحلتان ، ومن السيرجان إلى جيرفت مرحلتان ، ومن السيرجان إلى مدينة الزرند تسعة وعشرون فرسخا .

(بعض مسافات إرمينية وأران وأذربيجان) - قال ابن حوقل : من بردعة إلى شمکور أربعة عشر فرسخا ، ومن بردعة إلى تفليس ثلاثة وأربعون فرسخا ، ومن أردبيل إلى المراغة أربعون فرسخا ، ومن المراغة إلى أرمية أربع مراحل ، ومن أرمية إلى سلماس مرحلتان ، ومن سلماس إلى خوى سبعة فراسخ ، ومن خوى إلى برکري ثلاثون فرسخا ، ومن برکري إلى أرجيش يومان ، ومن أرجيش إلى خلاط ثلاثة أيام ، ومن خلاط إلى بدليس ثلاثة أيام ، ومن بدليس إلى ميا فارقين أربعة أيام .

[ذكر الطريق من المراغة إلى أردبيل ؛ من مراغة إلى أرمية ثلاثون فرسخا]^(١) ، ومن أرمية إلى سلماس أربعة عشر فرسخا ، ومن خوى إلى نشوى [ثلاثة أيام ، ومن نشوى] إلى دبيل أربع مراحل ؛ ومن المراغة إلى الدينور ستون فرسخا ، ومن خونج إلى مراغة [ثلاثة عشر فرسخا]^(١) ، ومن بردعة إلى ورنان سبعة فراسخ ، ومن ورنان إلى بيلقان سبعة فراسخ ، ومن شروان إلى باب الأبواب نحو سبعة أيام ، ومن بردعة إلى تفليس نحو اثنين وستين فرسخا .

(١) الزائد من تقويم البلدان عن ابن حوقل ليستقيم الكلام .

(بعض مسافات عراق العجم) - من همدان إلى الدينور ما ينيف على عشرين فرسخا ، ومن همدان إلى ساوة ثلاثون فرسخا ، ومن ساوة إلى الرى ثلاثون فرسخا أيضا ؛ ومن همدان إلى زنجان على شهرزور ثلاثون فرسخا ؛ ومن همدان إلى أصبهان ثمانون فرسخا ؛ ومن همدان إلى أول خراسان نحو سبعين فرسخا ، ومن ساوة إلى قم نحو اثني عشر فرسخا ، ومن قم إلى قاشان نحو اثني عشر فرسخا أيضا ، ومن الرى إلى قزوین ثلاثون فرسخا ، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل ، ومن أصبهان إلى قاشان ثلاث مراحل .

(بعض مسافات طبرستان ومازندران وقومس) - قال ابن حوقل : بين أمل وسارية مرحلتان ، ومن سارية إلى استراباد نحو أربع مراحل ، ومن استراباد إلى جرجان نحو مرحلتين ؛ ومن أمل إلى ما مطير مرحلة ، ومن ما مطير إلى سارية مرحلة ، ومن جرجان إلى بسطام مرحلتان .

(بعض مسافات خراسان) - قال في "تقويم البلدان" : من أول أعمال نيسابور إلى وادی جیحون ثلاث وعشرون مرحلة ، ومن سرخس إلى نسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن هرة إلى نيسابور أحد عشر يوما ، ومن هرة إلى مرو كذلك ، ومن هرة إلى سيستان كذلك ، ومن مرو الروذ إلى مرو الشاهجان أربعة أيام ، ومن بلخ إلى فرغانة ثلاثون مرحلة مشرقا ، ومن بلخ إلى الرى ثلاثون مرحلة مغربا ، ومن بلخ إلى سيستان ثلاثون مرحلة جنوبا ، ومن بلخ إلى كرمان ثلاثون مرحلة ، ومن بلخ إلى خوارزم ثلاثون مرحلة .

الجملة السادسة

(فيما بهذه المملكة من النفائس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر،

والمنتزهات المرتفعة الصيت)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : بها عدة نفائس وعجائب .

أما النفائس فإن بها مفاص اللؤلؤ ببحر فارس بجزيرة كيش وعمان، وهما من أحسن المفاصات وأشرفها وأعلاها قدرا في حسن اللؤلؤ على ما تقدم ذكره في الكلام على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبالدعمان في جبلها معدن ذهب . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني : وهو قليل المتحصّل لكثرة ما يحتاج إليه من الكلف حتى يُستخرج ويذخشان شرقي^(١) عراق العجم البازهر الحيواني الذي لا يباريه شيء في دفع السموم يوجد في الأيائل التي هناك ، وقد مرّ ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبها الإثمد الأصفهاني الذي لا يساوي رتبة، وقد مرّ ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى، ولكنه قد عزّ الآن حتى لا يكاد يوجد . قال المقر الشهابي بن فضل الله : سألت الشيخ شمس الدين الأصفهاني عن سبب قلته ، فقال : لأنقطاع عمره فما بقي يوجد منه إلا ما لا يرى . قال في "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة مستعملات التماس الفاخر من النخ ، والمخمل ، والكحما ، والعتابي ، والنصافي ، والصوف الأبيض المارديني ، وتعمل بها البسط الفاخرة في عدة مواضع مثل شيراز وأقصر وتوريز إلى غير ذلك من الأشياء النفيسة التي لا يضاهاها غيرها فيها .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .



وأما العجائب ، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن بمدينة قشمر على ثلاثة أيام عن أصفهان عين ماء سارحة يسمى ماؤها بماء الجراد ، إذا حمل ماؤها في إناء وعلق في تلك الأرض على عال ، أتاها طير يقال له سار فأكل ما فيها من الجراد حتى لا يدع منه شيئاً بشرط أن لا يوضع على الأرض حتى يوقى به إلى مكان الجراد فيعلق . وحكى محمد بن حيدر الشيرازي في مصنف له : أن بين الدماغان وأسترباذ من خراسان عينا ظاهرة إذا ألقيت فيها نجاسة فار ماؤها وأزبدت شيئاً تبعته دودة طول أتملة الإنسان حتى لو حمل الماء تسعة وكان معهم عاشر لم يحمل الماء ، تبع كل واحد من حمل الماء دودة ، ولم يتبع الآخر منها شيء ، فلو قتل واحد منهم تلك الدودة استحال الماء مرا لوقته ، وكذلك ماء كل من هو وراءه ، ولا يستحيل ماء من هو إلى جانبه مرأ . قال ابن حوقل : وبكورة سابور من بلاد فارس جبل فيه صورة كل ملك وكل مرزبان معروف للعجم وكل مذكور من سدنة التيران . وفي كورة أرجان في قرية يقال لها طبريان [بئر^(٢)] يذكرونها أنهم امتحنوا قعرها بالمثقات فلم يلحقوا لها قعرا ، ويفور منها ماء بقدر ما يدبر حتى تسقى أرض تلك القرية . قال : وفي كورة رستاق [بئر^(٢)] تعرف بالهنديجان بين جبلين يخرج منها دخان لا يستطيع أحد أن يقربها ، وإذا طار عليها طائر سقط فيها وأحرق . وبناحية داذين نهر ماء عذب يعرف بنهر أخشين ، يشرب منه الناس وتسقى به الأرض ، وإذا غسلت به الثياب خرجت خضراً .

(١) لعله ولو حمل واحد من ماؤها شيئاً الخ .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام .



وأما المنتهات فيها نهر الأبلّة وشعب بوانّ - وهما نصف منتهات الدنيا الأربعة : وهى نهر الأبلّة وشعب بوانّ المذكوران وصغد سمرقند وغوطة دمشق . وقد تقدم أن نهر الأبلّة نهر شقّه زياداً مقابلة نهر معقل ، وبينهما البساتين والقصور العالية والمباني البديعة ، يتسلسل مجراه ، وتهل بكه وعشاياه ، ويظله الشجر وتعنى به زمر الطير . وفيه يقول القاضى التنوخى من أبيات :

وإذا نظرت إلى الأبلّة خلّتها * من جنة الفردوس حين تحيل !
كم منزل في نهرها إلى السرو * ربّانّه في غيرها لا ينزل !
وكأما تلك القصور عرائس * والروض حلى وهى فيه ترفل !

وشعب بوانّ - وهو عدّة قرى مجتمعة ومياه متصلة ، والأشجار قد غطت تلك القرى فلا يراها الإنسان حتى يدخلها ، وهو بظاهر همدان يشرف عليها من جبل ، وهو فى سفح الجبل والأنهار تحطّ عليه من أعلى الجبل ، وهو من أبداع بقاع الأرض منظرًا . قال المبرد : أشرفت على شعب بوانّ فنظرت فإذا بماء ينحدر كأنه سلاسل فضة ، وتربة كالكاפור ، وثريّة كالثوب الموشى ، وأشجار متهادلة ، وأطيّار متجاوبة . وفيه يقول أبو الطيّب المتنبي حين مرّ به :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمان !
ولكنّ الفتى العرّبى فيها * غريب الوجه واليد واللّسان !

الجملة السابعة

(في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما)

وهم عليّ ضربين :

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

وأعلم أن هذه المملكة لم تزل بيد ملوك الفرس لابتداء الأمر وإلى حين انقراض دولتهم بالإسلام عليّ ماسياتي ذكره . قال المؤيد صاحب حماة : وهم أعظم ملوك الأرض من قديم الزمان ، ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم في ذلك أحد . وهم عليّ أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(الفيشداذية)

سُموا بذلك لأنه كان يقال لكل من ملك منهم فيشداذ ومعناه سيرة العدل . وأول من ملك منهم (أوشهنج) وهو أول من عُقد عليّ رأسه التاج وجلس عليّ السرير ورُتب الملك ونظّم الأعمال ووضع الخراج . وكان ملكه بعد الطوفان بمائة سنة ، وهو الذي بنى مدينتي بابل والسوس ، وكان محمود السيرة ، حسن السياسة . ثم ملك بعده (طهمورث) وهو من عقب أوشهنج المقدم ذكره ، وبينهما عدة آباء ، وسلك سيرة جدّه ، وهو أول من كتب بالفارسية .

ثم ملك بعده أخوه (جمشيد) ومعناه شعاع القمر ، وسار سيرة من تقدّمه وزاد عليها ، وملك الأقاليم السبعة ، ورتب طبقات الحجاب والكباب ونحوهم ؛ وهو الذي أحدث التيروز وجعله عيدا ؛ ثم حاد عن سيرة العدل فقتله الفرس .

(١) في تاريخ أبي الفدا (بماتق) بالثنوية .

وملك بعده (بيوراسب) ويعرف بالدهَّاك، ومعناه عشر آفات، والعامَّة تسميه الضحاك، وملك جميع الأرض فسار بالجوَّ والعسف، وبسط يده بالقتل، وأحدث المُكوس والعُشور، وأتخذ المغنِّين والملاهي. وسيأتي خبره لاكه مع كابي الخارج عليه في الكلام على النحل والملل، ويقال إنه هو ومن قبله كانوا قبل الطوفان .

ثم ملك بعده (إفريدون) ويقال إنه التاسع من ولد "جمشيد" المقدم ذكره، وفي أوَّل ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضا وقسمها بين ينيه ومات .

فملك بعده ابنه (إيراج) بعهد من أبيه، ثم ملك بعده أخوه (شرم) و(طوج) ثم غلبهما على الملك (منوَجهر بن إيراج) وفي أيامه ظهر موسى عليه السلام . ويقال إن فرعون موسى كان عاملا له على مصر داخلا تحت أمره .

ثم تغلب على المملكة (فراسياب بن طوج) فأفسد ونحرب؛ ثم غلبه عليها (زوبن طهماسب) من أولاد منوَجهر، فأحسن السيرة وعمّر البلاد، وشقَّ نهر الزَّاب وبنى مدينة على جانبه .

ثم ملك بعده (كرشاسف) من أولاد طوج بن إفريدون، وهو آخر ملوك هذه الطبقة .

الطبقة الثانية

(الكَيانية)

سُمُّوا بذلك لأن في أوَّل أسم كل واحد منهم لفظة كي، ومعناه الروحاني وقيل الجبَّار. وأوَّل من ملك منهم بعد كرشاسف المقدم ذكره (كيقباز) بن زو، فسار سيرة أبيه في العدل ومات؛ فملك بعده (كيكاؤوس) بن كيينه بن كيقباز ومات؛ فملك

(١) كذا في المختصر أيضا وفي العبر "الازدهاك بصاد بين السين والزاي وحاء قرية من الهاء وكاف قرية من القاف" وفي المسعودي "الده آك" .

بعده أبنه (كيوخسرو بن سیاووس بن كيكائوس) بولاية من جدّه ، ثم أعرض عن الملك .

وملك بعده (كيهراسف بن أخى كيكائوس) وأتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجواهر ، كان يجلس عليه ، وبنى مدينة بلخ بأرض خراسان وسكنها لقتال الترك ، وفي زمنه كان يُختنصر فجعله نائبا له ثم مات .

وملك بعده (كيهشتاسف) وبنى مدينة نسا ، وفي أيامه ظهر زرادشت صاحب " كتاب المجوس " الآتى ذكره فى الكلام على النحل والملل ، وتبعه كيهشتاسف على دينه ثم فقد .

وملك بعده (أردشير بهمن) ومعنى بهمن الحسن النية ابن إسفنديار بن كيهشتاسف ، وأسمه بالعبرانية كورش ، وملك الأقاليم السبعة ، وهو الذى أمر بعمارة البيت المقدس بعد أن خربه بختنصر .

ثم ملك بعده أبنه (دارا بن أردشير) وفى زمنه ملك (الإسكندر بن فيلبس) وغلب دارا على ملك فارس ، وأستتاب به عشرين رجلا ، وهم المسمون بملوك الطوائف ، فأقاموا على ذلك خمسمائة وأثنتى عشرة سنة ، ثم بطل حكم ذلك .

الطبقة الثالثة

(الإشغانية ، يقال لكل منهم اشغا)^(١)

وأول من ملك منهم بعد ملوك الطوائف (اشغا بن اشغان) . ثم ملك بعده أبنه^(٢) (سابور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (سين بن اشغا) ستين سنة . ثم ملك بعده (جور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بيرن الاشغانى) إحدى وعشرين

(١) فى العبر " الاشكانية وكافها أقرب إلى العين " فنبه .

(٢) هنا مخالفة لما فى كتابي مختصر أبى الفداء والعبر فراجعهما .

سنة ومات . فملك بعده (جودرز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (نرسي الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (هرمز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (اردوان الاشغاني) اثنتي عشرة سنة ومات . فملك بعده (خسرو الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (بلاش الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (اردوان الأصغر) وهو آخر ملوكهم من هذه الطبقة .

الطبقة الرابعة

(الأكاسرة)

وأول من ملك منهم (أردشير بن بابك) من عقب ساسان بن "أردشير بهمن" قتل "اردوان" وأستولى على ملكه، فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وكتب عهدا بالملك في عقبه ومات . فملك بعده ابنه (سابور) إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر، وفي أيامه ظهر "ماني الزنديق" وأدعى النبوة، وأعتنى بنقل كتب الفلسفة من اللغة اليونانية إلى اللغة الفارسية، ويقال إن العود الذي يتغنى به حدّث في أيامه ومات . فملك بعده ابنه (هرمز) سنة واحدة وستة أشهر ومات . فملك بعده ابنه (بهرام) ثلاث سنين وثلاثة أشهر ومات؛ فملك بعده ابنه (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة ومات . فملك بعده ابنه (بهرام بن بهرام بن بهرام) أربع سنين ثم مات . فملك بعده أخوه (نرسي بن بهرام) تسع سنين ثم مات . وملك بعده ابنه (هرمز) تسع سنين أيضا ومات . فملك بعده ابنه (سابور) وهو الذي عمل الجسر الثاني لدجلة ليكون أحد الجسرين للذاهبين، والآخريين . وفي زمنه كان قسطنطين ملك الروم ومات . فملك بعده أخوه (أردشير) بوصية منه، ثم مات . فملك بعده ابنه (سابور)

(١) قال في العبر "ضبطه الدارقطني بالراء المهملة" .

(٢) صوابه ابن أخيه .

أبن سابور) ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) ثم ملك بعده أبنه (يزدجرد) المعروف بالأئيم؛ ثم ملك بعده (كسرى) من ولد "أردشير" [ثم ملك بعده (بهرام جور بن يزدجرد الأئيم) وكانت مدة ملكه^(١) ثلاثا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (يزدجرد) ثمانيا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (هرمز) ثم مات . فملك بعده أخوه (فيروز) سبعا وعشرين سنة ، وظهر في أيامه غلاء شديد . ثم ملك بعده أبنه (بلاش) أربع سنين ومات . فملك بعده أخوه (قباد) ثلاثا وأربعين سنة "وفي أيامه ظهر مردك الزنديق وادعى النبوة" ثم خلع . وملك بعده أخوه (جاماسف) [ثم تغلب عليه قباد واستمر في الملك^(٢)] ثم مات . وملك بعده (أنوشروان) ثمانيا وأربعين سنة ، وقتل مردك الزنديق وأتباعه وجماعة من المانوية ، وغلب على اليمن وأترعها من الحبشة . وفي زمانه ولد عبدالله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ! ثم ولد النبي صلى الله عليه وسلم ! في آخر أيامه ؛ ثم مات . وملك بعده أبنه (هرمز) نحو ثلاث عشرة سنة ونصف . ثم ملك (أبرويز بن هرمز) ؛ ثم غلبه على الملك (بهرام چوبين) من غير أهل بيت الملك ؛ ثم عاد أبرويز إلى الملك وملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وتزوج شيرين المغنية وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين . ثم ملك بعده أبنه (شيره) تغلبا على أبيه ثمانية أشهر . ثم ملك بعده أبنه (أردشير) سنة وستة أشهر . ثم ملك بعده (شهران) من غير بيت الملك ثم قتل . وملك بعده (بوران) بنت أبرويز سنة وأربعة أشهر . ثم ملك بعدها (خشنشده) من بنى عم أبرويز أقل من شهر . ثم ملك بعده (أزميدخت) بنت أبرويز أخت بوران . ثم قتلت ؛ وملك بعدها (كسرى بن مهر خشنش) ؛ ثم قتله بعد أيام ؛ ثم ملك بعده

(١) الزيادة من تاريخ أبي الفداء ليم الكلام ويستقيم .

(٢) » » » بالمعنى لتسمي الكلام .

(١١)
فرخ زاد خسرو [من أولاد أنوشروان وملك ستة أشهر وقتلوه؛ ثم ملك] (يزدجرد)
وهو آخرهم .

الضرب الثاني

(ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(عمال الخلفاء)

قد تقدم أن فتحها كان في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتوالت عليها عمال الخلفاء في بقية خلافة عمر ، ثم في خلافة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، ومقامهما يومئذ بالمدينة النبوية ؛ ثم لما بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعد قتل عثمان ، جعل إقامته بالعراق ؛ ثم كان بعده ابنه الحسن السبط رضي الله عنه ، فأقام بالعراق إلى أن سلم الأمر إلى (معاوية بن أبي سفيان) وصارت الخلافة إلى بني أمية ، وجعلوا دار إقامتهم بالشام وتوالت على هذه المملكة توابعهم في خلافة معاوية ؛ ثم (ابن يزيد) ؛ ثم (ابن معاوية بن يزيد) ؛ ثم (مروان بن الحكم) ؛ ثم (عبد الملك بن مروان) ؛ ثم (الوليد ابن عبد الملك) ؛ ثم (سليمان بن عبد الملك) ؛ ثم (عمر بن عبد العزيز) ؛ ثم (يزيد ابن عبد الملك) ؛ ثم (هشام بن عبد الملك) ؛ ثم (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ؛ ثم (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) ؛ ثم (إبراهيم بن الوليد) ؛ ثم (مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم) وهو آخرهم .

(١) أي ابن شهر يار . وبقية نسبه في تاريخ أبي الفداء والزيادة منه ليم الكلام .

الطبقة الثانية

(خلفاء بني العباس)

وقد تقدم في أول هذه [المقالة] أن دار مقامهم كانت بالعراق، وأن أول من ولي منهم الخلافة (أبو العباس السفاح)، فبنى المدينة الهاشمية ونزلها، ثم آتقل منها إلى الأنبار فكانت دار مقامه إلى أن مات؛ ثم كان بعده أخوه (أبو جعفر المنصور) فبنى بغداد وسكنها؛ ثم سكنها بعده ابنه (المهدى) بن المنصور؛ [ثم ابنه (الهادي)]^(١)؛ ثم أخوه (هارون الرشيد) بن المهدي؛ ثم ابنه (الأمين)؛ ثم أخوه (المأمون)؛ ثم أخوه (المعتصم) بن الرشيد؛ ثم (الواثق) بن المعتصم؛ ثم أخوه (المتوكل)؛ ثم ابنه (المنتصر)؛ ثم (المستعين بن المعتصم)؛ ثم (المعتز بن المتوكل)؛ ثم (المهتدي) ابن الواثق؛ ثم (العمد بن المتوكل)؛ ثم (المعتضد بن موفق طلحة) بن المتوكل؛ ثم ابنه (المكشفي) بن المعتضد؛ ثم أخوه (المقتدر)؛ ثم (المرتضى) بن المعتز؛ ثم أخوه (القاهر)؛ ثم (المقتدر) المقدم ذكره؛ ثم أخوه (القاهر) المقدم ذكره؛ ثم ابن أخيه (الراضي)؛ ثم أخوه (المتقي)؛ ثم ابن عمه (المستكفي)؛ ثم ابن عمه (المطيع)؛ ثم ابنه (الطائع)؛ ثم (القادر)؛ ثم ابنه (القائم)؛ ثم ابنه (المقتدى)؛ ثم ابنه (المستظهر) ثم ابنه (المسترشد)؛ ثم ابنه (الراشد)؛ ثم (المقتفي) بن المستظهر؛ ثم ابنه (المستجد)؛ ثم ابنه (المستضيء)؛ ثم ابنه (الناصر)؛ ثم ابنه (الظاهر)؛ ثم ابنه (المستنصر)؛ ثم ابنه (المستعصم) وقتله هولاكو ملك التتار الآتي ذكره، في العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، وهو آخرهم ببغداد.

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَ الْخِلاَفَةِ كَانَ قَدْ وَهِيَ وَضَعُفٌ، وَتَنَاهَتْ فِي الضَّعْفِ أَيَّامَ الرَّاضِي، وَتَغْلَبُ عُمَّالُ الْأَطْرَافِ عَلَيْهَا، فَاسْتَوْلَى مُحَمَّدُ بْنُ رَاقٍ مِنَ الْفِرَاتِ عَلَى الْبَصْرَةِ،

(١) سقط من قلم الناسخ فأثبتناه ليم الكلام وينظم.

والبريدى على خوزستان، وعماد الدولة بن بويه على فارس، ومحمد بن الياص على
 كرمان، وركن الدولة بن بويه على الرمي وأصفهان، وبنو حمدان على الموصل وديار
 بكر وديار مضر وديار ربيعة، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك آخر. ولم يبق للخليفة
 غير بغداد وأعمالها، وأستولى ابن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر،
 وأقام سنة وعشرة أشهر، ثم صار الأمر بعده إلى (يحكم) مملوك وزير (ما كان) بن كاكى
 الديلمى وأستمر أيام الراضى فقتل؛ وأستقر (البريدى) بمده فى أيام المتقى وأيام
 المستكنى، وضربت ألقابه على الدنانير والدرهم، وخطب باسمه على المنابر، وأستمر
 ذلك لذويه من بعده؛ ثم ملك بعده (بختيار)؛ ثم ابن عمه (عضد الدولة) بن ركن
 الدولة حسن بن بويه؛ ثم ابنه (صمصام الدولة) بن عضد الدولة، ثم أخوه (شرف
 الدولة شيرزبك) بن عضد الدولة؛ ثم أخوه (بهاء الدولة أبو نصر) بن عضد الدولة؛
 ثم ابنه (سلطان الدولة أبو شجاع)؛ ثم ابنه (بهاء الدولة)؛ ثم أخوه (مشرف الدولة
 ابن بهاء الدولة)؛ ثم أخوه (جلال الدولة) أبو الطاهر بن بهاء الدولة؛ ثم ابن أخيه
 (أبو كالجار) بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة؛ ثم ابنه الملك الرحيم (خسرو فيروز)
 ابن كالجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه .
 وبنو بويه هؤلاء ينسبون إلى يزيدجرد ملك الفرس .

ثم كانت دولة السلجوقية . وهى من أعظم الدول الإسلامية ، ونسبتهم إلى
 سلجوق بن دقاق أحد مقدّمى الأتراك ، وبهم زالت دولة بنى بويه عن بغداد
 وأعمال الخلافة .

وأول من ملك منهم (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلجوق فى سنة اثنتين وثلاثين
 وأربعائة ؛ ثم ملك بعده ابن أخيه (ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل ؛ ثم ابنه

(١) فى الأصل "ثم ابنه" وهو خلاف الواقع .

(٢) أجمت التواريخ على إسقاط هذا من البين ، وهو ما تقضيه عبارة المؤلف .

(ملكشاه) بن ألب أرسلان ، ثم ابنه (محمود بن ملكشاه) ، ثم أخوه (برييارق) ابن ملكشاه ، ثم أخوه (محمد بن ملكشاه) ، ثم ابنه (محمود بن محمد) ، ثم ابنه (داود بن محمود) ، ثم عمه (طغرليك) بن محمد ، ثم أخوه (مسعود) بن محمد ، ثم ابن أخيه (ملكشاه) بن محمود ، ثم أخوه (محمد بن محمود) . ثم قام منهم ثلاثة : وهم (ملكشاه بن محمود) أخو محمد المذكور ، و(سليمان شاه) بن محمد بن ملكشاه ، وهو عم محمد المذكور ، و(أرسلان شاه) بن طغرليك بن محمد بن ملكشاه . ثم قبض على سليمان شاه ، ومات ملكشاه ، وأنفرد أرسلان شاه بن طغرليك بالسلطنة . ثم ملك بعده ابنه (طغرليك) بن أرسلان شاه وبقى حتى قتله علاء الدين تكمش صاحب خوارزم وبعض نحرأسان والرّي وغيرها ، في خلافة الناصر لدين الله في سنة تسعين وخمسة ، واشتغل (خوارزم شاه) عن فصل العراق فبقى بيد الخلفاء من لدن الناصر لدين الله ، ومن بعده إلى أن انقرضوا بفعله هولاكو ملك التتر الآتي ذكره .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني جنكرخان)

وأول من ملكها منهم (هولاكو) بن طولي بن جنكرخان المقدم ذكره ، قصدتها بأمر أخيه منكوقان بن طولي صاحب التخت في سنة خمسين وستائة ، وقتل المستعصم آخر الخلفاء ببغداد ، وأستولى على جميع المملكة . قال في "مسالك الأبصار" : قال شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني : إلا أن هولاكو لم يملك ملكا مستقلا بل كان نائبا عن أخيه منكوقان ، ولم يضرب بأسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت تضرب باسم أخيه منكوقان . قال : وكان يكون لصاحب التخت أميرًا لا يزال مقيا في مملكة إيران مع هولاكو ، ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وستمائة؛ وملك بعده (أبنة أبغا) . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني: ولما ملك أضاف اسمه في السكة إلى اسم صاحب النخّ، وكان قد وجه أخاه منكوتمر إلى الشام وآتقى مع الجيوش الإسلامية على حمص، وأنكسر عليها؛ ومات سنة إحدى وثمانين وستمائة؛ وملك بعده أخوه (بوكدار بن هولاءكو) وأسلم وحسن إسلامه وتلقب أحمد سلطان، وحمل العسكر على الإسلام فقتلوه؛ وملك بعده ابن أخيه (أرغون) بن أبغا بن هولاءكو في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وتوفي في ربيع الأول سنة تسعين وستمائة؛ وملك بعده أخوه (كبختو) نخرج عن الياسة وأخفش في الفسق بنساء المغل وأبنائهم، فوشب عليه بنو عمه فقتلوه في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة؛ وملك بعده (بيدو بن طرغاي) ابن هولاءكو، وبقي حتى قتل في ذى الحجة من السنة المذكورة؛ وملك بعده (محمود غازان) بن أرغون بن أبغا بن هولاءكو، ودخل إلى الشام، وكان بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقعات بجمص وغيرها آخرها على شقحب، كسر فيها كسرة فاحشة، هلك فيها معظم عسكره في سنة اثنتين وسبعمائة، وبقي حتى توفي في ثالث عشر شوال سنة ثلاث وسبعمائة؛ وملك بعده أخوه (خدابندا) والعامّة تقول خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاءكو في الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمائة؛ ثم ملك بعده (أبو سعيد بن خدابندا) وهو آخر من ملك من بني هولاءكو، وكان بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون مكاتبات ومراسلات وتودّد بعد وحشة، وبموته تفرقت المملكة بأيدي أقوام، وصارت شبيهة بملوك الطوائف من الفرس .

قال في "مسالك الأبصار" بعد ذكر أبي سعيد: ثم هم بعده في دهماء مظلمه، وعمياء مقتمه؛ لا يُفِضُ ليلهم إلى صباح، ولا فرقتهم إلى اجتماع، ولا فسادهم إلى

صَلَّاحُ ، فِي كُلِّ نَاحِيَةِ هَاتِفَ ، يَدْعَى بِأَسْمِهِ ، وَخَائِفَ ، أَخَذَ جَانِبًا إِلَى قَسْمِهِ ، وَكُلِّ طَائِفَةٍ تَتَغَلَّبُ وَتَقِيمُ قَائِمًا تَقُولُ هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الْقَانِ ، وَتَنْسِبُهُ إِلَى فُلَانٍ ، ثُمَّ يَضْمَعُ لُ أَمْرَهُ عَنِ قَرِيبٍ ، وَلَا تَلْحَقُ دَعْوَتُهُ حَتَّى يَدْعَى فَلَا يَجِيبُ ، وَمَا ذَلِكَ مِنَ الدَّهْرِ بِعَجِيبٍ . وَذَكَرَ نَحْوَهُ فِي "التعريف" وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : "وَكَانَ الْعَهْدُ بِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَسُلْطَانَ فَرْدٍ مَطَاعٍ ، وَعَلَى هَذَا مَضَتْ الْأَيَّامُ إِلَى حِينِ وَفَاةِ أَبِي سَعِيدٍ ، فَصَاحَ فِي جَنَابَاتِهَا كُلِّ نَاعِقٍ وَقَطَعَ رِءَاءَهَا كُلِّ جَاذِبٍ ، وَتَفَرَّدَ كُلُّ مَتَغَلَّبٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ ، فَهِيَ الْآنَ نَهْبِي بَأَيْدِيهِمْ .

فَأَمَّا عِرَاقُ الْعَرَبِ وَهُوَ بَعْدَادُ وَبِلَادُهَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَرَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، فَبِيدُ الشَّيْخِ حَسَنِ الْكَبِيرِ ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَقْبَعَا مِنْ طَائِفَةِ التُّورَانِيِّينَ ، كَانَ جَدُّهُ نَوَكْرًا لهُوَلَاكُورِ بْنِ طُولِي بْنِ جَنْكِرْخَانَ ، وَالنَّوَكْرُ هُوَ الرَّفِيقُ .

وَأَمَّا بَقِيَّةُ دِيَارِ بَكْرٍ ، فَبِيدُ إِبْرَاهِيمَ شَاهِ بْنِ بَارَنْبَايَ بْنِ سُونَايَ .

وَأَمَّا مَمْلَكَةُ أَدْرَبِيجَانَ وَهِيَ قَطْبُ مَمْلَكَةِ إِيرَانَ ، وَمَقَرُّ كُرْسِيِّ مَمْلُوكِهَا مِنْ بَنِي جَنْكِرْخَانَ ، فَهِيَ الْآنَ بِيَدِ أَوْلَادِ جَوَابَانَ ، وَبِهَا الْقَانُ الْقَائِمُ بِهَا (سَلْمَانَ شَاهٍ) . قَالَ : وَلَا أَعْرِفُ صِحَّةَ نَسْبِهِ وَلَا سِيَاقَتَهُ بِالِدَّعْوَى .

وَأَمَّا خِرَاسَانَ ، فَبِيدُ الْقَانِ طَغَيْتَمَرِيَارٍ . وَهُوَ صَحِيحُ النِّسْبِ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْ أَسْمَ آبَائِهِ .

وَأَمَّا بِلَادُ الرُّومِ ، فَقَدْ أُضْيِفَتْ إِلَى إِيرَانَ مِنْهَا قِطْعَةٌ صَالِحَةٌ ، وَبِلَادُ نَازِحَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَهِيَ الْآنَ بِيَدِ أَرْتَانَ ، وَقَدْ نَبِهَ عَلَيَّ ذَلِكَ لِيَعْرِفَ .

قُلْتُ : ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ عَنِ ذَلِكَ .

الجملة الثامنة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فالمعتبر فيها معاملة ثلاث قواعد .

الأولى - (بغداد) . قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن ببغداد دينارين . أحدهما يسمى العوال ، عنه آتسا عشر درهما ، الدرهم بقيراط وحبتين . وذلك أن الدينار عشرون قيراطا ، كل قيراط ثلاث حبات ، كل حبة أربعة فلوس من الدرهم التقرة ، عن كل فليس فلسان أحران . والثاني الدينار المرسل ، عنه عشرة دراهم ، وبه أكثر مبيعاتهم ومعاملات تجّارهم . وقد اختلف أصحابنا الشافعية في رطل بغداد ، فذهب الرافعي إلى أنه مائة وثلاثون درهما وهو الموجود فيها الآن ، وعليه اقتصر في "مسالك الأبصار" . وذهب الشيخ محيي الدين النووي إلى أنه مائة وسبعة وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم ، والمن بها رطلان بالتوراني . ومكاييلها أكبرها الكُرُّ ، وهو ثلاثون كارة ، كل كارة قفيزان ، فيكون الكُرُّ [ستين] قفيزا ، والقفيز مكوكان كل مكوكان خمس عشراق^(١) . وتختلف الكارة في الغلال ، فالقمح كارته مائتان وأربعون رطلا ، وكارة الأرز ثلثمائة رطل ، وكارة كل من الشعير والجمّص والعدس والهرطمان مائة رطل ، وكارة الحبة السوداء ، وهي الشونيز مائة رطل .

الثانية - (توريز) قاعدة أذربيجان وسائر المملكة غير بغداد وخراسان . فمعاملاتها بدينار يسمى عندهم بالراج ، عنه ستة دراهم .

الثالثة - (نيسابور) قاعدة خراسان . فدينارها أربعة دراهم ، وفي بعضها الدينار الراج المقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يساع بتوريز وبلادها

(١) كذا في الأصل ، وقد تكلم على المكوكان صاحب القاموس وصاحب اللسان بأوضح مما هنا .

في الغالب قُح ولا شعير ونحوهما إلا بالميزان، وليس لهم إلا المن، وهو بتوريز رطلان بالبغدادى، فتكون زنته مائتين وستين درهما، وبالسلطانية المن ستمائة درهم .

وأما أسعارها فنقل في "مسالك الأبصار" عن يحيى بن الحكيم الطيارى في السعر ببغداد : أن كُرُّ القمح بتسعة وثلاثين دينارا ونصف دينار، والشعير بنجسة عشر دينارا، كلاهما من العوال . ثم قال : ولعل هذا هو السعر المتوسط، لا يكاد يميل فيه القانون عن معدله . وذكر أن الأسعار بتبريز والسلطانية إذا لم ينزل عليها السلطان، فأسعارها رخيصة لا إلى غاية، وكل بلد نزل عليه السلطان غلت أسعاره، ولعل هذا قد تغير كل في زماننا كما تغير غيره من الأحوال .

الجملة التاسعة

(في ترتيب هذه المملكة على ما كانت عليه في زمن نبي هولاكو، آخر أيام
أبي سعيد : من الأمراء والوزراء وأرباب الوظائف)

أما الأمراء . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنهم عندهم على أربع طبقات أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف، ويعبر عنه بأمر تومان، إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف ، ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة . قال في "التعريف" : (وحكام دولة هذا السلطان أمراء الألوس ، وهم أربعة، أكبرهم بكلارى بك : وهو أمير الأمراء، كما كان قطلوشاه عند غازان، وجوبان عند خدابندا، ثم عند أبي سعيد). قال : وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يفصل جليل أمر إلا بهم، فمن غاب منهم كتب في البرالغ : وهى المراسيم كما يكتب لو كان حاضرا، ونائبه يقوم عنه، وهم لا يُمضون أمرا إلا بالوزير، والوزير يمضى الأمور دونهم ويأمر توأبهم فتكتب أسماءهم، والوزير هو حقيقة السلطان، وهو المنفرد بالحديث في المال ،

والولاية، والعزل، حتى في جلائل الأمور كما كان بكلارى بك يتحدث في أمر
العسكر بمفرده. فأما الأشتراك في أمور الناس فبهم أجمعين، وليس للأمرء في غالب
ذلك من العلم إلا ما علم توأبهم .

قال في "مسالك الأبصار" نقلا عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى : وأمر
الجوش والعساكر إلى كبير أمرء الألوُس المسمى بكلارى بك، كما كان قتلوشاه مع
السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابندا، وجوبان مع خدابندا، ثم بعده مع ولده
السلطان أبى سعيد بهادرخان، والشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع خانة السلطان
محمد بن طشتمر بن اشتمر بن غبرجى، وإليه يقطع أمر كل ذى سيف. قال : وأمر
متحصلات البلاد ودخلها ونخرجها إلى الوزير، وإليه يرجع أمر كل ذى قلم ومنصب
شرعى، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع، لا يساور السلطان
إلا فيما جَلَّ من المهمات وما قَلَّ من الأمور، وهو السلطان حقيقةً وصاحب البلاد
معنى، وإليه ترجع الأمور كلها، وإليه عقدها وحلها. أما السلاطين بها فلا آلتفات
لهم لأمر ولا نهى ولا نظر في متحصّل ولا دخل ولا خرج . قال : وعدة جيشهم
المنزلة في دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانا. أما إذا أرادوا فإنهم يركبون بثلاثين تومانا
وما يزيد عليها، وعامة العسكر لا تزال أسماؤهم في دواوينهم على الأفراد، وكل طائفة
منهم عليهم في الديوان فارس معين، إذا رسم لهم بالركوب ركب العدة المطلوبة. قال :
وقد ذكر أنه كان في هذه المملكة عدّة ملوك كصاحب هراة، وحلول الجبل هم كالعبيد
لقائنا الأكبر متقادون إليه وداخلون تحت طاعته .

وأما القضاة فعادة هذه المملكة أن يكون بها في صحبة السلطان قاضى قضاة الممالك،
وهو الذى يولى القضاة في جميع المملكة على تنأى أقطارها إلا العراق، فإن لبغداد
قاضى قضاة مستقل بها يولى فيها وفي بلادها من جميع عراق العرب .

وأما الكُتَّابُ وأصحاب الدَّواوين : من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال ، فعلى
أتمّ نظام وأعدلِ قاعدة .

الجملة العاشرة

(فيا لأرباب المناصب والجُند من الرزق على السلطان)

قد نقل في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين الطيارى : أن المقرّر للأمرء
في القديم من زمن هولاكو لكل نوين (أمير) تومانٌ : وهو عشرة آلاف دينار راجح ،
عنها ستون ألف درهم ، ثم تزايد الحال بهم حتى لا يقع النوين فيهم إلا بنجسين
ألف تومان^(١) ، وهي خمسمائة ألف دينار راجح ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومن
خمسین تومانا إلى أربعين تومانا . وكان قد استقر لجوبان ، وهو يومئذ بكلارى بك
ثم لمن بعده ثلثمائة تومان ، وهي ثلاثة آلاف ألف دينار راجح ، عنها ثمانية عشر
ألف ألف درهم مع ما يحصل لكل من أمرء الألويس الأربعة من الخدم الكثيرة
في البلاد جميعها عند تقريرات الضمان بها على صُمتانها . قال : وأما أمير ألف ومن
دونه ، فلا يتجاوز أحد منهم تقريره القديم في الديوان : وهو لأمير الألف ألف دينار
راجح ، عنها ستة آلاف درهم . وأما أمير المائة وأمير العشرة وكل واحد من العسكرية
إلى الجند فمائة دينار راجح ، عنها ستمائة درهم لاتفوت بينهم ، وإنما تبقى منزية أمير
المائة أو العشرة أنه يأخذ لنفسه شيئاً مما هو للعسكرية ، ولكل طائفة أرض لزولم ،
توارثها الخلف عن السلف منذ ملك هولاكو البلاد ، فيها منازلهم ، ولهم بها مندرع
لأقواتهم ، لكنهم لا يعيشون بالحرث والزرع .

وأما الخواتين فإنه يبلغ ما للخاتون الواحدة في السنة مائتي تومان ، وهو ألف ألف^(٢)

(١) لعل لفظ ألف من زيادة النسخ كما يستفاد من الفذلكة بعد فأمل .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب ألفا ألف بالثنية ليستقيم الحساب .

دينار راجح، عنها اثنا عشر ألف ألف درهم، وما دون ذلك إلى عشرين تومانا، وهو مائتا ألف دينار، عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم .

وأما الوزير فله مائة وخمسون تومانا، وهو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار راجح، عنها تسعة آلاف ألف درهم، ولا يقنع بعشرة أضعاف هذا في تقادير البلاد .

وأما الخواجكية من أرباب الأقاليم، فمنهم من يبلغ في السنة ثلاثين تومانا، وهي ثلثمائة ألف دينار، عنها ألف ألف وثمانمائة ألف درهم . ثم قال : والذى للأمرء والعسكرية لا يكتب به مرسوم، لأن كل طائفة ورثت مالها من ذلك عن آباءها، وهم على الجهات التي قررها لهم هولا كولو لم تتغير بزيادة ولا نقص، إلا أكابر الأمرء الذين حصلت لهم الزيادات فإنه في ذلك الوقت كتب لهم بها بأمر القان أصدرها الوزراء عنه، ومن الخواتين من أخذ بماله أو ببعضه بلادا فهي له . قال : وفي هذه المملكة ما لا يحصى من الإدارات والرسومات حتى إن بعض الرواتب يبلغ ألف دينار .

وأما الإدارات من المبلغ أو القرى، فإنها تبقى لصاحبها كالمملك يتصرف فيه كيف شاء من بيع وهبية ووقف لمن أراد .

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب أمور السلطان بهذه المملكة على ما كان الأمر عليه)

حكى في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن أهل هذه المملكة من التتر كانوا قد داخلوا العجم وزوجوهم وتزوجوا منهم، وخلطوهم بالنفوس في الأمور، فتفخمت قواعدهم، وجرت على عوائد الخلفاء والملوك في غالب الأمور قوانينهم .

ثم للسلطان بهذه المملكة مَشْتَى وَمَصِيف :

فأما مَشْتَاه فبأوجان بظاهر تبريز، وهو مكان متسع ذو مَرُوج ومياه على ما تقدم ذكره، وبه قُصُوراً لكبار الأمراء والخواتين . أما عامة الأمراء والخواتين، فإنهم يتخذون زُرُوباً من القصب كالحظائر يتربون بها، وينصبون معها الخركاوات والخيام، فصير مدينة متسعة الجوانب، فسيحة الأرجاء، حتى إذا خرجوا لمصيفهم راحلين عنها، أحرقوا تلك الحظائر لكثرة ما يتولد فيما بقي منها من الأفاعى والحيات، ولا يباليون بما يُغرم عليها من كثير الأموال .

وأما مَصِيفُهُ فمَكَانٌ يعرف بقراباغ، ومعناه البستان الأسود، وفيه قَرْىٌ ممتدة، وهو صحیح الهواء، طيب الماء، كثير المرعى . وإذا نزل به الأردوا، وهو وطاق السلطان وأخذت الأمراء والخواتين منازلهم، نُصِبَ هناك مساجدُ جامعة، وأسواق منوعة، يوجد بها من كل ما في أمهات المدن الكبار حتى يكون بها أسواق لا ينكر أحد على أحد، بل كل أحد وما آستحسن، إلا أن الأسعار تغلو حتى يصير الشيء بقيمة مثليه أو أكثر لكلفة الحمل ومشقة السفر . وذكر أنه كان من عادة سلطانهم أنه لا يعمل موكباً، ولا يجلس لخدمة ولا لقراءة قصص حكيمة وإبلاغ مظالم إليه، بل له من أبناء الأمراء خاصة له يقال لهم الإينافية، يكونون حوله لا يكاد منهم من يفارقه .

فأما الأمراء فإنهم يركبون في غالب الأيام على نحو عشرين غلوة سهم منها إلى باب الكرباس، وتتصب لهم هناك كراسى صندلية، يجلس كل أمير منهم على كرسى منها بحسب مراتبهم : الأعلى ثم الأدنى، ويدخل الوزير في بكرة كل يوم على القان، ويبقى الأمراء على باب الكرباس، فإذا أن يخرج لهم القان، وإما أن يأذن لهم في الدخول، أو لا هذا ولا هذا . فإذا حضر طعام القان بعث إلى كل أمير منهم شيئاً للأكل بمفرده يأكله هو ومن أنضم معه، فيأكلون ثم يتفرقون ويذهبون إلى حالهم، ومن تأخر منهم عن الحضور لم يطلب بحضور إلا أن تدعو الحاجة .

أما الظَّلَامَات فإن كانت متعلّقة بالعسكرية، فإلى أمير الألوس. وإن كانت متعلقة بالبلاد والأموال أو الرعايا، فإلى الوزير. بل أكثر الظَّلَامَات لا يفصلها إلا الوزير لملازمته باب القان، بخلاف أمير الألوس لقلبة ملازمته. ثم قال: وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة، بل كل من أنصوى إلى خاتون من الخواتين أو أمير من الأمراء أو كبير من الخواجكية، قام بأمره إما في قضاء حاجة يطلبها، أو إزالة ظُلّامة يشكوها، حتى إن من الخواتين والأمراء من يقتل ويوسّط بيده بغير أمر القان ولا أمير الألوس.

الجملة الثانية عشرة

(فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة)

أما البرالغ: وهي المراسيم، فالمتعلق بالأموال تسمى الطن طمغا ويكون صدورها عن رأي الوزير، وكذلك المتعلق بالبريد. والمتعلق بالعسكرية صادر عن أمير الألوس، وليس لأحد على الجميع خطُّ إلا الوزير، وإنما العادة أن يأمر الوزير بكتابة ما يرى، ثم تؤخذ خطوط المتحدثين فيما يكتب، ثم تحرر مسودة وتعرض على الوزير فيأمر بتبديضها، فإذا بيّضت كتب عليها اسم السلطان، ثم تحته اسم الأمراء الأربعة، ويخلى تحته مكان لخط الوزير، ثم يكمل البرلغ ويختمه بالتاريخ شخص معدّ لذلك غير من يكتب، ثم يكتب الوزير في المكان الخالي "فلان سوري" أي هذا كلام فلان يسمى نفسه.

ثم إن كان متعلقا بالمال أثبت بالديوان المتعلق به، وإلا فلا. وأما المتعلق بالعسكر، فنشأ الأمر فيه عن أمير الألوس يأمرهم على بقية الترتيب، ولا خطُّ لأمر الألوس بيده. وعادة أصحاب الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا يعلم صاحب علامة حتى يرى خط نائبه عليه أولا ليَعلم أنه قد ثبت عنده.

قلت: وقد اختلفت الأحوال بعد ذلك وتغيرت عما كانت عليه في جُل الأمور.

المملكة الثانية

(مما بيد بني جنكرخان مملكة تُورَان)

قال في "المشترك": بضم المثناة من فوق وسكون الواو ثم راء مهملة وألف ونون . قال في "التعريف": وهي من نهر يُلخ إلى مطلع الشمس على سمت الوسط ، فما أخذ عنها جنوبا كان بلاد السُّند ثم الهند ، وما أخذ عنها شمالا كان بلاد الخفجاخ ، وهي طائفة القَبجاق ، وبلاد الصقلب ، والجهاركس ، والروس ، والمجار ، وما جاورهم من طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشَّمال . قال : ويدخل في تُورَان ممالك كثيرة ، وبلاد واسعة ، وأعمال شاسعة ، وأمم مختلفة لاتكاد تحصى ، تشمل على بلاد غَزَنَةَ ، والباميان ، والغور ، وما وراء النهر الذي هو نهر جِيحُون ، نحو بُخَّارَا وَسَمَرْقَنْدَ وَالصُّغْدِ وَنَجْمَدَ وغير ذلك ، وبلاد تَرْكُستَانِ وَأَشْرُوسَنَةَ وَفِرْغَانَةَ ، وبلاد سَاعُونَ وَأَطْرَارَ وَصَرِيومَ ، وبلاد الخِطَا نحو بشالق والمائق إلى قَرَّاقُومَ ، وهي قرية جنكرخان التي أخرجته ، وعِرِّيستَه التي أدرجته . إلى ما وراء ذلك من بلاد الصَّينِ وَصِينِ الصَّينِ . ثم قال : وكل هذه ممالك جليله ، وأعمال حفيله . أما في "المشترك" : فإنه قد جعل تُورَانَ اسْمًا لمجموع ما وراء النهر من مملكة الهياطلة ، وهي جزء مما تقدم ذكره .

وقد قسم في "التعريف" ^(١) : مملكة تُورَانَ إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول - منها غَزَنَةَ وَبُخَّارَا وَسَمَرْقَنْدَ وعامة ما وراء النهر وَتَرْكُستَانَ .

قال في "مسالك الأبصار" : وما بعده ومامعه . قال : وهي من أجل الممالك وأشهرها . ثم قال : وهي ممالك طائفة السَّمْعَةِ ، طائفة البُقْعَةِ ، أَسْرَةُ ملوك ، وَأُفُقُ عَمَّاءَ ، ودارة أكابر ، وَمَعْقِدِ الْوَيْةِ وَبَنُودَ ، ومجرى سوابق وجنود ؛ كانت

(١) عبارة "التعريف" ، وأما مملكة توران فهي منقسمة لثلاثة أقسام وبها سلطانان مسلمان وسطان كافر . ثم تكلم على المكاتبه إلى الجميع .

بها سلطنة الخانية وآل سامان وبنى سُبُكْتِكِين والغورية؛ ومن أُنْفَقَهَا بَزَغَتْ شَمْسُ
 آل سَلْجُوقِ، وَاَمْتَدَّتْ فِي الْإِشْرَاقِ وَالشَّرْوقِ؛ وَغَيْرَ هَذِهِ الدُّوَلِ مِمَّا طَمَّ سَهْوَلٌ هَذِهِ
 الْمَمَالِكِ عَلَى قَرْبِهَا. كَانَتْ قَبْلَ آتِنَقَالِهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فِي مَلُوكِ التَّرِكِ لَا تَرَامِي وَلَا
 تَرَامِ، وَلَا يَشِقُّ لَهَا سَهَامٌ؛ حَتَّى [إِذَا] خِيَمَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَحَازَ مَلِكُهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ، بَرَقَتْ
 بِالنَّيْمَانِ أَسْرَتُهَا، وَتَطَرَّتْ بِالْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ قَرَاهَا؛ ثُمَّ بَنِيَتْ بِهَا الْمَدَارِسُ وَالْحَوَاتِقُ
 وَالرُّبُطُ وَالزَّوَايَا، وَأَجْرِيَتْ الْأَوْقَافُ عَلَيْهَا، وَكَثُرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَهْلِهَا، وَسَارَتْ لَهَا
 التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَصُولِ وَالْخِلَافِ، وَكَانَ فِيهِمُ الرُّؤَسَاءُ
 وَالْأَعْلَامُ، وَالْكِبْرَاءُ أَهْلُ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ. ثُمَّ قَالَ: وَهِيَ فِي أَوَاسِطِ الْمَعْمُورِ وَأَوْسَعِ
 الْأَرْضِ إِذَا قِيلَ إِنَّهَا أَخْضَبَ بِلَادَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَكْثَرَهَا مَاءً وَمَرَعَى، لَمْ يَغَيِّرِ الْقَائِلُ
 الْحَقُّ فِي أَوْصَافِهَا؛ ذَاتَ الْأَنْهَارِ السَّارِحَةِ، وَالْمَرْوَجِ الْمَتَدَّةِ؛ كَأَنَّمَا نَشَرْتَ الْحُلَّ عَلَى
 آفَاقِهَا، وَثَرَتْ الْحُلَى عَلَى حَصْبَائِهَا.

وَيَرْجِعُ الْمَقْصُودُ مِنْهَا إِلَى سَبْعِ جُمَلٍ.

الجملة الأولى

(في ذكر حدودها، وطولها وعرضها، وموقعها من الأقاليم السبعة)

أَمَّا حُدُودُهَا وَطُولُهَا وَعَرْضُهَا، فَقَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ": وَهِيَ وَاقِعَةٌ بِشَرْقِ
 مَحِيضِ آخِذَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ؛ يَحْدُهَا السَّنْدُ مِنْ جَنُوبِهَا، وَالصَّيْنُ مِنْ شَرْقِهَا، وَخَوَارَزْمُ
 وَإِيرَانُ مِنْ جَنُوبِهَا، وَطُولُهَا مِنْ مَاءِ السَّنْدِ إِلَى مَاءِ أَيْلَا الْمَسْمُومِي قَرَاخُوجَا، وَهِيَ
 تَلِي بِرِ الْخَطَا، وَعَرْضُهَا مِنْ وَبَجٍّ وَهُوَ مَنبِعُ نَهْرِ جَيْحُونَ إِلَى حُدُودِ كُرَّكَانَجِ قَاعِدَةٌ
 خَوَارَزْمُ؛ وَحَدُّهَا مِنَ الْجَنُوبِ جِبَالُ الْبَتِّ وَمَاءُ السَّنْدِ الْفَاصِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّنْدِ؛
 وَمِنَ الشَّرْقِ أَوَائِلُ بِلَادِ الْخَطَا؛ وَمِنَ الشَّمَالِ مَرَاغِي بَارَانَ وَكَنْدُ وَبَعْضُ خِرَاسَانَ

إلى بحيرة خوارزم، ومن الغرب بعض نخراسان إلى خوارزم إلى مجرى النهر أخذنا على الختل . ثم حكى عن نظام الدين بن الحكيم الطياري أن بلاد هذه المملكة متصلة بخراسان متداخلة بعضها ببعض، لا يفصل بينهما بحر ولا نهر ولا جبل ولا مفازة، بل بينها وبين نخراسان أنهار جاررية ومزارع متصلة .

الجملة الثانية

(فما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهي سبعة أقاليم)

الإقليم الأول منها

(ما وراء النهر)

قال في "تقويم البلدان" : والذي ظهر لنا في تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خوارزم، ومن الجنوب نهر جيحون من لدن بدخشان إلى أن يتصل بحدود خوارزم، فإن جيحون في الجملة يجري من الشرق إلى الغرب، وإن كان يعرض فيه عطفات تجري جنوبا مرة وشمالا أخرى . ثم قال : أما حدوده من الشرق والشمال فلم تتضح لي . قال صاحب "كتاب أشكال الأرض" : وما وراء النهر من أخصب الأقاليم منزلة، وأزهرها وأكثرها خيرا، وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير، وأستجابة لمن دعاهم، مع قلة غائلة، وسلامة ناحية، وسماحة بما ملكت أيديهم، مع شدة شوكة ومنعة وبأس ونجدة وعدة وعدة، وآلة وكراع وبسالة وعلم وصلاح، وليس من إقليم إلا ويحفظ أهله مرارا قبل أن يقحط ما وراء النهر مرة واحدة، ثم إن أحسوا يبرد أو يجراد أو بآفة تأتي على زروعهم وغلاتهم، ففي فضل ما يسلم في عروض بلادهم ما يقوم بأودهم حتى يستغنوا به عن شيء ينقل إليهم من غير بلدهم . قال : وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مدن

(١) لعله مصحف عن "أصبوا" .

أَوْ قَرَىٰ أَوْ مَرَايَ لِسَوَائِهِمْ؛ وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ إِلَّا وَعِنْدَهُمْ مِنْهُ مَا يَقِيمُ
 أَوْدَهُمْ وَيَفْضُلُ عَنْهُمْ لغيرِهِمْ؛ وَمِيَاهُهُمْ أَعَذِبَ الْمِيَاهِ وَأَبْرَدَهَا وَأَخْفَهَا، وَقَدْ عَمَّتْ
 جِبَالَهَا وَضَوَائِحِيهَا وَمُدَّنَهَا إِلَى التَّمَكَّنِ ^(١) مِنَ الْحَدِّ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِهَا، وَالتَّلَوُّجِ مِنْ جَمِيعِ
 نَوَاحِيهَا؛ وَالغَالِبُ عَلَى أَهْلِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ بِهَا صَرْفَ الْمَالِ فِي عَمَلِ الْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ
 الرُّبُطِ وَعِمَارَةِ الطَّرِيقِ، وَالْأَوْقَافِ عَلَى سُبُلِ الْجِهَادِ وَوَجْهِهِ الْخَيْرِ، وَعَقْدِ الْقَنَاطِرِ،
 إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْ ذَوِي الْبَطَالَةِ .

وَفِيهَا مِنَ الدَّوَابِّ الْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ وَالْإِبِلُ الْبُخْتُ وَالْبَقَرُ، وَالغَنَمُ أَكْثَرُهَا
 فَإِنَّهَا كَمَا يُقَالُ أَعْوَزَهَا لِلزَّرَائِبِ، وَفِيهَا مِنَ الْمَبَاحِ مَا فِيهِ كِفَايَتُهُمْ، وَلَهُمْ مِنْ تَنَاجِ الْغَنَمِ
 الْكَثِيرُ وَالسَّائِمَةُ الْمَفْرُطَةُ . وَذَكَرَ أَنَّهُ يَوْجَدُ عِنْدَ أَحَادِ الْعَامَةِ مِنْ عَشْرِينَ دَابَّةً إِلَى
 نَحْسِينَ دَابَّةً لَا كُفَّةَ عَلَيْهِ فِي أَقْتِنَائِهَا لِكثَرَةِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى .

وَفِيهَا مِنَ الْحَبُوبِ الْقَمْحُ وَالشَّعِيرُ وَالْحَمَّصُ وَالْأَرْزُ وَالذُّخْنُ وَسَائِرُ الْحَبُوبِ خِلا
 الْبَاقِلَا؛ وَبِهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ الْمَتَوَعَّةِ الْأَجْنَاسِ الْعِنَبُ، وَالتَّيْنُ، وَالرَّمَانُ، وَالتَّفَاحُ،
 وَالْكُمَّثْرَى، وَالسَّفْرَجَلُ، وَالخَوْخُ، وَالْمِشْمِشُ، وَالتُّوتُ، وَالْبِطِّيخُ الْأَصْفَرُ، وَالْبِطِّيخُ
 الْأَخْضَرُ، وَالْحِيَارُ، وَالْقِنَاءُ .

وَفِيهَا مِنَ الْبَقُولِ اللَّفْتُ وَالْحَزْرُ وَالْكُرْبُ وَالْبَاذِنَجَانُ وَالْقَرَعُ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الْبَقُولِ .
 وَفِيهَا مِنَ الرِّيَاحِينَ الْوَرْدُ وَالْبَنْفَسَجُ وَالْأَسُّ وَاللَّيْنُوفُ وَالْحَبَقُ؛ وَلَا يَوْجَدُ بِهَا الْإِتْرَجُ
 وَالنَّارَنْجُ وَاللَّيْمُونُ وَاللِّيمُ، وَلَا الْمَوْزُ وَلَا قَصَبُ السُّكَّرِ، وَلَا الْقَلْقَاسُ، وَلَا الْمَلُوخِيَا،
 فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ عَارِيَةٌ الْحَدَائِقِ، خَالِيَةٌ الْمَرْوَجِ؛ إِلَّا مَا أَتَى بِهِ إِلَيْهَا مِنَ الْمَحْمُضَاتِ مَجْلُوبَا .
 وَفِيهَا أَصْنَافُ الْمَلْبُوسِ : مِنَ التَّقَزِّ، وَالصُّوفِ، وَطَرَائِفِ الْبَرِّ .

وَفِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ مَعْدَنُ زَيْتُونٍ لَا يِعَادِلُهُ مَعْدَنٌ فِي الْغَزَارَةِ .

(١) لَعَلَّهُ فَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى التَّمَكَّنِ الْخ .

وقد أشتمل ما وراء النهر على عدة كور .

(منها) السُّغْد . قال في "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الغين المعجمة ودال مهملة في الآخر، ويقال الصُّغْدُ بالصاد بدل السين، ويضاف إلى سَمَرْقَنْدَ، فيقال سُغْدُ سَمَرْقَنْدَ، وهو أحد منتهات الدنيا الأربعة التي هي غوطة دِمَشقَ ، ونهر الأَبْلَةِ، وشعب بَوَّانَ، وسُغْدُ سَمَرْقَنْدَ . قال ابن حوقل : وهو أنزه الأربعة لأنه ممتد نحو ثمانية أيام، مشتبك الخُضرة والبساتين، لا ينقطع ذلك في موضع منه، وقد حُفَّت تلك البساتين بالأنهار الدائم جَرِيهاً، ومن وراء الخُضرة من الجانبين مزارعُ، ومن وراء المزارع مَرَّاعَى السوائم . ثم قال : وهي أزرى بلاد الله وأحسنها أشجاراً .

ومنها أُسْرُوشَنَةُ . قال في "اللباب" : بضم الألف وسكون السين وضم الراء المهملتين وسكون الواو وفتح الشين المعجمة ثم نون . قال ابن حوقل : والغالب عليها الجبال ، ويحيط بها من الشرق بعض فَرَّغَانَةَ ، ومن الغرب حدود سَمَرْقَنْدَ ، ومن الشمال بعض فَرَّغَانَةَ أيضاً، ومن الجنوب بعض حدود كَشَّ والصَّغَايَانَ . قال أحمد الكاتب : ولها عدة مُدُنْ، ويقال إن بها أربعائة حصن .

(ومنها) فَرَّغَانَةَ . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ونون . قال ابن حوقل : وفيها مُدُنْ وكُورَ، وإليها ينسب جماعة من العلماء ، منهم أبو سعيد الفَرَّغَانِيُّ شارح "تائية ابن الفارض" قال ابن حوقل : وبجبال فَرَّغَانَةَ معادنُ الذهب والفضة والفيروزج والحديد .

وقاعدتها بُجَّارًا . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم ألف وراء مهملة مفتوحة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض

تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة خارجها نزه كثير البساتين . قال : وليس بتلك البلدان بلد أهلها أحسن قياما على عمارة قراهم منهم ، ويحيط بها وبقرائها ومزارعها سور واحد اثنا عشر فرسخا ، ولها كورة عظيمة تصاقب جيحون على معبر خراسان ، وبها يتصل سعد سمرقند . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أم الأقاليم ويم التقاسيم ، وقد كانت [مستقرا] للدولة السامانية ومركز أفلاكهم الدائرة ، وكانت تلك الممالك كلها تبعا لها . قال صاحب "أشكال الأرض" : ثم لم أر ولم أسمع بظاهر بلد أحسن من بخارا ، لأنك إذا علوت لم يقع نظرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء ، مكبة زرقاء على بساط أخضر ، تلوح القصور فيما بين ذلك كالتراس التبنية ، أو الحنف اللطية ، أو الكواكب العلوية ، بين أراض وضياع مقسومة بالاستواء ، ممهدة كوجه المرءاة في غاية الهندسة ، ولها سبعة أبواب حديد : وهي باب المدينة ، وباب يون ، وباب خضرة ، وباب الحديد ، وباب قهندر ، وباب بنى أسد ، وباب بنى سعد . وليس فيها ماء جار لارتفاعها ، ومياههم من النهر الأعظم الجارى من سمرقند ، وإليها ينسب الإمام الحافظ (أبو عبد الله البخارى) صاحب الجامع الصحيح في الحديث .

ولها عدة مدن :

(منها) الطواويس . قال في "اللباب" : بفتح الطاء المهملة والواو وبعد الألف واو ثانية مكسورة ومثناة تحت ساكنة وسين مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من مضافات بخارا داخل الحائط الدائر على أعمال بخارا ، كثيرة البساتين والماء الجارى . قال : وقد تحرت الآن . وقال في "اللباب" :

هى قرية من قرى بخارا نخرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين بخارا سبعة فراسخ، وإليها ينسب الطاووسى صاحب "المصباح على الحاوى الصغير" فى فقه الشافعية، ردّا لها فى النسب إلى المفرد وهو الطاوس .

(ومنها) نَحْشَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم باء موحدة . قال فى "تقويم البلدان" : فلما عربت قيل نَسَفَ - يعنى بفتح النون والسين المهملة وفاء فى الآخر . قال ابن حوقل : وهى فى مستو من الأرض، والجبال منها على نحو مرحلتين مما يلي كَشَّ ، وبينها وبين جِيحُونَ مفازة، ولها نهر يجرى فى المدينة ويتقطع فى بعض السنة، والغالب عليها الخِصْبُ . قال المهلبى : وهى وِيَّةٌ .

(ومنها) كَشَّ . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف ثم شين معجمة مشددة - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قدرها ثلث فرسخ فى مثله ، وهى خِصْبَةٌ وفوا كهها تُدْرِكُ قبل فوا كه غيرها من بلاد ما وراء النهر؛ وطول عملها أربعة أيام فى نحوها . قال المهلبى : ولها رستاق جليل، ولها نهران، وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(ومنها) سَمْرَقَنْدُ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وسكون النون ثم دال مهملة - وموقعها فى الإقليم الخامس . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة . قال ابن حوقل : وهى قَصَبَةُ السُّغْدِ، وهى مبنية على صَفَّةِ واديه، وهى مرتفعة عن الوادى؛ وحول سُورِهَا رَسْمٌ خندق عظيم، ولها نهر يدخل إليها على حمالات فى الخندق معمول بالِرِّصَاصِ ، وهو نهر جاهلى يُسْقَى السوق

بموضع يعرف برأس الطاق . قال ابن حوقل : ورأيت على باب من أبوابها يسمى باب كَشَّ صفحَةً من حديد وعليها كُتِبَتْ يزعم أهلها أنها بالحِمِيرِيَّة ، وأن الباب من بناء تُبَعِّع ملك اليمن ، وأن من صَنَعَاء إلى سَمَرْقَنْد ألف فرسخ ، وأن ذلك مكتوب من أيام تُبَعِّع . قال : ثم وقعت فتنة بها في أيام مُقَامِي بها وأُحرق البابُ وذهبت الكتابة ، ثم أعاد عمارة الباب محمد بن لُقْمَان بن نصر الساماني ولم يُعِد الكتابة . قلت : والمراد تبع المسمى بأَسْعَد أبا كَرِب ، وقد أشرت إلى قضية تُبَعِّع في بناء سَمَرْقَنْد في الكتاب الذي أنشأته لأن يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية إلى تمرلنك عند إرساله بالمفاوضة في الصلح بعد واقعة دِمَشْق والقبيص على ابن عثمان صاحب برسا من بلاد الروم بقولي بعد الدعاء : ” ولا زال بالنصر تَقْضِي قواضيه ، وبالظفر وحسن الأثر تَمْضِي مَقَانِيهِ وتَشَاع مناقبه ، وبلسان دولته القاهرة يُصَاح بِتُبَعِّع سَمَرْقَنْد لن تبلغ هذه الرتبة حتى نَظَّمَ الحِزْرَع نَاقِبُهُ ” . على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكتبة القان صاحب ما وراء النهر، في الكلام على المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

قال في ” مسالك الأبصار ” : وسَمَرْقَنْدُ مدينة مرتفعة يُسْرِفُ الناظر بها على شجر أخضر، وقُصُور تَزْهَرُ، وأنهار تَطَّرِدُ، وعمارة نَتَقْدُ، لا يقع الطَّرْفُ بها على مكان إلا ملأه، ولا بستان إلا أستحسنه . قال صاحب ” أشكال الأرض ” : وقد نصبت أسفار السير، وتشبهت بطوائف الحيوان : من الفَيْلَةِ والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض . قال : وبها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما يلي المَشْرِيق يعرف بباب الصَّين، مرتفع عن وجه الأرض يتزل إليه (٩) بدرج كثيرة، مطل على وادي السُّغْد ، وباب مما يلي المغرب يعرف بباب التُّوْهَار على نَشْرَمَن

(١) كذا في الأصل والمراد وصف المدينة بالتقدم والارتقاء .

الأرض؛ وباب مما يلي الشمال يعرف بباب بُحَّاراً؛ وباب مما يلي الجنوب يعرف بباب كَشَّ . قال: وفيها مافي المدن العِظَام من الأسواق الحسان والحمامات والحنانات والمساكن؛ وبنائوها من طين وخشب؛ والبلد كله: طُرُقُهُ وَسِكَكُهُ وَأَسْوَاقُهُ وَأَرْزَقُهُ مفروشة بالحجارة .

(ومنها) بِنَكْتُ . قال في "اللباب" : بكسر الباء الموحدة وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثلثة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . ولها سُورٌ وَرَبِضٌ وبساتين كثيرة .

(ومنها) نوبكت - بنون وواو وباء موحدة ثم كاف ومثناة من فوق . قال ابن حوقل : وهي قصبة ناحية إيلاق، وعليها سُورٌ ولها عدَّة أبواب، وفيها مياه وبساتين كثيرة .

(ومنها) مُجَنَّدَةٌ . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ثم دال مهملة - وهي مدينة على طرف سِيحُون مضمومة إلى فَرغَانَةَ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول تسعون درجة، والعرض أربعون درجة ونخسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة كبيرة، وهي في مستوي من الأرض، ولها بساتين كثيرة . قال أحمد الكاتب : ومنها إلى سَمَرْقَنْدَ سبع مراحل، ومنها إلى الشاش كذلك .

(ومنها) تُتَكْتُ . قال في "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها ثاء ثانية - وهي مدينة من مدن الساحل، وقيل هي قصبة إيلاق؛

(١) الذي في "تقويم البلدان" عن ابن حوقل أن عاصمة إيلاق تسمى تونكت، وكذا في "معجم البلدان" لياقوت، إلا أنه نص على أن آخرها ثاء مثلثة، وهي تبتك الآتية بعد فليتنبه .

وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : ولها نهر ودار إمارة، وخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) أَحْسِيَكْتُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثلثة . وهي مدينة من بلاد فَرَّغَانَةَ ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي على شَطِّ نهر الشاش في أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو فرسخ .

(ومنها) تَرِمِذ . قال في "اللباب" : قيل بفتح التاء ثالثة الحروف وقيل بضمها وقيل بكسرها . قال : والمتداول على لسان أهلها فتح التاء وكسر الميم ، والمشهور في القديم كسر التاء والميم جميعاً ؛ وقيل بضم التاء والميم وبينهما راء ساكنة وفي آخرها ذال معجمة - وهي مدينة على شَطِّ جَيْحُونَ ، واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : ومعظم مساكنها وأسواقها مفروشة بالآجر ، وهي قَصَبَةٌ تلك النواحي ، وأقرب الجبال إليها على مرحلة ، وليس لُقْرَاهَا شُرْبٌ من جَيْحُونَ بل من نهر الصَّغَانِيَّانِ . قال : ولها مُدُنٌ كثيرة وكُوَرٌ مضافة إليها . قال في "اللباب" : وهي مدينة قديمة .

(ومنها) الصَّغَانِيَّانُ . قال في "اللباب" : بفتح الصاد المهملة والغين المعجمة وألف ونون ومثناة تحتية ونون في الآخر، جميع ذلك بالتخفيف . قال : ويقال لها بالعجمية جَغَانِيَّان - وهي مدينة موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أكبر من ترمذ إلا أن ترمذ أكثر أهلا . ثم قال : وهي كورة كبيرة كثيرة الماء والشجر، والنسبة إليها صغاني وصاغاني .

الإقليم الثاني (تُرْكُستَانُ)

بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء المهملة وضم الكاف وسكون السين المهملة وألف بعدها نون، ومعناه ناحية الترك . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مملكة لو انفردت لكانت ملكا كبيرا وسلطنة جليلة (زهرة الدنيا، وطراز الأرض بلاد الترك) وحقيقةً من كَنَسَها رعت غزلائها، ومن غابها أَصْحَرَتْ ليوثهم . وهي إقليم فسيح المدى، قديم الذكر، منشأ حماء، ومنسب كجاءه . قال : وهو المراد بقولهم بلاد الأتراك؛ ولم تزل الملوك تلحظها لانتقاء بوادرها، والانتقاء ذواخرها؛ فأشد ما نكرت الأيام معالمها، وغيرت الغير أحوالها . قال : ولقد صادفت حدة التتار، في أوّل التتار، بجاعت قدامهم في سورة غضبهم، ونفحة نارهم؛ فأملت السيوف حصاداً أحبّ لهم، ولم يبق إلا من قلّ عديده . ثم قال : حكى لي من جال في رساتيقها، وجاز في قراها، أنه لم يبق من معالمها إلا رسوم دائرة، وأطلال ناتئة، يرى على البعد القرية مشيدة البناء، مُحَضَّرَة الأكاف، فيأنس لعله يجد بها أنيسا ساكنا، فإذا جاءها وجدها عالية البنيان، خالية من الأهل والسكان؛ إلا أهل العمل وأصحاب السائمة . ليست بذات حرت ولا زرع، وإنما خضرتها مُرُوج أطلعها باريتها بها من النباتات البرية، لا بذرها بأذر، ولا زرعها زارع. ويوجد بها خلف من بقايا العلماء، ويجزى التميم فيها بالتراب بعد الماء .

ومن نواحيها (فَارَابُ) . قال في "المشترك" : بفتح الفاء والراء المهمله بين ألفين وفي آخرها باء موحدة . وقال في "مسالك الأبصار" : الصواب إبدال الفاء باء موحدة لأنه ليس في اللغة التركية فاء . قال ابن حوقل : وهي ناحية لها غياض ، ولهم مزارع ، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى أطرار .

وقاعدتها (قَاشَغَرُ) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الألف ثم سكون الشين المعجمة أيضاً وفتح العين المعجمة وفي آخرها راء مهمله . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها كَاشَغَرُ بإبدال القاف كافا - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال المهلبي : وهي مدينة عظيمة أهلة عليها سُورٌ وأهلها مسلمون . قال في "القانون" : وتسمى أزدوكند .

قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقاعدتها (قرشى) بقاف وراء مهمله وشين معجمة ثم ياء مثناة من تحت في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على نهر قراخوجا في نهاية الحد . قال : وهي وإن لم تكن شيئا مذكورا ، ولا لها على اختلاف حالات الزمان شهرة تُذَكَّرُ ، لكن قد شملها في دولة ملوكها الآن من نظر السعادة لنسبتها إلى أنها سكن لهم ، وإن كانوا ليسوا بسكَّانِ جِدَارٍ ، ولا متديرين في ديار ، ولكن لآسم وُسِّمَتْ به . وبها عدّة مدن أيضا :

(منها) كدر . قال في "الأطوال" : وهي قَصَبَةُ فَارَابَ . قال في "مسالك الأبصار" : وإليها ينسب فيلسوف الإسلام أبو نصر الفارابي .

(ومنها) حُتَن . قال في "اللباب" : يضم الخاء المعجمة وفتح المشناة من فوق ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" " حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أقصى تُرْكِسْتَانَ . قال في "العزيزي" : وهي مدينة خِصْبَةُ أهلة عامرة ، بها أنهار كثيرة .

(ومنها) جَنْدُ . قال في "اللباب" : بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وهي بلدة واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" " حيث الطول سبع وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي في حدود التُّرْكِ على طَرْفِ سَيْحُونَ ، خرج منها جماعة من الفضلاء .

(ومنها) إِسْفِيْجَابُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وسكون المشناة من تحت وفتح الجيم وفي آخرها باء موحدة بعد الألف - ووقع في "مسالك الأبصار" إبدال الفاء بَاءً موحدة - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" " حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي بلدة كبيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من تغور الترك .

(ومنها) طَرَازُ . قال في "اللباب" : بفتح الطاء والراء المهملتين وألف وزاي معجمة - وهي مدينة على حد بلاد التُّرْكِ واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" " حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وحولها حصون منسوبة إليها .

(ومنها) نيلي . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أربعة مُدُن بين كل مدينة والأخرى فرسخ واحد ، ولكل واحدة منها اسم يخصها : فالأولى نيلي ، والثانية نيلي مالتق ، والثالثة بكك ، والرابعة تلان . قال : وبينها وبين سمرقند عشرون يوما .

(ومنها) أَلْمَاتِي - بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم وألف بعدها ثم لام مكسورة وقاف في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وبينها وبين نيلي عشرون يوما . ونقل عن الشيخ محمد المُجَنِّدِي الصوفي وغيره أن بها من الخيل والأغنام مالولاً موتانٌ يقع فيها في بعض السنوات ، لما يبعث ولا وجد من يشتريها لكثرتها وبركات نتاجها .

الإقليم الثالث

(طَخَارِسْتَانُ)

قال في "اللباب" : بضم الطاء المهملة وفتح الحاء المعجمة وألف وضم الراء وسكون السين المهملتين وفتح المثناة من فوق وألف ونون . قال : وهي ناحية مشتملة على بلدان في أعلى نهر جِيحُون . وقال ابن حوقل : هو إقليم له مُدُن كثيرة من مضافات بلخ . وقاعدتها فيما ذكره في "القانون" - ولؤلؤ . قال في "تقويم البلدان" : بواوين بينهما لام ساكنة ثم ألف ولام وجيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "القانون" : وهي مقرُّ مملكة الهَيَاظِلَّة في القديم . قال المهلبِي : وهي في مستوٍ من الأرض .

ولها مُدُن .

(منها) إسْكَكَنْدُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الكافين ، بينهما لام ساكنة ثم نون كذلك ودال مهملة في الآخر . قال : وقد تحذف الألف من أولها . وهي مدينة صغيرة موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة صغيرة كثيرة الخير .

(ومنها) رَاوُنُ . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والواو ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة من طُخَارِسْتَانَ ولم يزد .

الإقليم الرابع

(بَدَخْشَانُ)

قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة والذال وسكون الخاء وفتح الشين المعجمات ونون في الآخر . قال ابن حوقل : وهو أسمٌ للمدينة والإقليم معاً . قال في "اللباب" : وهي في أعلى طُخَارِسْتَانَ متاخمةٌ لبلاد التُّرْك . وقال في "مسالك الأبصار" : هي مع مملكة ما وراء النهر وليست حقيقة منها ولا من تُرْكِسْتَانَ ، بل هو إقليم قائم بذاته ، معدود المجاورة مع أخواته ، قد حوى كل بديع من حيوانه ومعده ونباته .

ثم حكى عن محمد المُجَنْدِيُّ الصوفي وغيره أن بها معدنَ البَلَّخَشِ ، ومعدن الأَلَزَّوَرْدِ ، وهما في جبل بها ، يُحْفَرُ عليهما في معادنهما ، فيوجد الأَلَزَّوَرْدُ بسهولة ، ولا يوجد البَلَّخَشُ إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد

والإنفاق الكثير . ولذلك عَزَّ وجوده ، وعلت قيمته ، وكثر طلبه ، وألقت الأعتاق إلى التحلِّي به . وقد تقدّم ذكره في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته ليصفه عند ذكر الأحجار النفيسة . وقد تقدّم هناك أن أنفس قطعة وصلت إلى بلاد الشام منه قطعة زنتها خمسون درهما . وقد ذكر في "اللباب" أن بها معدن البُلُور أيضا ، وقد تقدّم ذكره هناك في الكلام على الأحجار النفيسة .

الجملة الثالثة

(في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها)

قد تقدّم في الكلام على مملكة إيران الطريق إلى أَمَل الشطّ بشطّ جِيحُونَ . قال ابن خردادبه : ومن أَمَل إلى بُخَّارَا تسعة عشر فرسخا ، ومن بُخَّارَا إلى سَمَرَقَنْدَ سبعة وثلاثون فرسخا ، ومن سَمَرَقَنْدَ إلى الشَّاشِ اثنتان وأربعون فرسخا ، ثم إلى باب الحديد مِيْلَان ، ثم إلى كَار فرسخان ، ثم إلى إِسْفِيْجَاب عشرة فراسخ ، ومن إِسْفِيْجَاب إلى أَطْرَار وهي فَارَابُ ستة وعشرون فرسخا . قال في "تقويم البلدان" : ومن سَمَرَقَنْدَ إلى مُجَنْدَةَ سبع مراحل ، ومن مُجَنْدَةَ إلى الشَّاشِ أربع مراحل .

الجملة الرابعة

(في عظام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة تُوْرَانَ ، وهي نهران)

الأول - نهر جِيحُونَ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم نون ؛ ويسمى نهر بَلْخ أيضا ، إضافة إلى مدينة بَلْخ من بلاد فَارِسِ المقدم ذكرها . قال في "تقويم البلدان" : وقد اختلف النقل فيه ، وأقربُه ما نقله ابن حَوْقَل أن عمود نهر جِيحُونَ يخرج من حدود بَدَخْشَانَ ، ثم تجتمع إليه أنهار

كثيرة، ويسير غربا وشمالا حتى يصل إلى حدود بلخ، ثم يسير إلى ترمذ، ثم غربا وجنوبا إلى زم وأسمها أمويه، ويمجرى كذلك غربا وشمالا إلى خوارزم. قال في "رسم المعمور": ويخرج جنوبا ويمرّ قرب مُجَنَّدَة ويتجاوزها ويصب في البحر الأخضر. الثاني - نهر سِيحُون. قال في "تقويم البلدان": وقد اختلف النقل فيه أيضا. قال: والمختار ما ذكره ابن حوقل، لأنه يحكي ذلك عن مشاهدة. فقال: إن نهر الشاش بقدر الثلثين من نهر جِيحُون، وهو يجري من حدود بلاد التُّرك ويمرُّ على أَخْسِيَاكْت، ثم يسير مغربا بميلة إلى الجنوب إلى مُجَنَّدَة، ثم يجري إلى فَارَاب إلى يَنْغِي كَنْت ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من يَنْغِي كَنْت.

الجملة الخامسة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فالدينار الرابع، وهو ستة دراهم كما في معظم مملكة إيران، وفي بعضها بالدينار الخُرَّاسَانِي وهو أربعة دراهم. قال في "مسالك الأبصار": ودراهمهم نوعان، درهم بثمانية فلوس، ودرهم بأربعة فلوس. قال: ودراهمها فِضَّةٌ خالصة غير مغشوشة، وهي وإن قلَّ وزنها عن معاملة مصر والشام فإنها تجوز مثل جوازها. وأما أسعارها فأسعارها جميعها رخيصة حتى إذا غلت الأسعار فيها أعلى الغلو، كانت مثل أرخص الأسعار بمصر والشام.

الجملة السادسة

(في من ملك هذا القسم من مملكة تُورَان)

قد تقدم في الكلام على أصل مملكة تُورَان أنها كانت مملكة التُّرك في القديم،

وأنه كان بها افراسياب بن شبك بن رستم بن ترك بن كوبر بن يافت بن نوح عليه السلام على الخلاف السابق فيه ، وكانت تعرف بمملكة الخانية .

أما في الإسلام فملوكها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(ماهو عقيب الفتح ، وهم على ضريين)

الضرب الأول

(ملوك ماوراء النهر)

وكانت بيد نواب الخلفاء برهةً من الزمان في صدر الإسلام ، ثم تغلب عليها الملوك بعد ذلك وحازوها ، وتوالت عليها أيديهم إلى الان . وأول من تغلب عليها من الملوك السامانية ، وهم بنو سامان بن جئان بن طمغان بن بوشرد بن بهرام چوئين المذكور في أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك القُرس .

وأول من ملكها منهم أولاد أسد بن سامان في خلافة المأمون في سنة أربع ومائتين . فتولى (أحمد بن أسد) فرغانة ، و(يحيى بن أسد) الشاش وأسروشنة و(نوح ابن أسد) سمرقند ، ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ، ثم مات أحمد بفرغانة وأستخلف ابنه نصر على أعماله ، وكان إسماعيل بن أحمد يُحْدِمُ أخاه نصرا فولاه نصر بئجارا في السنة المذكورة . وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فأستقرت قدمه بئجارا وملك جميع ماوراء النهر . وملك إسماعيل المذكور خراسان مع ماوراء النهر في سنة سبع وثمانين ومائتين .

(١) في "الأخبار الطوال" للدينوري ابن تودل بن الترك بن يافت ، وفي أبي الفداء "أبن طوج" وفي غيرها غير ذلك . نهنا على ذلك ليعلم أن بين المؤرخين أخلافا ، ولم يتقدم للتؤلف في توران شيء من هذا النسب ، فتنبه .

ثم ملك بعده ماوراء النهر وخراسان (أبنة أحمد بن إسماعيل) حتى قتل في سنة إحدى وثلاثمائة؛ وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (أبو الحسن نصر بن أحمد) وتوفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (نوح بن نصر) وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (عبد الملك بن نوح) وبق حتى قبض عليه إيليك خان ملك الترك، وحبس هو وجميع أقاربه، ومات في الحبس في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وأنقضت بموته دولة بني سامان، وكانت دولتهم من أحسن الدول وأعدلها، وكانت ولايتهم إمارة لاملكا .

وملك بعدهم ماوراء النهر (إيليك خان) المتقدم ذكره، وتوالت بأيديهم حتى ملكها منهم رجل اسمه (أحمد خان) فبقيت بيده حتى ملكها منه (ملكشاه السلجوقي) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وأطاعه صاحب تركستان فخطب له وضرب السكة باسمه، ثم خرج عنها وعاد أحمد خان إليها، فبقى حتى ثبتت زندقته وضرب عنقه في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملك بعده ابن عمه (مسعود)، ثم أقيمت الخطبة بما وراء النهر (بريكارق)، ثم خطب بريكارق فيما بيده مما وراء النهر وغيره لأخيه محمد بن ملكشاه. ثم غلب عليها الخطا الكفار في سنة ست وثلاثين وثمانمائة وأنزعوها من يد سنجر بن ملكشاه. ثم صارت بيد الغز: وهم طائفة من الترك مسلمون .

ثم استولى عليها بنو أنوشكين ملوك خوارزم الآتي ذكرهم، إلى أن غلب عليها جنكوخان في سنة ست عشرة وستمائة .

وأما غزنةُ وما معها فكانت بيد بنى سامانَ ؛ ثم غلب عليها سُبُكْتِكِينُ : وهو أحد ممالك أبي إسحاق بن ألبتكين صاحب جيش غزنة للسامانية المقدم ذكره في سنة ست وستين وثلاثمائة بعد موت أبي إسحاق المذكور؛ ثم مات وقام بالأمر بها بعده ابنه إسماعيل ؛ ثم غلبه عليها أخوه محمود بن سُبُكْتِكِينُ ، وأستضاف إليها بعض نحرَاسَانَ في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وقطع الخطبة السامانية، وبقي حتى توفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

وملك بعده ابنه (محمد بن محمود) بعهد من أبيه ، ثم قدم أهل المملكة عليه أخاه (مسعود بن محمود) وملكوه عليهم ، وبقي حتى قتل في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره وقتل من عامه ؛ وملك بعده ابن أخيه (مودود بن مسعود) وتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده عمه (عبد الرشيد بن محمود) وقتل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة . وملك بعده أخوه ^(١) (فرخزاد بن مسعود بن محمود) ، وتوفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة . وملك بعده أخوه الملك المؤيد (إبراهيم بن مسعود) ، وتوفى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وملك بعده ابنه (مسعود بن إبراهيم) ، وتوفى سنة ثمان وخمسمائة .

وملك بعده (أرسلان شاه بن مسعود) .

ثم ملك بعده (بهرام شاه بن مسعود) ثم توفى .

وملك بعده ابنه (خسرو شاه بن بهرام) ، وتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (ملكشاه بن خسرو شاه) بن بهرام بن مسعود بن محمد بن

سُبُكْتِكِينُ ، وهو آخرهم .

ثم أنتقل الملك إلى الغورية .

(١) الضمير راجع إلى مودود والأولى أن يقال " ابن أخيه " ليعود الضمير إلى عبد الرشيد .

فأول من ملك منهم علاء الدين (الحسين بن الحسين)، ملك عند انقراض الدولة السبكتكيديّة، وأستضافها إلى الغور في سنة خمس وخمسين وخمسة، وتلقّب بالملك المعظم، وتوفى سنة ست وخمسين وخمسة.

وملك بعده غياث الدين (محمد بن سام بن الحسين)؛ ثم أستولى عليها الغزنويّون خمس عشرة سنة؛ ثم ملكها (شهاب الدين) أخو غياث الدين المقدم ذكره سنة تسع وسبعين وخمسة، وقتل سنة اثنتين وستة، وفي أيامه كان الإمام نفر الدين الرازي وكان يغشاه ويعظه.

ثم ملك بعده علاء الدين (محمد بن سام بن محمد بن مسعود بن الحسين)؛ ثم غلبه عليها (يلدز) ملوك غياث الدين أنحى شهاب الدين؛ ثم غلبه عليها علاء الدين المذكور؛ ثم غلب عليها يلدز أيضا؛ ثم غلب عليها علاء الدين (محمد بن تكش) بن خوارزم شاه في سنة اثنتي عشرة وستة، وبق حتى غلبه عليها جنكرخان الآتي ذكره في سنة سبع عشرة وستة.

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني جنكرخان)

قال في "مسالك الأبصار": كان جنكرخان قد أوصى بمملكة ماوراء النهر لولده جدای، ويقال له جفظای فلم يتمكن من ذلك.

ثم ملك بعده أبنة قراهورلاوو، ثم ولده مبارك شاه؛ ثم غلب عليه قيديو بن قاشي ابن يكبوك بن أوكداي بن جنكرخان؛ ثم غلب عليه براق بن بسنطوبن منكوقان ابن جفظای بن جنكرخان.

ثم ملك بعده أبنة دوا بن براق، ثم أخوه كنتجك، ثم أخوه اسبنغا، ثم أخوه كيوك، ثم أخوه الجكداي، ثم أخوه دراتمر، ثم أخوه ترما شيرين.

ثم ملك بعده رجل ليس من أولاد دوا اسمه توزون بن أويما كان . قال : وتخال في خلال ذلك مَنْ وثب على الملك ، ولم ينتظم له حال ولاصلت له أعلام دولة ، وبقي الملك بعد ترماشيرين غير منتظم حتى قام جنفصون بن دراتمر بن حلوبن براق بن بسنطو ابن منكوقان بن جنفطاي بن جنكرخان . إلى هنا آتقضى كلامه في "مسالك الأبصار" .

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة "ترماشيرين" المقدم ذكره سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأسلم وحسن إسلامه وأخلص في إسلامه وأيد الإسلام ، وقام به حق القيام ، وأمر به أمراءه وعساكره ، ففهم من كان سبق إسلامه ومنهم من أجاب دأعيه فأسلم ، وفشأ فيهم الإسلام ، وعلا أواؤه حتى لم تمض عشرة أعوام ، حتى أشتمل فيها بلاءته الخاص والعام ، وأعان على ذلك من في تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايخ الصلحاء . وصارت التجار من مصر والشام مترددة إلى تلك الممالك ، وهو يكرمهم أتم الإكرام ، على أن رعايا هذه المملكة من قدماء الإسلام ، السابقين إليه كانوا مع كفر ملوكهم في جانب الإعزاز والإكرام ، لا يتطرق إليهم منهم أذية في دين ولا حال ولا مال .

الجملة السابعة

(في ترتيب هذه المملكة وحال عساكرها)

أما ترتيبها فقد أشار في "مسالك الأبصار" إلى أنها على نحو ما تقدم في مملكة إيران لأنفاق ملوك بني جنكرخان في الترتيب على طريقة واحدة .

وأما عساكرهم فذكر أن عساكرهم من أهل النجدة والبأس ، لا يحدد ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يخالف فيه مخالف ، حتى حكى في "مسالك الأبصار" عن مجد الدين إسماعيل السلمي أنه كان إذا قيل في بيت هو لا كُو : العساكر ،

تَحَرَّكَتْ مِنْ خُوَارِزْمَ وَالْقَبْجَاقِ، لَا يَجْمَلُ لِذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَمًّا . وَإِذَا قِيلَ : إِنْ
 الْعَسَاكِرُ تَحَرَّكَتْ مِمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ، تَأَثَّرُوا لِذَلِكَ غَايَةَ التَّأَثُّرِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَقْوَى نَاصِرًا وَإِنْ
 كَانَ أَوْلَئِكَ أَكْثَرَ عِدْدًا ، لِأَنَّهُ يُقَالُ : إِنْ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ بِمِائَةِ مِنْ أَوْلَئِكَ، وَلِذَلِكَ
 كَانَتْ نُحْرَاسَانُ عِنْدَهُمْ تَغْرًا لِأَيْهَمَلِ سِدَادِهِ، وَلَا يَزَالُ فِيهِ مِنْ يَسْتَحِقُّ مِيرَاثَ التَّخْتِ
 أَوْ مِنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، لَمَّا وَقَرَ فِي صُدُورِهِمْ لِهَؤُلَاءِ مِنْ مَهَابَةٍ لَا يُقَلِّقُ طُودُهَا، لِأَنَّهُمْ
 طَلَبُوا بَلْوَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَأَبْتَلَوْهُمْ فِيهَا .

القسم الثاني

(من مملكة توران خوارزم والقبجاق)

قال في "مسالك الأبصار" : حدثني الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلي :
 أن هذه المملكة متسعة الجوانب طولًا وعرضًا، كبيرة الصحراء، قليلة المدن، وبها
 عالم كثير لا يدخل تحت حد، إلا أنهم ليس لهم كثير نفع لقلة السلاح ورداءة الخيل،
 وأرضهم سهلة قليلة الحجر، لا تطيق خيل ربيت فيها الأوعار، فلذلك يقل غناؤها
 في الحروب . قال في "التعريف" : وكانت هذه المملكة في قديم الزمان زمان الخلفاء
 وما قبله تعرف بصاحب السرير . قال في "الروض المعطار" : وذلك أنه كان بها
 سرير من ذهب يجلس عليه ملوكها نقله إليها ملوك الفرس . قال في "التعريف" :
 وكان صاحبها في الأيام الناصرية (يعني ابن قلاوون) السلطان أربك خان . قال :
 وقد خطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرب إليه، ثم قال : وما زال بين ملوك هذه
 المملكة، وبين ملوكها قديم اتحاد، وصدق وداد، من أول الدولة الظاهرية ببيرس
 وإلى آخر وقت .

ويحصل الغرض من ذلك في ثمان جمل :

الجملة الاولى

(في ذكر حدود هذه المملكة ومساقمتها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" نقلا عن الشيخ علاء الدين بن النعمان الخوارزمي أن طول هذه المملكة من بحر أصطنبول إلى نهر أريس ستة أشهر، وعرضها من بلغار إلى باب الحديد أربعة أشهر تقريبا . ثم ذكر عنه في موضع آخر : أن مجموع هذه المملكة من وراعات خوارزم من الشرق إلى باشقرد، وعرضا من خوارزم إلى أقصى بلاد سير، وهي منتهى العارة في الشمال . و ذكر في موضع آخر عن ابن النعمان أن مبدأ عرض هذه المملكة من ديرو، وهي مدينة من بناء الإسكندر، كان عليها باب من حديد قديما، إلى بلاد بوعره (؟)، وطولها من ماء أريس، وهو أعظم من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الحطّاء، إلى أصطنبول يعني القسطنطينية . قال : ويتجاوز هذا الطول قليلا إلى بلاد تسمى كنج مشتركة بين الروس والفرنج . و ذكر في موضع آخر أن خوارزم إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر، والمقاوّر محيطة به من كل جانب، وحدّه متصل بغزنة مما يلي الشمال والغرب وجنوبه وشرقيه، وهو على جانبي جيحون . قال ابن حوقل : وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ومنها يتبدى الجمود في نهر جيحون . قال في "العزيرى" : وبلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم، وبينهما نحو ست مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وأول حدّ خوارزم بلدة تسمى الظاهرية مما يلي أمل، وتمتد العارة في جانبي جيحون معا . و حكى عن حسن الرومي التاجر السفّار أن طولها من مدينة باكو المعروفة بالباب الحديد إلى حدود بلاد الحطّاء، فيكون بسير القوافل خمسة أشهر، وعرضها من نهر

(١) كذا في الأصل، ولعلها درعان الآتية قريبا .

جِيحُونَ إلى نهر طُونَا . وقال في "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة واقعة في الشمال
أخذة إلى الشرق ، تحدها أطراف الصين من شرقها ، وبلاد الصَّقَب وما يليها من
شمالها ، وخراسان وما سامتها من جنوبيها ، والخليج القاطع من بحر الروم من غربيها .

الجملة الثانية

(فيما أشتمت عليه من الأقاليم العرفية)

إعلم أن هذه المملكة قد أشتمت على عدة أقاليم :

الإقليم الأول (خوارزم)

بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وألف بعدها راء مهملة ثم زاي معجمة ساكنة
وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهو إقليم منقطع عن خراسان وعن
ماوراء النهر، والمفاوزُ محيطة به من كل جانب . قال : ويحيط به من الغرب بعض
بلاد الترك؛ ومن جهة الجنوب خراسان؛ ومن الشرق بلاد ماوراء النهر؛ ومن الشمال
بلاد الترك أيضا . قال : وإقليم خوارزم في آخر جيحون، وليس بعده على النهر
عمارة إلى أن يقع جيحون في بحيرة خوارزم، وهو على جاني جيحون . قال
ابن حوقل : (وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ويتدى الجمود في نهر جيحون من
جهة خوارزم) . وقال المهلبى : بلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة
خوارزم إلى أمل نحو اثنتي عشرة مرحلة، ومن خوارزم إلى بحيرة خوارزم نحو ست
مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وبحوارزم جبل يقال له جبل الخير به عين
تعرف به ، يقصدها ذوو الأمراض المزمنة ، ويقيمون عندها سبعة أيام ، في كل يوم

(١) تقدمت هذه الجملة بتمامها في الصفحة التي قبل هذه ، فأعادتها غير مفيدة .

يغتسلون بها بكرة وعشية، ويشربون منها عقب كل اغتسال حتى يتصلعوا، فيحصل البرء . قال : **خُوَارَزْمٌ عَلَى جِيحُونَ** بين شعبتين منه مثل السراويل . قال : **ويلي خُوَارَزْمٌ** أرض مدورة تسمى قسلاع، طولها خمسة أشهر، وعرضها كذلك كلها صحراء، يسكنها أمم كثيرة من البرجان، ويفصل بينها وبين نهر **جِيحُونَ** جبل اسمه **أويلغان** شمالي **خُرَّاسَانَ** . ولها قاعدتان .

القاعدة الأولى

(القديمية مدينة كَاثَ)

كاف وألف وئاء مثلثة . قال **أبن حوقل** : وهو اسمها **بالخُوَارَزْمِيَّةِ** ، وهي مدينة واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وست عشرة دقيقة . قال في "القانون" : وهي في شرقي **جِيحُونَ** . قال المهلبي : وبينها وبين القرية الحديثة من بلاد الترك **نخسون فرسخا** . قال : وهي من أجل مدُن **خُوَارَزْمَ** . قال **أبن حوقل** : وقد خربها التتر وبني الناس لهم مدينة وراءها . قال : وكانت هذه المدينة في الجانب الشمالي عن **جِيحُونَ** . قال في "مسالك الأبصار" : وبها مائة بيت من اليهود، ومائة بيت من النصارى، لا يسمح لهم بأكثر من ذلك .

القاعدة الثانية

(**كُرَّانَج**)

قال في "المشترك" : يضم الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف ثانية وألف ونون ساكنة وفي آخرها جيم . قال : ويلتقى فيها ساكنان (يعني الألف والنون) ولذلك يكتبونها **كُرَّانَج** بغير ألف، وتعرف بـ **كُرَّانَج الكُبْرَى** ، والعرب تسميها

الجرجانية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي على صفة جِيحُونَ . قال في "القانون" من غربيه . وبها عدة مدن أيضا :

(منها) كُرْكَنْج الصغرى . وتعرف بالجرجانية أيضا - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة أيضا . قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس دقائق . قال في "المشترك" : وهي مدينة قريبة من كُرْكَنْج الكبرى ، بينهما عشرة أميال ، وهي في غربي جِيحُونَ .

(ومنها) زَمَحْشُرُ . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وإليها ينسب الإمام أبو القاسم محمود الزَمَحْشِرِيُّ صاحب "الكشاف" في التفسير وغيره من المصنفات الفاتحة النافعة .

(ومنها) هَزَارَاسَبُ . قال في "اللباب" : بفتح الهاء والزاي المعجمة وسكون الألف وفتح الراء وسكون السين المهملتين وباء موحدة في الآخر - وهي قلعة بجوارزَمَ موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . قال السمعاني : ويقال لها بالفارسية هَزَارَاسُفُ . قال : وهي قلعة حصينة . قال المهلبى غربي جِيحُونَ ، وبينها وبين مدينة كَاتَ ستة فراسخ .

(١)
 (ومنها) دَرَعَان ، بدال وراء وعين مهملات وألف ثم نون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وثمانون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر حدود حُوَارَزَم إلى جهة مَرَوْ . قال المهلبي : وبينها وبين هَزَارَسَب أربعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) قَرَبْرُ . قال في "اللباب" : بفتح الفاء والراء المهملة وسكون الباء الموحدة . وقال في "مزيل الأرتياب" : بفتح الفاء وكسرهما ، كل منهما مسموع - وهي مدينة على طرف جِيحُون مما يلي بُخَارَا - موقعها في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "القانون" : وهي المعبر من بلاد ما وراء النهر إلى نُحْرَاسَانَ . وجعلها ابن حَوْقَل من أعمال بُخَارَا . فتكون ما وراء النهر، وهي خِصْبَةٌ ولها قريٌّ عامرة .

الإقليم الثاني

(الدَّشْتُ)

بفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة وتاء مثناة فوق في الآخر - وهي صحارى في جهة الشمال ، وتضاف إلى القَبَجَاقِ بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف - وهم جنس من التُّرك يسكنون هذه الصحارى ، اهل حَلِّ وَتَرَحَا ، على عادة البدو .

(١) ضبطها ياقوت بالغين المعجمة .

وقاعدة المملكة بها (صراى) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحمية . ووقع في "مسالك الأبصار" بالسين المهملة بدل الصاد - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة عظيمة فى مستوٍ من الأرض على شطّ نهر [الأئيل] ^(١) من الجانب الشمالى [الشرقى] ^(١) غربىّ بحر الخزر وشماله على مسيرة نحو يومين ، وبحر الخزر شرقها بجنوبيها ، ونهر الأئيل عندها يجرى من الشمال والغرب إلى الشرق والجنوب حتى يصب فى بحر الخزر . وهى فُرصة عظيمة للتجار ورقيق التُّرك . وذكر فى "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخوارزمىّ الترجمان : أنها بناء بركة بن طوحى بن جنكوخان ، وأنها فى أرض سبخة بغير سور ، ودار الملك بها قصرٌ عظيم على عليائه هلالٌ من ذهب زنته قنطاران بالمصرى ، ويحيط بالقصر سورٌ وأبراج فيها الأمراء ، وبهذا القصر يكون مشتاهم ، والسراى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ووجوه برّ ، مقصودة بالإجلاب ، وفى وسطها بركةٌ ماؤها من نهر الحل ماؤها للاستعمال . أما شربهم فن النهر يسقى لهم فى حرّار فخار ، وتُصنّف على العجالات وتجرّ إلى المدينة وتباع بها . قال : وبعدها عن خوارزم نحو شهر ونصف . قال فى "تقويم البلدان" : وقد بنى بها السلطان أربك مدرسةً للعلم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم فى جهد من قشّف العيش لأنهم ليسوا أهل حاضرة ، وشدة البرد تُهلك مواشيهم . قال : وهم لشدة ما بهم من سوء الحال إذا وجد أحدهم لحماً صلّقه ولم يَنْضِجْه وشرب مرّقه ، وترك اللحم لياً كله مرة أخرى ، ثم يجمع العظام ويعاود صلّقتها مرة أخرى ويشرب مرّقتها ، وقس على هذا بقية عيشتهم . ونقل عن جمال الدين عبد الله الحصنى التاجر : أن لبس كثير منهم الجلود : مَدْغَاة كانت أو مَيْتة ، مدبوغة أو غير مدبوغة ، من حيوان

(١) الزيادة عن تقويم البلدان . (٢) لعل هذا اللفظ زائد من النسخ .

طاهر أو غيره، ولا يعرفون في المآكل ما يُعاف مما لا يُعاف، ولا التحريم من التحليل؛ وأنهم يبيعون أولادهم في بعض السنين لضيق العيش . قال : ومع ذلك فليس لهم تمسك بدين ولا رزانة في عقل؛ ثم عقب ذلك بأن قال : ومع ذلك فهم من خيار الترك أجناسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنّبهم العذر، مع تمام قاماتهم وحسن صورهم وظرفاة شمائلهم . ثم قال : ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمراءها وجنّدها؛ إذ لما رغب الملك الصالح (نجم الدين أيوب) في مشترى الممالك منهم، ثم صار من ممالكه من انتهى إلى الملك والسلطنة، فالت الجنسية إلى الجنسية، ووقعت الرغبة في الاستكثار منهم حتى أصبحت مصرُ بهم أهلة العالم، محمية الجوانب؛ منهم أقار موابها، وصدور مجالسها، وزعماء جيوشها، وعطاء أرضها . وحمد الإسلام موافقهم في حماية الدين، حتى إنهم جاهدوا في الله أجليهم . قال : وكفى بالنصرة الأولى يوم عين جالوت في كسر الملك المظفر قطز صاحب مصر إذ ذاك في سنة ثمان وخمسين وستمائة عساكر هولاكو ملك التتر بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار، وأستأصلوا شأفة السلطان (جلال الدين محمد بن خوارزم شاه) وقتلوا عساكره؛ مع أن الجيش المصري بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة من الدائرة، والنقبة من البحر، والله يؤيد بنصره من يشاء .

أما في زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس، رغب في الممالك من جنسه وأكثر من الممالك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجنّد، وقلّت الممالك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم .

(١) لعل هذا هو الجواب والفاء زائدة من النسخ .

الإقليم الثالث

(بلاد أنخر) .

بفتح الخاء والزاي المعجمتين وراء مهملته في الآخر .

وقاعدته مدينة (بَلَنْجَر) . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة واللام ونون ساكنة وجيم مفتوحة ثم راء مهملته - وهى مدينة بَدْرَبَنْدُ خزران، واقعة فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول نحس وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض نحسون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "كتاب الأطوال" : وهى إتِل . قال فى "اللباب" : وهى داخل الباب والأبواب، قيل إنها نسبت إلى بَلَنْجَر بن يافث .

الإقليم الرابع

(الْقِرْمُ)

قال فى "تقويم البلدان" : بكسر القاف والراء المهملته وميم فى الآخر . قال : وهى أسم لإقليم يشتمل على نحو أربعين بلدا .

وقاعدتها (صُلْفَاتُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملته وسكون اللام وفتح العين المعجمة وألف وتاء مثناة فوقية فى الآخر - وقد أطلق الناس أسم الْقِرْمِ عليها حتى إذا قالوا الْقِرْمِ لا يريدون إلا صُلْفَاتُ - وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع ونحسون درجة وعشر دقائق والعرض نحسون درجة . قال : وهى عن البحر على نصف يوم؛ وهى عن الأزق فى الغرب والشمال .

وَبَصْرَاىَ بلادٌ مضافة إليها .

(منها) الأَكْكُ . قال في "تقويم البلدان" : بضم المهمزة وفتح الكاف الأولى ثم كاف ثانية - وهي بليدة من بلاد الصَّرَاى ، موقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : القياس حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض تسع وأربعون درجة ونحو خمس وخمسون دقيقة ، وهي على جانب نهر إبتل من الجانب الغربي بين صَرََاى وبلَّار ، على قرب منتصف الطريق بينهما ؛ وهي عن كل واحدة منهما على نحو خمس عشرة مرحلة . وإلى الأَكْكِ هذه ينتهى أردو القان صاحب هذه المملكة ؛ ولها مَدُنٌ أُحرِكاً تقدّم . وهي عن الكَفَا شَمَالاً بغرب ، وعن صُودَاقِ شمال بشرق ، وبين كل منهما مسيرة يوم ؛ وبها حاكم يكتأبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) صُودَاقِ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وواو، وفتح الدال المهملة وألف وقاف في الآخر، والعامّة يقولون : سُرداق ، فيبدلون الصَّادَ سِيناً مهملة والواو راءً مهملة - وموقعها في آخر الإقليم السابع من الأقاليم السبعة أو في الشمال عنه . قال ابن سعيّد حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض إحدى وخمسون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي في ذيل جبل على شَطِّ بجر القَرِيم ، وأرضها محجر وهي مسورة ، وهي فُرْضة للتجار ؛ ويقابلها من البرّ الآخر مدينة سَامُوسَ ، من سواحل بلاد الروم الآتى ذكرها . قال : وأهلها مسلمون . وقال ابن سعيّد : أهلها أخلاط من الأمم والأديان ، والأمر فيها راجع إلى النصرانية . وإليها يُنسب الجلد السُّردَاقِ المعروف .

(ومنها) كَفَا . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الكاف والفاء وألف مقصورة . وهي فُرْضة القَرِيم - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهي في وطاة

من الأرض؛ وهى على ساحل بحر القِرم، ويقابلها من البر الآخر مدينة طَرَابُزُونٍ من سواحل بلاد الروم، وهى شرق صُودَاق، وعليها سورٌ من لَين، ومن شَمالِها وشرقيها صحراء القَبْجَاقِ؛ وهى عن صُودَاق فى سمت الشرق، والكُفَا وصُودَاقُ وُصُلُغَاتُ كالأثافي .

الإقليم الخامس

(بلاد الأَزَقِ)

قال فى "تقويم البُلدان": بفتح الهمزة والزاي المعجمة وقاف فى الآخر .

وقاعدته مدينة الأَزَقِ بالضبط المعروف - موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلدان": والقياس أنها حيث الطولُ خمس وستون درجة، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال : وإليها ينسب بحر الأَزَقِ المعروف فى الكتب القديمة ببحر ما نيطش، وهى فُرْضة على بحر الأَزَقِ فى مستوٍ من الأرض عند مَصَبِّ نهر "تان" فى بحر الأَزَقِ، وبنائها بالخشب، وبينها وبين القِرم نحو خمس عشرة مرحلة، وهى فى الشرق والجنوب عن القِرم . ولها مدن أخر .

(منها) الكَرُش . قال فى "تقويم البُلدان": بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وشين معجمة فى الآخر - وهى بلدة صغيرة على ساحل بحر الأَزَقِ، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلدان": القياس حيث الطول ستون درجة، والعرض سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . وهى بلدة صغيرة بين الكُفَا والأَزَقِ على فَمِ بحر الأَزَقِ، ويقابلها من البر الآخر الطامان من سواحل أرمينية وبلاد الروم، وأهلها قَبْجَاقُ كُفَار .

الإقليم السادس

(بلاد الجركيس)

بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الكاف وسين مهملة في الآخر. قال المؤيد صاحب حماة في "تاريخه": وهو على بحر نيطش من شريقه، وهم في شَطَف من العيش . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية ، وقد صار في زماننا منهم أكثرُ عسكر الديار المصرية من لدن ملك الظاهر برقوق فإنه أكثر الإجلاب منهم .

الإقليم السابع

(بلاد البلغار)

بضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف ثم راء مهملة في الآخر . وهم جنس معروف أيضا . قال صاحب حماة في "تاريخه" : وهم منسوبون إلى بلدان يسكنونها .

وقاعدتها مدينة (بَلَّار) بضم الباء الموحدة وفتح اللام وألف وراء مهملة في الآخر. قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها بالعربيُّ بُلْغَار - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة ، أو في الشمال عنه . قال في "الأطوال" وطولها ثمانون درجة ، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي بلدة في نهاية العارة قريبة من شَطِّ نهر إتل من البر الشمالي الشرقي ، وهي وصراى في بر واحد، وبينهما فوق عشرين مرحلة ، وهي في وطاة والجبال عنها أقل من يوم ؛ وأهلها مسلمون حنفيّة ، وليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها ، والفجل الأسود في غاية الكبر . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد حكى لي بعض أهلها أن في أول الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليها في غاية القصر . ثم قال .

وهذا الذى حكاه صحيح موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يتبدى عدم غيبوبة الشفق في أول فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصح ما تقدم على كل تقدير . قال في "مسالك الأبصار" : وحكى على الحسن الإبلي أن أقصر ليلا أربع ساعات ونصف ، وهو غاية نقصان الليل . قال حسن الرومى : وسألت مسعودا المؤقت بها عن هذا فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجدناه كذلك تحريرا . قال في "مسالك الأبصار" : وقد ذكر المسعودى في "مروج الذهب" أنه كان في السرب والبغار من قديم دار إسلام ومستقر إيمان . فأما الآن فقد تبدلت بإيمانها كُفراً ، وتداولها طائفة من عبّاد الصليب ، ووصلت منهم رُسلٌ إلى حضرة مصر سنة إحدى وثلاثين وسبعائة من صاحب السرب والبغار ، يعرض نفسه على مودته ، ويسأله سيفاً يتقلده وسنجقاً يقهر أعداءه به ، فأكرم رُسله ، وأحسن نُزله ، وجهز له معه خِلمة كاملة : طرد وحش بقصب بسنجاب مقدس على مقرح سكندرى وكلوته زركش بطرفين ، ومنطقة ذهب ، وكلايب ذهب وسيف محلى ، وسنجق سلطاني أصفر مُذهب . قال : وهم يدارون سلطان القبحاق لعظيم سلطانه عليهم ، وأخذه بخناقهم لقرّبهم منه . وذكر في "التعريف" قريبا منه ؛ ولصاحب السرب مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتي ذكرها في المكاتبات إن شاء الله تعالى .

وبين السرب والبغار وبلاد الترك بلاد :

(منها) أقبج كَرَمَان - بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الحيم وألف وفتح الكاف والراء المهملة والميم وألف والنون في الآخر - وهي بليدة على بحر نيطش المعروف ببحر القريم ، واقعة في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول خمس وأربعون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهي

في مستوي من الأرض ، وأهلها أخلاط من مسلمين وكفار ، وعلى القرب منها يصب نهر طُرْلُو .

(ومنها) صَارِي كَرْمَانَ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وألف وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحتية - وَكَرْمَانُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، منخرطة في أَقْجَا كَرْمَانَ ، وهي بلدة أصغر من أبقا كرمان - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول خمس وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة قياساً ، ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنُوبَ من سواحل بلاد الروم ، وهي شرقي أَقْجَا كَرْمَانَ المقدم ذكرها ، وبينهما نحو خمسة عشر يوماً ، وبينها وبين صَلَفَاتٍ نحو خمسة أيام .

الإقليم الثامن (بلاد الأولاقي)

بضم الهمزة وسكون الواو ولام ألف بعدها قاف ، ويقال لهم البرغَال بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام ، وهم جنس معروف . وقاعدتها مدينة (طرنو) . قال في "تقويم البلدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو في الآخر - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمسون درجة . قال : وهي غربي صَقْجِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْهَا ، وَأَهْلُهَا كُفَّارٌ مِنَ الْجَنَسِ الْمَذْكُورِ . وَلَهُمْ بِلَادٌ أُخْرَى :

(منها) صَقْجِي . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الفقهاء : بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وكسر الجيم المشربة بالشين المعجمة وفي الآخرياء مثناة تحتية -

(١) الذي في تقويم البلدان "عن بعض أهلها" .

وهي من أولاق وبلاد القُسطنطينية . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وأربعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة، وهي متوسطة بين الصَّغَرِ والكِبَرِ في مستوي من الأرض، عند مصب نهر طناً في بحر نيطش المعروف ببحر القرم في الجانب الجنوبي الغربي منه . وهي عن أقبحا كَرَمَانَ على مسيرة خمسة أيام، وبينها وبين القُسطنطينية في البحر عشرون يوماً، وغالب أهلها مسلمون .

الإقليم التاسع

(بلاد الآص)

بفتح الهمزة الممدودة وضاد مهملة - وهم جنس معروف .

وقاعدته (قِرْقِرُ) . قال في "تقويم البلدان": بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية (؟) وكسر الراء المهملة في الآخر. ومعنى اسمها بالتركية أربعون رجلاً، وموقعها في آخر الإقليم السابع . قال في "تقويم البلدان": القياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهي قلعة عاصية على جبل لا يقدر أحد على الطلوع إليه، ووسط ذلك الجبل وطاء تسع أهل البلاد، وهي بعيدة عن البحر في شمالي صَارِي كَرَمَانَ على نحو يوم، وعندها جبل عظيم شاهق في الهواء يقال له (جَاطُوطَاغ) بفتح الجيم وألف وطاء مكسورة وواو ساكنة وطاء مهملة وألف وغين معجمة، يظهر للراكب من بحر القرم .

الإقليم العاشر

(بلاد الروس)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . وهم جنس معروف . قال في "تقويم البلدان": في شمالي مدينة بَلَارِ المذكورة . قال صاحب حماة

في "تاريخه": ولهم جزائر أيضا في بحر نيطش وبلار في شماله . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية . قال في "مسالك الأبصار" : وإذا سافر المسافر على غربي جولمان وصل إلى بلاد الروس ، ثم إلى بلاد الفرنج وسكان البحر الغربي . قال في "تقويم البلدان" : وفي شمالي الروس الذين يبايعون مغاية . ونقل عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنهم يتصلون بساحل البحر الشمالي ، فإذا وصلوا إلى تخومهم ، أقاموا حتى يعلموا بهم ، ثم يتقدمون إلى المكان المعروف بالبيع والشراء ، ويحط كل تاجر بضاعته معلمة ويرجعون إلى منازلهم ، فيحضر أولئك القوم ويضعون قبالة تلك البضاعة السمور والثعلب والوشق وما شا كل ذلك ، ويدعونه ويمضون ، ثم يحضر التجار فن أعجبه ذلك أخذه ، وإلا تركه حتى يتفصلوا على الرضا .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان : أن البلاد التي يجلب منها السمور والسنجاب هي بلار المقدمة الذكر . قال ابن النعمان : وتجار بلادنا لا يتعدون بلاد البلغار ، وتجار البلغار يسافرون إلى بلاى جقطاي ، وتجار جولمان يسافرون إلى بلاد بوغزه ، وهي في أقصى الشمال ليس بعدها عمارة سوى برج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المنارة العالية ، ليس وراءه مذهب لأحد إلا الظلمات ، فسئل عن الظلمات فقال : صحار وجبال لا يفارقها الثلج والبرد ، ولا تطلع عليها الشمس ، ولا ينبت فيها نبات ، ولا يعيش فيها حيوان ، متصلة ببحر أسود لا يزال يطر الغيم منعقد عليه .

وأعلم أن صاحب "تقويم البلدان" : قد ذكر عدة أماكن من هذه المملكة سوى ما تقدم ولم ينسبها إلى إقليم .

(منها) كوماجر - بضم الكاف وسكون الواو والميم المشددة وألف وجيم وراء مهملة - وهي مدينة قريبة من الوسط ما بين باب الحديد والأزق ، شرقي الأزق وغربي باب الحديد .

(ومنها) مدينة لكر - بفتح اللام وسكون الكاف وفي آخرها زاي معجمة - وهي مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم اللكرى ، وهم في الجبل الفاصل بين ترمملكة بركة ، وترمملكة هولأكو .

(ومنها) بلاد القيتق - بفتح القاف وسكون المثناة تحت وفتح المثناة من فوق وفي آخرها قاف ثانية ، وهم جنس من الترك يسكنون الجبل المتصل باللكر من شماليه . قال في "تقويم البلدان" وهم قُطَاع طريق ، وجباهم متحكم على باب الحديد . قلت : وهذه المملكة أوسع من أن يحاط ببلادها ، وفيما ذكرناه مقنع لمن تأمله .

الجملة الثالثة

(في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة)

أما الأنهار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن هذه المملكة سيحون وجيحون المقدم ذكرهما في مملكة ماوراء النهر ، وذلك أنهما يمتدان من هذه المملكة إلى تلك ، فيصدق وجودهما في الملكين جميعا . وقد تقدم ذكرهما هناك فأغنى عن إعادته هنا . ثم المشهور مما يختص بهذه المملكة خمسة أنهار .

أحدها - نهر أئيل - بفتح الهمزة وكسر المثناة ولام في الآخر - فعرف بأئيل ، وهي مدينة بدجّر المقدم ذكرها ، ويقال فيه نهر الأئيل بالألف واللام أيضا ، وهو من أعظم الأنهار بتلك البلاد وأشهرها . ذكر في "مسالك الأبصار" عن الفاضل شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي الترجمان أنه يكون قدر النيل ثلاث مرات أو أكثر . قال : وأصله من بلاد الصقلب . قال في "تقويم البلدان" : وهو يأتي من أقصى الشمال والشرق من حيث لا عمارة ، ويمر بالقرب من مدينة بلار ، وهي

(١) كذا في "التقويم" ونص ياقوت على أنه بالمشاة الفوقية وأنه بوزن إيل .

بلغار، ويستدير عليها من شمالها وغربها، ويجرى منها إلى بليدة على شطه يقال [لها أوكك ثم يتجاوزها إلى قرية يقال^(١) لها بلجمن، ويجرى جنوبا ثم يعطف، ويجرى إلى الشرق والجنوب، ويمر على مدينة صراى من جنوبيها وغربها؛ فإذا تجاوز مدينة صراى آفترق، ويصير على ما قبل ألف نهر ونهر، ويصب الجميع في بحر انحر. قال في "مسالك الأبصار": وتجرى فيه السفن الكبار، ويسافر فيه المسافرون إلى الروس والصقلب .

الثانى - نهر طنا . قال في "تقويم البلدان" : بضم الطاء المهملة وفتح النون وألف . قال في "تقويم البلدان" : وهو نهر عظيم يكون أكبر من دجلة والفرات إذا اجتمعا بكثير . قال : ويجرى من أقصى الشمال إلى جهة الجنوب، ويمر في شرقي جبل يسمى (قشغا طاغ) . ومعناه الجبل الصعب ، وهو جبل فيه أجناس مختلفة من أمم الكفر مثل الأولاق والماجار والترب وغيرهم، فيمر في شرقيه، وكلما جرى جنوبا قرب من بحر نيطش المعروف الآن ببحر القرم، ولا يزال يتقارب منه ويقرب ما بين الجبل والبحر المذكور حتى يصب فيه في شمالي مدينة صفجى في شمالي القسطنطينية بميلة إلى الغرب .

الثالث - نهر أزو . قال في "تقويم البلدان" : بالزاي المعجمة [المفخمة] بعد الألف وواو في الآخر . قال : وهو نهر عظيم يأتي من الشمال شرقي نهر طنا المقدم ذكره، ويمر معتوبا، ثم يعطف ويمر مشرقا حتى يصب في خور من بحر القرم بين صارى كرمان وأقبا كرمان المقدم ذكرهما .

الرابع - نهر تان . قال في "تقويم البلدان" : بقاء مثناة من فوق وألف [مماله] ونون في الآخر . قال : وهو نهر عظيم شرقي أزو المقدم ذكره وغربي نهر

(١) الزيادة عن "التقويم" . (٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

الأثل يجرى من الشمال إلى الجنوب، ويصب في بحيرة مانيطش المعروفة في زماننا ببحر الأزق عند مدينة الأزق من غربيها .

الخامس - نهر طرلو . قال في "تقويم البلدان" بضم الطاء وسكون الراء المهملتين ولام وواو . قال : وهو نحو عاصي حماة ، ويصب على القرب من أقحباكرمان في بحر نيطش المعروف ببحر القريم .



وأما البحيرات فلمشهوره بها بحيرة خوارزم : وهي بحيرة كبيرة ماؤها ملح . قال ابن حوقل : دورها مائة فرسخ ، وفيها يصب نهر جيحون في جانبها الجنوبي ، وفيها يصب نهر الشاش أيضا ، وبينها وبين البحر عشرون مرحلة ، وبينها وبين خوارزم ست مراحل .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

ولها طريقان : طريق في البر ، وطريق في البحر .

فأما طريق البر فقد تقدم في الكلام على مملكة إيران الطريق إلى شط جيحون . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن بين أمل الشط وبين خوارزم نحو آمتي عشرة مرحلة . وذكر في "مسالك الأبصار" أن بين خوارزم ومدينة صراى نحو شهر ونصف ، وأن بين خوارزم ومدينة صراى مدينة وجق ومدينة قطلود .

وأما طريق البحر فهو أن يركب المسافر إليها في بحر الروم من مدينة الإسكندرية أو مدينة دمياط من شمالي الديار المصرية ، ويسير إلى خليج القسطنطينية المتصل ببحر الروم من جهة الشمال ، ويركب فيه ويحاذره إلى بحر نيطش المعروف ببحر القريم ، ثم إلى بحر مانيطش المعروف ببحر الأزق وينتهي إلى آخره .

الجملة الخامسة

(في الموجود بها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" أن فيها من الحبوب القمح، والشعير، والدخن، ويسمى عندهم الأرز، والماش، والجاورس، وهو شبيه بحب البرسيم، على أهلة في القمح والشعير. أما القول فلا يكاد يوجد عندهم، وأكثر حبوبهم الدخن ومنه أكلهم، وبها من الفواكه جميع أنواع الفواكه إلا النخل، والزيتون، وقصب السكر، والموز، والأترج، والليمون، والتارنج. وذكر عن بلاد القبجاق أنها كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة الجوانب، وأنها في بقايا تلك العمارة والغراس، وأن فيها من الفواكه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والكثير من المشمش، والخوخ، والجوز، وفاكهة تسمى بلغة القبجاق بانك شبيهة بالتين، وأن الفواكه كثيرة الوجود في جبالهم مع كثرة ما باد منها. قال: وأما البطيخ فينجب عندهم نجابة خاصة الأصفر، وهو في غاية صدق الحلاوة يفقدونه ويحفظونه فيبقى عندهم من السنة إلى السنة، وربما استخرجوا ماءه وصنعوا منه الحلوى، وعندهم من الخضراوات اللفت، والجوز، والكرب، وغير ذلك. ثم قال: وكذلك مدن الجركس والرؤس والأص، وبها العسل الكثير الأبيض اللون اللذيذ الطعم الخالي من الحدة.

الجملة السادسة

(في المعاملات والأسعار بها)

أما المعاملات فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن عبدالرحمن الخوارزمي التبرجماني أن دينارهم راجح كجا في غالب مملكة إيران، وهو الذي عنه ستة دراهم، وأن الحبوب تباع كلها عندهم بالرطل، وذكر أن رطل خوارزم زنته ثلثمائة وثلاثون درهما.

وأما الأسعار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن الأسعار في جميع هذه المملكة رخيصة إلى الغاية إلا كركنج أتم إقليم خوارزم فإنها متمسكة في أسعار الغلات قل أن ترخص، بل إما أن تكون غليظة أو متوسطة لا يعرف [بها] الرخص أبدا. ثم ذكر عن شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي التبرجان: أن الأسعار في خوارزم والسراي لا يكاد يتباين ما بينهما. قال: والسعر المتوسط عندهم القمح بدينارين ونصف، وكذلك الماش والشعير بدينارين، وكذلك الدخن والجاورس، وربما زاد، والغالب أن يكون سعره مماثل سعر القمح، واللحم الضأن على السعر المتوسط كل ثلاثة أرطال بدرهم. وذكر ابن مسافر أن اللحوم بها رخيصة، وأكثر ما يذبح بها الخيل.

وأما سكان البر فإن اللحم لا يباع لديهم ولا يشتري لكثرتهم، وغالب أكلهم لحوم الطير واللبن والسمن، وإن تلف لأحد منهم دابة من قريس أو بقرة أو شاة أو غير ذلك، ذبحها وأكل هو وأهله منها، وأهدى لجيرانه. فإذا تلف عند من أهدى إليه شيء من ذلك، ذبحه أيضا وأهدى لجيرانه، فلهذا لاتكاد بيوتهم تخلو من اللحم.

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدم أنها قسم من مملكة توران، ومملكة توران كانت في القديم بيد افراسياب ملك الترك، وتداولها ملوك الترك بعده إلى الفتح الإسلامية، وأسلم من أسلم من ملوكهم.

أما خوارزم فتوالى عليها الأيدي حتى صارت إلى (محمود بن سبكتكين) المقدم ذكره في ملوك غزنة من القسم الأول من هذه المملكة؛ ثم صارت (لمسعود) آبنه،

واستتاب فيها خوارزم شاه هارون بن الطيطاش؛ ثم قتله غلمانه عند خروجه إلى الصيد؛ وأستولى عليها رجل يقال له (عبد الجبار)؛ ثم وثب غلمان هارون بعد الجبار فقتلوه، وولوا مكانه (إسماعيل بن الطيطاش) أبا هارون؛ ثم غلبه عليها (شاه ملك) ابن علي؛ ثم غلبه عليها (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلجوق، وبقيت بيد السلجوقية المقدم ذكرهم في مملكة إيران، إلى أن صارت منهم إلى (بريكاروق) بن ملكشاه بن أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق، فأستتاب فيها علاء الدين محمد أنوشتكين في أيام بريكاروق بن ملكشاه بن ميكائيل بن سلجوق السلجوق، ولقب خوارزم شاه في سنة تسعين وأربعمائة .

ثم ولي بعده ابنه (أطسز) بن محمد؛ ثم غلبه على ذلك (سنجر) بن ملكشاه أخو علاء الدين محمد، وأقام بها من يحفظها في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، [ثم غلبه عليها أطسز بن محمد المقدم ذكره^(١)]، وبقى بها حتى توفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .
وملك بعده ابنه (أرسلان بن أطسز) وتوفي سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (سلطان شاه محمود) صغيرا، وقامت أمه بتدبير دولته؛ ثم غلب على الملك أخوه (علاء الدين تكش) ثم غلبه أخوه (سلطان شاه) وطرده، ثم مات سلطان شاه وأنفرد (تكش بالملك) ثم مات في سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وولى بعده ابنه (محمد بن تكش) وكان لقبه قُطْبَ الدين فتلقب علاء الدين، وبقى حتى غلبه جنكرخان وهزمه في سنة تسع عشرة وستمائة، ثم مات بعد ذلك .
ولما ملك جنكرخان أوصى بدشت القبجاق، وما معه لابنه طوجي، ويقال له دوجي أيضا، فمات طوجي في حياة أبيه جنكرخان . فلما مات جنكرخان آستقر في مملكة ماوراء النهر، وما معه باتو بن طوجي بن جنكرخان، ثم مات باتو .

(١) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا ليوثق الواقع .

وملك بعده أخوه (بركة بن طوجي) وهو الذي تنسب هذه المملكة إليه، فيقال فيها بيت بركة، بمعنى هذه مملكة بيت بركة، كما يقال في مملكة إيران هي مملكة بيت هولانكو. قال صاحب "الذيل على الكامل" وكانت المكتبة بينه وبين الظاهر بيبرس لا تنقطع، وبقي حتى توفي سنة خمس وستين وستمائة عن غير ولد.

وملك بعده ابن أخيه (منكوتر بن طغان) بن باطون بن دوجي خان، ابن جنكرخان، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وملك بعده أخوه (تدان منكوتر) بن طغان بن باطون بن دوجي خان، ابن جنكرخان وقيل سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وكان صاحب مصر قد جهز إلى منكوتر هدية^(١) فلم تصل إليه حتى مات، وأستقر (تدان منكوت) فقدمت إليه فابتهج بها، وعادت الرسل بجوابه بذلك، وبقي إلى سنة ست وثمانين وستمائة فأظهر الوله وتخلّى عن المملكة وأتمى إلى المشايخ والفقراء.

وملك بعده (تلابغا) بأشارته [ابن منكوتر بن طغان بن باطون] بن دوجي خان ابن جنكرخان، وبقي حتى قتل في سنة تسعين وستمائة.

وملك بعده (طقطغا) بن منكوتر بن طغان بن باطون ابن جنكرخان.

والذي ذكره قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" أنه ملك بعد باطون أخوه طرطو، ثم أخوه بركة، ثم منكوتر بن طغان خان ابن باطون ابن دوشي خان، ثم ابنه تدان منكوت، ثم أخوه تلابغا، ثم أخوه جفطاي، ثم ابن أخيه أربك، وهو الذي كان في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية. قال في "التعريف": وخطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرب إليه، ثم ابنه جاني بك، ثم ابنه بردي بك، ثم ابنه طقتمش، ثم نائبه ماماي، ثم عبد الله بن أربك،

(١) في تاريخ أبي الفدا "سنة ثمانين". (٢) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا.

ثم قتل قتمر، ثم ماماي ثانيا، ثم حاجي جركس، ثم أيك خان، ثم أبنه قاني بك خان، ثم أرس خان، ثم طقتمش خان ابن بردى بك خان. قال: ومنه أتتزعها تمرلنك وقتله. قلت: المعروف أن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلا ولا قتل طقتمش، وما ذكره وهم فيه.

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة من بني جنكرخان بركة بن طوجي ابن جنكرخان، وكان إسلامه قبل تملكه حين أرسله أخوه باطوخان لإجلاس منكوخان على كرسي جدّه جنكرخان، فأجلسه، وعاد فتر في طريقه على الباخرزي شيخ الطريقة، فأسلم على يديه وحسن إسلامه، ولم يملك بعد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة في الإسلام حتى كان أزبك خان منهم، فأخلص في الإسلام غاية الإخلاص، وتظاهر بالديانة والتمسك بالشرعية، وحافظ على الصلاة وداوم على الصيام.

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن زين الدين عمر بن مسافر أن ملوك هذه الطائفة مع ظهور الإسلام فيهم وإقرارهم بالشهادتين مخالفتون لأحكامها في كثير من الأمور، واقفون مع ياسة جنكرخان التي قزرها لهم وقوف غيرهم من أتباعه، مع مؤاخذه بعضهم بعضا أشد المؤاخذه في الكذب والزنا ونبيذ الموائيق والعهود. وقد جرت عادة ملوكهم أنهم إذا غضبوا على أحد من أتباعهم، أخذوا ماله وباعوا أولاده، وأن في سلطان هذه المملكة طوائف الجركس والرؤس والآص، وهم أهل مدن عامرة أهلة، وجبال مشجرة مثمرة؛ ينبت عندهم الزرع، ويدير لهم الصرع؛ وتجري الأنهار، وتنجي الثمار؛ وهم وإن كان لهم ملوك فهم كالرعايا، فإن داروه بالطاعة والتحف كف عنهم، وإلا شق عليهم الغارات، وضايقهم، وحاصرهم،

(١) لعله فهم ملك مصر أو نحو ذلك كالرعايا لينظم الكلام.

وقتل رجالهم ، وسبى نساءهم ، وذراريهم ، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض .
ثم قال : والقسطنطينية مجاورة لأطراف ملك القباقي ، وملك الروم معه في كليب دائم ،
وأقتراحات متعددة في كل وقت ، وملك الروم على توقد جمرته ، وكثرة حمايته وأنصاره ،
يخاف غارته وشره ، ويتقرب إليه ، ويداريه ، ويدافع معه الأيام من وقت إلى وقت
منذ تدير ملوك بني جنكرخان هذه المملكة . وما تخلو بينهم مدة عن تجديد عهود
ومسألة إلى مدة تؤجل بينهم ، وأشياء تحمل من جهة ملك الروم إلى ملكهم .

الجملة الثامنة

(في مقدار عسكر هذه المملكة ، وترتيبها ، ومقادير الأرزاق)

الجارية عليهم ، وزبيهم في اللبس)

أما مقدار عسكرها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين
ابن النعمان أن عساكرها كثيرة تفوت الحصر ، لا يعلم لها مقدار إلا أنه خرج مرة
عليه وعلى القان الكبير اسنبغا سلطان ما وراء النهر خارجاً ، فجرد إليه من كل عشرة
واحداً فبلغ عدة المجردين مائتين وخمسين ألفاً من دخل تحت الإحصاء سوى من
أنضم إليهم ، وألزم كل فارس منهم بغلامين وثلاثين رأساً من الغنم وخمسة رؤس
من الخيل وقدرين نحاس وعجلة .

وأما ترتيب مملكتهم فحكى عن الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلي أن ترتيب
هذه المملكة في أمر جيوشها وسلطانها كما في ترتيب مملكة العراق والعجم في عدة
الأمراء والأحكام والخدم ، ولكن ليس لأمير الألوس والوزير بها تصرف أمير
الألوس والوزير بتلك المملكة ، ولا لسلطان هذه المملكة نظير ما لذلك السلطان من
الدخل والمجاني وعدد المدن والقري ، ولا مشي أهل هذه المملكة على قواعد الخلفاء
مثل أولئك ، ولخواتين هؤلاء مشاركة في الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل

أولئك وأكثر ، إلا ما كانت عليه بغداد بنت جوبان امرأة أبي سعيد بهادر بن خدابندا ، فإنه لم ير من يحكم حكمها . قال المقر الشهابي بن فضل الله : وقد وقفت على كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بركة وما بعده ، وفيها ” وأنفتت آراء الخواتين والأمراء على كذا ” أو ما يجري هذا المجرى .

وحكى عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر عن أزبك خان سلطان هذه المملكة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون أنه لا ألتفت له من أمور مملكته إلا إلى جُمليّات الأمور دون تفصيل الأحوال ، يَقنع بما حَمَلَ إليه ، ولا يبحث عن وجوه القبض والصرف ، وأن لكل امرأة من خواتينه جانباً من الحمل ، وأنه يركب كل يوم إلى امرأة منهم ، يقيم ذلك اليوم عندها ، يأكل من بيتها ويشرب ، وتلبسه بدلة قماش كاملة ، ويخلع التي كانت عليه من اللبس على من يتفق ممن حوله . ثم قال : وقماشه ليس بفاق الجنس ولا غالى الثمن ، مع قربه من الرعايا القاصدين له ، إلا أن يده ليست مبسوطه بالعطاء ، ولو أراد هذا لما وفي به دخل بلاده ، فإن غالب رعاياه أصحاب عمَلٍ في الصحراء ، أقواتهم من مواشيمهم . ونقل عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن لسلطان هذه المملكة على جميعهم خراجاً يستأديه منهم ، وأنهم ربما طُلبوا بالخراج في سنة مُحملة لوقوع المُوتان بدوابهم ، أو سقوط الثلج ونحوه ، فباعوا أولادهم لأداء ما عليهم من الخراج .

وأما مقادير أرزاق جندهم ، فقد حكى عن شجاع الدين عبد الرحمن أن كل من كان بيد آبائه شيء من الإقطاع فهو بيد أبنائه . ثم قال : والأمراء لهم بلاد ، منهم من تُغلُّ بلاده في السنة مائتي ألف دينار راجح وما دون ذلك إلى مائة ألف دينار راجح . أما الجند فليس لأحد منهم إلا تقود تؤخذ ، كلهم فيها على السواء ، لكل واحد منهم في السنة مائتا دينار راجح .

وأما زَيْهَمٌ في اللبس ، فحكى عن شجاع الدين الترحمان أيضا أنه كان زيهم زِيَّ
عسكر مصر والشام في الدولة الإسلامية وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زيهم زِيَّ التتر
إلا أنهم بعائم صغار مُدَوَّرَة .

القسم الثالث

(من مملكة تُورَانَ مملكةُ القان الكبير)

قال في "التعريف" : وهو أكبر الثلاثة ، (يعني ملوك الأقسام الثلاثة المتقدمة
الذكر) . وهو صاحب الصَّينِ وَالْحِطَّا ووارث تحت جنكرخان . قال : وقد تواترت
الأخبار بأنه أسلم ودان بدين الإسلام ، ورَقَمَ كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام .
قال : وإن صحَّ وهو المؤمل ، فقد ملأت الأمة الحمديَّةُ الخلفيين ، وعمرتِ المشرقَ
والمغربَ ، وأمتدت بين ضَفَّتَي البحر المحيط . قال في "مسالك الأبصار" : وهو
القائم مقام جنكرخان والجالسُ على تخته . قال : وهو كالخليفة على بنى عمه من بقية
ملوك توران : من مملكة إيران ، وصاحب القَبَجَاقِ ، وصاحب ما وراء النهر .
فإذا تجدد في مملكة أحد منهم مُهمٌّ كبيرٌ ، مثل لقاء عسكرو ، أو قتل أمير كبير بذنب ،
أو ما يناسب ذلك ، أرسل إليه وأعلمه به ، وإن كان لا أفتقار إلى استئذانه ،
ولكنها عادة مَرَعِيَّةٌ بينهم .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أنه لم
يزل يكتبُ إلى كلِّ من القانات الثلاثة ، يأمرهم بالاتحاد والألفة ، وإذا كتب إليهم
بدأ باسمه قبلهم ، وإذا كتبوا إليه بدأوا باسمه قبلهم . قال : وكلهم مُدْعِنون له بالتقدم
عليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وأهل هذه المملكة هم أهل الأعمال اللطيفة ،
والصنائع البديعة ، التي سامت إليهم فيها الأمم . وقد تكتبُ الكُتُبُ من أحوالهم
بما أغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين في الصنائع أنهم إذا عملوا عملا

(١) لعله "وقد تكفلت الكتب الخ" .

يديعا، حملوه إلى باب الملك، وعُلق عليه ليراه الناس، ويبقى سنة، فإن سلم من عائب أسدى إلى صاحبه الإحسان، وإن عيب عليه وتوجه العيب، وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب [على] من عابه .

وقد حكى المسعودي في "مروج الذهب" أن صانعا منهم صور عصفورا على سنبلة في نقش ثوب كحما وعلقه، فأستحسنه كل من رآه، حتى مر به رجل فعابه باستقامة السنبلة، لأن العصفور من شأنه أنه إذا وضع على السنبلة أمالها .^(١)

وحكى في "مسالك الأبصار" عن بدر الدين حسن الإسعردى أن بعض صنّاعهم عمل ثيابا من الورق وباعها على أنها من الكمخاوات الخطائية، لا يسك فيها شك، ثم أظهرهم على ذلك فعجبوا منه .

وحكى عن الشريف حسن السمرقندى أنه كان بهذه البلاد، فشكا ضرسه، فأراه لرجل من الخطا، فوضع يده عليه، فأخرج منه قطعة متأكلة، ووضع مكانها قطعة من ضرس أجنبي، ودهنه بدهن وأمره أن لا يشرب ماء يومه، فالتصق حتى صار كأنه من أصل الحلقة، إلا أن لون الأول يبين من اللون الثاني. وذكر المقر الشهابي أنه أراه له بحضرة الشيخ شمس الدين الأصفهاني وجماعة من أهل العلم. قال بدر الدين حسن الإسعردى: ولقد رأيت منهم من هذه الأعمال ما يجار فيه العقل .
ويحصل الغرض منه في خمس جمل :

الجملة الأولى

(فيا أشتمت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ هِيَ أَوْسَعُ مَمَالِكِ بَنِي جَنْكِرْخَانَ وَأَفْسَحُهَا جَوَانِبَ، وَأَكْثَرُهَا أَقَالِيمَ، وَأَوْفَرُهَا مَدُنًا، غَيْرَ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ الْمَسَافَةَ، مُتَقَطِّعَةُ الْأَخْبَارِ، فَجُهِلَتْ لَذَلِكَ أَسْمَاءُ

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب "وقع" .

أقاليمها، وتعذرت الإحاطة بأقطارها؛ ونحن نورد منها ماشاع ذكره في سائر الآفاق
وأنتشر، وتقع من التفصيل بالجملة، ونكتفى من البحر بالنغمة .

والقول الجملي في ذلك أنه يشتمل على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول (الصين)

بكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر. قال في "تقويم
البلدان" : ويحيط به من جهة الغرب المفاوز التي بينه وبين الهند، ويحيط به من
جهة الجنوب البحر (يعنى بحر الهند) ، ويحيط به من جهة الشرق البحر المحيط،
ويحيط به من جهة الشمال أرض يأجوج ومأجوج وغيرها من الأراضي المنقطعة
الأخبار عنا . ثم قال : وقد ذكر أصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلادا كثيرة،
ومواضع وأنها را وغيرها في إقليم الصين؛ ولم يقع لنا ضبط أسمائها، ولا تحقيق
أحوالها، فصارت كالمجهولة لنا لعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين إلينا
لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين حسن بن الجلال
السمرقندي، وهو من السفار، ومن جال الآفاق، ودخل الصين وجال بلاده، وجاب
آفاقه، وجاس خالاه، وجال في أقطاره : أن بالصين ألف مدينة، وأنه دار الكثير
منها . قال : وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية .

وقاعدة هذه المملكة (خان باليق) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الخاء المعجمة
ثم ألف ونون ساكنة وباء موحدة مفتوحة ثم ألف ولام مكسورة وقاف في الآخر.
قال : وهي مدينة من أقاصى الشرق عند بلاد الخطا، واقعة في الإقليم الرابع من
الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة، والغرض

خمسة وثلاثون درجة وخمسة وعشرون دقيقة . وهي قاعدة مشهورة على ألسنة التجار وأهلها من جنس الخطا ، وعندهم معادن الفضة . قال ابن سعيد : ويذكر عن عظيم هذه المدينة ما يستبعده العقل . قال في "مسالك الأبصار" نقلا عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندي : إن مدينة خان بالقي المذكورة مدينتان ، قديمة وجديدة ، والجديدة منهما أسمها ديدو ، بناها (ديدو) آحر ملوكها فسميت بأسمه ، والقان الكبير ينزل بوسطها في قصر عظيم يسمى كوك طاق ، ومعناه بلغة المغل القصر الأخضر ، لأن طاق معناه عندهم القصر ، وكوك معناه الأخضر ، ومنازل الأمراء حوله خارج القصر ، قال : وهي مدينة طيبة ، واسعة الأتوات ، رحيّة الأسعار ، ويجمد بها الماء في زمن الشتاء فيصير كالثلج ، فيرفع إلى أيام الصيف حتى يبرد به الماء كما يبرد بالثلج . ويشق مدينة ديدو المذكورة نهر .

وبها أنواع الفواكه إلا العنب فإنه قليل بها ، وليس بها نارنج ولا ليمون ولا زيتون ، ثم يعمل بها السكر . وبها من الزرع والحمل والحيل والبقر والغنم ما لا يدخل تحت الإحصاء . وبالصين مدن مشهورة سواها .

(منها) قراقوم . قال في "تقويم البلدان" : بفتح القاف والراء المهملة ثم ألف وقاف مضمومة وواو ساكنة وميم . قال : وهي مدينة في أقصى بلاد الترك الشرقية ، ومعنى قراقوم باللغة التركية الرمل الأسود ، لأن قرا في لغتهم بمعنى الأسود ، وقم بمعنى الرمل ، ويقع في كثير من الكتب قراقوم بإبدال الواو وراء وهو خطأ ، وإنما كتبت الواو بها بعد القاف دليلا على الضمة على عادتهم في ذلك - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وست وخمسون درجة ، والعرض خمسة وثلاثون درجة وخمسة وعشرون دقيقة . قال : وهي كانت قاعدة التتر ، وفي جهاتها بلاد المغل : وهم خالصة التتر . ومنها خاناتهم . قال الشريف

حسن بن الجلال السمرقندى : وفيها غالب عساكر القان الكبير. وبها يعمل القماش الفاجر، والصنائع الفاتقة، وغالب ما يحتاج إليه القان يُستدعى منها لأنها دار استعمال، وأهلها أهل صنائع فائقة. قال في "مسالك الأبصار" : وهي قرية جنكرخان التي أخرجته، وعريسته التي أدرجته .

(ومنها) الخنساء . قال في "تقويم البلدان" : بانحاء المعجمة والنون والسين المهملة وألف . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : حيث الطول مائة وخمس وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وعن بعض المسافرين من بلادنا أن الخنساء في هذا الزمان أعظم فُرْص الصَّينِ ، وإليها ينتهى وصول التجار المسافرين من بلادنا . قال الشريف السمرقندى : وطول الخنساء يوم كامل، وعرضها نصف يوم، وفي وسطها سوق واحد ممتد من أولها إلى آخرها، وأسواقها مبلطة بالبلاط، وبنائها خمس طبقات بعضها فوق بعض، وكلها مبنية بالأخشاب والمسامير، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها في قسيف عظيم، وغالب أكلهم لحم الجاموس والإوز والدجاج. وفيها الأرز، والموز، وقصب السكر، والليمون، وقليل الرمان، وأسعارها متوسطة، وتجلب إليها الغنم والقمح على قلة، ولا يوجد فيها من الخيل إلا ماقل عند أعيانها. وأما الجمال فلا توجد فيها البتة، فإن دخلها حمل تعجبوا منه. ونقل في "مسالك الأبصار" أن بينها وبين جالق بالقر أربعين يوما. وحكى عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادى أنه وصل إلى الخنساء ووصف عظمة بنائها ومنعة رفعة مدينتها مع تسطح الأقوات بها ووفور المكاسب فيها ورخص التدقيق الجيد فيها وفي جميع تلك البلاد . قال : وأهلها يتفانحون بكثرة الجوارى السرارى، حتى إنه ليوجد لأحد التجار وآحاد الناس أربعون سرية فما زاد على ذلك .

(١) لعله الرقيق بالراء فتأمل .

(ومنها) الزَيْتُونُ . قال في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين الثقات : هي بلفظ الزيتون الذي يُعْتَصَر منه الزيت ، وهي فُرْصَةٌ من فُرُصِ الصَّيْنِ - موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة ، والعرض سبع عشرة درجة . قال : وهي مدينة مشهورة على ألسنة التجار المسافرين إلى تلك البلاد ؛ وهي على خَورٍ من البحر ، والمراكب تدخل إليها من بحر الصَّيْنِ في الخَور المذكور ، وقدره نحو خمسة عشر ميلاً ، ولها نهر عند رأس الخور المذكور . وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشريف السمرقندي أن مدينة الزَيْتُونِ على البحر المحيط وهي آجر العارة . قال : وبينها وبين جائق بالقي شهر واحد .

(ومنها) السَّيْلِي . قال في "تقويم البلدان" : بالسَّيْنِ المهملة والياء المثناة التحتية ولام وياء ثانية . ثم قال : هكذا وجدناه في الكتب . قال : ويقال لها سَيْلًا يعنى باللام ألف ، ورأيت في بعض الكتب سَيْلان بزيادة نون بعد اللام ألف . قال : وهي مدينة في أقصى الصَّيْنِ الشرقي ، خارجة عن الإقليم الأول إلى الجنوب . قال في "القانون" حيث الطول مائة وسبعون درجة ، والعرض خمس درج ، وهي في أعلى الصَّيْنِ من الشرق بجزائر الخالدات في بحر الغرب ، لكن هذه معمورة في خِصْبٍ بخلاف تلك .

(ومنها) جمكوت . قال في "تقويم البلدان" : بالجيم والميم والكاف ثم واو وتاء مثناة فوقية في الآخر . قال : كذا وجدناها مكتوبة ، وأسماها عند الفُرسِ جما كرد . قال : وهي مدينة في أقصى العارة الشرقية ، خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال في "الأطوال" : وهي على خط الاستواء لاعرض لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي على النهاية الشرقية مثل ما يحكى عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربية . قال : وليس شرقي جمكوت عمارة أصلاً .

(ومنها) مدن أخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط .

إحداها مدينة (ينجو) - وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة وخمس وعشرون، والعرض اثنتان وعشرون . وقد ذكر في "القانون" أنها مستقر ملكهم الأكبر الملقب بطمغاج .

(ومنها) مدينة خانقو . بجاء معجمة وألف ونون وقاف ثم واو - وهي مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول مائة وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أبواب الصين . قال ابن سعيد : وموقعها على شرقي نهر حمدان . قال ابن خردادبه : وهي المرفأ الأكبر، وفيها الفواكه الكثيرة، والبقول، والحنطة، والشعير، والأرز، والعنب، والسكر .

(ومنها) مدينة خانجو - بإبدال القاف من المدينة السابقة جيا - وهي مدينة على النهر، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة واثنتان وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "القانون" : وهي من أبواب الصين .

(ومنها) مدينة سوسة - بسينين مهملتين بينهما واو ساكنة وفي الآخرهء . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة كثيرة التجار متصلة العارة، وبها يُصنع الفخار الصيني الذي لا يفوقه ولا يعدله شيء من أعمال الصين . قال : وهي على شرقي نهر حمدان .

الإقليم الثاني (بلاد الخطأ)

بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر، وهم جنس من الترك بلادهم في متاخمة بلاد الصين .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" مدينة (قجوهي) بقاف وميم وجيم وواو ثم هاء وراء آخر الحروف . وقال : إنها أول بلاد الخطأ، وإن منها إلى جالق بالقي أربعين يوماً، بل ذكر أن مدينة جالق بالقي التي هي قاعدة هذه المملكة من بلاد الخطأ .

الجملة الثانية

(في معاملة هذه المملكة وأسعارها)

أما معاملتها فقال في "مسالك الأبصار" : حدثني الفاضل نظام الدين ابن الحكيم أن معاملتهم بقشور من لحاء شجر التوت مطبوعة باسم القان، فإذا عتق ذلك حمله صاحبه إلى نواب هذا القان وأخذ عوضه مع خسارة لطيفة، كما يؤخذ في دار الضرب مما يُحمل إليها من الذهب والفضة ليُضرب بها . وذكر عن الشريف حسن السمرقندي أن فيها بكارا وفيها صفارا، فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد، ومنها ما يقوم مقام درهمين، ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم وأكثر إلى ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة . وقد تقدم في الكلام على جالق بالقي والخنساء ذكر ما بهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إلى هذه المملكة)

قد حكى في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين السمرقندي : أن من سمرقند من بلاد ما وراء النهر إلى سبلي عشرين يوماً، ومن سبلي المذكورة إلى المائق عشرين يوماً، ومن المائق إلى قرا خوجا إلى قجوهي إلى خان بالقي أربعين يوماً . ثم قال : ومن خان بالقي إلى الخنساء طريقان : طريق في البر، وطريق في البحر،

(١) كذا في الأصل، وسبق له مثله مرارا عن "المسالك" ولكن الذي ضبطه فيما تقدم عن "التقويم"

خان بالقي بانحاء المعجمة والنون .

وفي كل من الطريقين من خان بالق إلى الخنساء أربعون يوما . وذكر في الكلام على مملكة بيت بركة عن حسن الإربلي أن المسافر إذا سافر من جولان على شرفها وصل إلى مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوكها)

قد ذكر المسعودي في "مروج الذهب" عدة ملوك من ملوك الصين قبل الإسلام وبعده، أسماؤهم أعجمية لاجابة ذكرها، والمقصود معرفة حالها في أيام بني جنكرخان القائمين بها إلى الآن .

قد تقدم في الفصل الأول من هذا الباب الكلام على مبتدأ أمر جنكرخان وكيفية مصير الملك إليه فأغنى عن إعادته هنا .

ثم لما ملك جنكرخان أوصى بتخته المستولى فيه على هذا القسم من المملكة لولده الصغير أوكداى، ومات جنكرخان فأستقر ولده أوكداى، ثم أستقر في هذه المملكة مكانه أبنة كيوك ثم مات .

فملك بعده (منكوفان) بن طولى بن جنكرخان، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة . فملك بعده (أرى بك)، ثم قبلى خان، ثم دمرباق، ثم قرماى، ثم ترفاى كيزى، ثم قيان قان، ثم سند مرقان بن طولى بن جنكرخان، وهو الذى كان في الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون صاحب الديار المصرية، ثم أقطع خبرهم فلم يعلم من ملك منهم . وملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان كغفار يدينون بتعظيم الشمس، واقفون في الأحكام مع ياسة جدتهم جنكرخان المقدم ذكرها في الفصل الأول . قال في "مسالك الأبصار":

(١) وجدنا في "العبر" ج ٥ ص ٣٠٥ اختلافًا في الأسماء فاتبعنا الأصل وأجلنا في التنبيه .

(٢) في العبر "سند مرقان بن طرمالان بن جنكر بن قبلاى بن طولى" .

ذكر لى الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارى الكاتب البوسعيدى أنهم على ما هم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضلة الشاملة لأهل مملكتهم ومن يرد إليها . قال الشريف السمرقندى : ومن عجائب ما رأيت فى مملكة هذا القان أنه مع كُفْرِهِ فى رعاياه من المسلمين أُمٌّ كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحد من الكفار مسلماً ، قُتِلَ القاتل الكافر هو وأهل بيته ونُهبت أموالهم ، وإن قتل مسلمٌ كافراً لا يُقتل به ، بل يُطلب بديته ، ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

الجملة الخامسة

(فى عسكره)

قال بدر الدين حسن الإسعردى التاجر : وهذا القان ذو عسكر مديد . قال : والذي أعلم من حاله أن له اثني عشر ألف بازدار يركبون الخيل ، وعساكره من المغل عشرون تومانا ، وهى مائتا ألف فارس ، أما من الخطأ فما لا يحصى .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المملكة)

قال الشريف تاج الدين السمرقندى : وترتيب هذه المملكة أن لهذا القان أميرين كبيرين هما الوزراء ، يسمّى كل من يكون فى هذه الرتبة جنكصان ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بنجار ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما زوجين ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بوجين . قال : وله كاتب هو رأس كُتّابه يسمّى لنجون ، وهو بمنزلة كاتب السر فى بلادنا ، والقان يجلس فى كل يوم فى صدر دار فسيحة تسمى شن ، بمثابة دار العدل عندنا ، ويقف الأمراء المذكورون حوله عن اليمين وعن الشمال على مقادير رتبهم ، ورأس الكُتّاب المسمى لنجون ، فإذا

شكا أحد شكوى أو سأل حاجة ، أعطى قصته رأس الكُتاب المذكور فيقف عليها ، ثم يوصلها إلى أحد الأميرين اللذين يليانه وهما أصغر الكل فيقف عليها هو ومن معه ، ثم يوصلانها إلى من يليهما في الرتبة ، وهكذا إلى أن تصير إلى القان ، فيأمر فيها بما يراه . وذكر عن الشريف أبي الحسن الكربلاي وكان ممن اجتمع بالقان في هذه البلاد أن لهذا القان أربعة وزراء يُصدرون الأمر في مملكته كلها ، ولا يُراجَع القان إلا في القليل النادر . قال : وإذا أراد القان أن يركب ركب في حَمَّة ولا يظهر للناس إلا في يوم واحد ، وهو مثل يوم مولده في كل سنة ، فإنه يركب فرسا ويخرج إلى الصحراء ويعمل بها من الأطعمة والسَّماطات ما يغمُرُ الناس ، ويكون مثل يوم العيد عندهم .

تم الجزء الرابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس .

وأوله المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،

وآله وصحبه والتابعين وسلامه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرست

الجزء الرابع

من کتاب صبح الأعشى للقلقشندی

صفحة

- الحالة الثالثة — من أحوال المملكة ما عليه ترتيب المملكة من ابتداء
 ٥ الدولة الأيوبية وإلى زماننا
- ٦ ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد
- ٦ المقصد الأول — في ذكر رسوم الملك وآلاته؛ وهو أنواع كثيرة الخ
- ٩ المقصد الثاني — في حواصل السلطان
- المقصد الثالث — في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب، الذين بهم
 ١٤ انتظام المملكة وقيام الملك؛ وهم على أربعة أضرب
- ١٤ الضرب الأول — أرباب السيوف؛ والنظر فيهم من وجهين
- ١٤ الوجه الأول — مراتبهم على سبيل الاجمال؛ وهي على نوعين
- ١٤ النوع الأول — الأمراء؛ وهم على أربع طبقات
- ١٥ النوع الثاني — الأجناد؛ وهم على طبقتين
- الوجه الثاني — في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم
 ١٦ ذكرهم؛ وهم على نوعين
- ١٦ النوع الأول — من هو بحضرة السلطان
- النوع الثاني — ما هو خارج عن الحضرة السلطانية؛ وهم
 ٢٤ على ثلاث طبقات
- ٢٤ الطبقة الأولى — نواب السلطنة
- ٢٥ الطبقة الثانية — الكشاف
- ٢٦ الطبقة الثالثة — الولاة بالوجهين: القبلي، والبحري
- الضرب الثاني — من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملة الأقاليم؛
 ٢٨ وهم على نوعين

صفحة

- النوع الأول — أرباب الوظائف الديوانية ٢٨
- النوع الثاني — أرباب الوظائف الدينية؛ وهم صنفان ٣٤
- الصف الأول — من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ٣٤
- الصف الثاني — من لا مجلس له بالحضرة السلطانية ٣٧
- المقصد الرابع — في زى أعيان المملكة؛ وهم أربع طوائف ٣٩
- الطائفة الأولى — أرباب السيوف ٣٩
- الطائفة الثانية — أرباب الوظائف الدينية: من القضاة وسائر العلماء ... ٤١
- الطائفة الثالثة — مشايخ الصوفية ٤٣
- الطائفة الرابعة — أرباب الوظائف الديوانية ٤٣
- المقصد الخامس — في هيئة السلطان في ترتيب الملك؛ وله ثلاث
(سبع) هيئات ٤٤
- الهيئة الأولى — هيئته في جلوسه بدار العدل، لخلاص المظالم ... ٤٤
- الهيئة الثانية — هيئته في بقية الأيام ٤٥
- الهيئة الثالثة — هيئته في صلاة الجمعة والعيدين ٤٦
- الهيئة الرابعة — هيئته للعب الكرة، بالميدان الأكبر ٤٧
- الهيئة الخامسة — هيئته في الركوب لكسر الخليج، عند وفاء النيل ... ٤٧
- الهيئة السادسة — هيئته في أسفاره ٤٨
- الهيئة السابعة — في النوم ٤٩
- المقصد السادس — في عاداته في إجراء الأرزاق؛ وهو على ضربين ... ٥٠
- الضرب الأول — الجارى المستمر، وهو على نوعين ٥٠
- النوع الأول — الإقطاعات ٥٠

صفحة

- النوع الثانى — رزق أرباب الأقالام ٥١
- الضرب الثانى — الإنعام وما يجرى مجراه، مما يقع فى وقت دون وقت؛ وهو على خمسة أنواع ٥٢
- النوع الأول — الخلع والتشريف ٥٢
- النوع الثانى — الخيول ٥٤
- النوع الثالث — الكسوة والحوائص ٥٥
- النوع الرابع — الإنعام والأوقاف ٥٥
- النوع الخامس — المأكول والمشروب ٥٦
- المقصد السابع — فى اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية فى نطاق مملكته يمتاز بها على ملوك الأرض من المسلمين، وغيرهم ٥٧
- المقصد الثامن — فى انتهاء الأخبار إليه؛ وهو على ثلاثة أنواع ٥٨
- النوع الأول — أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم ٥٨
- النوع الثانى — الأخبار التى ترد عليه من جهة نوابه ٥٩
- النوع الثالث — أخبار حضرته ٦٠
- المقصد التاسع — فى هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم ٦٠
- المقصد العاشر — فى ولاية الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية؛ وهم على أربع طبقات ٦٣
- الطبقة الأولى — النواب ٦٣
- الطبقة الثانية — الكشاف ٦٥
- الطبقة الثالثة — الولاة بالوجهين: القبلى والبحرى ٦٦
- الطبقة الرابعة — أمراء العربان بنواحي الديار المصرية ٦٧

صفحة

- الفصل الثاني — من المقالة الثانية في المملكة الشامية ، وما يتصل بها من بلاد
الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين الفرات والدجلة مما هو
مضاف الى هذه المملكة ؛ وفيه أربعة أطراف ٧٢
- الطرف الأول — في فضل الشام وخواصه وعجائبه ، وفيه مقصدان ٧٢
- المقصد الأول — في فضل الشام ٧٢
- المقصد الثاني — في خواصه وعجائبه ٧٣
- الطرف الثاني — في حدوده ، وابتداء عمارته ، وتسميته شاما ؛ وفيه مقصدان ٧٥
- المقصد الأول — في حدوده ٧٥
- المقصد الثاني — في ابتداء عمارته ، وتسميته شاما ، وما يلتحق بذلك ٧٨
- الطرف الثالث — في أنهاره ، وبحيراته ، وجباله المشهورة ، وزروعه ،
وفواكهه ، ورياحينه ، ومواشيه ، ووحوشه ، وطوره ؛
وفيه ستة مقاصد ٧٩
- المقصد الأول — في ذكر الأنهار العظام بالشام ٧٩
- المقصد الثاني — في ذكر بحيراته ٨٣
- المقصد الثالث — في ذكر جباله المشهورة ٨٥
- المقصد الرابع — في ذكر زروعه وفواكهه ورياحينه ٨٦
- المقصد الخامس — في ذكر مواشيه ووحوشه وطوره ٨٨
- المقصد السادس — في ذكر النفيس من مطعوماته ٨٨
- الطرف الرابع — في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستقرة وأعمالها ؛
وفيه مقصدان ٨٨

صفحة

- المقصد الأول - في ذكر جهاته وكوره القديمة ٨٨
- المقصد الثاني - في ذكر قواعده المستقرة وأعمالها ؛ وهي ست قواعد ٩١
- القاعدة الأولى - دمشق ؛ وفيها جملتان ٩١
- الجملة الأولى - في حاضرتها ٩١
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها وتشتمل على بر وأربع صفحات ٩٧
- الصفحة الأولى - الساحلية والجبليّة ؛ ولها جهتان ٩٨
- الجهة الأولى - الساحلية ؛ وهي التي بساحل بحر الروم ٩٨
- الجهة الثانية - الجبلية ١٠٠
- الصفحة الثانية - القبليّة ١٠٣
- الصفحة الثالثة - الشماليّة ١٠٨
- الصفحة الرابعة - الشرقية ؛ وهي على ضريين ١١٢
- الضرب الأول - ما هو داخل في حدود الشام ١١٢
- الضرب الثاني - ما هو من بلاد الجزيرة ١١٥
- القاعدة الثانية - حلب ؛ وفيها جملتان ١١٦
- الجملة الأولى - في حاضرتها ١١٦
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها ؛ وهي على ثلاثة أقسام ١١٨
- القسم الأول - ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ١١٩
- القسم الثاني - البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها من الشمال ؛
وهي المعروفة ببلاد الأرمن ؛ وهو على ضريين ١٣٠
- الضرب الأول - الأعمال الجبار ؛ وهي ساحلية وجبليّة ... ١٣١
- الضرب الثاني - الأعمال الصغار ١٣٥

صفحة	
١٣٧	القسم الثالث - البلاد المجاورة للفرات من شرقيه
١٣٩	القاعدة الثالثة - من قواعد المملكة الشامية حماة؛ وفيها جملتان
١٣٩	الجملة الأولى - في حاضرتها
١٤١	الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها
١٤٢	القاعدة الرابعة - من قواعد المملكة الشامية أطرابلس؛ وفيها جملتان
١٤٢	الجملة الأولى - في حاضرتها
١٤٤	الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها؛ وهي على قسمين
١٤٤	القسم الأول - الأعمال الجبار؛ وهي على ضريين
١٤٤	الضرب الأول - مضافاتها نفسها
١٤٦	الضرب الثاني - قلاع الدعوة
١٤٧	القسم الثاني - الأعمال الصغار
١٤٩	القاعدة الخامسة - من قواعد المملكة الشامية صفد؛ وفيها جملتان
١٤٩	الجملة الأولى - في حاضرتها
١٥٠	الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها
١٥٥	القاعدة السادسة - من قواعد المملكة الشامية الكرك؛ وفيها جملتان
١٥٥	الجملة الأولى - في حاضرتها
١٥٦	الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها
	الطرف الثاني - من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية فيمن
١٥٨	ملك البلاد الشامية؛ وملوكها على قسمين
١٥٨	القسم الأول - ملوكها قبل الإسلام؛ وهم على أربع (خمسة) طبقات
١٥٨	الطبقة الأولى - ملوكها من الكتانين

صفحة	
١٥٩	الطبقة الثانية — ملوكها من بني إسرائيل
١٦١	الطبقة الثالثة — ملوكها من الفرس
١٦١	الطبقة الرابعة — ملوكها من اليونان
١٦١	الطبقة الخامسة — ملوكها من الروم
١٦٢	القسم الثاني — من ملوك الشام ملوكه في الإسلام، وهم على ضربين
	الضرب الأول — عمال الصحابة فمن بعدهم من نواب الخلفاء الى حين
١٦٢	استيلاء الملوك عليها
١٦٣	الضرب الثاني — من وليها ملكا
	الطرف الثالث — من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية
١٨٠	في ذكر أحوال المملكة الشامية؛ وفيه مقصدان
١٨٠	المقصد الأول — في ترتيب نياباتها
١٨٠	النيابة الأولى — نيابة دمشق؛ وفيها جملتان (ثلاث جمل)
١٨٠	الجملة الأولى — في ذكر أحوالها
١٨٣	الجملة الثانية — في ترتيب مملكاتها؛ وهو ضربان
١٨٣	الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها
	الضرب الثاني — في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تباين
١٨٤	مراتبهم؛ والوظائف على خمسة أصناف
١٨٤	الصف الأول — وظائف أرباب السيوف
١٨٨	الصف الثاني — الوظائف الديوانية
١٩٢	الصف الثالث — الوظائف الدينية
١٩٤	الصف الرابع — وظائف أرباب الصناعات

صفحة

- الصف الخامس — وظائف زعماء أهل الذمة بها ١٩٤
- الجملة الثالثة — في ترتيب النيابة بها ١٩٤
- المقصد الثاني — في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو
- على ضريين ١٩٧
- الضرب الأول — ما هو خارج عن حاضرتها من الولايات والولايات ... ١٩٧
- الضرب الثاني — من الخارج عن حاضرة دمشق العربان، والإمارة بها
- في بطون من العرب ٢٠٣
- البن الأول — آل ربيعة من طيء من كهلان من القحطانية ... ٢٠٣
- البن الثانية — جرم ٢١١
- البن الثالثة — ثعلبية ٢١٢
- البن الرابعة — بنو دهمدي ٢١٤
- البن الخامسة — زبيد ٢١٣
- النيابة الثانية — من نيابات السلطنة بالممالك الشامية نيابة حاب ؛
- وفيهما جملتان ٢١٥
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها ٢١٥
- الجملة الثانية — في ترتيب مملكتها، وهي على ضريين ٢١٦
- الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها ؛ ووظائفها على أربعة
- (ثلاثة) أصناف ٢١٦
- الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ٢١٧
- الصف الثاني — الوظائف الدينية ٢٢١
- الصف الثالث — وظائف أرباب الصناعات ٢٢٢

صفحة

- الجملة الثانية — (الثالثة) في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛
 وهو ثلاثة أنواع (نوعان) ٢٢٦
- النوع الأول — ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهم
 ثلاثة أصناف ٢٢٦
- الصف الأول — النواب ؛ وهم على ضربين ٢٢٦
- الضرب الأول — ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ... ٢٢٦
- الضرب الثاني — النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية ؛
 وهي على قسمين ٢٢٨
- القسم الأول — بلاد الثغور والعواصم وما والاها ... ٢٢٨
- القسم الثاني — ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات ٢٢٩
- الصف الثاني — من أرباب السيوف بخارج حلب الولاية ... ٢٣٠
- النوع الثاني — مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ... ٢٣١
- النيابة الثالثة — نيابة أطرابلس ، وفيها جملتان ٢٣٣
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٣
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ؛ وهو على ضربين ... ٢٣٥
- الضرب الأول — الثواب ؛ وهم على قسمين ٢٣٥
- القسم الأول — النيابات بمضافات نفس أطرابلس ... ٢٣٥
- القسم الثاني — نيابات قلاع الدعوة ٢٣٥
- الضرب الثاني — الولاية ٢٣٦
- النيابة الرابعة — نيابة حماه ؛ وفيها جملتان ٢٣٦
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٦
- الجملة الثانية — في ترتيب نياباتها ؛ وهي على ضربين ... ٢٣٧

صفحة	
٢٣٧	الضرب الأول — ما بحاضرتها
٢٣٩	الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرتها
٢٤٠	النيابة الخامسة — نيابة صغد؛ وفيها جملتان
٢٤٠	الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها
٢٤٠	الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها
٢٤١	النيابة السادسة — نيابة الكرك؛ وفيها جملتان
٢٤١	الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها
٢٤٢	الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها؛ وهو على ضربين
٢٤٢	الضرب الأول — الولايات
٢٤٢	الضرب الثاني — العرب
	الفصل الثالث — من الباب الثالث من المقالة الثانية في المملكة الحجازية؛
٢٤٣	وفيه سبعة أطراف
٢٤٣	الطرف الأول — في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه
٢٤٤	الطرف الثاني — في ذكر حدوده، وأبتهاء عمارته، وتسميته حجازا
٢٤٥	الطرف الثالث — في أبتهاء عمارته وتسميته حجازا
٢٤٦	الطرف الرابع — في ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة
٢٤٧	الطرف الخامس — في زروعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره
٢٤٨	الطرف السادس — في قواعده وأعماله؛ وفيه ثلاث قواعد
٢٤٨	القاعدة الأولى — مكة المشرفة؛ وفيها جملتان
٢٤٨	الجملة الأولى — في حاضرتها
٢٥٥	الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها؛ وهي على ضربين

صفحة

- الضرب الأول — الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة ٢٥٥
- الضرب الثاني — قراها ومخالفها ٢٥٧
- الطرف السابع — في ذكر ملوك مكة ؛ وهم عليّ ضريين ٢٦١
- الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام ٢٦١
- الضرب الثاني — ملوكها في الإسلام ؛ وهم عليّ طبقات ٢٦٥
- الطبقة الثالثة — (هكذا) عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ٢٦٥
- الطبقة الرابعة — عمال بني أمية ٢٦٥
- الطبقة الخامسة — عمال بني العباس ٢٦٦
- الطبقة السادسة — السليمانيون من بني الحسن ٢٦٧
- الطبقة السابعة — الهواشم ٢٧٠
- الطبقة الثامنة — بنو قتادة ٢٧٥
- الطرف السابع — (الثامن) في ترتيب مكة المشرفة ؛ وفيه جملتان ٢٧٥
- الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها ٢٧٥
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ٢٨٤
- القاعدة الثانية — المدينة الشريفة النبوية ؛ وفيها ثلاث جمل (أربع) ... ٢٨٥
- الجملة الأولى — في حاضرتها ٢٨٥
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي عليّ ضريين ٢٨٩
- الضرب الأول — حماها ومرافقها ٢٨٩
- الضرب الثاني — في مخالفها وقراها ٢٩٠
- الجملة الثالثة — في ذكر ملوك المدينة وأمرائها ؛ وهم عليّ ضريين ... ٢٩٣

صفحة

الضرب الأول — من قبل الإسلام؛ وهم ثلاث طبقات ... ٢٩٣

الطبقة الأولى — التبابعة ... ٢٩٣

الطبقة الثانية — العاقبة من ملوك الشام ... ٢٩٣

الطبقة الثالثة — ملوكها من بني اسرائيل، ومن انضم اليهم من

الأوس والخزرج ... ٢٩٤

الضرب الثاني — من في زمن الإسلام؛ وهم أربع طبقات ... ٢٩٥

الطبقة الأولى — من كان بها في صدر الإسلام ... ٢٩٥

الطبقة الثانية — عمال الخلفاء من بني أمية ... ٢٩٥

الطبقة الثالثة — عمالها في زمن خلفاء بني العباس ... ٢٩٧

الطبقة الرابعة — أمراء الأشراف من بني حسين ... ٢٩٨

الجملة الثالثة — (الرابعة) في ترتيب المدينة المنورة ... ٣٠٢

الباب الرابع — من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة

الديار المصرية؛ وفيه أربعة فصول ... ٣٠٥

الفصل الأول — في الممالك والبلدان الشرقية عنها، وما يخترط في سلكها

من شمال أو جنوب؛ وفيه أربعة مقاصد ... ٣٠٥

المقصد الأول — في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان؛ وفيه جملتان ... ٣٠٥

الجملة الأولى — في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك اليه ... ٣٠٥

الجملة الثانية — في عقيدة جنكرخان وأتباعه في الديانة إلى أن أسلم من

أسلم منهم ... ٣١٠

المهيح الثاني — (لعله المقصد الثاني) في ذكر ممالك بني جنكرخان على

التفصيل؛ وهي مملكتان ... ٣١٣

صفحة

- ٣١٣ مملكة إيران ولها؛ جانبان : جنوبي وشمالى
- ٣١٤ الجانب الأول — الجنوبي، ويشتمل على ستة أقاليم
- ٣١٤ الإقليم الأول — الجزيرة الفراتية
- ٣٢٧ الإقليم الثانى — العراق؛ وله قواعد ومدن
- ٣٢٨ القاعدة الأولى — بابل
- ٣٢٩ للقاعدة الثانية — المدائن
- ٣٣٠ القاعدة الثالثة — بغداد
- ٣٣٢ القاعدة الرابعة — سرّ من رأى
- ٣٣٨ الإقليم الثالث — خوزستان والأهواز
- ٣٤٣ الإقليم الرابع — فارس
- ٣٤٨ الإقليم الخامس — كرمان
- ٣٥٠ الإقليم السادس — سجستان والرخج
- ٣٥٢ الجانب الثانى — من مملكة إيران — الشمالى، ويشتمل على عدة أقاليم
- ٣٥٣ الإقليم الأول — أرمينية
- ٣٥٦ الإقليم الثانى — أذربيجان؛ وبها ثلاث قواعد
- ٣٥٦ القاعدة الأولى — أردبيل
- ٣٥٧ القاعدة الثانية — تبريز
- ٣٥٨ القاعدة الثالثة — السلطانية، وأسمها قنغران
- ٣٦٠ الإقليم الثالث — أزان؛ ولها قاعدتان
- ٣٦١ القاعدة الأولى — بردعة

صفحة	
٣٦١	القاعدة الثانية — تفليس
٣٦٥	الإقليم الرابع — بلاد الجبل
٣٧٩	الإقليم الخامس — بلاد الديلم
٣٨٠	الإقليم السادس — الجبل، وفيه قواعد
٣٨٢	القاعدة الأولى — پومن
٣٨٢	القاعدة الثانية — تؤولم
٣٨٣	القاعدة الثالثة — كسكر
٣٨٤	الإقليم السابع — طبرستان
٣٨٦	الإقليم الثامن — مازندران
٣٨٨	الإقليم التاسع — قومس
٣٨٩	الإقليم العاشر — خراسان
٣٩٦	الإقليم الحادي عشر — زابلستان
٣٩٨	الإقليم الثاني عشر — الغور
٣٩٩	الجملة الثالثة — في الأيام المشهورة
٤٠٢	الجملة الرابعة — في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة
٤٠٥	الجملة الخامسة — في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة
	الجملة السادسة — فيما بهذه المملكة من النفائس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر، والمتزهات المرتفعة
٤٠٨	الصيت
	الجملة السابعة — في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاماً
٤١١	وهم عليّ ضربين

صفحة

- الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام، وهم على أربع طبقات ٤١١
- الطبقة الأولى — الفيشدازية ٤١١
- الطبقة الثانية — الكيانية ٤١٢
- الطبقة الثالثة — الاشغانية ٤١٣
- الطبقة الرابعة — الأكاسرة ٤١٤
- الضرب الثاني — ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات ٤١٦
- الطبقة الأولى — عمال الخلفاء ٤١٦
- الطبقة الثانية — خلفاء بني العباس ٤١٧
- الطبقة الثالثة — ملوكها من بني جنكرخان ٤١٩
- الجملة الثامنة — في معاملاتها وأسعارها ٤٢٢
- الجملة التاسعة — في ترتيب هذه المملكة، على ما كانت عليه، في زمن
بني هولوكو ٤٢٣
- الجملة العاشرة — فيما لأرباب المناصب والجند، من الرزق على
السلطان ٤٢٥
- الجملة الحادية عشرة — في ترتيب أمور السلطان، بهذه المملكة ٤٢٦
- الجملة الثانية عشرة — فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة ٤٢٨
- المملكة الثانية — مما بيد بني جنكرخان، مملكة توران، وفيها سبع حمل ٤٢٩
- الجملة الأولى — في ذكر حدودها وطولها، وعرضها وموقعها من الأقاليم
السبعة ٤٣٠
- الجملة الثانية — فيما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهي
سبعة ٤٣١

صفحة	
٤٣١	الإقليم الأول — ماوراء النهر
٤٣٩	الإقليم الثاني — تركستان
٤٤٢	الإقليم الثالث — طخارستان
٤٤٣	الإقليم الرابع — بدخشان
	الجملة الثالثة — في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات
٤٤٤	الواقعة بين بلادها
	الجملة الرابعة — في عظام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة
٤٤٤	توران
٤٤٥	الجملة الخامسة — في معاملاتها وأسعارها
	الجملة السادسة — في من ملك هذا القسم من مملكة توران، وملوكها
٤٤٥	في الإسلام على طبقتين
٤٤٦	الطبقة الأولى — ما هو عقيب الفتح
٤٤٩	الطبقة الثانية — ملوكها من بني جنكرخان
٤٥٠	الجملة السابعة — في ترتيب هذه المملكة، وحال عساكرها
٤٥١	القسم الثاني — من مملكة توران خوارزم والقبجاق؛ وفيه ثمان جمل
٤٥٢	الجملة الأولى — في ذكر حدود هذه المملكة ومساقها
٤٥٣	الجملة الثانية — فيما أشتمت عليه من الأقاليم
٤٦٧	الجملة الثالثة — في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة
٤٦٩	الجملة الرابعة — في الطرق الموصلة الى هذه المملكة
٤٧٠	الجملة الخامسة — في الموجود بها
٤٧٠	الجملة السادسة — في المعاملات والأسعار بها

- الجملة السابعة — في ذكر ملوك هذه المملكة ٤٧١
- الجملة الثامنة — في مقدار عسكر هذه المملكة ٤٧٥
- القسم الثالث — من مملكة توران مملكة القان الكبير؛ وفيها خمس
(ست) جمل ٤٧٧
- الجملة الأولى — فيما اشتمت عليه هذه المملكة من الأقاليم ٤٧٨
- الإقليم الأول — الصين ٤٧٩
- الإقليم الثاني — بلاد الخطا ٤٨٣
- الجملة الثانية — في معاملة هذه المملكة وأسعارها ٤٨٤
- الجملة الثالثة — في الطريق الموصل إلى هذه المملكة ٤٨٤
- الجملة الرابعة — في ذكر ملوكها ٤٨٥
- الجملة الخامسة — في عسكره ٤٨٦
- الجملة السادسة — في ترتيب هذه المملكة ٤٨٦

(تم فهرست الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الخامس

وأوله المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

